جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية

مجلة أبحاث البصرة
((للعلوم الإنسانية))

سلسلة العلوم الإنسانية
مجلة فصلية محكمة ومفهرسة

تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة
العراق - البصرة

رئيس هيأة التحرير: أ.د. علاء عبد الحسين العبادي
مدير هيأة التحرير: أ. مهدي محسن محمد
إدارة المجلة: باحث أقدم: ساهرة مزهر لفتة

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث المدمج
(القيم الإسلامية ودورها في رقي المجتمع الإنساني)
٣١/ أيار / ٢٠٢٢

(مواقع واشتراكات المجلة في المستوعبات العلمية)

-موقع المجلة الرسمي -https://bhums.uobasrah.edu.iq

-الترقيم الدولي -ISSN Online 2707-3599

-ISSN Print 2707-3580

-معامل التأثير العربي -(AIF)= (0,94)

-معامل التاثير والاستشهادات (أرسيف) (Arcif Analytics) -(0.0473)

-المجلة مسجلة في الموقع العالمي Google الباحث العلمي -https://scholar.google.com

-موقع المجلات الاكاديمية العراقية IRAQI Academic Scientific Journals -www.iasj.net

-رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١١٨٣ لسنة ٢٠٠٩

(www.udledge.com)

1) i-Journals(www.ijournals.my) iJOURNALS

2) i-Focus (www.ifocus.my) i-IFOCUS

(تعريف بالمجلة)

١. مجلة محكمة ومتخصصة ،فصلية، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة البصرة/وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية.

٢. تطمح أن تكون مصنفة ضمن أهم القواعد والبيانات العالمية وان تكون مرجعاً علمياً للباحثين والدارسين في العلوم الإنسانية ووصول أبحاثهم إلى أوسع نطاق من العالم.

(حقوق الطبع محفوظة للناشر):

١. جميع حقوق الطبع محفوظة لجامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الانسانية.

٢. لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من رئيس هيأة التحرير.

٣. ما يرد في المجلة يعبر عن أراء أصحابه ولا يعكس أراء هيأة التحرير أو سياسة جامعة البصرة.

للاستفسار والتواصل مع هيأة تحرير المجلة:

-Email:magazinbasrah@gmail.com

- +964 7736024869

هيأة التحرير:

ت	الاسم واللقب العلمي	مكان العمل
١.	أ.د. عبد الباسط خليل محمد	جامعة البصرة–كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
٢.	أ.د. إبراهيم فنجان صدام	جامعة البصرة–كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ
٣.	أ.د. حامد قاسم ريشان	جامعة البصرة–كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي
٤.	أ.د. مرتضى عباس فالح	جامعة البصرة–كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية
٥.	أ.د. علاء حسين عودة	جامعة البصرة–كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة الانكليزية
٦.	أ.د. عباس عبد الحسن كاظم	جامعة البصرة–كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الجغرافية
٧.	أ.م.د. نبيل كاظم نهير	جامعة البصرة–كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم العلوم التربوية والنفسية
٨.	أ.د. محمد الخزامي عزيز	مصر – جامعة الفيوم – كلية الآداب قسم الجغرافية
٩.	أ.م.د. رسول بلاوي	إيران– جامعة خليج فارس– بوشهر
١٠.	أ.د. جمال الدين إبراهيم محمود العمرجى	مصر– جامعة السويس – كلية التربية
١١.	أ.د. عبد الله أبراهيم	تركيا – ناقد وأكاديمي
١٢.	أ.د. محمد سليمان مجلي بني خالد	الأردن – جامعة آل البيت – كلية العلوم التربوية
١٣.	أ.د. محمد نجيب مراد	الجامعة اللبنانية – كلية الآداب

((شروط النشر في مجلة أبحاث البصرة (للعلوم الإنسانية))

✓ تنقسم ضوابط النشر إلى قسمين:

اولاً: **عند تقويم البحث (ما قبل الحصول على قبول النشر)**:

١) يكون ترتيب الصفحة الأولى بالشكل التالي: **العنوان في أعلى الصفحة ويندرج تحته فقرة الغرض من البحث هو**:(**مستل (رسالة ماجستير)،(أطروحة دكتوراه)،أو للترقية، أو غير ذلك) ثم (أسم الباحث أو الباحثين، الجامعة، الكلية والقسم)**.

٢) خلاصة البحث باللغة العربية بالنسبة للأقسام كافة -ماعدا قسم اللغة الانكليزية- لا تزيد عن خمسة اسطر وتترجم إلى اللغة الانكليزية من **قبل وحدة الخدمات في قسم اللغة الانكليزية** حصراً، وتتضمن (ترجمة العنوان والملخص وأسماء الباحثين) وتختم وتجلب مع البحث النهائي. أما بالنسبة لقسم اللغة الانكليزية كذلك تتم ترجمة العنوان وأسماء الباحثين والملخص باللغة العربية.

٣) يكون نوع الخط للبحث (Simplified Arabic) للغة العربية ، و(Times New Roman) للغة الانكليزية. ولا يقبل أي خط أخر. ويعتمد برنامج (word 2007) حصراً ولا يقبل غير ذلك.

٤) حجم الخط (١٤) للمتن و(١٦) للعناوين و(١٢)للهوامش، ويكون تباعد الأسطر(١,٥سم) وحواشي الصفحة الأربعة (٢,٥) من جميع الجهات.

٥) الترقيم يكون في أسفل الصفحة مع تجنب أي علامات أو إطارات أو خطوط.

٦) تكون هوامش ومصادر البحث كلها في نهايته.

٧) عدم استخدام الخطوط والرموز الجاهزة خصوصاً الآيات القرآنية وكلمة (صلى الله عليه واله وسلم) أو (عليه السلام) أو (رضي الله عنه) وغيرها.

٨) يسلم الباحث لترويج البحث مبلغاً قدره (٤٠,٠٠٠) أربعين إلف دينار مع أربع نسخ ورقية من البحث لكافة الأقسام باستثناء قسمي اللغة العربية والانكليزية ثلاث نسخ مع مبلغ قدره (٣٠,٠٠٠) ثلاثين إلف دينار.

✓ **ثانياً: عند رجوع البحث من المقومين وقبوله (للحصول على قبول النشر)**:

١) عند اكتمال عملية تقويم البحث من قبل المقومين يعاد البحث إلى الباحث في حال كانت نتيجة التقويم (صالح للنشر) لغرض أجراء التعديلات المثبتة عليه، ولا يمنح قبول النشر ألا بعد إن يسلم الباحث نسخه نهائية ورقية معدلة إضافة إلى نسخة الكترونية بصيغة(word)على قرص(CD).مع ضرورة جلب النسخ الأصلية التي أجريت عليها التعديلات وأن يكون البحث بمجمله محفوظ في ملف واحد ويدفع **أجور النشر المترتبة بحسب التعليمات والتفاصيل أدناه**:

أ)بالنسبة **لمستلات بحوث طلبة الدراسات العليا** (الماجستير والدكتوراه) تحسب أول (٢٥) صفحة بـ (٣٠٠٠) ثلاث ألاف دينار إما ما يزيد عن ذلك فتحسب الصفحة بـ (٤٠٠٠) أربعه ألاف دينار.

ب) إما بالنسبة **لبحوث الترقيات وغير ذلك** فتحسب أول (٢٥) صفحة بـ (٤٠٠٠) آلاف دينار وما يزيد عن ذلك من صفحات فتحسب بـ (٥٠٠٠) خمسة ألاف دينار.

٢) تسقط مطالبة الباحث باسترجاع مبلغ التقويم أو مبلغ النشر أذا تم إرسال البحث للمقومين.

٣) تلفت المجلة انتباه السادة الباحثين إلى أنها **ملزمة** بنشر كافة البحوث التي تمنحها قبول نشر وتم تسديد مبالغ نشرها بالوصولات، ولا تستقبل البحوث التي يروم أصحابها الحصول على **قبول نشر فقط** دون استعدادهم لدفع مبالغ نشرها في المجلة.

تعتذر إدارة المجلة عن استلام أي بحث لا تنطبق عليه الضوابط أعلاه.

القيم الإسلامية ودورها في رقي المجتمع الإنساني

وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث المدمج

لقسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

٣١/ أيار/ ٢٠٢٢

أهداف المؤتمر:

١- بيان دور القيم الإسلامية في تطور المجتمع الانساني ورقيّه وإعماره من الناحية الاقتصادية.

٢- إبراز الدور الأساسي للقيم الإسلامية في إصلاح المجتمعات ونشر التسامح والتعايش السلمي والتعاون بين الشعوب.

٣- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول القيم الإسلامية والاجابة عن الاشكاليات المعاصرة.

٤- التعرف على دور القيم الإسلامية في إرساء النظم الصالحة لقيادة المجتمعات الإنسانية.

محاور المؤتمر:

١- القيم الأخلاقية في القرآن ودورها في رقي المجتمع.

٢- القيم الأخلاقية في السنة النبوية ودورها في رقي المجتمع.

٣- ثلاثية الفقه والأخلاق والمجتمع.

٤- القيم الأخلاقية في الأديان التوحيدية: دراسات مقارنة.

٥- القيم والأخلاق في العالم الغربي: دراسات مقارنة.

٦- القيم الأخلاقية في النصوص الأدبية: قراءات لغوية وجمالية.

لجان المؤتمر

اللجنة المشرفة	أ.د. حميد سراج جابر أ.د. أسعد عباس هندي أ.م.د. نوفل كاظم مهوس
اللجنة العلمية	أ.د عبد الباسط خليل محمد أ.د طارق حسن كسار/ جامعة ذي قار أ.م.د عبد الزهرة كاظم سمحاق/ كلية الكنوز الجامعة أ.م.د رعد كاظم كاكة الله/ جامعة ذي قار أ.م.د محمد جبار جاسم/ جامعة ميسان أ.م.د أحمد زبون داخل/ جامعة المصطفى العالمية أ.م.د قاسم عباس لعيبي أ.م.د شروق محسن كاطع أ.م.د كمال حمادي سفيح أ.م.د حكمت جارح صبر أ.م.د فلاح عبد الحسن هاشم أ.م.د عقيل صادق زعلان أ.م.د عباس فالح حسن أ.م. مرتضى جواد عواد م.د علي ضيغم طاهر
اللجنة التحضيرية	م.د عدي صالح جبار م.د سناء زكي علي م. نادية محمد جاسم م. أحمد جاسم ثاني م.م حنان مجيد عبد العبود م.م رقية محمد أمين كاظم المبرمج. كرار علي طعمة
اللجنة الإعلامية ولجنة الاستقبال	أ.د. مرتضى عباس فالح م.د علي حمزة علي م.د أحمد فرج فليح م. محمد عبد الباقي محمود م.م مهند عبد الرزاق عبد القادر

ثبت المحتويات

جامعة البصرة
مكتب العميد
عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحات
١-	آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي في المجتمع	أ.د. محمد حامد محمد سعيد	١-٢٤
٢-	القيم الإسلامية المتضمنة في نصوص اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر – دراسة تحليلية نقدية –	أ. فتيحة حايد	٢٥-٤٢
٣-	القيم الإسلاميّة في تحفيز العمل والإنتاج والتنمية، ومكافحة الاحتكار والربا	أ.د. محمد حسن دخيل د. زهراء علي دخيل	٤٣-٦١
٤-	الْقِيَمُ الْأَخْلَاقِيَّةُ فِي شِعْرِ ابْنِ الْفارِضِ دِراسَةٌ بَلاغِيَّةٌ أُسْلوبِيَّةٌ	أ.د. عقيد خالد العزاوي	٦٢-٧٧
٥-	مظاهر القيم الأخلاقية وجمالياتها في الأمثال العربية والفارسية (دراسة مقارنة)	د. حسن الهياري د. رسول بلاوي د. ناصر جابري أردكاني	٧٨-٩٨
٦-	العدل الأخلاقي من منظور قرآني وأثره في بناء المجتمع	أ.م.د. كمال حمادي سفيح	٩٩-١١٨
٧-	ثنائية الفقه الإسلامي والقيم الأخلاقية مقاربة لفهم العلاقة بين الفقه والأحكام الأخلاقية	أ.م.د. فلاح عبد الحسن هاشم	١١٩-١٥٢
٨-	التربية الروحية والخلقية في القرآن الكريم وصايا لقمان الحكيم لابنه(عليهما السلام) أنموذجا	أ.م. د. كامران أورحمان مجيد د. نوال الصادق أحمد الطيب	١٥٣-١٧٦
٩-	القيم الاخلاقية في نماذج مختارة من القصص القرآنية وأثرها في إصلاح المجتمع	م.د. ساجدة عواد صالح	١٧٧-٢٠٠
١٠-	القيم الأخلاقية والروحية في سورة مريم	م.د. ماجدة عواد صالح	٢٠١-٢٢٤
١١-	خلق الإيثار في القرآن الكريم دراسة موضوعية	د. عبدالله بن سالم بن حمد الهنائي صبية بين عبدالرشيد البلوشية	٢٢٥-٢٤٤
١٢-	أثر الإيمان في القيم الأخلاقية	د. السعدي كحلول	٢٤٥-٢٨٩

١٣-	الترابط والتكامل بين العقيدة والقيم الأخلاقية في الإسلام	أ.د. عدنان علي كرموش الفرّاجي	٢٩٠-٣١٠
١٤-	القيم الأخلاقية في القرآن ودورها في رقي الأسرة والمجتمع	د. إدريس محمود	٣١١-٣٢٥
١٥-	القيم والأخلاق بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية وأثرها في المجتمع	د. ايمان فرطاس د. بشير بوساحة	٣٢٦-٣٤٤
١٦-	الجودة وثقافة الإتقان من المنظور الإسلامي	الباحثة: أميمة حمدني محمد حبيبة	٣٤٥-٣٦٨
١٧-	التفاؤل في القرآن الكريم – دراسة بلاغية في نماذج مختارة	الباحثة: هبة رحيم جمعة	٣٦٩-٣٩٣
١٨-	الأساليب البيانية في تصوير القيم الإنسانية في القران الكريم دراسة تحليلية	م.م. مهند عبد الرزاق عبد القادر	٣٩٤-٤١٣
١٩-	القيم الاخلاقية بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الاسلامية دراسة تاريخية	م.د. أحمد فرج فليّح	٤١٤-٤٤٧

جامعة البصرة
مكتب العميد
عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية

آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي في المجتمع

الأستاذ الدكتور محمد حامد محمد سعيد
كلية أصول الدين وعلوم القرآن
جامعة السلطان عبدالحليم معظم شاه الإسلامية العالمية (UniSHAMS)- ماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا يا رب العالمين.

وبعد ....

من الأمور الطبيعية المسلمة لدي العقلاء من البشر أن لكل أمة من الأمم، وكل عصر من العصور، وكل رسالة من الرسالات–لهؤلاء جميعًا وغيرهم–خصائص ومميزات دون غيرهم، فالأمم الماضية ليست مثل الأمم الحاضرة، وعصر أجدادنا وآبائنا ليس مثل عصرنا وعصر أولادنا وأحفادنا، ورسالة الإسلام ليست مثل الرسالات السابقة عليها –وإن اتفق الجميع في الأصل– ومما ميّز رسالة الإسلام عن غيرها من الرسالات الأخرى التربية الأخلاقية الروحية، وقيمه السامية التي هي محل فخر وشرف لكل من ينتسب إليه، ثم كانت ثمرة هذه التربية الأخلاقية الروحية والقيم السامية الصدارة والزعامة والريادة والخيرية للأمة الإسلامية، وصدق الله تعالى حيث قال:{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[آل عمران:١١٠].

فالأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق ولا خلاف في هذا أبدًا، ومما مكّن الأمة الإسلامية في خيرتها وزعاماتها منهجها الوسطي من خلال قيمه النبيلة، وتربيته الأخلاقية التي قل أن تُوجد في دين من الأديان السابقة على الإسلام، حيث اعتدال طريقه، واتزان أفكاره، وسلاسة تطبيقه وهذا من خلال الحياة الروحية الممثلة له، إنه الدين الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، لا مبالغة فيه ولا تحقير، هو دين وسط في عباداته، دين وسط في معاملاته، دين وسط في أخلاقه، دين وسط في حركاته وسكناته، دين وسط في سلوكه وأفكاره، ووسطية الإسلام هذه تثمر لنا مجتمعًا يتسم بالفكر الوسطي المستنير الممتلئ سِلمًا وسلامًا، وأمنًا وأمانًا وتعميرًا وبنيانًا، مجتمعًا لا عنف فيه ولا تشدد، لا تطرف فيه ولا إرهاب، مجتمعًا تسوده تعاليم الإسلام المميز بوسطيته واعتداله وقيمه الروحية الماتعة المانعة.

ومن هذا المنطلق شرعت في المشاركة ببحث علمي في المؤتمر العلمي الدولي الثالث "**القيم الإسلامية ودورها في رقي المجتمع الإنساني**" الذي يقيمه قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية في كلية التربية للعلوم الإنسانية–جامعة البصرة –بدولة العراق في الفترة ٣٠–٣١ /٢٠٢٢/٥، وجاء عنوان البحث:

((آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي في المجتمع))

حيث يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة أذكر فيها:

أولًا : أسباب اختيار الموضوع. ثانيًا : مشكلة البحث.

ثالثًا : أسئلة البحث. رابعًا : منهج البحث.

خامسًا : خطة البحث.

التمهيد : أقوم فيه بالتعريف بعنوان البحث.

المبحث الأول: التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوسط والاعتدال من خلال التشريعات السماوية.

المطلب الثاني: التوسط والاعتدال في قيمة الانتماء الوطني.

المطلب الثالث: التوسط في قيمة المحبة بين الإفراط والتفريط.

المبحث الثاني: آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الدعوة إلى الحوار الهادف البنّاء وتقبل الآخر.

المطلب الثاني : التضامن والتعايش السلمي بين طبقات المجتمع.

المطلب الثالث : نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع ومحاربة التطرف الفكري.

الخاتمة : وأذكر فيها أهم النتائج والتوصيات ، ثم أهم المراجع.

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أولاً : أسباب اختيار الموضوع.

شرعت للكتابة في هذا البحث لعدة أسباب أذكر بعضاً منها:

أولاً : إظهار ما يتمتع به الإسلام من وسطية واعتدال من خلال قيمه وأخلاقه في الإصلاح المجتمعي بين كل طوائفه.

ثانياً: دراسة القيم الأخلاقية من وجهة نظر كونها سبباً أساسياً في التقدم والرقي الحضاري من أجل بناء مجتمعات حضارية تقدمية.

ثالثاً: بيان مدى الآثار الإيجابية التي أثمرتها القيم الأخلاقية من أجل تحقيق التعايش السلمي بين طوائف المجتمع.

ثانياً : مشكلة البحث.

تتمثل مشكلة البحث في إدراك الكثير من الناس عامة وبعض المسلمين خاصة أن الإسلام وأخلاقه وقيمه لم يعد صالحاً لواقعنا المعاصر، وأن المدنيّة والحضارة في القرن الحادي والعشرين لا يمكن أن تكون إلا بعيدة عن الإسلام وأخلاقه وقيمه ومبادئه، وفي سياق هذا البحث سوف نعمل على حل لهذه المشكلة من خلال عرضنا لمباحثه ومطالبه.

ثالثاً : أسئلة البحث.

س/ ما هي كيفية التوسط والاعتدال في التشريعات السماوية؟

س/ كيف يبدو التوسط والاعتدال من خلال قيمة الانتماء الوطني؟

س/ هل هناك مغالاة في قيمة المحبة؟

س/ ما هي آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية؟

رابعاً : منهج البحث.

أما عن منهجي في البحث فقد اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، وكذا المنهج التحليلي الذي لا غناء للباحث عنه في مجال البحث العلمي.

وكانت طريقتي في البحث أن أسير فيه على النحو الآتي:

أولاً: ذكرت اسم السورة ورقم الآية بجوار النص مباشرة في متن البحث.

ثانياً: تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتبها الصحيحة مع ذكر الكتاب والباب، والجزء والصفحة، ورقم الحديث.

ثالثاً: عزو الأقوال لقائليها، مع الاستفادة من الوسائل الالكترونية الحديثة، واستخدام الكتب الكائنة على المكتبة الشاملة الموثقة المعتمدة لدى علماء البحث العلمي.

رابعاً: ذكرت اسم الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة في أثناء البحث، وباقي بيانات الكتاب في قائمة المراجع والمصادر وذلك تخوفاً من إطالة صفحات البحث.

خامسًا : خطة البحث: جاءت خطة البحث على نسق مكون من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوسط والاعتدال من خلال التشريعات السماوية.

المطلب الثاني: التوسط والاعتدال في قيمة الانتماء الوطني.

المطلب الثالث: التوسط في قيمة المحبة بين الإفراط والتفريط.

المبحث الثاني: آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الدعوة إلى الحوار الهادف البنّاء وتقبل الآخر.

المطلب الثاني : التضامن والتعايش السلمي بين طبقات المجتمع.

المطلب الثالث : نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع ومحاربة التطرف الفكري.

بعد هذا العرض المجمل نبدأ في تفاصيل البحث بادئين بالتمهيد كما يلي:

التمهيد:

نقوم في التمهيد بتعريف لبعض من المصطلحات الواردة فيها عنوان البحث:

آثار – التوسط – القيم الأخلاقية – التعايش السلمي.

*"**آثار":** جمع مفرده أثر، وأصل المادة أثر، الأثر: بقيّة ما ترى من كُلّ شيء، الأَثَرُ بالتحريك: ما بقي من رسْم الشيء وضربة السيف[1]، فالأثر هنا يُقصد به ما تركته الوسطية والاعتدال في القيم الأخلاقية من آثار لتحقيق التعايش السلمي بين أبناء المجتمع.

*"**التوسط":** مأخوذ من الوسطية فهو من الألفاظ المهمة التي يجب أن نقف معها وقفة لغوية وكذا اصطلاحية حيث إنها صلب عنوان بحثنا لفظة الوسطية، فلها تعريفان أحدهما لغوياً والأخر اصطلاحياً، أما عن التعريف اللغوي فأصل لفظ الوسطية الماضي الثلاثي الصحيح "وسط" حيث إن:"الواو والسين والطاء: بناءٌ صحيح يدلُّ على العَدل والنِّصف. وسَطُ الشيء ما بين طرَفَيْه، وأعْدلُ الشَّيءِ: أوسَطُه ووَسَطُه. قال الله عزّ وجلّ:{أُمَّةً وَسَطاً}[البقرة:١٤٣]. ويقولون: ضربتُ وَسَط رأسهِ بفتح السين، ووَسْطَ القوم بسكونها، وهو أوسَطُهم حَسَبًا، إذا كان في واسطة قومه وأرفعِهِم محلاً"[2].

---

[1] كتاب العين للخليل بن أحمد ٢٣٦/٨، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل ٥٧٥/٢ مادة (أثر).

[2] معجم مقاييس اللغة مادة(و س ط) ١٠٨/٦، لسان العرب مادة(وسط) ٤٢٦/٧.

وفي كتاب المفردات ما نصه:"وَسَطُ الشيءِ: ما له طرفان متساويا القدر، ويقال ذلك في الكمّيّة المتّصلة كالجسم الواحد إذا قلت: وَسَطُهُ صلبٌ، وضربت وَسَطَ رأسِهِ بفتح السين، ووَسْطٌ بالسّكون. يقال في الكمّيّة المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين نحو: وَسْطِ القومِ كذا، والوَسَطُ تارة يقال فيما له طرفان مذمومان يقال: هذا أَوْسَطُهُمْ حسبًا: إذا كان في وَاسِطَةِ قومه، وأرفعهم محلّاً، وكالجود الذي هو بين البخل والسّرف، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتّفريط، فيمدح به نحو السّواء والعدل والنّصفة"[٣]، ويُستنبط مما سبق أن مفهوم الوسطية اللغوي يعني: وسط الشيء، والعدل، والمنتصف من كل شيء فهو وسطه سواء أكان حسيًا أم معنويًا، .... والخِيار وغير ذلك من المعاني المتعددة الواردة في كتب المعاجم اللغوية.

أما عن التعريف الاصطلاحي لكلمة الوسطية فنرى أن لها معاني كثيرة وتعريفات متعددة أساس كل هذه التعريفات هو عمق الصلة بين المعني اللغوي والمعني الاصطلاحي فمن ذلك أنها:"ما كان خيرًا وسطًا بين طرفين حسيين أو معنويين؛ فلابد في الوسطية إذا من اجتماع ركني الخيرية، والتوسط، وكل وسطية بهذا المعنى عدل، وخير، ولا عكس؛ إذ قد يكون الشيء وسطًا من غير خيرية، وقد يكون خيرًا من غير أن يكون وسطًا"[٤]، وقيل إن الوسطية تعني:"سلوك محمود –مادي أو معنوي– يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين مُتقابلين –غالبًا– أو مُتفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي"[٥]، وحين يتحدث العلامة ابن القيم عن التغالي المفرط في الدين وخاصة بين جانبي الإفراط والتفريط نراه يقول:"فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكه، وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يُبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيستامه، فإن وجد فيه فتورًا وتوانيًا وترخيصًا أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك، حتى ربما ترك العبد المأمور جملة"[٦]. إذا فلا خير إلا في التوسط والاعتدال في كل شئون الحياة.

---

[٣] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى مادة (وسط) ٨٦٩/١.

[٤] أسس الوسطية في القرآن الكريم د/محمد ولد سيدى عبدالقادر ص٤٥.

[٥] الوسطية مفهومًا ودلالة، د/محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/١٤م – ١٤٢٩/١٢/١٥هـ.

[٦] الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية ١٤/١.

*"**القيم الأخلاقية**": لكلمة القيم مدلول لغوي وأخر اصطلاحي، ونعنى به في المدلول اللغوي:"القِيمَةُ، بالكَسْرِ واحِدَةُ: القِيَمِ، القِوام مِن العَيْش: مَا يُقِيمُك: وقوام الجِسم: تَمامُه وقوام كلِّ شيءٍ مَا استقام بِهِ"(٧).

أما المدلول الاصطلاحي فيعني:"مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع إمكانياته"(٨).

والقيم الأخلاقيّة كمصطلح مركب من كلمتين يُعنى به:"نظامٌ متكونٌ من المبادئ والمعاني السامية، المُستنبطة من الكتاب والسنّة، الموافقة للفطرة البشريّة، المكتسبة من الفَهْم الدقيق للدّين الإسلاميّ، والتي تضبط سلوكيات التعامل بين الناس، للوصول بالفرد والمجتمع لسعادة الدّنيا والآخرة"(٩)، إذا فالقيم الأخلاقية هي التي تقوّم سلوكيات المجتمع، وتجعله يعيش مع مبادئ ومعاني جليلة يحكمها القرآن الكريم والسنة النبوية مع الفهم الصحيح السليم لأقوال سلفنا الصالح.

*"**التعايش**": العين والياء والشين أصل صحيح يدل على حياة وبقاء، التعايش من (تعايشوا) أي: عاشوا على الألفة والمودة وَمِنْه التعايش السّلمِي، يّعيش: العَيْشُ: الحياةُ، عاشَ يَعِيش عَيْشاً وعِيشَةً ومَعِيشاً ومَعاشاً وعَيْشُوشةً، والعِيشةُ: ضربٌ مِنَ العَيْش، ومنه قوله تعالى:{ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}النبأ:١١، (الْعَيْش) مَعْنَاهُ الْحَيَاة وَمَا تكون بِهِ الْحَيَاة من الْمطعم وَالْمشْرَب والدخل وَالْخبْز"(١٠).

*"**السلمي**": أصل المادة "س ل م" السِّلْم بالكَسْر: المُسالِم، السِّلم مثل السَّلاَم والإسْلام، والمُرادُ بالسَّلام هُنَا الاستِسْلام والانْقِياد، وَمِنْه قِرَاءَة من قَرَأَ{وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا}فَالْمُرَاد بِهِ الاستِسْلام وإلقاء المَقَادة إِلَى إِرَادَة المُسْلِمِين، وَيجوز أَن يكون من التَّسْلِيم، وَمن الأَخِيرة قَوْله تَعَالَى: {ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَافَّةً} أَي: فِي الْإِسْلَام"(١١). وفي ضوء هذا التعريف يمكن صياغة إجمالية لمفهوم التعايش السلمي حيث إنه يعني:"اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش-أي الحياة- فيما بينهما وفق قاعدة يحددانها، وتمهيد السبل

---

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي مادة (ق و م) ٣١٢/٣٣، تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (بَاب الْقَاف وَالْمِيم) ٢٦٩/٩.

(٨) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -ﷺ- لعدد من المختصين ٧٩/١.

(٩) موقع موضوع مقال بعنوان: مفهوم القيم الأخلاقية لسناء الدويكات ١٣ يناير ٢٠٢١.

(١٠) معجم مقاييس اللغة لابن مادة (عيش) ١٩٤/٤، لسان العرب لابن منظور مادة (عاش) ٣٢١/٦، المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار) مادة (عاش) ٦٣٩/٢.

(١١) تاج العروس من جواهر القاموس مادة (س ل م) ٣٧٠/٣٢.

المؤدية إليه، إذ إن هناك فارقًا بين أن يعيش الإنسان مع نفسه، وبين أن يتعايش مع غيره، ففي الحالة الثانية يقرر المرء أن يدخل في حالة تبادلية مع طرف ثان ،أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول مصالح، أو أهداف، أو ضرورات مشتركة"[١٢].

وهاك تعريف أخر لمفهوم التعايش السلمي حيث جاء فيه بأنه:"اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين تربطهم وسائل العيش من المطعم والمشرب واساسيات الحياة بغض النظر عن الدين والانتماءات الأخرى يعترف كل منهما بحق الآخر دون اندماج وانصهار"[١٣]، فالتعايش السلمي كلفظ مركب يعني أن يعيش الإنسان مع غيره من بنى جنسه مسلمين وغير مسلمين يأمن بعضهم بعضًا، في مأكله ومشربه وماله وأهله وحياته كلها، بصرف النظر عن دينه وعقيدته، ولا شك أن هذا هو ما يرمي إليه الإسلام وسائر الأديان المنزلة من عند الله تعالى.

وبعد هذا التمهيد نعيش مع مبحثنا الأول بعنوان:

التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوسط والاعتدال من خلال التشريعات السماوية.

المطلب الثاني: التوسط والاعتدال في قيمة الانتماء الوطني.

المطلب الثالث: التوسط في قيمة المحبة بين الإفراط والتفريط.

المطلب الأول: التوسط والاعتدال من خلال التشريعات السماوية.

إن المتأمل في التشريع الإسلامي يرى أنه ما شُرع إلا لمصلحة بنى آدم، فتارة تبدو المصلحة ظاهرة واضحة لأولى العقول الناضجة، وتارة ثانية لا تبدو المصلحة من وجهة نظر الإنسان وإنما تظهر فيما بعد، وهذا وذاك لحكمة أرادها الله تعالى، ومن تشريعات الإسلام لتحقيق التعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد تشريع الصلاة، وكذا تشريع الصيام، ونأخذ نموذجاً واحداً من هذه التشريعات لبيان مدى توفقها مع القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي:

ففي فريضة الصلاة نرى التوسط والاعتدال في أداء الصلاة على أي كيفية لأصحاب الأعذار، وكذا عند أدائها ففي القراءة فيها ما نقرأه في سبب نزول قوله تعالى:{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}[الإسراء:١١٠]، ورد عن ابن عباس في قوله تعالى:"{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا} قال: نزلت

---

[١٢] الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن٢١ د عبدالعزيز بن عثمان التويجري ص١٦.

[١٣] التعايش مع غير المسلمين وأثره في الفكر الإسلامي، للباحث: أحمد عباس رسالة ماجستير، ص ١٢.

ورسول الله -ﷺ- مختف بمكة وكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله عز وجل لنبيه-ﷺ-{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ}أي بقراءتكم فيسمع المشركون فيسبوا القرآن{وَلا تُخَافِتْ بِهَا}عن أصحابك فلا يسمعون{وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}،قالت عائشة-رضي الله عنها-: نزلت هذه الآية في التشهد، كان الأعرابي يجهر فيقول: التحيات لله والصلوات والطيبات يرفع بها صوته، فنزلت هذه الآية"[١٤].

ومن بلاغة القرآن الكريم أنه عبر بالصلاة عن القراءة:"لأن كل واحد منهما مرتبط بالآخر، لأن الصلاة تشتمل على قراءة وركوع وسجود فهي من جملة أجزائها، فعبر بالجزء عن الجملة، وبالجملة عن الجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير، ومنه الحديث الصحيح:"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي" أي قراءة الفاتحة" [١٥].

والآية محل الشاهد نرى أن هناك نهي عن رفعة الصوت أكثر مما يحتاج إليه المسلم، وكذا النهي عن الإسرار أكثر من اللازم، وما على المسلم إلا التوسط والاعتدال في أداء صلاته وهذا هو منهج الإسلام الوسطي في أداء فريضة الصلاة، وإذا أدى المسلم صلاته على هذا المنهج تحقق التعايش بين أبناء المجتمع الواحد ولا خلاف على هذا أبدًا، حيث إن هناك أُناس أخرين لا يحبون أن يسمعوا قراءة القرآن وهم من لا يدينون بالإسلام، فالتوسط والاعتدال في القراءة في الكثير من الأوقات سبب من أسباب دخولهم وأمثالهم في الإسلام، وفي شرح لهذا الحديث:"(ابْتَغِ) اقصد(بَيْنَ ذَلِكَ) بين الجهر والسر(سَبِيلًا) طريقًا وسطًا معتدلًا"[١٦].

وفي **تشريع فريضة الصيام** نرى أن الله تعالى ما شرعه ليعذب به عباده، ولا شرعه حتى تبقى خزائنه ملأى خوفًا من نفاد ما فيها -كلا وحاشا- وإنما شُرع الصيام ليتحقق به الهدف الأسمى له ألا وهو التقوى، وبتحقق التقوى في شخص المسلم يتحقق التعايش السلمي بين أبناء المجتمع، وذلك لكون المسلم متخلق بأخلاق الصائمين متحقق فيه ثمرة الصيام.

ونرى وسطية التشريع الإسلامي في فريضة الصيام من خلال توسطه واعتداله في تعجيل الإفطار وتأخير السحور، فالمسلم الصائم العابد لربه عز وجل هو الذي يلتزم بالهدي المحمدي في أوامره ونواهيه، حيث إن هناك أمورًا لو أتى المسلم بها لأخذ ثوابها، وجُزي على فعلها، ومن هذه الأمور ما يُسمى بآداب الصيام، أو مستحبات الصيام فمن تلكم المستحبات تعجيل الإفطار وتأخير السحور بالنسبة للمسلم الصائم، ودليل ذلك ما

---

[١٤] أسباب نزول القرآن للواحدي ٢٩٥/١.

[١٥] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤٤/١.

[١٦] تعليق د/مصطفى البغا على صحيح البخاري ٨٧/٦.

جاء عن سهل بن سعد: أن رسول الله-ﷺ-، قال: لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"[١٧]، وكذا الحديث الذي رواه أنس بن مالك-رضي الله عنه-، قال: قال النبي-ﷺ-: تسحروا فإن في السحور بركة"[١٨].

وتظهر وسطية الإسلام هنا من خلال تعجيل الإفطار وتأخير السحور في كون التشريع الإسلامي محافظًا على أتباعه فلم يرض لهم المشقة الزائدة، ولا زيادة الصيام عن القدر المقدر شرعًا، وكذا الرفق بالصائمين في حثهم على تعجيل الإفطار وتأخير السحور، وأمر رابع ألا وهو أن في السحور بركة حيث يقوى الصائم على صومه فيصبح قوي البدن، قوي العزيمة، وأمر خامس ومهم أن وقت الإفطار وقت أكل وشرب لكل الناس مسلمين وغير مسلمين فلعل واحدًا من غير المسلمين يمر بديار المسلمين في هذا الوقت فيأكل معهم وقت إفطارهم فيكون سبباً في دخوله الإسلام، أو يكون سبباً في إقراره بالفضل للإسلام وأهله وأنه دين تعايش وسلام وليس دين عنف وإرهاب كما يدعى البعض، وهذا هدف رمى إليه التشريع الإسلامي من خلال وسطيته في تعجيل الإفطار وتأخير السحور، وثمة أمر سادس ألا وهو أن طعام السحور مخالفة لأهل الكتاب حيث لم يكون عندهم ما يُسمى بالسحور، ودليل ذلك قوله-ﷺ- فيما رواه عنه عمرو بن العاص، أن رسول الله-ﷺ- قال: فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب، أكلة السحر"[١٩]، والمعنى:"الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم السحور فإنهم لا يتسحرون ونحن يُستحب لنا السحور وأكلة السحر هي السحور"[٢٠].

ولمشروعية تعجيل الفطر حِكَم مُتعدِّدة كلها تدل دلالة واضحة على ما اتسم به التشريع الإسلامي من اعتدال وتوسط لا غلو ولا تقصير، ولا إفراط ولا تفريط فيما شرعه الله تعالى لعباده، وصدق الله تعالى حين قال:{وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}[الفرقان:٦٧]، فمن هذه الحِكم ما يلي:

أولاً: المبادرة لطاعة الله تعالى بالفطر كما حصلَت طاعته بالصوم.

ثانيًا: ترك الغلوِّ والتنطُّع في الدين بالزيادة على الفرض بما لم يشرعْه الله تعالى.

---

[١٧] أخرجه البخاري في صحيحه ك: الصوم، ب: تعجيل الإفطار ٣/٣٦ رقم (١٩٥٧) واللفظ له، مسلم في صحيحه ك: الصيام، ب: فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ٢/٧٧١ رقم (١٠٩٨).

[١٨] أخرجه البخاري في صحيحه ك: الصوم، ب: بركة السحور من غير إيجاب ٣/٢٩ رقم (١٩٢٣) واللفظ له، مسلم في صحيحه ك: الصيام، ب: فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ٢/٧٧٠ رقم (١٠٩٥).

[١٩] أخرجه مسلم في صحيحه ك/الصيام، ب/ فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ٢/٧٧٠ رقم (١٠٩٦).

[٢٠] تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ٢/٧٧٠.

ثالثًا: الأخذ برخصة الله تعالى والتمتُّع بما في شريعته من التيسير؛ حيث لم يلزمهم بمُواصلة الصيام، ولا بزيادة وقته عن غروب الشمس.

رابعًا: ترك التشبُّه بأهل الكتاب فإنهم يؤخِّرون الفطر.

خامسًا: أنه علامة على أن الأمة بخير باستِمساكها بسنَّة نبيِّها-ﷺ-، وترك اتِّباع أهل الغواية والضلالة من اليهود والنصارى وغيرهم.

سادسًا: أنه أرفق بالصائم، وأقوى له على مواصلة العبادة"[٢١].

من خلال ما سبق بدا واضحاً أهمية التوسط والاعتدال الذي اتسم به التشريع الإسلامي السماوي من خلال نموذج دال عليه ألا وهو الصلاة والصيام.

المطلب الثاني: التوسط والاعتدال في قيمة الانتماء الوطني.

من القيم الإنسانية الأخلاقية والتي تؤدي لتحقيق التعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد قيمة الانتماء وحب الوطن، مع مراعاة الوسطية والاعتدال في هذه القيمة دون مغالاة أو مبالغة أو تقصير، وهذا هو منهج الإسلام عند حديثه عن هذه القيمة فنرى سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو لبلده الحرام -مكة المكرمة- بما حكاه القرآن الكريم عنه من خلال قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.....} [البقرة:١٢٦]، وقوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ.....}[إبراهيم:٣٥]، وقول قرآني ثالث: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة:٨].....إلى غير ذلك من الآيات القرآنية المدعمة لحب الوطن والانتماء إليه، ونلاحظ في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه في آية سورة البقرة جاء بصيغة النكرة في قوله {هَذَا بَلَدًا آمِنًا}، وفي آية سورة إبراهيم جاء بصيغة المعرفة في قوله {هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} ولعل السر في ذلك يكمن في كون دعوة سيدنا إبراهيم الأولى لبلد ليس له أي معالم وإنما هي أرض صحراء جرداء، ليس لها أي معالم من معالم البلدان وذلك قبل أن تكون مكة بلداً فجاء بصيغة التنكير "بلداً"، أما الدعوة الثانية فجاءت بعد أن أصبحت مكة بلداً معروفاً ظهرت فيها معالم الحياة البشرية من أُناس وزرع وحرث وطير وخلافه، هذا أمر، وأمر ثان مضمونه أنه دعوة سيدنا إبراهيم الأولى كان عبارة عن طلب للطعام والشراب فهم في بداية حياتهم المجتمعية الجديدة {وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}، أما الدعوة الثانية كانت عبارة عن المحافظة على العقيدة الصحيحة السليمة،

[٢١] شبكة الألوكة مقال بعنوان سنية تعجيل الفطر للصائم لعبدالرحمن بن فهد الودعان الدوسري ٢٠١٣/٧/٢٠.

وذلك بعد توافر الطعام والشراب لهم، والبُعد عن عبادة الأصنام من خلال قوله تعالى{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}.

أكد هذا المعنى صاحب الكشاف من خلال قوله: "فإن قلت: أي فرق بين قوله "اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً" وبين قوله "اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً"؟ قلت: قد سأل في الأوّل أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف، فاجعله آمناً"[٢٢]، ومما ورد أيضا في سر التنكير في البقرة والتعريف في إبراهيم ما نصه: "نكر البلد هنا-البقرة- وعرفه في-إبراهيم- لأن الدعوة هنا كانت قبل جعل المكان بلداً فطلب من الله أن يجعل ويصير بلداً آمناً وثم كانت بعد جعله بلداً"[٢٣].

وهاك حديث من أحاديث رسولنا الكريم-ﷺ-فيما رواه ابن ماجة في سننه عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْحَمْرَاءِ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ-وَهُوَ عَلَى راحلته وَاقِفٌ بِالْحَزْوَرَةِ، يَقُولُ:"وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إلى الله، ولولا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ"[٢٤]، ويُستنبط من هذا الحديث أن فيه:"دلالة على أنه لا ينبغي للمؤمن أن يخرج من مكة إلا أن يخرج منها حقيقة أو حكماً، وهو الضرورة الدينية أو الدنيوية، ولذا قيل: الدخول فيها سعادة، والخروج منها شقاوة"[٢٥]، "قال ابن عبد البر: هذا من أصح الآثار عن النبي-ﷺ-"[٢٦].

ومن توطيد قيمة الحب والانتماء الوطني من نراه من دعاء نبينا الكريم-ﷺ- للمدينة المنورة من خلال دعائه المأثور من قوله:"....اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حرماً، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها، أن لا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم اجعل مع البركة بركتين، والذي نفسي بيده، ما من المدينة شعب، ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها..."[٢٧]، وفي تعليق على هذا الحديث نقرأ:"(اللَّهُمَّ إِن إِبْرَاهِيم كَانَ

---

[٢٢] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٥٥٧/٢.

[٢٣] فتحُ البيان في مقاصد القرآن لصديق خان ١٢٢/٧.

[٢٤] أخرجه ابن ماجه في سننه أبواب المناسك، باب: فَضْلِ مَكَّةَ ٢٨٩/٤ رقم (٣١٠٨).

[٢٥] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لنور الدين الملا الهروي القاري ٦٨١٨/٥.

[٢٦] طرح التثريب في شرح التقريب لأبى الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي ٥٠/٦.

[٢٧] أخرجه مسلم ك: الحج ب: الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها ١٠٠١/٢ رقم (١٣٧٤).

عَبدك وخليلك) من الْخلَّة الصداقة والمحبة الَّتِي تخللت الْقلب فملأته (دعَاك لأهل مَكَّة بِالْبركَةِ) بقوله وارزقهم من الثمرات الْآيَة (وَأَنا مُحَمَّد عَبدك وَرَسُولك) لم يذكر الْخلَّة لنَفسِهِ مَعَ أَنه خَلِيل أَيْضا تواضعاً ورعاية للأدب مَعَ أَبِيه (أَدْعُوك لأهل الْمَدِينَة) طيبَة (أَن تبَارك لَهُم فِي مدّهم وصاعهم) أَي فِيمَا يُكَال بهما بركَة (مثْلي مَا باركت لأهل مَكَّة مَعَ الْبركَة بركتين) أَي أَدْعُوك أَن تضَاعف لَهُم الْبركَة ضعفي مَا باركته لأهل مَكَّة بِدُعَاء إِبْرَاهِيم.... (اللَّهُمَّ بَارك لنا فِي مدينتنا) كثر خَيرهَا (اللَّهُمَّ بَارك لنا فِي صاعنا) أَي فِيمَا يُكَال بِهِ (اللَّهُمَّ بَارك لنا فِي مدّنا) بِحَيْثُ يَكْفِي المدّ فِيهَا لمن لَا يَكْفِيهِ فِي غَيرهَا (اللَّهُمَّ اجْعَل مَعَ الْبركَة) الَّتِي فِي غَيرهَا (بركتين) فِيهَا فَتَصِير الْبركَة فِيهَا مضاعفة"[٢٨].

إن حب الوطن والانتماء إليه يُعد تكليفاً شرعياً من الله تعالى ورسوله الكريم-ﷺ- من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فحب الوطن والحرص عليه والمشاركة في بنائه وتقدمه ورقيه قيمة خُلقية عالية لا يُدركها ويشعر بها إلا من ذاق حلوتها، وتربي وترعرع بين جنباته، فالإنسان بدون وطن كالروح بدون جسد، وما أحوال المشردين عن أوطانهم ببعيدة عن أذهاننا جميعاً، هذا الحب والانتماء لابد وأن يكون في ضوء التوسط والاعتدال حتى لا يخرج عن المألوف الشاذ؛ الذي يكون ضرره أكثر من نفعه -نسال الله تعالى أن يحفظ علينا ديننا وأوطاننا وأسرنا-.

المطلب الثالث: التوسط في قيمة المحبة بين الإفراط والتفريط.

معلوم لنا جميعاً أن الإسلام هو دين التوسط والاعتدال في كل شأن من شؤنه، فالعبادات أساسها التوسط والاعتدال، والمعاملات في الإسلام مبنية على الوسطية وعدم التشدد والمبالغة في الشيء، وأغلب الأمة الإسلامية في شؤن الأسرة تأخذ بالمذهب الفقي المبني على أسس التوسط والتخفيف على الأمة.

ومن القيم الأخلاقية قيمة المحبة، وهي قيمة إنسانية روحية سامية كل المجتمعات في أمس الحاجة إليها، هذه القيمة لها حدود لو نقصت عنها لحدث هناك خلل وقصور، ولو زادت عن المعتاد لحدث كذلك خلل ومبالغة وأفسدت أكثر مما أصلحت، وهذا وذاك منافي لصحيح الإسلام الذي تعبدنا به ربنا عزوجل، ؛ حتى في شخص النبي-ﷺ- مطلوب التوسط والاعتدال في حبه وليس الإفراط ولا التفريط لدرجة الوصول به إلى مرتبة العبودية والألوهية -والعياذ بالله تعالى- فقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه سمع عمر رضي الله عنه، يقول على المنبر: سمعت النبي-ﷺ-يقول: لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما

[٢٨] التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي ٢١٦/١، (بتصرف).

أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله"[٢٩]، ونرى هنا أن المراد بالإطراء:"الإفراط فِي الْمَدْح، الْمَدْح الْبَاطِل، وَالَّذين أطروا عِيسَى ادعوا أَنه ولد الله، تَعَالَى الله عَن ذَلِك، واتخذوه إِلَهًا، وَلذَلِك قَالَ: "وَلَكِن قُولُوا: عبد الله وَرَسُوله"، فَإِن قَالَ قَائِل: وَمَا علمنَا أَن أحداً ادّعى فِي رَسُول الله مَا ادّعى فِي عِيسَى؛ فَالْجَوَاب أَنهم بالغوا فِي تَعْظِيمه، حَتَّى قَالَ معَاذ بن جبل: يَا رَسُول الله، رَأَيْت رجَالًا بِالْيمن يسْجد بَعضهم لبَعض، أَفلا نسجد لَك؟ فَقَالَ:" لَو كنت آمراً بشراً أَن يسْجد لبشر، لأمرت الْمَرْأَة أَن تسْجد لزَوجهَا، فنهاهم عَمَّا عساه يبلغ بهم الْعِبَادَة، ثمَّ لَيْسَ من شَرط النَّهْي أَن يكون الْمنْهِي عَنهُ قد فُعِل، وَإِنَّمَا هُوَ منع من أَمر يجوز أَن يَقع"[٣٠].

وفي معنى الحديث نرى:"أن النبي-ﷺ-حرصاً منه على توحيد الله تعالى، وخوفاً على أمته من الشرك الذي وقعت فيه الأم السابقة، حذَّرها عن الغلو فيه، ومجاوزة الحد في مدحه بنسبة أوصاف الله تعالى وأفعاله الخاصة به إليه؛ كما غلت النصارى في المسيح بوصفه بالألوهية والبنوة لله تعالى، فوقعت في الشرك كما قال تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}"فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله" أي فصفوني بالعبودية والرسالة كما وصفني الله تعالى بذلك، ولا تتجاوزوا بي حدود العبودية إلى مقام الألوهية أو الربوبية كما فعلت النصارى، فإن حق الأنبياء العبودية والرسالة، أما الألوهية فإنها حق الله وحده"[٣١]. إذا قيمة المحبة مطلوب فيها التوسط والاعتدال دون إفراط أو تفريط حتى في شخص رسولنا محمد-ﷺ-.

وعن علي، رضي الله عنه، قال: قال لي النبي-ﷺ-:"فيك مثلٌ من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به" ثم قال:"يهلك في رجلان محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني"[٣٢].

إن سيدنا علياً يريد أن يوضح أنه بشر مثل سائر البشر، يأكل كما تأكل الناس، ويشرب كما تشرب الناس، وهو يصيب ويخطئ، ولهذا فقد رفض كل من يحاول أن يرفعه فوق طاقة البشرية حتى حرَّق من يدعي فيه

---

[٢٩] أخرجه البخاري ك: أحاديث الأنبياء ب: قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم:١٦] "١٦٧/٤ رقم (٣٤٤٥).

[٣٠] كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٦٥/١.

[٣١] منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم ٢٠٨/٤.

[٣٢] أخرجه أحمد في مسنده ٤٦٨/١ رقم (١٣٧٦).

الألوهية ويغالي فيه فمن ذلك أنه:"أُتي بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله-ﷺ-بقوله: لا تعذبوا بعذاب الله، ولقتلتهم لقول رسول الله-ﷺ-من بدل دينه فاقتلوه"(٣٣).

وقد روي ابن حجر خبر الإحراق لمن ادعوا فيه علي الألوهية فقال: "قيل لعلي إن هنا قوماً علي باب مسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم فإنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه جاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال أدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان اليوم الثالث قال لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفعله معهم فخذ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احضروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا فقذف بهم فيها حتى احترقوا"(٣٤).

لقد حرّق سيدنا علياً من ادعوا حبهم له ومغالاتهم فيه حتى أوصلوه إلى مرتبة الألوهية وهو منهم بريء ومن فعلتهم ناكر وناهي.

إذا لا مناص ولا خلاص من التوسط والاعتدال في قيمة المحبة سواء في شخص الأنبياء والرسل، أو في أشخاص الصحابة الأطهار صغيرهم وكبيرهم رضي الله عنهم جميعاً، فنحن لسنا في حاجة إلى إفراط أو تفريط في محبتهم وادعاء ذلك.

<u>المبحث الثاني</u>: آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الدعوة إلى الحوار الهادف البنّاء وتقبل الآخر.

المطلب الثاني : التضامن والتعايش السلمي بين طبقات المجتمع.

المطلب الثالث : نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع ومحاربة التطرف الفكري.

بعد هذا الإجمال نعيش مع التفاصيل من خلال:

المطلب الأول : الدعوة إلى الحوار الهادف البنّاء وتقبّل الآخر.

(٣٣) أخرجه البخاري ك: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، ب: حكم المرتد واستتابتهم١٢/٢٧٩، رقم(٦٩٢٢).

(٣٤) فتح الباري ١٢/ ٢٨٢، وقال ابن حجر وهذا مسند حسن .

من آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام هو دعوة الإسلام إلى إجراء حوارات هادفة بناءة مع الآخرين، وذلك لكون هذا الآخر جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع الواحد على اختلاف أشكاله وألوانه.

والقرآن الكريم هو أول من دعا إلى أمثال هذه الحوارات مع تقبله للآخرين؛ وذلك من خلال قوله تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[آل عمران:٦٥]، وحوارات الرسول الكريم-ﷺ-لا تنته مع كفار قريش في بدايات الدعوة الإسلامية تارة، ومع يهود المدينة تارة أخرى، وحوار أصحاب النبي-ﷺ- المهاجرين إلى الحبشة، مع النجاشي حول قول المسلمين في المسيح وأمه عليهما السلام ليس ببعيد عن أذهاننا جميعاً تارة ثالثة.... وهكذا.

وعن سبب نزول الآية المباركة نقرأ أن:"رَاهِبَا نَجْرَانَ جاء إلى النبي-ﷺ-، فَقَالَ لَهُمَا رسول اللَّه-ﷺ-: أَسْلِمَا تَسْلَمَا، فَقَالَا: قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ، فَقَالَ: كَذَبْتُمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ: ثَلَاثٌ: سُجُودُكُمَا لِلصَّلِيبِ، وَقَوْلُكُمَا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَشُرْبُكُمَا الْخَمْرَ فَقَالَا: مَا تَقُولُ فِي عِيسَى؟ فسكت النبي-ﷺ-، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} الْآيَةَ، فَدَعَاهُمَا رسول اللَّه-ﷺ-إِلَى الملاعنة، قال: وَجَاءَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: أَقْرِرْ بِالْجِزْيَةِ وَلَا تُلَاعِنْهُ، فَأَقَرَّ بِالْجِزْيَةِ. قَالَ: فَرَجَعَا فَقَالَا: نُقِرُّ بِالْجِزْيَةِ وَلَا نُلَاعِنُكَ"[٣٥].

في سبب النزول هذا دليل واضح على استعمال الرسول الكريم-ﷺ- لمبدأ الحوار، رغم عدم كون هؤلاء من المسلمين ولكن رسول الله قبل الكلام معهم وإجراء حوار هادف بناء؛ يهدف في النهاية إلى ثمرة مرجوة من أحد الطرفين، إما أنت معي لو أنت غير مسلم، وإما أنا معك على هويتك وفكرتك لو نحن الاثنين في رحاب الإسلام.

وعن الدعوة إلى الحوار الهادف البنّاء وتقبل الآخر نقرأ ما سطّره د/العرجاوي عن أن الحوار:"يُلبي حاجة الإنسان في الاستقلال، وحتى لا تنتهي به هذه الحالة إلى الانعزالية فإن الحوار يقوم بعملية التوازن بين هذه الحاجة الطبيعية وحاجته كذلك لمشاركة الآخرين والتفاعل معهم، فالإنسان كائن اجتماعي، لا يمكن أن يعيش

[٣٥] أسباب نزول القرآن للواحدي، ص١٠٧.

حياة سوية إلا في داخل المجتمع، كما أن الحوار الفّعال يعالج المشكلات التي تواجه الإنسان ويقوّى فيه مفهوم القيم والأخلاق، وهى روح الحضارات بوجه عام، لأن العديد من الحضارات قد انهارت أو انتشرت فيها الأفكار المتطرفة، ذلك بسبب إغلاق باب الحوار ورفض تقويم الأفكار السلبية وتعديلها، وهذا الانغلاق أدى إلى مداهمة الأفكار الخارجية الشاذة الواردة من أمم أخرى ودول لها توجهاتها الهدامة أو المنحرفة أو المتطرفة، فغلق باب الحوار مع الآخر سوف يُؤدى إلى الدمار والانهيار للحضارات وللأمم، خاصة في زماننا المعاصر، بسبب تطور وسائل الاتصال والتواصل على مستوى العالم بأسره، لذلك لا مناص من الحوار مع الآخر لبيان وتمييز الخير من الشر، والطيب من الخبيث"[٣٦].

إن تنشيط لغة الحوار الهادف البنّاء مع تقبّله للآخر لهو أثر طيب من آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية والروحية، حيث إنه يحقق الاستقرار الأسري والمجتمعي بكافة صوره وأشكاله، وهذا هو ما تهدف إليه القيم الإسلامية في رقيها بالمجتمع الإنساني.

المطلب الثاني : التضامن والتعايش السلمي بين طبقات المجتمع.

إن مما أقره الدين الإسلامي هو قبول التعايش السلمي بين أبناء المجتمع الواحد رغم عدم كونهم جميعاً على دين واحد–وهذا ما ظهر في المطلب السابق–، وهذا ما لفت القرآن الكريم النظر إليه من خلال قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[يونس:٩٩]، وقوله:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}[هود:١١٨]، فالخلاف بين الناس أمر طبيعي فطري خلق الله تعالى الخلق عليه، اختلاف في الدين، والعقيدة، والمذهب، والرأي...وخلافه، يقول ابن كثير:"ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم"[٣٧]، ويذكر الفخر الرازي أن المراد: "افتراق الناس في الأديان والأخلاق والأفعال"[٣٨].

ووثيقة المدينة المنورة أكبر دليل على كلامنا هذا، حيث إنها الدستور الواضح الذي يحدد العلاقة بين أبناء المجتمع الواحد على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، فالكل فيها يعيش تحت مظلة التعايش السلمي.

---

[٣٦] مقال بعنوان "الحوار البناء من أهم وسائل الدعوة إلى الله" للدكتور مصطفى عرجاوى: الأحد١٣ من رمضان ١٤٤٢هـ – ٢٥ أبريل ٢٠٢١ السنة ١٤٥ العدد ٤٩٠٨٣، أجرى الحوار حسنى كمال.

[٣٧] تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/٣٦١.

[٣٨] مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ١٨/٤١٠.

وبنظرة تأملية نرى أن القرآن الكريم وضع لنا أسس التعايش السلمي بين نسيج المجتمع الواحد وذلك من خلال عدة آيات تُمثل هذه الأُسس، مع الوضع في الاعتبار أن ركيزة هذا كله العدل والقسط والبر والإحسان فمن ذلك:

أولاً: البر والإحسان مع توفير مناخ العدل لكل طوائف المجتمع: ودليل ذلك قوله تعالى:{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ}[الممتحنة:٨]، وعن:"قَاعِدَةِ برِّ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَبَيْنَ قَاعِدَةِ التَّوَدُّدِ لَهُمْ" نقرأ كلاماً رائعاً للإمام القرافي حينما يقول:"وَأَمَّا مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ برِّهِمْ وَمِنْ غَيْرِ مَوَدَّةٍ بَاطِنِيَّةٍ فَالرِّفْقُ بِضَعِيفِهِمْ وَسَدُّ خُلَّةِ فَقِيرِهِمْ وَإِطْعَامُ جَائِعِهِمْ وَإِكْسَاءُ عَارِيهِمْ وَلِينُ الْقَوْلِ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ اللُّطْفِ لَهُمْ وَالرَّحْمَةِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْخَوْفِ وَالذِّلَّةِ وَاحْتِمَالِ إذَايَتِهِمْ فِي الْجِوَارِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى إزَالَتِهِ لُطْفًا مِنَّا بِهِمْ لَا خَوْفًا وَتَعْظِيمًا وَالدُّعَاءُ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَأَنْ يُجْعَلُوا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَنَصِيحَتُهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَحِفْظُ غَيْبَتِهِمْ إذَا تَعَرَّضَ أَحَدٌ لِأَذِيَّتِهِمْ وَصَوْنُ أَمْوَالِهِمْ وَعِيَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَجَمِيعِ حُقُوقِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ وَأَنْ يُعَانُوا عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُمْ وَإِيصَالُهُمْ لِجَمِيعِ حُقُوقِهِمْ وَكُلُّ خَيْرٍ يَحْسُنُ مِنْ الْأَعْلَى مَعَ الْأَسْفَلِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَمِنْ الْعَدُوِّ أَنْ يَفْعَلَهُ مَعَ عَدُوِّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَجَمِيعُ مَا نَفْعَلُهُ مَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ"[٣٩]. تأمل قوله فإن ذلك من مكارم الأخلاق.

ثانياً: مجادلة غير المسلمين بالحسنى: وسندنا في ذلك قول الله تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[العنكبوت:٤٦]، وهنا تنبه للدعاة إلى الله تعالى ومن على شاكلتهم من المحبين للدعوة وتبليغها أهمية المعاملة الحسنة مع غير المسلمين ومجادلتهم بالحسنى، الحسنى التي تُقرب لا تُبعد، الحسنى التي تجمع لا تفرّق، الحسنى التي من قبل رسولنا الكريم-ﷺ-بها وعمل بها فأتت أُكلها وجُنيت ثمارها فكان الرقي الأخلاقي والسمو الإنساني للمجتمع.

ثالثاً: استثمار الوسائل الدعوية في تحقيق التعايش السلمي: وسندنا في ذلك قوله تعالى:{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[النحل:١٢٥]، يعلق الشيخ السعدي على هذه الآية بقوله:"ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح {بِالْحِكْمَةِ} أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم،

[٣٩] الفروق للقرافي ٣/١٥.

وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها.....ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"(٤٠).

هذا هو هدف الدعوة هداية الخلق إلى الحق، ولا شك أن هذا الهدف من أسمى أهداف القيم الأخلاقية والروحية في إسلامنا الحنيف.

رابعاً: إقرار الإسلام بتعايشه مع الأديان الأخرى: الإسلام دين رحب السعة عنده قابلية للأخر بما لا يعقله أصحاب الديانات الأخرى أنفسهم، يكفي في ذلك أن هناك سوراً قرآنية باسم من لا يؤمن به مثل سورة الكافرون، وسورة مريم، وبين آياته آية جامعة للإيمان بكل الرسل والكتب السابقة عليه وذلك في قوله تعالى:{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[البقرة:٢٨٥]، فهذه الآية عامة لكل ما سبق الإسلام من رسل وكتب، بل إن هناك آية أخص من هذا العموم من خلال الحديث عن التوراة نفسها بقوله تعالى:{إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ....}[المائدة:٤٤]، وعن الإنجيل قوله:{وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ}[المائدة:٤٦]، إذا فالإسلام دين يقبل بالمعايشة مع الأخر ويعترف به، وبتحقيق هذه الأمور سالفة الذكر بتوسط واعتدال يتم العيش في جو من القيم الأخلاقية والروحية المجتمعية بين أبناء المجتمع الواحد.

المطلب الثالث : نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع ومحاربة التطرف الفكري.

من آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية لتحقيق التعايش السلمي نشر الأمن والأمان في أرجاء المجتمع، فبدون الأخلاق لا يتحقق الأمن ولا الأمان لدى الإنسان، فالأمن والأمان مطلب عظيم وغاية كبرى ما على الحكومات إلا أن توفرها لشعوبها، وعلى الشعوب أن تعمل تحت مظلة حكومتها حتى لا يحدث انفلات أخلاقي قبل الانفلات الأمني، فما وُجد الأمن والأمان إلا لتحقيق الانضباط الأخلاقي المجتمعي.

فالعبادات نفسها لا تُؤدى إلا في جو من الأمن والأمان، وحالها في الأمن يختلف عن حالها في الخوف، حيث إنها من:"أجلّ نِعم الله تعالى على عباده أن شرعها لهم ليتعبدوا بها، ويكونوا على اتصال دائم بخالقهم عز

(٤٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي ص٤٥٢ (بتصرف).

وجل، وهذا الاتصال بالخالق عز وجل لا يمكن له أن يتم ويتحقق ويؤتي ثمارته المرجوة إلا في جو من الأمن والأمان، ولهذا نرى العبادات يختلف أداؤها في حالة الخوف وعدم الأمن عن أدائها في الظروف العادية، وما شُرعت صلاة الخوف إلا لهذا الغرض، لأن المسلم في خوفه حاله يختلف تماماً عن حاله في السلم والأمن"[٤١].

إن المحافظة على تحقيق الأمن والأمان ليست مهمة رجال الشرطة وحدهم؛ وإنما هي مهمة المجتمع بأسره صغيره وكبيره، رئيسه ومرؤوسه، رجاله ونسائه، علمائه وكل مثقفيه كل حسب قدرته واستطاعته ومكانته بتوسط واعتدال لا إفراط ولا تفريط من باب سددوا وقاربوا، وما كان المقصد من الكليات الخمس إلا تحقيق هذا.

فنرى الشارع حدد عقوبة لكل من يتعدى حدوده بالاعتداء على أحد هذه الكليات ففي شأن الدين نقرأ قوله تعالى:{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[آل عمران: ١٩]، وعقوبة من يخرج من الإسلام الردة وذلك لإخلاله بالأمن العقدي لدى الإنسان، وفي شأن حفظ النفس نقرأ قوله تعالى:{وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[البقرة:١٩٥]، وقوله تعالى:{وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأنعام:١٥١]، وعقوبة القاتل عمداً القصاص كما هو معلوم، وفي شأن المحافظة على العقل وتحقيق الأمن الحسي والمعنوي للعقل نقرأ قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاء فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُّنتَهُونَ} [المائدة:٩٠:٩١]، وفي شأن حفظ النسل والمحافظة عليه وعدم الاعتداء على أعراض الأخرين نقرأ قوله تعالى:{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا}[النساء:٣]، وفي مقابل ذلك وضع الشارع الضوابط التي يتم من خلالها حفظ النسل وذلك عن طريق الزواج الشرعي، وحرّم كل ما يخالف ذلك حتى مجرد المقدمات المخالفة فهي محرمة شرعاً، اقرأ قوله تعالى:{ولا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا}[الإسراء:٣٢] وقوله:{ولا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}[الأنعام:١٥١]، وفي شأن حفظ المال وتحقيق الأمن المالي لدى الأفراد شرّع الشارع عقوبة

[٤١]"التأصيل الشرعي لمفهوم الأمن ومشتقاته في القرآن الكريم دراسة تحليلية" لمحمد حامد محمد سعيد ص٢٩.

السرقة لكل من يعتدى على أموال الأخرين بدون وجه حق، فقال الله تعالى:{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة:٣٨].

ولقد لخص الإمام الغزالي مقصد الشارع من المحافظة على هذه الكليات وأن في حفظها مصلحة ومنفعة مجتمعية بشتى صورها وألوانها فقال–رحمه الله تعالى–:"وَمَقْصُودُ الشَّرْعِ مِنْ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ: وَهُوَ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَنَفْسَهُمْ وَعَقْلَهُمْ وَنَسْلَهُمْ وَمَالَهُمْ، فَكُلُّ مَا يَتَضَمَّنُ حِفْظَ هَذِهِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ فَهُوَ مَصْلَحَةٌ، وَكُلُّ مَا يُفَوِّتُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَهُوَ مَفْسَدَةٌ وَدَفْعُهَا مَصْلَحَةٌ"[٤٢].

إذا فنشر الأمن والأمان ومحاربة الأفكار الهدامة المسمومة مهمة قومية تستدعي رجالاً أقوياء شرفاء، قوي العزيمة شديد الشكيمة، حامي البأس ضد المعتدي الظالم الغشوم.

[٤٢] المستصفى لأبى حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ) ص ١٧٤، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين....

أهم النتائج:

أولاً: أهمية التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية والروحية وذلك من أجل تحقيق التعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد.

ثانياً: أساس التشريعات السماوية التي شرعها الله عزوجل إنما هو التوسط والاعتدال في كل المناحي، سواء كان الحب للوطن، أو المحبة للأفراد، فكل هذا قائم على مبدأ لا إفراط ولا تفريط.

ثالثاً: من آثار التوسط والاعتدال في القيم الأخلاقية والروحية الدعوة إلى الحوار الهادف البنّاء وتقبل الآخر، مع حفظ حقوقه الواجبة له، وإلزامه بواجباته الواجبة عليه.

رابعاً: نشر الأمن والأمان ومحاربة الفكر المتطرف الخارج عن دائرة الوسطية والاعتدال واجب ديني ووطني؛ كل على حسب قدرته ومكانته واستطاعته، تطبيقاً لقوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}[التغابن:١٦].

أهم التوصيات:

أولاً: أوصي جميع الباحثين والمهتمين بالدراسات الإسلامية بمتابعة أمثال هذه المؤتمرات والمشاركة العلمية الأكاديمية فيها نصرة لدين الله تعالى، وإعلاء لسنة نبينا محمد-ﷺ- فهذا مجالنا ولا مفرنا لنا من الابتعاد عنه، فبمثل هذه المشاركات نؤجر عليها في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أوصي القائمين على قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة البصرة بدولة العراق الشقيقة بمتابعة سلسلة هذه المؤتمرات فهي أولاً في موازين حسانتهم، وثانياً جُهد دنيوي خدمة لكتاب الله تعالى، وعدم فتور عزيمتهم في الأعوام القادمة.

ثالثاً: أوصي نفسي وكل الباحثين والأكاديميين بتتبع مفردات القيم الأخلاقية والروحية ودراستها دراسة تحليلية تفصيلية، والعمل على ربطها بالواقع المعاصر الذي تعيشه الأمة، فلا نهضة ولا تقدم للمجتمع إلا من خلال معايشة وتفعيل لدور هذه القيم على أرض الواقع، والعمل على تطبيق وتنفيذ ما جاء فيها؛ حتى يستفاد العالم الإسلامي منها خاصة، والعالم بأسره عامة.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين.

من أهم المراجع

- "التأصيل الشرعي لمفهوم الأمن ومشتقاته في القرآن الكريم دراسة تحليلية" لمحمد حامد محمد سعيد، الإصدار رقم(١١١) لشهر أكتوبر٢٠١٧م مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية.

- أسباب نزول القرآن للواحدي (ت:٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

- الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن٢١ د عبدالعزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الطبعة: الثانية، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

- التعايش مع غير المسلمين وأثره في الفكر الإسلامي، لأحمد عباس رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة العراقية، العراق.

- التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي (ت:١٠٣١هـ)، نشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الفروق للإمام القرافي (ت:٦٨٤هـ)، نشر: عالم الكتب.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري جار الله (ت:٥٣٨هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- المستصفى لأبى حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، نشر: دار الدعوة .

- الوسطية مفهومًا ودلالة، لمحمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/١٤م - ١٤٢٩/١٢/١٥هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير القرشي (ت:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت:٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي (ت:١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

- شبكة الألوكة مقال بعنوان سنية تعجيل الفطر للصائم لعبدالرحمن بن فهد الودعان الدوسري ٢٠١٣/٧/٢٠.

- طرح التثريب في شرح التقريب لأبى الفضل زين الدين العراقي (ت:٨٠٦هـ)، نشر: الطبعة المصرية القديمة.

- فتحُ البيان في مقاصد القرآن لصديق خان الحسيني البخاري (ت:١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، نشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- كتاب العين للخليل بن أحمد (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال.

- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: دار الوطن، الرياض.

- لسان العرب لابن منظور (ت:٧١١هـ)، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لنور الدين الملا الهروي القاري (ت:١٠١٤هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- معجم مقاييس اللغة المؤلف: لابن فارس (ت:٣٩٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

- مقال بعنوان "الحوار البناء من أهم وسائل الدعوة إلى الله" للدكتور مصطفى عرجاوى:الأحد١٣من رمضان١٤٤٢هـــ-٢٥أبريل٢٠٢١،السنة١٤٥،العدد ٤٩٠٨٣ أجرى الحوار حسنى كمال.

- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، نشر: مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- موقع موضوع مقال بعنوان: مفهوم القيم الأخلاقية لسناء الدويكات ١٣ يناير ٢٠٢١.

- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-ﷺ-لعدد من المختصين، نشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

القيم الإسلامية المتضمنة في نصوص اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر
ـ دراسة تحليلية نقدية ـ

أ. فتيحة حايد
أستاذة محاضرة أ بجامعة الجزائر ٢ - أبو القاسم سعد الله بوزريعة

ملخص البحث:

تحاول الورقة البحثية أن تقف عند دور المنهاج التعليمي للغة العربية في تعزيز قيم الهوية الدينية؛ كهدف عام من أهداف وضع المناهج والبرامج في السياسات التربوية لبلد الجزائر، من خلال تحليل نماذج نصية مختارة أخذت من الكتب المدرسية بأطوارها الثلاثة لمرحلة التعليم الابتدائي، والوقوف عند أبزر القيم الإسلامية التربوية التي يتضمنها هذا المحتوى التعليمي، معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي الذي لا يخلو من النقد في بعض جوانبه.

الكلمات الدالة: القيم الإسلامية – التعليم الابتدائي – النص الأدبي.

Title of the intervention:

Islamic values included in the texts of the Arabic language for the primary stage in Algeria - a critical analytical study

Presentation summary:

The research paper attempts to stand at the role of the Arabic language curriculum in strengthening the values of religious identity; As a general goal of the objectives of developing curricula and programs in the educational policies of the country of Algeria, through the analysis of selected text models taken from the books of the school in its three phases of the primary education stage, and standing at the most prominent Islamic educational values contained in this educational content, based on the descriptive analytical approach that is not devoid of criticism in some respects.

Keywords: Islamic values - primary education - literary text.

مقدمة:

تعد مرحلة التعليم الابتدائي المرحلة الأولى من التعليم في الجزائر، والركيزة الأساسية في إعداد الناشئين، وتزويدهم بالاتجاهات السليمة والعقيدة الصحيحة والخبرات والمهارات.

تهدف هذه المرحلة إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفس التلميذ، ورعايته من خلال التربية الإسلامية المتكاملة، سواء كان ذلك في الخلق أو الجسم أو اللغة أو العقل.

كما تعوده على إقامة الصلاة وتعليمه الفضائل وآداب السلوك، وتطوير المهارات الحركية منها والعددية واللغوية. ومنحه القدر الكافي من المعلومات والمعارف، وغرس حب الوطن في قلبه والقيام بالأعمال الصالحة، والحرص على تنمية روح المسؤولية لديه وتعريفه بما له من حقوق وما يترتب عليه من واجبات، ويهدف التعليم الابتدائي أيضا إلى تنمية روح الإبداع والتذوق الفني والجمالي للتلميذ، فهي مرحلة لتفتحه رغبة في بناء ذاته وحرصا على اندماجه الاجتماعي مستقبلا.

تسعى الورقة البحثية إلى البحث عن مختلف القيم الإسلامية المتضمنة في مناهج التعليم لأطوار مرحلة التعليم الابتدائي الثلاث في الجزائر، وهي مناهج اللغة العربية ومن باب التحديد كتب القراءة المدرجة لهذه المرحلة.

١- الإشكالية:

تكمن مشكلة هذه الدراسة في التعرف على القيم الإسلامية الدينية المتضمنة في كتب اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر، والتعرف على مدى ملاءمة هذه القيم للمستوى المعرفي والذهني للتلميذ، ومدى مطابقتها لأهداف التعليم في الجزائر وفق ما نص عليه المنهاج التربوي.

٢- مرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر:

٢-١: مفهومها

إن المدرسة الابتدائية في الجزائر*هي مؤسسة اجتماعية وتربوية بالدرجة الأولى[١]تضم أفرادا معينين (المعلمون والتلاميذ)، فالمعلمون يقومون بالتعليم والتلاميذ بالتعلم، كما تحتوي على هياكل ووسائل مساعدة للعملية التعليمية التعلمية .[٢]

---

[١]*- المدرسة هي صورة للحياة الجماعية التي تتركز فيها تلك الوسائط التي تهيؤ التلميذ إلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية.

انظر: أحمد محمد معتوق: الحصيلة اللغوية وأهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، العدد ٢١٢، سلسلة عالم المعرفة الكويت،١٩٩٠ ص:١٣٤.

- محمد الشبيني: أصول التربية الاجتماعية والثقافية والفلسفية، رؤية حديثة للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٧٦.

وقد حدد القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم ٠٨-٠٤ المؤرخ في ٢٣ يناير ٢٠٠٨ غايات المدرسة الابتدائية وحصرها في جوانب عديدة أبرزها : جانب تربوي يتولى مهام ترسيخ الشخصية الجزائرية، وحفظ القيم المتصلة بالإسلام والعروبة والأمازيغية ، والتكوين على المواطنة من خلال تعلم ثقافة الديمقراطية ،والتفتح والاندماج في الحركة التطورية العالمية من خلال ترقية التعليم، والتحكم في تنمية تعليم اللغات الأجنبية.[٣]

أما الجانب الثاني فيتعلق بمهمة التعليم؛ ذلك أن المدرسة الابتدائية تسعى إلى ضمان تعليم يحقق العدالة بين التلاميذ، والحرص على اكتسابهم الجيد للثقافة العامة؛ من معارف نظرية وتطبيقية تساعدهم على الاندماج في المجتمع.

وثالث الجوانب مرتبط بميدان التنشئة الاجتماعية؛ من خلال حرص المدرسة الابتدائية على تربية التلاميذ وتكوينهم على احترام القيم الروحية والأخلاقية والمدنية للمجتمع.

أما الجانب الرابع؛ نجده مرتبط بميدان التأهيل؛ ذلك أن المدرسة تمكن التلاميذ من استثمار المعارف التي اكتسبوها وجعلها عملية، وحرصها على مواصلتهم للدراسة، أو القيام بتكوين جديد بعد تخرجهم من المنظومة التربوية.

هذا، ويوجد نوعان من المدارس الابتدائية في الجزائر: مدارس خاصة تقوم بغربلة التلاميذ (عملية اختيار) وعامة تختار متعلميها على أساس السن بغض النظر عن المستوى المعيشي.

كما ينتظم مسار الدراسة في مراحل وأطوار وسنوات تعليمية في انسجام خاص، تتميز بأهدافها المعبر عنها بصيغة كفاءات.

«يتكون المسار الدراسي في الجزائر من: التربية التحضيرية وهي مرحلة غير إلزامية وتقدر مدتها بسنة واحدة فقط، تليها مرحلة التعليم الإلزامي وتقدر مدته بتسع سنوات ويضم مرحلة التعليم الابتدائي بخمس سنوات ، ومرحلة التعليم المتوسط بأربع سنوات، أما عدد سنوات مرحلة التعليم الثانوي فتقدر بثلاث سنوات، ويتضمن تعليما ثانويا عاما وتكنولوجيا يحضر للتعليم الجامعي .».[٤]

فالتعليم الابتدائي هو المرحلة الأولية التي تكفل للتلميذ التمرس على طرق التفكير السليم وتوفر له ما يناسبه من معارف ومهارات وخبرات ، وغالبا ما ينطلق من سن السادسة حيث يزود فيها بالكفاءات الأساسية

---

[٢]-انظر: ابراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٧٤.

[٣]- انظر: اللجنة الوطنية للمناهج، الدليل المنهجي لإعداد المناهج،٢٠٠٩، ص:٧-٨.

[٤] ـ انظر: وزارة التربية الوطنية، اللجنة الوطنية للمناهج: الدليل المنهجي لإعداد المناهج، ص:٨.

والقاعدية التي تعبر عن فلسفته وأفكاره[٥]، هذا وتنقسم مرحلة التعليم الابتدائي إلى ثلاثة أطوار مراعية في ذلك العمل البيداغوجي و الفروقات الفردية في هذه المرحلة من العمر وهي:

٢-٢: أطوار مرحلة التعليم الابتدائي؛ تنقسم أطوار مرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر إلى ثلاثة أطوار هي:

٢-٢-١؛ الطور الأول » [٦]وهو طور الإيقاظ والتعليم الأولي، ويشمل السنتين الأولى والثانية ؛ حيث يكتسب فيها التلاميذ الرغبة في التعلم والمعرفة، وبناء تعلماتهم الأولية عن طريق:

- التحكم في اللغة العربية وخاصة في كفاءات أساسية عرضية (التعبير الشفهي – القراءة والكتابة).
- بناء المفاهيم الأساسية للمكان والزمان.
- اكتساب المنهجيات والطرائق ومعرفة كل المواد من مثل: حل المشكلات و التعداد ومعرفة الأشكال و العلاقات الفضائية والنباتات والحيوانات والأشياء التقنية البسيطة.»[٧]

٢-٢-٢: الطور الثاني؛ « هو طور تعميق التعلمات الأساسية ويشمل السنتين الثالثة والرابعة، وذلك من خلال التحكم في اللغة العربية عن طريق التعبير الشفهي وفهم المنطوق والمكتوب والكتابة، وكذا التعمق في مجالات أخرى كالرياضيات والتربية المدنية والإسلامية واللغات الأجنبية[٨]«.

٢-٢-٣: الطور الثالث؛ «وهو طور التحكم في اللغات الأساسية ويخص السنة الخامسة ابتدائي ،ويعنى بتعزيز التعلمات الأساسية خاصة التحكم في القراءة والكتابة والتعبير الشفهي باللغة العربية والكتابي، وكذا الرياضيات والتربية العلمية والتكنولوجية ،وتشكل هذه المرحلة الهدف الرئيسي الذي يمكن التلاميذ (من خلال كفاءات ختامية محصلة) من إجراء تقويم ختامي للتعليم الابتدائي (امتحان نهاية المرحلة الابتدائية) ولهذا ينبغي على التلميذ أن يكون متحكما في اللغات الأساسية الثلاث(اللغة العربية، اللغة الفرنسية، الرياضات) والتي إذا تمكن منها جيدا أعدته لمتابعة مسار التعليم المتوسط بنجاح.»[٩]

٣-منهاج اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر:

أدى تطبيق إجراءات الإصلاح التربوي في الجزائر سنة ٢٠٠٣ إلى خلق فرصة للتكفل بتطبيق سياسة تربوية مست المناهج ومسارات التعليم والتكوين، حيث ركزت على ضرورة استعادة التلميذ لمكانته في مسار التعليم والتعلم، وضرورة تغيير النموذج البيداغوجي الذي كانت تسوده المعارف المبنية على الحفظ

---

[٥]- رفيقة حروش: إدارة المدارس الابتدائية الجزائرية [د ط]، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٠، ص٥٥.

[٦]- القانون التوجيهي للتربية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد ٠٤، الجزائر، ٢٠٠١، ص١٣٩

[٧] - وزارة التربية الوطنية: اللجنة الوطنية للمناهج، المرجعية العامة للمناهج (مضمون المرجعية)، مارس ٢٠٠٩، ص:٢٦.

[٨] - انظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[٩] انظر: المرجعية العامة للمناهج (المرجع السابق)،ص:٢٧.

واسترجاع المعلومات، إلى نموذج يفضل قدرات التلميذ على البرهنة وكفاءاته على استعمال عقله بتعليمه كيف يتعلم، وتوظيفها في مختلف وضعيات الحياة، وهو نموذج المقاربة بالكفاءات.

وساهم هذا الإصلاح أيضا في إبراز الفرق الواضح بين مفهومي البرنامج والمنهاج، مع تفضيل المصطلح الأخير، لكننا مازلنا في ممارساتنا مرتبطين بالبرنامج. حيث يحيلنا هذا الأخير إلى نموذج لتنظيم التعليم يرتكز على المعارف التي نزودها للتلاميذ، «أما مفهوم المنهاج فيدل على التجارب التعلمية المنظمة، وما يتعرض له التلميذ من مسؤولية المدرسة طوال فترة تكوينه»[١٠]،كما يشتمل هذا المفهوم نشاطات التعلم والطرائق والوسائل التعليمية وطريقة التقويم المعتمدة.

هذا، ويعد المنهاج وثيقة رسمية بيداغوجية تصدر عن وزارة التربية الوطنية لتحديد الإطار الإجباري لتعليم مادة دراسية ما ويشمل: الأهداف، الكفاءات، المحتويات، الوضعيات المواقف والأنشطة التعليمية الصفية واللاصفية والطرائق والوسائل وأدوات التقويم وأساليبه.

ويسعى أي منهاج دراسي إلى ضمان مبدأ الاعتزاز بالشخصية الوطنية، وتعزيز الوحدة الوطنية والحفاظ على القيم المرتبطة بالإسلام والعروبة، وكذا التكوين على المواطنة، والتفتح على الحركة التطورية للعالم والاندماج فيها، والتأكيد على مبدأ الديمقراطية.[١١]

كما يهدف منهاج التعليم الابتدائي في الجزائر إلى تنمية كفاءات التلميذ القاعدية في ميادين التعبير الشفهي والكتابي والقراءة والرياضيات والعلوم والتربية الخلقية والمدنية والدينية « ويمكنه من الحصول على تربية ملائمة، وتوسيع إدراكه لجسمه وللزمان والمكان والأشياء كما يمكنه أيضا من اكتساب المعارف المنهجية».[١٢]

وتتميز مناهج التعليم الابتدائي الحديثة بخصائص عديدة أبرزها:[١٣]

٣-١: خصائص منهاج التعليم الابتدائي ؛ تتمثل في:

الأهداف الكفاءات	• واضحة ودقيقة قابلة للتحقيق. • تشتق من خصائص المتعلمين وميولهم وتصاغ على شكل قابلية الملاحظة والقياس.

[١٠] – اللجنة الوطنية للمناهج: المرجعية العامة للمناهج، ص:٢.

[١١] -بتصرف عن: اللجنة الوطنية للمناهج، مضمون المرجعية، ص: ١.

[١٢] – انظر: المرجع نفسه، ص: ٢٦.

[١٣] – المرجع نفسه، ص٢٧.

مجالات التعلم	• المعارف– المعارف الفعلية– المعارف السلوكية. • يهتم بالنمو المتكامل والمتوازن لشخصية المتعلم في كل المجالات
المحتويات والمضامين	• دقيقة ومتدرجة من حيث البناء. • هدفها مساعدة المعلم على التكيف مع بيئته الطبيعية والاجتماعية. • عبارة عن خبرات يجب أن يمتلكها المتعلم لبناء كفاءاته.
مصادر التعلم	• متنوعة في الوسط المدرسي وخارجه والمعلم ما هو إلى مصدر منها مثل: الكتب، الأفلام وسائل الإعلام، الرحلات.
طرائق التدريس	• الأنشطة الفعالة والتي تدفع المتعلم لاكتشاف المعرفة بنفسه (حل المشكلات، المشروع التعليم التعاوني.)
الأنشطة اللاصفية	• أخذ من روافد التعلم المختلفة ومرتبطة بالحاجات الحقيقية للمتعلم. • محفز على الإبداع وبروز المواهب.
دور المعلم	• منشط ومنظم ومسهل لعملية التعلم. • ينجز الوضعيات ويحث المتعلم على التعامل معها ويتابعه من خلال التقويم.
دور المتعلم	• محور العملية التعليمية التعلمية وهو العنصر النشيط فيها، وهو ينجز ويساهم في بناء التعلمات ويمارسها في جو تعاوني.
التقويم	• جزء من عملية التعليم والتعلم وهو مدمج فيها. • كاشف للنقائص ومساعد على استدراكها كما يكشف مدى تمكن التلاميذ من الكفاءات المستهدفة وتوطيد العلاقة بين المعلم والمتعلم والأسرة.

جدول يوضح خصائص مناهج التعليم الابتدائي.

يرتكز بناء مناهج التعليم الابتدائي في الجزائر على أسس عدة أبرزها:[١٤]

١. قيم الجمهورية والديمقراطية: من خلال تنمية روح احترام القانون واحترام الآخر والقدرة على الإصغاء واحترام سلطة الأغلبية وحقوق الأقليات.

٢. قيم الهوية: من خلال التحكم في اللغتين الوطنيتين ومعرفة تاريخ الوطن وجغرافيته والوعي بالانتماء، والقيم الإسلامية والقيم الحضارية للجزائر.

[١٤]– وزارة التربية الوطنية: التسيير التربوي والإداري، سند تكويني لفائدة مديري المدارس الابتدائية، الحراش، الجزائر، ٢٠٠٤، ص٠٧.

٣. القيم الاجتماعية: من خلال تنمية العدالة الاجتماعية والتضامن والتعاون وتنمية روح المبادرة وحب العمل.
٤. القيم العالمية: التحكم في وسائل العصرنة وحماية القانون الإنساني وحماية البيئة والتفتح على الثقافات العالمية. [١٥]
٥. الأساس المعرفي: من خلال حسن انتقاء المعرفة التي تعلم وذلك لتحقيق الكفاءات والقدرات المرغوب فيها.

٣-٢: منهاج النشاطات في المرحلة الابتدائية الجزائرية؛

يسعى منهاج النشاطات في المرحلة الابتدائية الجزائرية إلى ترسيخ جملة من الكفاءات أبرزها:

١. تعلم اللغة العربية من خلال تحكم التلاميذ في القدرة على القراءة والتعبير والتواصل مع غيرهم مشافهة وكتابة.
٢. تعلّم لغة أجنبية أولى بحيث يهدف تدريس اللغة الفرنسية إلى تحقيق التواصل والتعبير والوصول المباشر إلى المعرفة العالمية.
٣. تعلم الأسس العلمية والرياضيات والتكنولوجية وذلك من خلال إكساب التلاميذ تقنيات الحل والاستكشاف وفهم العالم الحي والجامد.
٤. تعلم العلوم الاجتماعية ذات الأبعاد التاريخية والجغرافية والمدنية والخلقية والدينية، وفيما يخص البعد التاريخي يتجلى من خلال استرجاع المتعلم للماضي الوطني وحقبه التاريخية.[١٦]

ويتجلى البعد الجغرافي من خلال الاهتمام بجغرافية الجزائر والعالم العربي، أما فيما يخص التربية المدنية فتهدف إلى ترقية حس المواطنة لدى التلميذ وترسيخ مبادئ احترام النفس والغير وأهم حقوقه وواجباته، أما فيما يخص التربية الإسلامية فيهدف المنهاج إلى تكوين التلميذ روحيا وخلقيا ودينيا حيث يزود بأهم تعاليم ديننا الحنيف.

٥. تعليم فني من خلال بعض القضايا الجمالية وإبراز المواهب الفردية في ميدان العمل والتشجيع على نموها.

٣-٣: تعليمية أنشطة اللغة العربية المقررة في مرحلة التعليم الابتدائي؛

التعليمية علم تطبيقي[١٧] يهتم بعملية ضبط الموقف التعليمي التعلّمي داخل القسم وهي بهذا تنتقل من منطق التعليم إلى منطق التعلم على اعتبار أن التعلم ليس تكديسا للمعارف ؛فهو إعادة بناء للمعارف السابقة

[١٥] – بتصرف عن: اللجنة الوطنية للمناهج، مضمون المرجعية، ص: ١٧.

[١٦] – محمد صالح حثروبي: الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي، ط٠١، دار الهدى، ٢٠١٢، ص١٨.

واكتشاف المعارف الجديدة ،والنشاط[*][18]في اللغة العربية يوحي بمعاني الممارسة والعمل والإنجاز ،فالمناهج الجديدة اعتمدت مصطلح النشاط عوض المادة كدلالة مباشرة للجهد الذي يبدله التلميذ لاكتساب المعارف بنفسه.

وفيما يأتي جدول يوضح أنشطة اللغة العربية في المرحلة الابتدائية الجزائرية:

المجال	السنتان ٠١ و ٠٢	السنوات ٠٣ و ٠٤ و ٠٥
التواصلي	اللغة العربية	اللغة العربية اللغة الفرنسية
العلمي	الرياضيات التربية العلمية والتكنولوجية	الرياضيات التربية العلمية والتكنولوجية
الاجتماعي	التربية الإسلامية التربية المدنية	التربية الإسلامية التربية المدنية التاريخ والجغرافيا
الفني	التربية الموسيقية التربية التشكيلية	التربية الموسيقية التربية التشكيلية
البدني	التربية البدنية	التربية البدنية

جدول يوضح الأنشطة المقررة في مرحلة التعليم الابتدائي [19]

تحليل الجدول: إن اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية والمقوم الأساسي للشخصية الجزائرية ، وعليه فهي في المنظومة التربوية وسيلة للتعلم والتواصل، ولهذا كان لزاما علينا الاعتناء بها « بحيث يتم التعليم

---

[17]– ينظر: عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، ، ص٨ – ١٢، وينظر أيضا: صالح بلعيد: دروس اللسانيات التطبيقي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٠، ص ١١ – ١٥، وينظر أيضا:

Crystal DM: Directions in applied linguistic. Academic press, 1988, p 01-24.

Jean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse-Bordas, AER, Paris, 1999, p45

[*][18] هناك فرق بين النشاط والمادة فالنشاط يتيح للمتعلم أن يلاحظ ويفكر يناقش ويعبر ويقارن.. بما يحقق اكتساب المهارات الأساسية للمتعلم وبولغ الكفاءات المستهدفة أما المادة فهي مشتقة من مضامين ومحتويات مجال معرفي معين والهدف الأساسي منها هو نقل وتبليغ المعارف إلى ذهن المتعلم بغض النظر عن الجوانب النفسية والبيداغوجية للمتعلم.

[19]– انظر: محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية، ص:١٣٣.

– انظر: الدليل المنهجي لإعداد المناهج، ص:٧٤.

باللغة العربية في جميع المستويات التربوية سواء في المؤسسات العمومية أو الخاصة للتربية والتعليم»[٢٠] والغرض من تدريسها هو إكساب التلاميذ الكفاءات اللغوية الأساسية (اللغة المنطوقة: الفهم والتعبير، واللغة المكتوبة: القراءة والكتابة) .

3-4:الكفاءات اللغوية الأساسية: (الكفاءات اللغوية المباشرة) في كتب التعليم الجزائرية للمرحلة الابتدائية:

المستوى الدراسي	الأنشطة المقررة	عدد الحصص	الحجم الساعي
السنة الأولى	- تعبير شفوي / قراءة/ كتابة. - قراءة / كتابة محفوظات. ألعاب قرائية وكتابية. نشاط الإدماج (إقليم تعلماتي، تعبير كتابي)	08 02 02 02 01	١٣سا و ٣٠د
السنة الثانية	- قراءة / تعبير شفوي / كتابة - قراءة / كتابة - محفوظات - نشاط الإدماج(التعبير الكتابي، إنجاز المشاريع)	10 02 01 02	١٣ساو ٣٠د
السنة الثالثة	- قراءة/تعبير شفوي/كتابة - محفوظات - تعبير كتابي(تحرير) - نشاط الإدماج(تصحيح التعبير/إنجاز المشاريع)	08 01 01 02	١١سا و ١٥د

[٢٠]–وزارة التربية الوطنية: اللجنة الوطنية للمناهج، الدليل المنهجي لإعداد المناهج، الجزائر،٢٠٠٩، ص:١٠

انظر كذلك: محمد الصالح حثروبي: الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي، ص:٨٨.

السنة الرابعة	قراءة (أداء، فهم، إثراء) تعبير شفوي وتواصل. قراءة/قواعد نحوية. قراءة/قواعد صرفية وإملائية. تعبير كتابي(تحرير). محفوظات. مطالعة موجهة. تصحيح التعبير/إنجاز المشروع. نشاطات إدماجية/خط.	02 02 02 01 01 01 01 01	٠٨سا و١٥
السنة الخامسة	- قراءة (أداء، فهم، إثراء)، تعبير شفوي وتواصل. - قراءة/قواعد نحوية. - قراءة، قواعد صرفية وإملائية. - تعبير كتابي/تحرير - محفوظات. - مطالعة موجهة. - نشاطات إدماجية (تصحيح التعبير/إنجاز المشاريع).	02 02 02 02 01 01 01	٨سا و١٥د

جدول يوضح أنشطة اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي

تحليل الجدول:

تعتمد المقاربة النصية في تدريس أنشطة اللغة العربية على جعل النص محورا تدور حوله مختلف النشاطات اللغوية من قراءة وتعبير وكتابة، «فلا يمكن تحقيق كفاءة القراءة دون تدريب على إنتاج النصوص وذلك على اختلاف أنماطها: سردية، حوارية، إخبارية إنتاجا وظيفيا.»[٢١]

كما يلاحظ من الجدول عدم تخصيص القراءة الصامتة، لكن نظرا لأهميتها نجد كثيرا من المعلمين يخصصون وقتا زمنيا لها، ويتم تعلم نشاطات اللغة العربية بصفة كلية غير مجزأة من تربية مدنية وتربية إسلامية وتربية علمية وتكنولوجية ورياضيات وتربية فنية وتاريخ وجغرافيا وعليه لا يجب الفصل بين أنشطة التعبير والقراءة والكتابة والاستماع لكونها مترابطة.

٤-القيم الإسلامية المتضمنة في كتب القراءة لمرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر:

[٢١] - بتصرف عن: حفيظة تازروتي: كفاءة التعبير الكتابي لدى تلاميذ المرحلة الأولى من التعليم، ص: ١٣٤.

يعرف كيلد كلاهون القيم على أنها «تصورات واضحة ومحكمة أو مختلطة عن الموضوعات المرغوب فيها، وتخص فردا أو جماعة، وتتحكم في اختيار أساليب الفعل ووسائله وغاياته من بين الممكنات، وتتواءم القيمة كبناء منطقي مع الثقافة والبناء الاجتماعي.» [٢٢]

وتحديد القيم الإسلامية في الكتب المدرسية لا يتم إلا من خلال تحليل مضمونها، إذ تعد المرجع الأساسي للمعارف العلمية للمتعلم والمادة التعليمية للمعلم، وكونها ركنا أساسيا في بناء العملية التعليمية التعلمية، فالمقرر الرسمي الذي تعتمده الدولة في نظامها التعليمي، يكمن في المادة العلمية المقدمة في الكتاب المدرسي الذي يمثل التوجيه الصحيح للأهداف التربوية العلمية والتعليمية ولسياسة التعليم في الدولة، كما أنه وسيلة لنقل الخبرات التربوية للمتعلم.[٢٣]

هذا، ويضم الكتاب المدرسي بين دفتيه المحددات العلمية والمعرفية الملزمة لكل من المعلم والتلميذ في إطار منهجي دراسي بالكيفية المقبولة، ويساعد المعلم على تكييف ذلك المنهاج للزمن المحدد له، وأن يخطط لموقعه التدريسي سلفا بما يساعده على اجتياز صعوباته والتعامل مع التلاميذ بنجاح، طبقا لظروفه وظروفهم وإمكاناته وإمكاناتهم.

أما عن تحليل محتوى الكتاب المدرسي فهو كما عرفه الدكتور سمير حسين بأنه أسلوب أو أداة البحث العلمي يستخدمه الباحثون في مجالات عديدة لوصف المحتوى الظاهر والصريح للمادة اللغوية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون، وذلك بهدف استخدام هذه البيانات، إما في وصف هذه المواد اللغوية التي تكشف السلوك الاتصالي بين أطراف العملية التعليمية، أو لاكتشاف الخلفية الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو العقائدية التي تنبع من الرسالة اللغوية، والتعرف على القائمين بعملية التواصل التربوي من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور وكافة الأساليب التعبيرية شكلا ومضمونا.[٢٤]

4-1: نشاط التربية الإسلامية؛ تمثل التربية الإسلامية النشاط الاجتماعي الذي ينبع من فلسفة الأمة ويدور حول الإنسان في كل دور من أدوار حياته، حتى يتكيف مع نفسه ومع الجماعة التي يتعامل معها؛ فاكتساب المفاهيم الدينية يعلم التلاميذ أصول الدين ويجنبهم الوقوع في الزلل والخطأ، ويكون لديهم المعيار السلوكي لكي يتصرفوا في ضوئه ، إلا أن هذه المفاهيم تفقد قيمتها إذا لم تنعكس أثارها على حياتهم و تصرفاتهم،

- [٢٢] إسماعيل رابحي: أنوع القيم المتضمنة في كتب القراءة لمرحلة التعليم الابتدائي، مجلة العلوم الإنسانية، ع٣٣، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، ٢٠١٤، ص: ٥٤.

- [٢٣] عبد الرحمن الهاشمي ومحسن على عطية، تحليل محنوى مناهج اللغة العربية، رؤية نظرية تطبيقية، ط١، دار صفاء للنشر، الأردن ص:٢٥٩.

[٢٤] – ينظر: محمد رشدي طعيمة: تحليل محتوى العلوم الإنسانية، ص: ٢٣.

وتصبح سلوكا عملياً محمودا تتجلى في يقظة ضميرهم، وسمو وجدانهم، وتمسكهم بالفضائل، وتساميهم عن الرذائل ونهوضهم بالواجبات الدينية في حماسة .

4-2: التربية الإسلامية في المنهاج التعليمي الجزائري؛ يقصد بمفهوم التربية الإسلامية في المناهج المدرسية "ما يدرس في مختلف المراحل الدراسية من قرآن وتفسير وحديث وتوحيد وفقه وتهذيب وسيرة نبوية، وقد وضعت هذه المواد لتكمل تربية الناشئ على الإسلام من جميع جوانبه النفسية والاجتماعية والروحية والسلوكية والعقلية من ناحية، وعلى تحقيق العبودية الله عز وجل بكل ما في هذه الغاية من معنى ومدلول من ناحية أخرى، والتربية الإسلامية وبكل ما تؤدي إليه من نتائج في الحياة والعقل والتفكير ليست مادة دراسية بالمعنى التقليدي بل تتميز بأنها تربية متكاملة تدعو إلى تربية المسلم من جميع جوانبه، ومن الملاحظ اليوم أن واقع التربية الإسلامية في البلدان الإسلامية يقتصر على تحفيظ أو استظهار بعض آيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الشخصيات الإسلامية وما إلى ذلك، ولا شك أن هذا قاصر عن مفهوم التربية الإسلامية كنظام متكامل .[٢٥]

وإثراء للموضوع تم اختيار كتب اللغة العربية لأطوار مرحلة التعليم الابتدائي في الجزائر كعينة للدارسة بهدف تحليلها والوقوف عند مختلف القيم الإسلامية المتضمنة فيها شكلا ومضمونا.

تنوعت القيم المتضمنة في كتب القراءة للسنوات الخمس ما بين قيم فنية ودينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وقيم العلم والمعرفة، ومن خلال تصفح وتحليل نصوص من هذه الكتب تبين ما يأتي:

-أن القيم الإسلامية الواردة في محتويات نصوص كتاب القراءة للسنة الأولى والثانية من التعليم الابتدائي كان توظيفها متوسطا؛ في مقابل قيم العلم والمعرفة التي اكتسحت صدارة القيم المدرجة في النصوص، ولعل تفسير ذلك يعود إلى الاتصال الأول المباشر بين التلميذ والمدرسة لأنها تعزز بناء إدراكات جديدة له، علما أن السنة التحضيرية يزود فيها التلميذ بالقيم الإسلامية التي تعلمه تعاليم ديننا الحنيف، وتهذب سلوكه. بينما هيمنت القيم الصحية والاهتمام بالمحيط في نصوص كتاب القراءة للسنة الثانية. لكن تبقى هذه القيم خادمة للهوية الإسلامية التي ينبغي للتلميذ أن يتعلم تفاصيلها في المراحل الأولى من التعليم.

-خصصت نصوص القراءة للطور الثاني (أخص السنة الثالثة والرابعة هنا) اهتماما بارزا بالقيم الإسلامية التي تنمي روح التشبث بديننا الحنيف، والحرص على التعامل بها في الواقع الصفي وغير الصفي أي داخل القسم وفي المجتمع وحتى في الوطن. لكن يبقى الاهتمام بقيم العلم والمعرفة من الجوانب التي أولتها الوزارة اهتماما نظرا لما تتطلبه عملية التدريس من معارف يتدرج من خلالها التلميذ، وتتنوع مشارها تماشيا مع التطور العلمي في العالم.

---

[٢٥] - سمية سلمان عثمان العجرمي: دراسة تحليلية للقيم المتضمنة في كتاب التربية الإسلامية والاجتماعية وحقوق الإنسان للصف الرابع الأساسي بفلسطين، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، فلسطين، ٢٠١٢، ص ٤٤.

-أما عن محتوى النصوص في كتاب القراءة للسنة الخامسة من التعليم الابتدائي فقد تضمنت قيما متنوعة هي الأخرى توسطت القيم الإسلامية الترتيب ما بين القيم السابق ذكرها، فقد جاءت القيم الدينية كموجه للسلوك ومنظم للعلاقات ومعززا لمعارف إسلامية سابقة، دون أن نغفل أن مرحلة السنة الخامسة هي مرحلة التذوق الفني والجمالي؛ فمن خلالها يستطيع التلميذ أن يحدد أي نهج قيمي يختار أن يواصل دربه من خلاله، ومهما تنوعت القيم المتضمنة في الكتب المدرسية تبقى القيم الإسلامية متضمنة في كل نوع من هذه الأنواع نظرا لخصوصية الهوية الدينية للمجتمع الجزائري المسلم، هذا من جهة وحرصا على تكوين قاعدة عقائدية صحيحة سليمة للنشء، ومن أجل هذا تم توظيف أنشطة اللغة العربية في شكل عرضي أو ما يسمى بتحقيق الكفاءة العرضية؛ فكل ما يتعلمه التلميذ في نشاط القراءة يستطيع استثماره في نشاط التربية المدنية أو في أي نشاط آخر بحكم الترابط الذي يجمع هذه الكفاءات اللغوية المترجمة في شكل نشاطات تعلمية.

ومن أجل التخصيص أكثر نحلل محتوى نصوص كتاب القراءة للسنة الأولى من التعليم الابتدائي شكلا ومضمونا، والحكم على طبيعة القيم الإسلامية المتضمنة فيه.

يضم كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي في الجزائر ثلاث مواد مدمجة وهي: اللغة العربية، التربية الإسلامية والتربية المدنية، ويحتوي على ١٤٤ صفحة، تم مراعاة جانبين في التحليل: الشكلي من خلال تحليل صور نصوص الكتاب المدرسي، وجانب مضموني من خلال الاشتغال على مقاطع نصية منه أيضا؛ فقد ازداد الاهتمام بالصورة في بعدها التعليمي بوصفها مساعدة على تحسين عملية التحصيل الجيد في مراحل عمرية متباينة فالصور والرسوم التوضيحية في الكتاب تستعمل لتبليغ أفكار وآراء وتصورات مختلفة، ومترجمة للمحتوى النصي وما يتضمنه من معلومات ومعارف جديدة.

٤-٣: القيم الإسلامية المتضمنة في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي في الجزائر؛

يوضح الجدول الآتي مختلف القيم المتضمنة في الكتاب المدرسي للسنة الأولى من خلال تصفح صوره والحكم على مختلف القيم المعبرة عنها:

نوع القيمة	القيمة	التكرار	الصفحة في الكتاب
القيم الدينية	النظافة والطهارة	**14**	**17-32-64-68-93-96-106**
	التحية	**10**	**8-25-104-109-116**
	التعاون	**5**	**52-53**
	الحمد	**4**	**32-36**
	الاستئذان	**3**	**20-72**
	الطاعة	**3**	**12**

	التسمية	3	32-128
	العطف والحنان	2	12-24
	التشهد	1	112
	التصدق	1	48
	الصوم	1	125
نوع القيمة	القيمة	التكرار	الصفحة في الكتاب
القيم التربوية	الهوية	28	17-16-13-21-26-32-40-41-42-52-65-89 33- 96- 104-105-112-121
	التماسك	7	9-13-21-49-97-113
	التكنولوجيا	5	109-113-117
	الاحتشام	5	29-33-37-49
	الابتسامة	4	9-13-21-25
	العيد	3	129-138
	الصداقة	3	26-33-133
	التنظيم والتنسيق	2	21
	الآذان	2	112-120
	آداب الأكل	1	128
	صحية	2	93-101
	التهادي	2	61
	الاحترام	2	57
	الرفق بالحيوان	2	58-129
	الإكرام	2	13-17
	احترام آداب النوم	1	100
	الصلاة	1	170
المجموع		70	

جدول يوضح القيم الإسلامية في كتاب القراءة للسنة الأولى ابتدائي

يحتوي كتاب اللغة العربية للسنة الأولى من التعليم الابتدائي على مجموعة من القيم الدينية ذات البعد الإسلامي؛ حيث جاء عنوان الصورة في الصفحة رقم ٦٤ بعنوان أطهر جسمي والصفحة ٦٨ بعنوان أطهر مكاني، وصورة الصفحة ٩٦ بعنوان أطهر ثوبي، صور لفتاة تغسل يديها والثانية لولد ينظف جسمه، أما الصفحة الأخرى فقد تضمنت بنتا تغسل أسنانها، كما وردت صور لفتية ينظفون الشارع و...وصورة توضح الاهتمام بالبدن ولبس الثياب النظيفة، كل هذه الصور تعبر عن قيم إسلامية تدل على قيمة الطهارة ترتقي بالمسلم وبالمجتمع الإسلامي وتبعد عنه المرض والأوساخ.

لكن ما يعاب كجانب نقدي أن جانب الطهارة كثيرا ما يرتبط أيضا بالوضوء وبالصلاة وهذا ما لم نجده في محتوى هذه الصور.

كما جاء في الصفحة ٥٢ صورة لفتاة تأخذ بيد شيخ أعمى قاطعة به الطريق فهذه الصورة توحي بالتعاون والرأفة واحترام الكبير من أجل تعميق مشاعر الأخوة وتعزيز سبل التعاون، ومن بين الصور المعبرة أيضا ما ورد في صورة الصفحة رقم: ٣٦ والتي تعبر عن آداب الأكل، فبعد الانتهاء منه يقول الجميع الحمد لله، وبعد العطس أيضا نقول الحمد لله، وبعد الشرب أيضا، مما يوحي على صفحة حميدة ينبغي توارثها ألا وهي صفة الحمد والثناء بعد الأكل والشرب والعطس.

ومن بين المواضيع المقررة أيضا الاستئذان، وهو ما جاء في الصورة ٢٠؛ إذ تظهر طفلا يقرع الباب استئذانا منه للدخول، والصورة الثانية لتلميذ يستأذن من أجل الكلام، والاستئذان بمعنى طلب السماح لفعل شيء، ولمزيد من التوضيح والتزاما منا بحجم المقال فالكتاب متاح بصيغة ال **pdf** تابع لوزارة التربية الوطنية الجزائرية.

أما عن القيم التربوية فقد جاءت متعددة متنوعة من خلال صور تعليمية ترجمت ذلك نذكر منها : صور تعبر عن مكونات الهوية الوطنية كالنشيد الوطني واللباس التقليدي، وبالعودة إلى الصفحة رقم ٧٧ يتضح ذلك من خلال تغني الولد ببلده الجزائر، فروح الوطنية لا بد أن تغرس في نفوس أبنائنا منذ الصغر، وجاء في الصفحة ٨٠ نص بعنوان إبعاد الأذى عن الطريق مما يجعل من الفرد مواطنا صالحا تجسد ذلك في مجموعة من الصور كإبعاد غصن مكسور عن الطريق، وكذا صورة عن وضع بقايا قشور الفواكه في سلة المهملات، بالإضافة إلى طفل يقوم بجمع الزجاج المكسور ورمية في سلة المهملات أيضا. فالهدف التعليمي من وراء ذلك هو تكوين أفراد صالحين متشبعين بقيم تربوية إسلامية عالية.

ومن بين صور الكتاب المدرسي التي تحمل بعدا تربويا ما ورد في الصفحة ٩٣ بعنوان الفحص الطبي، تجسد زيارة طبيب إلى المدرسة رفقة ممرضة، وكانت الزيارة في أثناء تقديم المعلمة للدرس، فمن بين التلاميذ المتواجدين داخل القسم تلميذ أسمر كان خائفا من الحقنة فلقي دعما وتشجيعا وتضامنا من أجل نزع

الخوف من قبل زملائه ومعلمته وحتى الطبيب نفسه، الأمر الذي يشجع على احترام التنوع العرقي، وعدم التمييز بين الأبيض والأسود إلا بالتقوى.

وكجانب نقدي فإن القيم الدينية الممثلة في الطهارة والتحية تواترت أكثر من مرة في أكثر من نص، بينما كان تواتر أركان الإسلام التي تم إفراغها في شكل دروس هي الأخرى ضعيفا فلم ينل الحظ الوفير في الاستعمال والتوظيف، رغم أهمية أركان الإسلام في ديننا الحنيف والتي تمثل الأساس السليم الذي ينبغي أن يتشرب منه أبناءنا.

٤-٤: القيم الإسلامية المتضمنة في مضمون الكتاب المدرسي الجزائري:

تكررت العديد من القيم الإسلامية في محتوى نصوص القراءة للسنة الأولى فكثيرا ما نجد توظيفا لمفهوم الدين الإسلامي؛ الذي يشير إلى التوحيد والالتزام بالعقيدة الإسلامية، فالدين مستمد من هوية المجتمع الجزائري الذي لا يتجزأ عن العالم الإسلامي. أما في درس: من آداب المسلم فقد تم استثمار مفردة السلام أساسا للرد، فهي تعني التحية التي يتواصل بها الأفراد لتحقيق التواصل المبني على الاحترام، وتعزيز روابط الأخوة ونصرة للدين فيما بينهم.

هذا وتضمنت النصوص أيضا العديد من قيم تعديل السلوك كآداب الأكل بغسل اليد قبل الأكل وقول الحمد لله بعده، والشرب بقول بسم الله قبل ذلك، وتنظيف الأسنان قبل والنوم، وذلك في الصفحتين: ٣٢ و١٢٨. ونجد توظيفا للصلاة في متن النصوص لكن بتواتر محتشم، فالصلاة عبادة روحية تقرب الإنسان من خالقه، لذا وجب على المقررين تعزيز هذه القيمة أكثر في محتوى المناهج التعليمية، والأمر نفسه عن قيم الإيمان، فقد

أدرجت بتواتر محدود جدا في النصوص، لأنه حقيقة معنوية مستقرها القلب ويطبقها العقل فبالإيمان نستمتع بمختلف الطاعات، كذلك الاستغفار انتهك توظيفه في المحتوى التعليمي فقط وظف مرة واحدة من دون تكرار ، علما أنه دواء لجميع الذنوب والخطايا، والسبيل الأقرب لتوطيد الصلة وتمتين العلاقة بين العبد وربه.

نستخلص مما سبق أن الكتاب المدرسي للسنة الأولى ابتدائي في الجزائر ركز على قيمة إنسانية غالية وهي معرفة الخالق، وقيمة حب الدين وحب الوطن وقيم حب العائلة، وقيمة وطنية متمثلة في الوطنية والافتخار بالوطن، فجاءت هذه القيم لغرس التربية الإسلامية السليمة وزرع التربية الراقية لأبناء هذا البلد من خلال الجمع بينهما، ما دام الانتماء لبلد مسلم نعتز ونفخر بانتمائنا إليه. إلا أنها أهملت وأقصت من مجال اهتمامها التفصيل أكثر في بعض الثوابت الإسلامية الواجب ترسيخها في أذهان تلاميذنا كعقيدة ثابتة مثل الطهارة من أجل الصلاة، والطهارة من خلال إحسان الوضوء وغيرها من الأمور الدينية.

خاتمة:

تساهم القيم الدينية والتربوية في تربية التلميذ وإعداده الإعداد الجيد وتكوين سلوكه في المجتمع، فبالرغم من احتواء نصوص كتب اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي الجزائري على قيم إسلامية

متعددة، إلا أنها لم تستند إلى الطرح الإسلامي في بعض الجوانب؛ فقد تعرضت هذه القيم للعديد من الانزلاقات التي وقع فيها واضعوا البرامج والمناهج في الجزائر من خلال تغييب الجانب الديني وحتى السعي نحو إلغائه، علما أن قيم الإسلام بصفة عامة تسعى إلى بناء شخصية التلميذ وإعداده ليكون صالحا في وطنه ومع من يتعايش معهم بعد ترسيخ حب الله وطاعة وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لهذا فالقيم الدينية لم تعكس الأبعاد الدينية النصية في الكتاب المدرسي، ونعلم جميعا أن هوية الفرد الجزائري الدينية هي الإسلام، لذا وجب على واضعي البرامج إعادة النظر في القيم الدينية الموظفة وجعلها أكثر ارتباطا بديننا الحنيف كالصلاة والصوم والزكاة مثلا.

المراجع المعتمدة:

١- القانون التوجيهي للتربية، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد ٠٤، الجزائر، ٢٠٠١.

٢-ابراهيم عصمت مطاوع، أصول التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥.

٣-أحمد محمد معتوق: الحصيلة اللغوية وأهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها، العدد ٢١٢، سلسلة عالم المعرفة الكويت،١٩٩٠.

٤- إسماعيل رابحي: أنوع القيم المتضمنة في كتب القراءة لمرحلة التعليم الابتدائي، مجلة العلوم الإنسانية، ع٣٣، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر،٢٠١٤.

٥-حفيظة تازروتي: كفاءة التعبير الكتابي لدى تلاميذ المرحلة الأولى من التعليم.

٦- رفيقة حروش: إدارة المدارس الابتدائية الجزائرية [د ط]، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٠.

٧-سمية سلمان عثمان العجرمي: دراسة تحليلية للقيم المتضمنة في كتاب التربية الإسلامية والاجتماعية وحقوق الإنسان للصف الرابع الأساسي بفلسطين، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، فلسطين، ٢٠١٢.

٨- صالح بلعيد: دروس اللسانيات التطبيقي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٠.

٩- عبد الرحمن الهاشمي ومحسن على عطية، تحليل محتوى مناهج اللغة العربية، رؤية نظرية تطبيقية، ط١، دار صفاء للنشر، الأردن.

١٠- عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية.

١١- محمد الشبيني: أصول التربية الاجتماعية والثقافية والفلسفية، رؤية حديثة للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٠.

١٢-محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية.

١٣- محمد الصالح حثروبي: الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي، ط٠١، دار الهدى، ٢٠١٢.

١٤-وزارة التربية الوطنية: اللجنة الوطنية للمناهج، الدليل المنهجي لإعداد المناهج،٢٠٠٩.

١٥- وزارة التربية الوطنية: اللجنة الوطنية للمناهج، المرجعية العامة للمناهج (مضمون المرجعية)، مارس ٢٠٠٩

16-Crystal DM: Directions in applied linguistic. Academic press, 1988.

.17- Jean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse- Bordas, AER, Paris, 1999.

القيم الإسلاميّة في تحفيز العمل والإنتاج والتنمية، ومكافحة الاحتكار والربا

أ.د. محمد حسن دخيل
كلّيّة العلوم السِّياسيّة جامعة الكوفة

د. زهراء علي دخيل
المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة- الجامعة اللُّبنانيّة

ملخّص البحث:

للإسلام قيمٌ في التعليم، والاجتماع، والإدارة، والسِّياسة، والصحّة، والاقتصاد؛ اتّسمت بالتَّوازن، والوسطيّة، والواقعيّة، والمرونة، والعالميّة.

راعت القيم الإسلاميّة ظروف المجتمعات والتدرّج في التشريعات، وتحقيق مصالح الأفراد، وتأمين العدل بين النّاس، وبثّ أُسُس المساواة، وشمول أنظمة الإسلام لكلِّ جوانب الحياة.

من بين قيم الإسلام الأصيلة، تبرز قيم العمل، وحقوق العامل، ومسؤوليّة الدولة عن العاطلين عن العمل، وضرورة توفير العمل لكلّ القادرين عليه، وكذلك ضوابط الاستثمار في المفهوم الإسلاميّ. وفي المقابل، سعي الإسلام إلى تحريم بعض الأنشطة الاقتصاديّة، مثل: الربا، والاحتكار، والإسراف.

تُمثّل هذه القيم أنموذجًا ملائمًا لروح العصر، وعنصرًا فاعلًا ومُساهمًا في حلّ قضايا يُعانيها أغلب الأفراد، ومعظم المجتمعات. جاءت هذه القيم لتحقيق أُسُس السّلم والسّلام، ولخير البشريّة جمعاء.

الكلمات المفتاحيّة: الإسلام–العمل–الاحتكار–الرّبا–التنمية في الإسلام–النقابات المهنيّة–الاقتصاد الإسلاميّ.

المُقدّمة:

للنّظام الاقتصاديّ الإسلاميّ أُسُس هامّة، وركائز أساسيّة، ومُنطلقات عامَّة، سار عليها وتبنّاها، ولها وجهان: وجهٌ ثابت، وآخر مُتغيّر؛ فالثّابت هو المبادئ العامّة الواردة في القرآن الكريم، والسُّنّة النبويّة الشريفة. أمّا المُتغيّر فهو مجموعة الأساليب، والخطط العمليّة ، والحلول الاقتصاديّة المستندة إلى الاجتهاد وإعمال العقل والفكر.

استندت المبادئ الاقتصاديّة في الإسلام إلى مجموعة من الطُّرُق والغايات النبيلة والأهداف السّامية، ولعلّ منها: القضاء على تضخّم الملكيّة، النّهي عن الاحتكار، حرمة الرشوة، وحرمة التّلاعب بالأوزان، والنّهي عن الترف...

من الإشكاليّات البحثيّة في هذا المضمار، ما يتعيّن معالجته: ما الرّؤية الإسلاميّة لجانبي الاقتصاد الأساسيَّين: العناصر المحفّزة، والعناصر المحرّمة والمُضرّة.

تفترض هذه الدّراسة أنّ الرؤية الإسلاميّة للإنتاج تقوم على ركنين، هما: التنمية والزيادة من خلال تطوير العمل وفاعليّته، والابتعاد عن الاحتكار والرّبا، وكلّ ما يضرّ بالمجتمع والأفراد.

المبحث الأول: النشاطات الاقتصاديّة، العمل، والنقابات المهنيّة في الإسلام

أوّلًا-النشاطات الاقتصاديّة:

أ-الزراعة: رسمت خطط محدّدة في وضع السياسة الزراعيّة ، وتطوّرت بمرور الزمن، ومنها:

-سياسة الإرواء التي شهدت شق أقنية المياه من الأنهار، وحفر الأنهار الصغيرة والجداول، وحفر الترع، وإقامة الجسور والقناطر، وبإشراف الدولة.

-الإشراف الزراعي القائم على إقرار العدالة والمعاملة الحسنة للفلاحين تبعًا لظروفهم وأحوالهم، والإشراف على نوعيّة المزروعات.

-إصلاح نظام التقديرات والجباية المحدّدة على نوعيّة ملكيّة الأرض الزراعيّة، وتحديد مواقيت التحصيل وشروطه ونسبه، وإمكانيّة إلغائه، أو تخفيضه حتى تستمر الزراعة.

وقد اهتمّت السّنّة النّبويّة بالزرع والزراعة اهتمامًا بالغًا، واعتنت به عناية كبرى، وحرّضت الإنسان عليه وعلى العمل فيه، وعدّته من أفضل الكسب الحلال، ومن أحسن الأعمال وأجملها، وجعلته صدقةً جارية

للإنسان، وأجرًا وثوابًا لآخرته، وعزًّا وكرامةً لدنياه، وبيّنت له مسائله وأحكامه الشرعيّة، وأوضحت له عن كيفيّاته وطرقه الدينيّة والعرفيّة، وعلّمته كيف يعمر الأرض والبلاد به، ويسعد دنياه وآخرته بسببه.[1]

ب-الصناعة:

يُعدّ موقف الإسلام من الصناعة والحرفة موقفا واضحًا، مشجعًا. وبعد أن وفرت الزراعة فائضًا كبيرًا من منتجاتها الزراعيّة وأثر توسّع المدن ،وتعدُّد حاجات الناس أصبحت الصناعة تشقّ طريقها وبكلّ أنواعها. ولقيت الحرف الصناعيّة كل التشجيع من الخلفاء والأمراء، وأسهمت الأسواق في تجميع الحرفيين والمهنيّين في أماكن معلومة من تلك الأسواق وأدّت إلى تصريف سلعهم.

بعد أن تجمّعت أعداد كبيرة من العمّال والحرفيّين، وكونوا تكتلات في الأسواق، وكانت تربطهم روابط اقتصاديّة واجتماعيّة وفكريّة وثقافيّة وظروف حياتيّة متقاربة كلٌّ في مجال عمله؛ الأمر الذي ساعد على قيام نظام الحرف والطوائف والأصناف، وأرباب العمل، والصنائع وأهل الحرف والمهن.

ج-التجارة:

حثّ الإسلام على طلب الكسب والمعاش في ميدان التجارة ،ووجد أنّ تسعة أعشار البركة في التجارة، وعدّ المسلمون التجارة عبادة، وبيّنوا للأسواق آدابها وللتجارة أخلاقها. وبذلك، كانت التجارة والعبادة تجتمعان، وتسلّح التاجر المسلم بالقرآن والسُّنّة النبويّة التي مكّنته من امتلاك نظام اقتصاديّ بعيدًا عن النظام الرّبويّ، وكان التاجر يخضع لمراقبة الضمير أولًا وأجهزة الدولة ثانيًا.[2]

كانت أهمّ عوامل نجاح التجارة عند المسلمين ترجع إلى:

-ازدياد رقعة العالم الإسلاميّ.

-وحدة العملة المتداولة في العالم الإسلاميّ؛ ما سهّل التبادل التجاريّ بين مختلف المدن الإسلاميّة.

-ازدياد حركة الإنتاج الصناعيّ وتنوّعها ؛الأمر الذي دفع التجار إلى نقل الفائض وتصريفه.

-حياة الترف والبذخ التي عاشها المسلمون بعد الفتوحات الكبرى.

أباح الإسلام التجارة وأرباحها ،ونظّمها القرآن الكريم بما وضعه لها من أحكام أخلاقيّة، ولم يفرض عليها قيودًا غير منع المعاملات المنافية للأخلاق من غشّ وخداع وسوء استغلال، كما شدّد في منع الربا. من هنا، يظهر موقف الإسلام المبيح للتجارة على ألّا تؤثّر على المبادئ الإسلاميّة الأساسيّة التي دعا إلى التمسُّك بها

[1] محمد الشيرازي، الزرع والزراعة، مؤسّسة الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١١م، ص٣٥.

[2] طه عبيد، الحضارة العربيّة الإسلاميّة ، دار الكتب العلميّة ،بيروت، ٢٠١٢م، ص١٣٨.

، والواقع أنّ عددًا من كبار الصحابة ماسوا التجارة في زمن الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، دون أن تؤثّر تلك الممارسة في موقفهم المتفاني في تأييد الإسلام.[٣]

يقول الجاحظ: "وقد علم المسلمون أن خير الله من خلقه، وصفوته من عباده، والمؤتمن على وحيه، من أهل بيت التجارة، وهي معوّلهم وعليها معتمدهم، وبالتجارة كانوا يُعرفون...وقد بقي النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، بُرهةً من الدهر تاجرًا، وباع واشترى....ولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون: ﴿مالِ هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾[٤] فأوحى الله إليه: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلّا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾[٥]، فأخبر أنّ الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات".[٦]

إنّ تاريخ التجارة بين المسلمين وأوروبا يُشير إلى أنّ المسلمين لهم تأثير كبير على نشوء الأسواق التجاريّة ونموّها في البلدان المسيحيّة. فالمسلمون هم المؤسّسون –لأوّل مرّة– للشركات التجاريّة المساهمة مع أوروبا. فالمبادئ التجاريّة للمسلمين المستندة إلى آيات القرآن الكريم والمعاهدات التجاريّة بين المسلمين والمسيحيّين، وتأسيس مكاتب التمثيل في موانئ الشرق، من الخطوات الأولى المهمّة لتشييد صرح التجارة الدوليّة.

وفي هذا السياق، اختلف العلماء: أي هذه أفضل وأكثر مثوبة عند الله: الزراعة أم الصناعة أم التجارة؟ والذي دعاهم إلى هذا الاختلاف ما ورد من أحاديث في فضل كل منها. لذا، وُجد من العلماء من فضّل واحدة من هذه الثلاث على ما سواها. لكن المحققين من العلماء قالوا: لا نفضّل واحدة منهنّ بإطلاق؛ بل التفضيل يكون بحسب حاجة المجتمع إليها.

فحيث تقلّ الأقوات ، ويكون في حاجة إلى غذائه اليوميّ الذي لا عيش له إلّا به، تكون الزراعة أفضل من غيرها، لحماية الأمة من الجوع، وتوفير الأمن الغذائيّ لها.

وحيث تكثر الأقوات، وتتّسع دائرة الزراعة ،وتحتاج الناس إلى الصناعات المختلفة، لتشغيل الأيدي العاملة، ولتفادي نقص الكفاية الإنتاجيّة للأمة، هنا تكون الصناعة أفضل.

---

[٣] د. صالح أحمد العلي، دولة الرسول في المدينة دراسة في تكوينها وتنظيمها، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩م، ص٣٥٨.

[٤] الآية ٧، الفرقان/ ٢٥.

[٥] الآية٢٠، الفرقان/ ٢٥.

[٦] عمرو بن بحر الجاحظ، رسالة في مدح التجارة وذمّ عمل السلطان، ضمن مجموعة الفصول المختارة، اختيار عبيد الله بن حسان، والمطبوعة في هامش كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ط١٣٢٤، مصر، ج٢، ص٢٤٦.

وحين تتوفر الزراعة والصناعة، ويحتاج الناس إلى من ينقل ما تنتجه هذه وتلك من بلدٍ إلى آخر، فهو وسيط جيد بين المنتج والمستهلك. وكذلك عندما يسيطر على السوق التجار الجشعون المحتكرون والمستغلون، فهنا تكون التجارة أفضل، وخصوصًا إذا كان من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ،وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.[٧]

ثانيًا-العمل وحقوق العامل ومسؤوليّة الدولة عن العاطلين عن العمل:

جاءت تعاليم الإسلام بالحثّ على الاهتمام بالعمل والثقافة والإخلاص فيه؛ فقد ورد عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، قوله: "إنّ الله يُحبّ المؤمن المحترف"، "خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح" . فالاحتراف الذي هو: التخصص في العمل والنصيحة وهي: أداء العمل بإخلاص مضافًا للإتقان. فقال تعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾[٨] وقال النَّبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم): "إنّ الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا فليتقنه"[٩].

لقد ذكر بعض حكماء المسلمين أنّ العمل والتكسُّب، وإن كان مباحًا من جانب، فهو واجب من جانب آخر؛ إذ يقول الراغب: " التكسُّب في الدنيا، وإن كان معدودًا من المباحات من وجه، فإنه من الواجبات من وجه، وذلك أنه لما لم يكن للإنسان الاستقلال بالعبادة إلّا بإزالة ضروريّات حياته، فإزالتها واجبة؛ لأنّ كل ما لا يتمّ الواجب إلّا به فواجب كوجوبه...ولذا، ذُمّ مَن يدّعي التصوف فيتعطّل عن المكاسب، ولم يكن له علم يؤخذ منه، ولا عمل صالح في الدين يقتدي به، فإنّه يأخذ منافع الناس ويضيع عليهم معاشهم، ولا يرد إليهم نفعا...ومن الدلالة على قبح فعل من هذا صنيعه : إنّ الله تعالى ذمّ من يأكل مال نفسه إسرافًا وبدارًا، فما حال من يأكل مال غيره على ذلك، ولا ينيلهم عوضًا ، ولا يرد عليهم بدلًا".[١٠]

وإذا كان العمل حقًّا لكل فرد يريده ، فهو واجب كذلك على كل قادر عليه ليسهم في تقدّم المجتمع ورخائه . وعلى الدولة أن تهيئ فرص العمل لطالبيه حتى يكون لكل فرد مهنة أو عمل يكون مثل مصدر للعيش يحميه من الالتجاء إلى الطرق غير الشرعيّة للعيش كالسّرقة، أو الرشوة، أو الاختلاس، أو التسوّل.

---

[٧] د. يوسف القرضاوي، في فقه الأولويّات، مؤسّسة الرسالة ، بيروت، ٢٠١٣م، ص١٢٢.

[٨] الآية ٣٠، الكهف/ ١٨.

[٩] محمد هادي الخرسان، العمل في الإسلام ودوره في التنمية الاقتصاديّة ، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٠٩.

[١٠] الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار الصحوة، مصر، ص٣١٨.

أمّا التزام الدولة بإيجاد العمل المناسب فهو مبيَّن في الفقه الإسلاميّ بكل الوضوح؛ إذ يجب أن تكون مناهج التعليم شاملة للتدريب على مهنة من المهن، أو عمل من الأعمال، وأن تكون متناسبة مع قدرات كل شاب؛ بحيث يكون منهم العمال المهرة، ثم يواصل المتفوّقون منهم التعليم ليتخرّج من بينهم المهندسون والأطباء والقضاة والصيادلة وغيرهم.

كما أنه يجب على الدولة أن تنشئ المصانع في شتى فروع الصناعة، وأن توسّع في الرقعة الزراعيّة، وأن تعمل على توفير أماكن العمل في مختلف الحرف والمهن والأعمال. وعليها أن تكفل الأجر المناسب لكل عمل ﴿ولكلٍّ درجات ممّا عملوا وليوفّيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون﴾ [١١] [١٢]

وقد أحدث الإسلام تغييرًا في النظام الاقتصاديّ في حقل الإنتاج ،وقام بالخطوات الآتية:

-تحريم الربا

-تحريم التعامل في بعض السلع بالنسبة إلى المسلمين، كالخمر.

-تحريم بعض أنواع النشاط الضار بالجماعة كالميسر.

-منع احتكار الأقوات.

-منع الغش في المعاملات.

يُعدّ العمل العنصر الفعّال في كل طرق الكسب التي أباحها الإسلام، والعمل مع الأرض ،أو المعادن يختلط برأس المال؛ فيشتركان في الإنتاج، ولا ينفرد به أحدهما فتكون الثمرة منها. ولذلك، كانت قيمة الإنسان في أن يعمل، وكانت قيمة العمل في ما يترتّب عليه من ثمار ومنافع للفرد والمجتمع.[١٣]

من هنا، يدعو الإسلام إلى حياة اقتصاديّة يتأمّن فيها اقتصاد الفرد، واقتصاد الجماعة ،ومن خلال تكامل عمل الفرد بأعمال الآخرين. لذا، كان العمل طريق الحياة السعيدة، قال عز وجل: ﴿من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[١٤] وهكذا يكون الإنتاج في نظر الإسلام وسيلةً لبلوغ غاياتٍ اجتماعيّة وروحيَّة.[١٥]

---

[١١] الآية ١٩، الأحقاف/ ٤٦.

[١٢] د. عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية والقانون الدستوري، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٩٧م، ص٣١٢.

[١٣] د.عبد الباقي زيدان، العمل والعمال والمهن في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٧.

[١٤] الآية ٩٧، النحل/ ١٦.

[١٥] د. محمد كاظم مكي، النظم الإسلامية، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩١م، ص٣٠٤.

من هنا، يقول الإمام علي(عليه السّلام) :"تعرّضوا للتجارة فإنّ فيها غنى عمّا في أيدي الناس، فإنّ الله يحبّ المحترف الأمين"، إنّ نظرة الإمام إلى العمل والمسلم العامل تنطلق من واقعها الأخلاقيّ والاجتماعيّ. وعندما عمل الإمام بنفسه ليكسب رزقه ورزق عياله وحتى في عهد خلافته يقصد بذلك إفهام المسلمين بأنّ العمل من أجل كسب الرزق فضيلة يحترم عليها العامل، وهي –في حدّ ذاتها– عمليّة تربويّة لكل أفراد المجتمع الإنسانيّ الذي يبتغي الحياة الكريمة.[١٦]

قد ألزمت الشَّريعة الإسلاميّة صاحب العمل بأن يحسن المعاملة مع عماله واتّقاء الله في ما يكلفهم من أعمال، فلا يكلّفهم إلَّا بمستطاع، وعدم إرهاقهم واستغلالهم، وأن يكفل لهم قدرًا من الراحة حفظًا لقوتهم، ورعايةً لصحّتهم إعمالا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾[١٧] . ويقول الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم): "لا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإذا كلفتموهم فأعينوهم". وكل ذلك من خلال قواعد إلزاميّة ،وإجراءات عمليّة، فقد كان من وظائف (المحتسب) في الدولة الإسلاميّة مراقبة سوق العمل، وكفالة حقوق العمال، والحرص على ألا يكلّف أحدهم بما يجاوز طاقته.[١٨]

إنّ العامل ينبغي له معرفة العمل المنوط به، حتى يؤدّيه بأكمل وجه.

قد أخبر الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، أنّ إتقان العمل ينتج عنه محبة الله سبحانه وتعالى للعبد، حيث قال(صلّى الله عليه وآله وسلّم):"إنّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه". ولا بُدّ من التأكيد على أنّ التقصير في إتقان العمل يترتب عليه محاذير شرعيّة منها: اعتبار عدم إتقان العمل خيانة للأمانة؛ بل هو غشٌّ في العمل. ومن الآثار التي تترتّب على عدم إتقان العمل أنه لو قصّر الأجير في حق المستأجر فنقصه من العمل، أو استزاده في الأجرة منعه المحتسب وأنكر عليه إذا تخاصما، وقد يؤول التقصير بالعمل إلى نفور الناس عن التعامل معه، إن كان يزاول عملًا خاصًّا، أو تعرّضه للفصل من العمل إن كان موظفًا عاملًا[١٩].

قد انصرفت عناية التشريع الإسلاميّ بالعامل؛ لأنه دعامة الإنتاج القوميّ وعنصر مهمّ من عناصر النشاط الاقتصاديّ واليد القويّة المحركة لمرافق الدولة، ومن ضمانات الشريعة للعامل:

---

[١٦] د. محمد بحر العلوم، آفاق حضاريّة للنظريّة السياسيّة في الإسلام، دار الزهراء، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٢٥٣.

[١٧] الآية ٢٨٦، البقرة/٢.

[١٨] د. فتحي عثمان، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلاميّة والفكر القانوني الغربي، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٥٤.

[١٩] د. عثمان غزال، آليات حماية حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٥م، ص٤٠٣.

-حفظ كرامته بوصفه إنساناً، وأن لا يوضع موضع الذليل المسخّر.

-تقدير مجهوده تقديرًا قائمًا على الإنصاف، فلا يجوز استغلال حاجته الشديدة، لانتقاص أجره وحقه الذي يستحقه لقاء عمله.

-ليس لرب المال أن يقصي العامل عن عمله إذا نقصت مقدرته على الإنتاج لمرض لحقه من جرّاء العمل، أو بسبب الهرم، أو الشيخوخة بعد أن قضى شبابه وحيويّته في العمل.

-للعامل حق الراحة الأسبوعيّة ...[٢٠]

إنّ مسؤوليّة الدولة عن العاطلين عن العمل تتمثّل بأنّ العاطلين عن العمل قسمان:

القسم الأول: العاجزون عن العمل؛ إمّا لكبر، أو زمانة، أو خرق، فهؤلاء يجب على الدولة كفايتهم من بيت المال.

القسم الثاني: القادرون على العمل، وهؤلاء قسمان:

أ-ممتنعون عن العمل مع إمكانه ومناسبته، إمّا لغنى، أو لكسل، فهؤلاء ليست على الدولة تجاههم مسؤولية ماليّة؛ لعدم تحقق شرط الاستحقاق فيهم وهو الحاجة، أو القيام بعمل للمسلمين.

-عاطلون عن العمل مع رغبتهم فيه؛ لعدم توفّر وظائف مناسبة لهم، فهؤلاء لهم على الدولة الإسلامية حقّان:

الأول: توفير الوظائف اللائقة بهم؛ لأنّ توفير العمل للقادر يدرأ مفسدة كبيرة؛ لأنّ البطالة وخصوصًا في الشباب سبب قوي من أسباب الجريمة والفساد، والدولة مسؤولة عن تحقيق الأمن، فما كان من السبل يدفع الفساد ويجلب الصلاح كان سلوكًا واجبًا، كما أنّ عدم توفير فرص للعمل يكلّف الدولة الإنفاق على العاطلين من المال العام، وهذا يرهق بيت المال، كما أنه يحرم المسلمين من توجيه تلك النفقات إلى تحصيل مصالح أخرى مهمّة.

والثاني: كفاية العاطل عن العمل إلى أن يجد عملا، وذلك لأنّ الإنفاق عليهم-عند عدم القدرة على إيجاد فرص عمل لهم-يعدّ تخفيفًا للضرر الناجم عن البطالة.[٢١]

---

[٢٠] توفيق الفكيكي، الراعي والرعية، دار الغدير، قم، إيران، ١٤٢٩هـ، ص٣٤٩.

[٢١] د. خالد الماجد، التصرف في المال العام حدود السلطة في حق الأمة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣م، ص١١٣.

ثالثًا-النّقابات المهنيّة والرّقابة على النشاطات الاقتصاديّة في الإسلام:

إنّ الأساس الذي كانت تقوم عليه المؤسّسات الاجتماعيّة في المدينة، هو النقابات المهنيّة، أو ما كان يُعرف في الدولة العثمانيّة بـــ"الطائفة" ، والتي تهدف إلى خلق روح التعاون والتآلف ما بين الأعضاء.

عملت تلك النقابات على خلق لون من التأمين الاجتماعيّ، وتعزيز العلاقة الوديّة بين الأعضاء وزيادة الإشراف على المنتوجات، والحيلولة دون هبوط نوعيّة الإنتاج، أو الاضطراب في الأسواق.

وفقًا لما سبق، كانت الحكومة المركزيّة تسعى دائما إلى الإشراف على تلك النقابات، وتعتقد أنّ وجودها يضمن حفظ الانتظام والانضباط في المجتمع ويحول، إلى حدٍّ كبير، دون ظهور الفوضى وحالات التمرُّد في المدن. لذلك، كانت تحاول التأثير على زعماء النقابات وشيوخها. وكانت وظيفة شيخ النقابة (الطائفة) الذي يدعى بال (كهيا) تنظيم العلاقة بين أعضاء النقابة والحكومة المركزية في العاصمة وولاداتها في المدن. فكانت شكاوى الأعضاء ترفع إلى ال"كهيا" الذي كان ملزمًا بدراستها. ومع ذلك، كان شيخ الطائفة يفتقد إلى أي سلطة تنفيذية وبوسعه فقط إنهاء المشاكل عن طريق الحوار مع طرفي الدعوى واستحصال رضاهما.[٢٢]

إلى ذلك، تصنّف الحرف إلى صنفين: الصنف الأول؛ حرف شريفة ، والصنف الثاني: حرف دنيئة. وقد ذكر الفقهاء اعتبارهم الحرف المحرمة مثل احتراف الزنا وبيع الخمر ونحو ذلك، حرفا دنيئة. وتحدد الحرف الدنيئة بالعرف. وقد فاضل الفقهاء بين الحرف الشريفة لاعتبارات ذكروها، فاتفقوا على أنّ أشرف الحرف العلم وما آل إليه، مثل القضاء والحكم ونحو ذلك، حيث ذكر بعضهم على أنّ المُدرّس كفء لبنت الأمير.

في هذا الإطار، تقوم الدولة بوظيفة الرقابة على النشاطات الاقتصادية التي يقوم بها الأفراد؛ ضمانا لتطبيق القواعد التي أرستها الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات والنشاطات الاقتصاديّة، حتى تكون موافقة لمقاصد الشرع، بعيدة عن التلاعب والغش والتطفيف، وإلحاق الأذى بالناس، وتحول دون تعامل الناس بالربا، أو السيطرة على الأرض من دون إحياء.

[22]The Encyclopedia of Islam,2nd edition,1979,S.V."Anadolu,III Historical Geography of Turkish Anatolia", Bf. Teaschner.

أُنيطت تلك الوظيفة بوالي الحسبة[٢٣]، ومن اختصاصاته في ما يتصل بالناحية الاقتصاديّة: مراقبة الأسواق لمنع تطفيف المكيال والميزان، ومنع الغش في الصناعات والبيوع، ومنع العقود المحرّمة كالربا والميسر والغرر والغبن، ومنع الاحتكار، وإلزام المحتكرين بالبيع جبرًا، ومنع الصناعات المحرّمة، وتنظيم السوق التجاريّة ،وأمر الصناع بإتقان الصنعة.[٢٤]

في هذا الإطار، أورد المؤرّخون ما كان يقوم به الإمام علي (عليه السّلام) إبّان خلافته من أنّه كان يمشي في الأسواق، وبيده درَّة يضرب بها من وجد من مطفف، أو شاش في تجارة المسلمين.

قال الأصبغ: قلت له يومًا: أنا أكفيك هذا يا أمير المؤمنين، واجلس في بيتك. قال: ما نصحتني يا أصبغ.[٢٥]

المبحث الثاني: الاستثمار، التنمية، تنظيم الأراضي، وأسباب تحريم الربا والاحتكار في الإسلام

أوّلًا-مفهوم الاستثمار وضوابطه في الإسلام:

-**مفهوم الاستثمار:** إنّ الاستثمار وفقًا للمفهوم الإسلاميّ ،يعني تكثير المال وتنميته بكل الطرق المشروعة. فالنشاط الاستثماريّ في الإسلام يُمثّل نشاطًا إيجابيًّا يهدف إلى توظيف الموارد المتاحة في ضوء الأُسس والقواعد الشرعيّة والاقتصاديّة الإسلاميّة ،وذلك من أجل المحافظة على المال وتنميته.

ضوابط الاستثمار في الإسلام:

-التعامل في الطيبات دون المحرّمات؛ بمعنى ألّا تستثمر الأموال إلّا في ما تجيزه الشريعة الإسلاميّة ،ويدخل في دائرة الحلال ، وأن تكون كل العمليّات والإجراءات المتّبعة داخلة في دائرة الحلال. ومن هنا، فإنّ المستثمر المسلم مطالب بأن يراعي في استثماراته تجنّب ما يلي:

أ-**الأعيان المحرّمة**؛ مثل الخمور والمخدرات ،لما في ذلك من ذهاب للعقل، وإتلاف للمال، وتبديد للثروة، وتوريث للعداوة والبغضاء.

ب-**الربا**؛ ويعني في اصطلاح الفقهاء زيادة مال بلا مقابل في معارضة مال بمال.

ج-**الغرر**؛ يطلق الغرر على البيوع التي تحتوي على جهالةٍ وخداع، والتي لا يوثق بتسليمها، وتؤدي إلى الغبن، ويدخل في بيع الغرر بيع المستثمر المسلم ما ليس عنده، وبيع ما اشتراه قبل قبضه، وبيع الدين بالدين.

---

[٢٣] الحسبة في اللغة مصدر الاحتساب؛ أي طلب الأجر من الله تعالى على العمل، وفي الاصطلاح الشرعي: هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله. وهي وظيفة دينيّة ،وحقيقتها: رقابة إداريّة تقوم بها الدولة عن طريق موظفين خاصين على نشاط الأفراد في مجال الأخلاق والدين والاقتصاد.

[٢٤] د. إبراهيم الشهاوي، الحسبة في الإسلام، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٨٢.

[٢٥] القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م، ج٢، ص٥٣٨.

د-الاحتكار؛ ويعني شراء السلعة وحبسها عن الناس حتى يرتفع ثمنها ثم بيعها. وقد حرّم الإسلام الاحتكار لما فيه من الجشع والطمع، وسوء الخلق، والتضييق على الناس.

ه-تحريم الغش والتدليس والخديعة؛ لقول النبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم): "مَن غشّنا فليس منّا".

الالتزامات بالأولويات الإسلاميّة:

يربط الإسلام التنمية الاقتصاديّة بالتنمية الاجتماعيّة. لذا، أوجب على المستثمر المسلم أن يراعي احتياجات المجتمع وأولوياته في استثماراته. وعليه، بتنويع مجالات الاستثمار لسدّ الحاجات المقرّرة للمجتمع؛ بمعنى ضرورة أن يتمّ العمل على توفير كل ما يحتاجه المجتمع من صناعة وزراعة وتجارة وخدمات حتى يكتفي المجتمع، ويستغني عن غيره.

المحافظة على المال وتنميته:

أوجب الإسلام ضرورة استثمار المال والمحافظة عليه، ويسّر السبيل أمام المستثمر المسلم لتحقيق ذلك عند توجيه أمواله للاستثمار، وذلك من خلال مراعاة ما يلي:

أ-اتباع أرشد السبل في الاستثمار؛ فتعاليم الإسلام تفرض على المستثمر المسلم عند مباشرة أعماله أن يتقن هذا العمل ويحسنه لقوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): "إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه". لذا، على المستثمر أن يبتكر كل أسلوب جديد يؤدّي إلى الإتقان.

ب-تجنّب السفه، واستخدام السفهاء لاستثمار الأموال؛ لقول الله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾[٢٦].

-الغنم بالغرم؛ تعدّ قاعدة "الغنم بالغرم" ،و"الخراج بالضمان" من أهم الضوابط الاستثماريّة، فمن يتحمل مخاطر استخدام المال يحصل على منافعه، أو عوائد استثماره. فلا يصح أن يضمن إنسان لنفسه مغنمًا ويلقي المغرم على عاتق غيره، فبقدر ما يغنمه صاحب المال من أرباح في وقت الرواج واليسر، بقدر ما يجب أن يتحمّل من خسائر في أوقات الكساد والعسر.[٢٧]

ثانيًا-رؤية الإسلام إلى الإنتاج والاستهلاك:

-الضوابط الشرعيَّة على مستوى الإنتاج:

---

[٢٦] الآية ٥، النساء/٤.

[٢٧] د. أشرف دوابه، صناديق الاستثمار في البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص١٣٩؛ ود. أشرف دوابه، دراسات في الاقتصاد الإسلامي، دار السلام القاهرة، ٢٠١٠م، ص٢٤٢.

يُمثّل الإنتاج في المنظور الإسلاميّ أهميّة متعدّدة الجوانب، مُتشعّبة الأبعاد، فهو من جهة أولى أداة الاستهلاك، ومن ثمّ البقاء والنموّ، وهو من جهة ثانية، أداة التكوين والتنمية الفكريّة، وهو من جهة ثالثة مقدّمة ضروريّة لطاعة الله تعالى وعبادته. وبيان ذلك أنّ الإنتاج أساس الاستهلاك، والاستهلاك أمر ضروريّ في حياة الإنسان.

أ-ضابط الحلال والحرام: من مُقتضيات ذلك وجوب استثمار المال في نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار على نحوٍ يفي بحاجات الفرد والمجتمع، وبغير عدوان على مصلحة الجماعة، وذلك بأن يتبع أرشد السّبُل للاستثمار، ووجوب تحقيق التوازن في التوجيهات الاستثمارية. ولما كنت السياسة المالية الإسلامية جزءًا من نظام كلّيّ متكامل هو الشريعة الإسلامية .فكان لا بدّ أن يكون من الضوابط الحاكمة لها هو ضابط الحلال والحرام كونه قيدًا عامًّا في الشريعة الإسلاميّة.

ومنْ ثمَّ، ما كان من السلع والخدمات حرامًا فإنّ طاقات المجتمع وموارده ينبغي أن تصان عن أن تهدر في إنتاجه. ولذلك، يحرم على القائمين على أمور السياسة المالية الإسلامية أن يوجهوا حصيلتها لتمويل أي نشاط غير مشروع مثل: إنتاج الخمور، وإقامة الملاهي، وغيرها من الأنشطة غير المشروعة.

ب-ضابط أولويات الإنتاج وأثره: لم تجعل الشريعة كل المباحات في درجةٍ واحدة، وإنما وضعت ترتيبها في مستويات ثلاثة:

-**السلع والخدمات الضروريّة:** وهي التي إذا فقدت ؛أي أنها إذا لم توجد لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ولا قيام للحياة من دونها. ومجموع الضروريات خمسة وهي حفظ الدين والنفس، والنسل، والمال، والعقل.

-**السلع والخدمات الحاجيّة:** وبغيابها يكون في الحياة حرج ومشقّة.

-**السلع والخدمات الكماليّة :** وهي التي إذا وجدت تزيد من فرص استمتاع الإنسان بالحياة وتجعلها هنيئة.

من خلال ما سبق، يتعيّن أن تبدأ السياسة الماليّة الإسلامية بتمويل كل مشروع إنتاجيّ ينتج السلع والخدمات الضروريّة، وبعد تمام الوفاء به تنتقل إلى إشباع الحاجيات ثمّ التحسينات.[٢٨]

قد احتوت العديد من التشريعات العامة في الإسلام على توجيه الإنتاج نحو توفير أهم الحاجات الحيويّة وهي ضمان الأمن الغذائي. ومن ذلك الحث على الإطعام؛ إذ حثّ الإسلام على مسألة الإطعام حثًّا كبيرًا، سواء الإطعام الواجب، أو الإطعام المستحب، وقال جلَّ وعلا في ذمّ قوم ﴿ولا تحاضّون على طعام

[٢٨] محمد أبو زهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٣٧٦.

المسكين﴾[٢٩]؛ إذ عدّ الطعام طعامه ربما لخطورة هذه الحاجة للمخلوق. وقد ورد الحثّ الشديد على الإطعام بصورةٍ عامة، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم):" خيركم من أطعم الطعام". وفي سياق تلك النصوص ورد استحباب الإطعام، ومنها الإيلام في حال العرس، وفي الختان، ويرى بعض الفقهاء أنّ التضحية يوم عيد الأضحى مستحبّة على جميع المسلمين. إلى جانب أنّ بعض الكفارات الواجبة على الترتيب تبدأ بالإطعام، أو الكسوة، أو تحرير رقبة، ومن بعد ذلك، يأتي الخيار الآخر وهو الصيام ثلاثة أيام.[٣٠]

-الضوابط الشرعيّة على مستوى الاستهلاك:

ينظر الإسلام إلى الاستهلاك على أنه أمر فطريّ ودينيّ لما يتوقّف عليه من مطلوبات دينيّة ، ويترتب على ذلك أنّ الإهمال في الاستهلاك أمر مذموم إسلاميًّا. فإذا قصّر الفرد فيه مع توفر المقدرة الفعليّة فهو ملوم، ويوسم بسمة البخل والتقتير، وغل اليد.

-ضابط الحلال والحرام: لا يتصور أن توجّه السياسة المالية الإسلاميّة حصيلتها لتوفير السلع الاستهلاكية المحرمة؛ لأنّ الأساس العقائدي للسياسة الماليّة الإسلاميّة يمنع عليها ذلك. وبذلك، يتوفر ما كان ينفق على السلع المحرمة ويوجه للإنفاق على السلع المباحة شرعًا، ومن شأن ذلك تهيئة الإشباع المتزايد لحاجات أفراد المجتمع.

-الصدق في الإعلان: لما كان الصدق صفة لصيقة بالمسلم فينبغي أن تلازمه في كل تصرُّف، وكان ذلك أوجب في إعلانه عن سلعته ،فعليه أن يتحرّى الصدق في الإعلان؛ بحيث لا يذكر إلا الخصائص الحقيقيّة للسلعة، ويُبيّن كذلك مزاياها وعيوبها، مصداقًا لقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم):" من غشّنا فليس منّا". ويترتّب على صدق الإعلانات في المجتمع المسلم، أنّ ذلك لن يؤدي إلى إغراء الناس بصفات قد لا توجد في السلعة ؛ ما يؤدّي إلى زيادة الاستهلاك، وسيقف الاستهلاك عند الحدود التي تسوغها حاجات الناس فعلًا.[٣١]

---

[٢٩] الآية ١٨، الفجر/ ٨٩.

[٣٠] د. عباس شهاب، إستراتيجيات التنمية الاقتصادية في الفكر الإسلامي، دار الولاء، بيروت، ٢٠١٢م، ص٢٨١.

[٣١] رمضان عبيد، الثقافة وآثارها على التنمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣م،ص ٢٤٦.

ثالثًا-حدود حريّة الاستهلاك على المستوى الحكومي:

-عدم السماح بالإسراف والتبذير في مؤونة الدولة؛ لقد حرص الإسلام على المطالبة بتوخّي أقصى درجات الدقّة والاقتصاد في الإنفاق الحكومي؛ كَون أموال الدولة أمانة ووديعة بيد القائمين عليها للقيام بإنفاقها في الموارد التي أوصت الشريعة بإنفاقها فيها، وهذا ما يُلاحظ في وصية الإمام علي لعمّاله: "ادقوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عنّي فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والإكثار، فإنّ أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار". فهو يأمر بالاقتصاد في القرطاس والقلم والإيجاز في المعاني والألفاظ، وهو ما يعبّر عن أقصى درجات الانضباط في الإنفاق الحكوميّ.

-عدم السماح بإنفاق الأموال العامّة في غير مواردها المعيّنة؛ إذ إنّ الأموال العامة لها مصارفها المحدّدة فلا يُسمح والحال هذه بإنفاقها في الموارد التي لا ترتبط بتلك المصارف، فيستلزم أمرها توخّي أقصى درجات الحذر فيها، كما جاء في كتاب الإمام عليّ(عليه السّلام) إلى أحد عماله" وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تفتات في رعيّة، ولا تخاطر إلّا بوثيقة ، وفي يديك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانة حتى تسلمه إليّ". وعلى هذا الأساس، يكون صرف أموال الدولة في غير الموارد المرخّص فيها يكون بحكم الغصب، ويوجب الضمان.[٣٢]

رابعًا-التنمية في الإسلام:

ينظر الإسلام إلى التنمية نظرةً شموليّة ،تجمع بين تطوير كلٍّ من الأرض والإنسان، والموارد الطبيعيّة والبشريّة. والإنسان، من منظور الإسلام، محور التنمية، ومركز الجهد التنموي. فالتنمية له وبه، فهو مأمور بعمارة الأرض؛ ليكون ذلك سببًا لمعيشته. وترسّخ قواعد الإسلام قيم العمل والإنتاج، وتطلب من المسلمين أن يكونوا متقنين لعملهم، مُثابرين عليه.[٣٣]

تُعدُّ التّنمية المُستدامة في المنظور الإسلاميّ عمليّة متعدّدة الأبعاد، تعمل على تحقيق التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبُعد البيئي، وتهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشريّة القائمة عليها من منظور إسلاميّ.

---

[٣٢] عبد الكريم بحراوي، الحريّة الاقتصاديّة ضوابطها وحدودها في الفقه الإسلامي، جامعة المصطفى العالميّة، إيران، ١٤٣٣هـ، ص٣٢٩.

[٣٣] د. محمد حسن دخيل، إشكاليات التنمية الاقتصادية المتوازنة دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٣٥.

يؤكّد هذا المنظور أنّ الإنسان مستخلف في الأرض، له حق الانتفاع بمواردها دون حقّ ملكيّتها، ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن والسّنّة النبويّة الشريفة، على أن يراعي في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر، دون إهدار حق الأجيال اللاحقة، ووصولاً إلى الارتقاء بالجوانب الكميّة والنوعيّة للإنسان.[٣٤]

إنّ التنمية من منظور إسلاميّ تعني: عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن، وبشكلٍ مستمر وشامل لقدرات الإنسان ومهاراته الماديّة والمعنويّة، تحقيقًا لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض ،برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليميّ وتكامل دوليّ، بعيدًا عن أيّ نوع من أنواع التبعيّة.[٣٥]

لذلك، يُعدّ المنهج الإسلاميّ للتنمية الاقتصاديّة أكثر شمولًا وتوازنًا ؛لأنّ غاية التنمية الإسلام نفسه. وهي شاملة ؛لأنها تتضمن توفير الحاجات البشريّة كلها، ومتوازنة ؛ لأنها لا تستهدف الكفاية فحسب؛ مثل زيادة الإنتاج، بل تستهدف تحقيق العدالة وعدالة التوزيع.[٣٦]

في الوقت الذي يؤمن فيه الإسلام بدور العلم والإدارة ،والعمل، وتنظيم السوق، والركون إلى أنموذج استهلاكيّ سليم ومعافى، ودور الدولة في التخطيط الهادف الصحيح، بوصفها عناصر ستة تؤلف أركان التنمية الاقتصادية. وفي الحال الذي يرى أنه من الضروري بذل الجهود لرفع معدل النموّ في الداخل القومي الإجمالي، والارتقاء بمستوى تقنية الإنتاج، وفي الوقت الذي يتوفّر على برنامج لخفض معدّل الفقر، وتعديل ميزان الثروة في المجتمع؛ تراه يؤمن أيضًا بأثر المعتقدات الدينيّة الصحيحة والأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة في التنمية الاقتصاديّة.

من هنا، فإنّ القرآن الكريم يؤكد أنّ الإيمان إذا ما توطّن في المجتمع، وترسّخت قواعده فيه، فإنّ البركات تهطل على الإنسان، وتتفجر الأرض بالعطاء، فيعيش المجتمع الإنسانيّ حالة من الرفاه والانتعاش الاقتصاديّ. وقد أُثِر في النصوص الإسلاميّة بالحديث عن الدور الإيجابيّ الذي تسهم فيه الخصال الحميدة، أو عوامل مثل: الاستغفار، والصلاة، والحج، والدعاء، في تحقيق التنمية الاقتصاديّة. لذلك، يُلحظ أنّ الإسلام ينظر إلى الرفاه الاقتصاديّ بوصفه عاملا معينًا للتقوى، وعنصرًا يستلزم تضاعف الأجر المعنويّ، كما يتحوّل في الرؤية ذاتها إلى أرضيّة تترعرع في أجوائها القيم الإنسانيّة الرفيعة.[٣٧]

---

[٣٤] منظمة الإيسيسكو ،العالم الإسلاميّ وتحدّيات التنمية المستدامة.

[٣٥] عمر حسنة، التعليم وإشكالية التنمية، وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعيّة، قطر، ٢٠٠٤م، ص٦٨.

[٣٦] فؤاد شندي، التنمية الاقتصادية في الإسلام، الأندلس للإعلام، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٦٣.

[٣٧] محمد الريشهري، التنمية الاقتصادية، في الكتاب والسنة، دار الحديث، قم، إيران، ١٤٢٨هـ، ص٤٣.

إنّ التنمية الروحيّة، وهي من أنواع التنمية في الإسلام؛ لأنها عملية تغيير نفسي، وتطوير ذاتيّ؛ بتجذير الخصال الحميدة، والحث على رعايتها، ومواصلة تنميتها عبر الاتصاف الدائم بها، وعدم إهمال الحاصل منها.[٣٨]

خامسًا-تحريم الاحتكار والربا:

يهدف الإسلام من تحريم بعض الأنشطة الاقتصاديّة مثل: الربا، والاحتكار، والإسراف، والتبذير إلى تحقيق الأمور الآتية:

-تكوين العلاقة الاقتصادية بين الناس، على أساس التكافل، والرأفة، والتعاطف، والصدق، والعدل.

-حثّ الناس على السعي والعمل من أجل اكتساب الرزق، بدل الحصول عليه دون جهد.

-سدّ الطّرُق التي تؤدّي إلى تراكم الثروة بيد فئة خاصّة وذلك لأنّ الطّرُق المشروعة لا تؤدّي غالبًا إلّا إلى ربح معتدل منطقي، أما الأرباح الخياليّة فإنها لا تحصل في الغالب إلّا عن طريق الأنشطة الممنوعة.[٣٩]

حرّم الإسلام الاحتكار بسبب إضراره بمصالح الناس عندما تُحبس سلعة يحتاج إليها المسلمون حتى وقت الحاجة الشديدة إليها وخلوّ السوق منها. وهنا، لا يكون الثمن متعادلا مع قيمة السلعة المحتكرة، وهذا ما يجعل الاحتكار يقوم على الاضطرار من جانب المشتري فيفتقد شرط الرضا في التجارة. وقد وُضِعت شروط عدّة من قبل الفقه الإسلاميّ حتى يتحقق الاحتكار ومنها:

-أن يكون الشيء المحتكر فائضًا عن حاجة الشخص وحاجة من يمونهم سنة كاملة؛ لأنه يجوز للإنسان أن يدّخر حاجة أهله إن تسنّى له ذلك.

-أن يكون المحتكر ينتظر فرصة لارتفاع ثمن السلع حتى يبيعها بأثمان فاحشة حين تشتدّ حاجة الناس إليها. وهنا، يجد الغني سبيلا إلى شرائها وسدّ حاجته منها ولا يجدها الفقير أو غير الميسور.

-أن يكون الاحتكار في وقت احتياج الناس إلى الشيء المحتكر، فلو كان الشيء ، أو السلع في أيدي عدد من التجار، ولكن لا يوجد ضيق عند الناس، فلا يُعدّ ذلك احتكارًا؛ لأنّ السبب في المنع هو رفع الضرر عن الناس.[٤٠]

---

[٣٨] محمد صادق الخرسان، الرسول الأعظم والتنمية البشريّة، دار البذرة، النجف، ٢٠١٤م، ص٧٠.

[٣٩] عبد الكريم فتحي أحمد، النظام الاقتصادي في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٨٠.

[٤٠] محمد أبو زهرة، محاضرات في المجتمع الإسلامي، معهد الدراسات الإسلامية، ص٦٢، نقلا عن د. نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، ص٢١٠.

من جهة أخرى، هناك جملة من الأسباب دفعت المشرّع الإسلاميّ لتحريم الربا منها:

-**الأسباب الأخلاقيّة والإنسانيّة:** إنّ المال أداة لخدمة الإنسان . لذا، فلا يجوز أن تتحول هذه الوسيلة إلى مصدر توليد المال. ولعلّ حكمة تحريم الربا جاءت لكي لا تنقلب المعادلة الأخلاقيّة، فيصير الإنسان وسيلة لخدمة غاية صمّاء عقيمة هي المال.

-**الأسباب الاجتماعيّة:** إنّ تحميل القرض فائدة يؤدّي إلى الاحتراب بين أفراد المجتمع، وإلى عدّ المال هدفاً لذاته في حين أنّ المال ما هو إلا رمز وليس قوّة لتوليد الثروة. فعندما يحصل المرابي على ربح، أو فائدة فإنّ ذلك يعني أنّ المال استخدم الإنسان ليكون وسيلةً للربح.

-**الأسباب الاقتصاديّة:** إنّ الرّبا يضرّ بالمقترضين من ذوي الحاجة من الأفراد، ويُشكّل عبئًا ثقيلا عليهم ينهك أوضاعهم الاقتصاديّة والمعيشيّة كما أنه يزيد من تكاليف الإنتاج في ما يتّصل بالمقترضين من المنتجين. فيؤدي بذلك إلى ارتفاع أسعار منتجاتهم ما يضرّ بالمستهلكين، ويمثّل كلفة على الحكومة عند اقتراضها من أيّ جهة كانت، فتضطر إلى زيادة الضرائب لتسديد الفوائد على ديونها فتتزايد بذلك الأعباء الماليّة.[٤١]

الخاتمة:

يُؤكّد القرآن الكريم أنّ الرّفاه الاقتصاديّ يستند إلى الدّور الإيجابيّ للأفراد عبر تبنّي الخصال الحميدة، والقيام بأعمال البرّ والخير، والتقرُّب من الله تعالى، والالتزام بأوامر السّماء.

نظرت الشريعة الإسلاميّة إلى الاقتصاد بوصفه ركيزةً أساسيّةً لتطوُّر المجتمعات، وإعمار الأرض، وسعادة الفرد.

في الإسلام، جملة من الضّوابط بشأن تحفيز العمل، وزيادة الإنتاج، وقد كفلت الشريعة للفرد حُريّة التصرُّف في ما يملك. وفي المقابل، حرّمت السّرقة ،والاحتكار، والرّبا، وكلّ ما يُعطّل دورة الحياة، وعجلة التقدُّم، ومسيرة المجتمع.

لقد راعى الإسلام الأمور الماليّة والاقتصاديّة، واعتمد منهجًا معتدلًا وسطًا يُوازن بين حاجات الفرد والمجتمع، ويُلبّي ضرورات الحياة ومُستقبل الأُمّة والدّولة.

[٤١] عبد الله السامرائي، حوار في الاقتصاد بين الإسلام والماركسيّة والرأسماليّة، المؤسّسة العراقيّة، بغداد، ص٩٥.

ثبت المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-د. إبراهيم الشهاوي، الحسبة في الإسلام، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٢م.

-د. أشرف دوابه، دراسات في الاقتصاد الإسلامي، دار السلام القاهرة، ٢٠١٠م.

- صناديق الاستثمار في البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٥م.

-توفيق الفكيكي، الراعي والرعية، دار الغدير، قم، إيران، ١٤٢٩هـ.

-الجاحظ، رسالة في مدح التجارة وذمّ عمل السلطان ، ضمن مجموعة الفصول المختارة، اختيار عبيد الله بن حسان، والمطبوعة في هامش كتاب الكامل في اللغة والأدب للمبرد، مصر، ط١٣٢٤.

-د. خالد الماجد، التصرف في المال العام حدود السلطة في حق الأمة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣م.

-الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار الصحوة، مصر، دون تاريخ.

-رمضان عبيد، الثقافة وآثارها على التنمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣م.

-د.صالح أحمد العلي، دولة الرسول في المدينة دراسة في تكوينها وتنظيمها، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩م.

-طه عبيد، الحضارة العربيّة الإسلاميّة ، دار الكتب العلميّة ،بيروت، ٢٠١٢م.

-د. عبد الباقي زيدان، العمل والعمال والمهن في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٧م.

-د.عبد الغني بسيوني عبد الله، النظم السياسية والقانون الدستوري، منشأة المعارف، الإسكندريّة، ١٩٩٧م.

-د. عثمان غزال، آليات حماية حقوق الإنسان بين النظرية والتطبيق، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٥م.

-د. فتحي عثمان، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلاميّة والفكر القانوني الغربي، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م.

-فؤاد شندي، التنمية الاقتصادية في الإسلام، الأندلس للإعلام، القاهرة، ١٩٨٧م.

-محمد الشيرازي، الزرع والزراعة، مؤسّسة الفكر الإسلاميّ، بيروت، ٢٠١١م.

-محمد هادي الخرسان، العمل في الإسلام ودوره في التنمية الاقتصاديّة، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٢م.

-د. محمد كاظم مكي، النظم الإسلاميّة، دار الزهراء، بيروت، ١٩٩١م.

-د. محمد بحر العلوم، آفاق حضاريّة للنظريّة السياسيّة في الإسلام، دار الزهراء، بيروت، ٢٠٠٣م.

-محمد أبو زهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧م.

-د. عباس شهاب، إستراتيجيات التنمية الاقتصادية في الفكر الإسلامي، دار الولاء، بيروت، ٢٠١٢م.

-عبد الكريم بحراوي، الحريّة الاقتصاديّة ضوابطها وحدودها في الفقه الإسلامي، جامعة المصطفى العالميّة، إيران، ١٤٣٣هـ.

-عبد الله السامرائي، حوار في الاقتصاد بين الإسلام والماركسيّة والرأسماليّة، المؤسسة العراقيّة، بغداد، دون تاريخ.

-عمر حسنة، التعليم وإشكالية التنمية، وزارة الأوقاف والشؤون الاجتماعيَّة، قطر، ٢٠٠٤م.

-القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.

-د. محمد حسن دخيل، إشكاليات التنمية الاقتصادية المتوازنة دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت، ٢٠٠٩م.

-منظمة الإيسيسكو ، العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة.

-محمد الريشهري، التنمية الاقتصادية، في الكتاب والسنة، دار الحديث، قم، إيران، ١٤٢٨هـ.

-محمد صادق الخرسان، الرسول الأعظم والتنمية البشريّة، دار البذرة، النجف، ٢٠١٤م.

-محمد أبو زهرة، محاضرات في المجتمع الإسلامي، معهد الدراسات الإسلامية،

-د. نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دراسة في علم الاجتماع الإسلاميّ، دار الشروق، جدّة، ١٩٩٨م.

-د. يوسف القرضاوي، في فقه الأولويّات، مؤسّسة الرسالة ، بيروت، ٢٠١٣م.

-The Encyclopedia of Islam,2nd edition,1979,S.V."Anadolu,III Historical Geography of Turkish Anatolia", Bf. Teschner.

الْقِيَمُ الْأَخْلاقِيَّةُ فِي شِعْرِ ابْنِ الْفارِضِ
دِراسَةٌ بَلاغِيَّةٌ أُسْلوبِيَّةٌ

أ.د. عقيد خالد العزاوي
الجامعة المستنصرية – مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

المقدمة:

لا تَخفى عَنِ الوجدان صورة العابد المُتصوِّف؛ إذ تُحيطه الحضرة الإلهية؛ حين نسمع أو نقرأ عن الصوفية، فهي حالة تتخذُ من كل أسباب العيشِ وسيلةً للقربِ من الله – تعالى–، وأكثر من ذلك العشق الإلهي، الذي تنغمسُ فيه الروح وتتحد مع أسرار الوجود، متعمِّقةً في سر إلهي عظيم.

وقد ظهرَ للصوفية أعلامٌ يُعلون من قيمة الروح، ويُمجِّدون اتحادها مع سرِّ الله الأعظم، ويختارون شأن الروح وسيلةً للقرب من محبة العالم الإلهي، كابن عربي، وابن الفارض، ورابعة العدوية، وغيرهم، وسنحاول في هذا البحث – إنْ شاء الله– الوقوفَ عند نوعٍ من المضامين المهمة التي كان يعمد لها شعراء المتصوفة في قصائدهم، متوسِّمين بقراءة بلاغية أسلوبية لشعر سُلطان العاشقين ابن الفارض.

وقبل أن نبين ذلك، نُعرجُ أولًا على مفهوم التَّصوُّفِ، ونَترجم لحياة سلطان العاشقين ابنِ الفارض.

أوَّلًا: مفهوم التَّصوُّف.

ورد في أساس البلاغة للزمخشري في بيان معنى (صَوَفَ)، يقال: صَوَفَ فلان؛ أي لبس الصوف والقطن، ويقال: نعجةٌ صافة وصوفانية: كثيرة الصوف[1]".

وقد وقف عدد من الباحثين والدارسين عند بيان سبب التسمية، فقيل: " إنَّ الصوفية ينتسبون إلى الصفاء، وأنهم صوفية لصفاء أسرارهم، وشرح صدورهم، وضياء قلوبهم، وهذا يرجع إلى حال الصوفية، وليس إلى الاشتقاق اللُّغوي[2]".

ومن الدارسين من قال: " إنها تنسب إلى أهل الصفة الذين نزلوا في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فهم الرعيل الأول من رجال التصوف، فقد كانت حياتهم التعبيرية الخالصة المثلَ الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف، وكانوا من شدة عفافهم وغيرتهم وغيرتهم يجعلون الصوف لباسهم، وأنها مشتقة من

(1) أساس البلاغة، الزمخشري، ص٢٥٦.
(2) الرسالة القشيرية، القشيرين ص١٢٧.

الصف الأول؛ لأنَّ الصوفية يقفون فيه أمام الله – جل وعلا– لارتفاع همومهم إليه وتقربهم إليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه[٣]".

"وورد لفظ الصوفي لقبًا مفردًا لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، إذ نعت به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء، شيعيًّا من أهل الكوفةِ، له في الزهد مذهبٌ خاصٌ[٤]".

وقد أخذ هذا المصطلح بالانتشار، والتوسع، ويكاد يتخذ منحًى مطردًا؛ حيث " وجد في الأديان كلها تقريبًا عدا الوثنية، ففي البراهيمية مثلًا نجدُ أنَّ أعلى درجات الكهنوت هي درجة النسك، التي لا بد أنْ يهيم فيها المتعبِّدُ على وجهه في الغابات شريدًا طريدًا، يقتات بالعشب وما إليه، حتى إذا ما جاز هذه المرحلة بنجاح سُمِّيَ فقيرًا، وخرج من إنسانيته وَصَفَتْ روحُه، وجاءت البوذية فأيدت ذلك بذكر أنَّ الاندماج في النفس الأولى – أي الذات العلية– يجب له إنكار الذات والتأمل والزهد في الدنيا، وظهرت في المسيحية مذاهب في التصوف كثيرة، على أيدي رهبان الأديرة المختلفة، فمنهم من جعلها انقطاعًا للعبادة، ومنهم من أشرك فيها بعض الأعمال الدنيوية، ولما ظهر الإسلام ظهرت فيه طرائق في التصوف مختلفة، ما يزال بعضها قائمًا بين ظهرانينا... وكانت جميعها تتفق في الغاية، وهي الوصول[٥]".

وقد عدَّ ابن خلدون التصوف علمًا من علوم الشريعة، فقال: " هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أنَّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، وخاصة الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف[٦]".

إذن يُعدُّ التَّصوُّف أسلوب انقطاع للعالم الروحي، ذلك العالم الذي تتجلى فيه نوازع العشق الإلهي، وفيه نصفو سرائر النفس الإنسانية في الحضرة العلية، وهو مذهب يشفُّ عن اتصال دائمٍ بالله، وما ينتج عن هذا الاتصالِ من إلهامٍ.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلابادي، ص٢٨ وص٢٩.
(٤) التصوف، ماسينيون ومصطفى عبد الرازق، ص٢٦.
(٥) التصوف والمتصوفة، عبد الله حسين، ص١٥.
(٦) مقدمة ابن خلدون، تحقيق وتقديم: عبد السلام الشذاذي، ص ٤٩.

ثانيًا: التعريف بابن الفارض.

ترجمَ ابن خلكان في وفيات الأعيان لحياة ابن الفارض، فقال: " أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، المنعوت بالشرف، له ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الفقراء، وله قصيدة مقدار ستمائة بيت[٧]".

أمّا عن صفاته فقيل: " كان جميل الأخلاق، حسن المعاشرة، كثير التواضع، كثير المروءة، مولدُه آخر الرابع من ذي القعدة، سنة (ست وسبعين وخمسمائة) بالقاهرة، وتوفي بها في الثاني من جمادى الأولى سنة (اثنتين وثلاثين وستمائة)[٨] ".

" وقد عاش ابن الفارض في عصر الأيوبيين، وعاصر الأحداث المجيدة التي حققها آل أيوب، وقد ترعرع في أيام صعود القائد البطل الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى ذروة مجده، وعاش في ظل الملك الكامل في مصر، وتوفي قبل سقوط الدولة الأيوبية على أيدي المماليك بعدةِ سنين[٩]".

وترجمَ له أيضًا ابنُ حجر العسقلاني، غير أنه لم يكن كسابقيه، فقد ذكر معايب – كما رآها– له، ومثالبَ حثَّ على التبيُّن منها، فقال: " ينعقُ بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة، فتدبرْ نظمَه، ولا تستعجل، ولكنك حسِّن الظنَّ بالصوفية، وما ثَمَّ إلا زِيُّ الصوفية، وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبادة فلسفة وأفاعي، فقد نصحتك والله الموعدُ[١٠]".

والذي نخلصُ إليه من ترجمة ابن الفارض أنَّه كان رمزيًّا شفيفًا في نظمه وشعره، وكان لأسلوبه طلاوة لم يؤتاها شاعرٌ، فقد امتاز بالإيماء وتعدد مسالك التأويل في نصوصه، وهذا – ربما – ما دعا ابن حجر العسقلاني للحكم عليه بما قال، والذي نراه أنَّ ابن الفارض سلطانُ عشقٍ – كما قيل– وليس فيما يقول من شعرٍ طعنٌ عليه بسبب غموضٍ أو لبس فيه؛ بل إنَّ التفتيش عن المعاني الخبيئة في شعره قمينٌ بالحُكم عليه بأنه شاعر صوفي له شخصيته الماثلة في التاريخ العربي، وروحه المحلقة في فضاءات الشعرية العربية، من هنا تأتي قيمة هذا البحث؛ حيث نسعى إلى بيان القيم الأخلاقية في شعره بالدراسة البلاغية الأسلوبية للمضامين الكامنة فيه.

---

(٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ج٣، ص٤٥٤.
(٨) تكملة الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، جمال الدين بن حامد محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني، ص٢٧٠.
(٩) عمر بن الفارض وحياته الصوفية من خلال قصيدته التائية الكبرى دراسة تحليلية بلاغية، الأب جوزيف سكاتولين، ص ٣.
(١٠) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج٦، ص ١٢٣.

ثالثًا: القيم الأخلاقية في شعر ابن الفارض.

تتردد في قصائد ابن الفارض الكثير من المضامين الشعرية التي تحملُ في جوانبها قيمًا أخلاقية، نستطيع أن نلمسها من خلال الرؤية العميقة لنصوصه، والتحليل الدقيق لها، ونقف عند بيان تلك القيم:

١- قيمة الحب

الحديث عن الحب في الشعر الصوفي بوجه عام، وفي شعر ابن الفارض بوجهٍ خاصٍّ ذو مداخل متعددة، فالصوفي ينقطع عن أي شيء في محيطه ويتصل بأسباب التعلق بالحب، وأي حب؟ إنه الحب الإلهي، ويتوسل الصوفي بمسالكَ توصله إلى هذا الحب العظيم، فقد يعمدُ إلى ذكر المرأة أو الخمر في شعره – لا كما يعمد غيره– إنما كوسيلة ورمز يعبِّرُ به عن الحب الإلهي.

إنَّ رمز المرأة والخمر في شعر المتصوفة وفكرهم ليس كالحديث عن المرأة والخمر في أشعار غيرهم، بل إن الصوفي يعمِّقُ تجربته بتوظيف تلك الرموز وباستخدامها إلى حدٍّ يجعلنا نقتنع بأنَّ للرمزِ في عُرف الصوفي ومنهجه طبيعة مغايرة في منهج أي مبدعٍ وفكره.

إنَّ الشعر الصوفي يسمحُ بأنْ يرتقي الرمز ومفهومه ارتقاءً مختلفًا عن الطبيعة المحدودة في تصوره، والصوفي إذ يختار ذلك فإنه يسمح لنفسِه بالتحرر من قيود الواقع والمألوف، ويرى في تلك القيود عالمًا ضيِّقًا لا يُسعفه بالتعبير عن مقصوده الأسمى، وهو الحب الإلهي.

إنَّ هذا الحب وسيلة يتعرف خلالها الصوفي على العالم العلوي، عالم يحقق له الرضا والاستقرار النفسي، وتتحقق لديه المعرفة القلبية " التي تتسبب عن نور إشراقي يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده، فسبيلها الشهود بعلم اليقين أو بعينه أو بحقه، وشتان بين من وقف من بعيد؛ ليصفَ بيتًا ويعدّ غرفه ويذكر منافعه ومرافقه بمجرد اللقانة والتخمين الذهني، وبين من دخل البيت وجاس خلاله وشاهد سائر نواحيه وحجراته[١١]".

وفي شعر ابن الفارض ما يدل على ذلك ويتفق معه إلى حد كبير، فالحب الإلهي غاية يسخر لها ابن الفارض دوافعه القلبية، لأجل أن يصل للحب الإلهي.

ونجد ابن الفارض يوفِّق في كثير من أبياته بين الحب والدين؛ ذلك لأن كلاً منهما وسيلة تعانق أختها للوصول إلى غاية واحدة وهي الحب الإلهي، يقول:

أوعـــــدوني أو عـــــدوني وامْطلـــــوا حُكـــم ديـــن الحـــب ديـــنُ الحـــب لَـــيْ

(١١) الأدب في التراث الصوفي، محمد عبد المنعم خفاجي، ص١٢.

فلا يرضى ابن الفارض بالمطل إلا لسبب واحد، هو حكم دين الحب، هذا الحكم الذي يُحرر المطل من سلوك غير مرغوب إلى سلوك مرغوب، من فعل غير محمود إلى فعل محمود محبوب؛ لأنه يصدر عن شرع الدين والدينُ هو الحب، والحب هو الحب الأسمى الذي يتعلق بالذات العلية.

ونجدُ ابن الفارض يعلن سلطته في العشق، لا عن غرور، إنما عن أمل أن يكون العشق الإلهي وسيلته للوصول إلى مبتغاه؛ حيث الحضرة الإلهية، يقول في إحدى قصائده:

وســـــرتُ فيـــــه ولـــــم أبـــــرحْ بدولتـــــه حتـــــى وجـــــدتُ ملـــــوكَ العشـــــق خُـــــدَّامي

ولـــــم أزل منـــــذ أخـــــذ العهـــــدِ فـــــي قِـــــدَمي لكعبـــــة الحُســـــن تجريـــــدي وإحرامـــــي

وقـــــد رمـــــاني هـــــواكم فـــــي الغـــــرام إلـــــى مقـــــامِ حُـــــبٍّ شـــــريفٍ شـــــامخٍ ســـــامي

تكشف الأبياتُ الثلاثة السَّابقة عن سريرة نفس ابن الفارض، ويتبين في تلك الأبيات علو شأن ابن الفارض، خاصة حين يسير على منهاج الحب الإلهي، رغم تعاقب الأزمنة وتداولها، فإذا به سيد، وحُق له ذلك مادام هدفه ومقصده مقام حب شريف شامخ سامي، وهو مقام الألوهية.

ولننظر إلى توظيفه للتركيب (كعبة الحسن) ويعني به " الجمال الإلهي، وجعله كعبةً باعتبار طواف قلوب العارفين حوله، ودوران أبصارهم عليه[١٢]".

ونجدُ ابن الفارض يراعي في مقام الجمال الإلهي أن يكونَ في حِلٍّ من رغباته ونزواته؛ لأنَّ ذلك ليس من طبيعة حال الواصل لله، فمن اتَّصل بالجلال الإلهي وجَماله عليه أنْ يتجرَّد من أي نزوة أو صفة نفسية، يقول الشيخ بدر الدين البوريني شارحًا ومفصِّلًا: " قوله: تجريدي، يقال: جردته من ثيابه، بالتشديد؛ نزعتها عنه، وتجرَّد هو منها، كما في المصباح، وهو التجرد عن الطبيعة الجسمانية، والأخلاق النفسانية، والفناء عن الأغيار بالكلية، وقوله: وإحرامي، يقال: أحرم الشخص؛ أي دخل في حج أو عمرة، ومعناه: أدخل نفسَه في شيءٍ حُرِّمَ عليه به ما كان حلالًا له ... وكانت أحوال النفس ومقتضيات الطبيعة حلالًا له مباحة الإتيان بها،

(١٢) شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البرويني، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، ج٢، ص ٣٥٨.

فلما دخل في طريق معرفة ربه؛ لنيل كمال قربه، وانكشف له جلية الحال، وتحقق بفنائه في ظهور ربه وكمال الاضمحلال حرن عليه ما كان له حلال، وكلف بما لم يكلف به غيره من الجهال[١٣]".

ثم يكشف ابنُ الفارض في القصيدة نفسها تحقُّق ما لم يكن في تصوره وحسبانه، ونيله أرقى مما كان يحلم به، فقال:

وكنت أحسبُ أني قد وصلت إلى ... أعلى وأغلى مقامٍ بين أقوامي

حتى بدا لي مقامٌ لم يكن أربي ... ولمْ يمرَّ بأفكاري وأوهامي

إنْ كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيّعت أيامي

فابن الفارض هنا يستحق هذا النوال؛ لأنه عرفَ كيف يكوِّن في ذاته المنظومة الأخلاقية التي تقوم على أساسٍ من الحب الإلهي، ويكون فيها كلُّ ما يتمناه أنْ يحقق الوصل بالذات الإلهية، وابن الفارض فطن إلى السبيل الذي يُسعفه على ذلك، وهو يتمثل في قوله:

وقد قدِمتُ وما قدَّمتُ لي عملًا ... إلا غرامي وأشواقي وإقدامي

فإقبال ابن الفارض بكليَّته للقاء الحضرة الربانية هو الزاد الذي يتزود به لنيل ما يحلم به، متوسِّمًا بالعشق والشوق لذلك.

٢- قيمة الوفاء

إنَّ من دعائم المنظومة الأخلاقية في منهج ابن الفارض الوفاءَ، وهو قيمة أخلاقية تجلَّت ملامحها في قصائده، واتخذت شكلين اثنين، ومسار هذين الشكلين مُؤدَّى واحد، وهو العشق الإلهي، والشكلان اللذان يحملان قيمة الوفاء هما: الوطن، والمحبوب.

- **الوفاء للوطن**

ليس الوطنُ بجغرافيته في فكر ابن الفارض، ولا بحدوده الضيقة التي تثبت هويته بجهات أربع، إنما بالساكن فيه، والمار به؛ لذا نجد في الحضور المكاني في سياق شعر ابن الفارض خاصية تختلف عن المكان في سياقات الشعر الأخرى، وهو ما يجعل شاعرنا يمتاز عن بقية الشعراء بهذه الخصيصة، يقول في إحدى قصائده:

أرجُ النسيمِ سرى من الزوراء ... سَحَرًا فأحيا مَيِّتَ الأَحياءِ

(١٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٣٥٨.

أهـــدى لنـــا أرواحُ نجـــدٍ عرفَـــهُ فـــالجوُّ فيـــه مُعَنْبَـــرُ الأرجـــاءِ
وروى أحاديـــثَ الأحبَّـــةِ مُســـندًا عـــن إذخـــرٍ بـــأذاخرٍ وَســـحاءِ
فســـكرتُ مـــن ريَّـــا حواشـــي بُـــردِه وسَـــرتْ حُميَّـــا البُـــرءِ فـــي أدوائـــي

إنَّ استحضارَ ابنِ الفارض للزوراء – وهي مدينة عراقية واسمٌ لبغداد وسميتْ بذلك؛ لأن أبوابها الداخلة وُضعت مزوَّرة عن الخارجة[١٤]– وتعليق أطيب الروائح منبعثة من أريجه سحرًا يمثلُ لوحةً فنيَّةً جماليَّة، تستدعي حياةً في موات الروح، وليست تلك الحياة إلا حياة جديدة للمحب وإضافة نوعية في الروح.

وقد أبدع شارح الديوان (النابلسي) حين شرح البيت الأول، وقال: " قوله أرج النسيمِ كناية عن انتشار ما تحمله الروح الآمري المنبعث عن توجه أمر الله – تعالى– من علوم المعارف الإلهية والحقائق الربانية، وقوله: سرى؛ أي سار في ظلمة ليل الكون الجسماني، والزوراء كناية عن الحضرة المحمدية الجامعة للكمالات كلها ظاهرًا وباطنًا، وقوله: سحرًا، كناية عن أوائل الفتح الرباني على السالكين، وقوله: فأحيا؛ يعني بالحياة الأبدية الإلهية، والأحياء جمع حي من الحياة، فهو خلاف الميت ... والمعنى: فأحيا ذلك الأرج المذكور من مات بالوصول إلى مقام الجمع وفارق الفرق، فإن مقام الجمع منزل من منازل القرب[١٥]".

أما (البوريني) فقال في شرحه للبيت نفسه: " وردتْ رائحة النسيم الطيب من المكان المقارب للمسجد الذي حل به خير النبيين وسيد المرسلين وكان وروده في وقت السحر الذي هو أطيب الأوقات فنشأ عن سُراه أنه أحيا ميتًا من المحبة معدودًا في جملة الأحياء[١٦]".

وليس اختلاف الشرحين بمثابة فرق كبير في تأويل البيت، فمؤدَّاه إلى غرضٍ واحد، وهو إثبات هوية للمكان، لا تصح دون علاقة سبب مع مَنْ هو سبب في الوصول لحضرة العشق العلية؛ أي العشق الإلهي، هكذا نجد أن المكان يمثل بؤرة تنطلق منها مسارات الشعر الصوفية التي تتعانق فيها روعة النظم مع سمو المقصد.

وفي القصيدة نفسِها يظهر المكان أيضًا وسيلةً مهمةً ورمزًا يُعضِّدُ حتمية العشق الإلهي ويبينُ أثره، يقول ابن الفارض:

يـــا ســـاكِنِي البَطحـــاءِ هَـــل مِـــن عَـــودَةٍ أحيـــا بِهـــا يـــا ســـاكِنِي البَطحَـــاءِ

(١٤) شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البروينى، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، ج٢، ص ٢٤.
(١٥) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤ و ٢٥.
(١٦) السابق، ج٢، ص ٢٤.

إن يَنقضي صَبري فليسَ بمُنقضٍ وَجدي القديمُ بكم ولا بُرَحائي

ولَئِن جَفا الوَسميُ ماحِل تربِكم فمَدامِعي تربي على الأنواءِ

وَا حَسرَتي ضاعَ الزَمانُ وَلَم أفز مِنكم أهَيل مَوَدَتي بِلِقاءِ

وَمَتى يُؤمِل راحَة مَن عُمرُهُ يَومانِ يَومُ قِلىً ويَومُ تنائي

وحَيَاتِكم يا أهل مَكة وهيَ لي قسَمٌ لقد كلِفت بِكم أحشائي

حُبيكمُ في الناسِ أضحى مَذهَبي وهواكمُ دينيي وعقدُ ولائي

الأبياتُ السابقة زاخرة بمعاني العشق الإلهي، أسلوبًا ومعنًى، ولعلَّ أول ما يلفت انتباهنا التكرارُ في البيت الأول، وفيه رد العجز على الصدر، في عبارة (يا ساكني البطحاء)، ولهذا التكرار حلاوته التي توحي بالتعلق بساكني البطحاء، وَمَنْ ساكنو البطحاءِ إلا أولو مكرمةٍ بهم تتصل الروح بأسباب العشق الإلهي، وما أجمل قوله في البيت الثالث حين يتخذ من الدمع وسيلةً تُحيي ماحلَ الروح، ولعله يقصد الجفا، ويأمل أن تكون تلك المدامع سببًا في إحياء ما تحجَّر ويبس.

إنَّ المعاني التي يدور حولها ابن الفارض في شعره تصب في أمر واحد مهما اختلفت أساليب تعبيره عنها، وهذا الأمر الجليل هو ما دعا لوصفه بسلطان العاشقين، وهو وصف يليق بهذا الكم الطافح من الشعر الذي يدل عليه بحسن سبكه وروعة رصفه ونسجه.

- **الوفاء للمحبوب**

وهو الوفاء الذي يخلق في الروح روحًا تئنُّ إذا حانت لحظةُ بُعد، ويجعل في القلب غصة تدمي إذا حلَّ فراق، فنرى سلطان العاشقين لا يرضى أن تحين فرصةٌ تُبعدُه عمَّنْ يحبُّ ويهوى، فليس في دين الحب ما يفصل بين روح العاشق والمعشوق، وليس في نظره أنْ يقابل البُعد بالبُعد، والفراق بالفراق، فليس في دين العشق أنَّ العينَ بالعينِ؛ لذلك سنجدُ في الأبيات الآتية حرص ابن الفارض على الوفاء، والبقاء على عهد الحب؛ لأنَّ من تمام اكتمال دين الحب عنده هذا الوفاء، يقول في إحدى قصائده:

عذِّبْ بما شئتَ غيرَ البُعد عنكَ تجد أوفى مُحبٍّ بما يرضيكَ مُبتهجِ

وخذ بقيةَ ما أبقيتَ من رمق لا خير في الحُبِّ إنْ أبقى على المهجِ

مَـــنْ لـــي بـــإتلافِ روحـــي فـــي هـــوى حلـــوِ الشـــمائلِ بـــالأرواحِ ممتـــزجِ

يختارُ ابن الفارض هنا أنْ يُعذَّبَ ويفنى سبيل الحب الإلهي، فهو الباسل في معنى الوفاء، وقد يتبادر إلى الذهنِ أنَّ معادلة العشق تلك تنبئ عن استسلام مذموم، وليس الأمر كذلك، إنما هو تسليم محمود؛ لأن باستطاعةِ هذا الفناء في المعشوق أنْ يُحقق له ما يأمل به، وهو الوصول للغاية المتمثلة في العشق الإلهي، فابن الفارض يفضل أنْ يكتوي بأشكال المحن المختلفة، يقول شارح الديوان:" إنَّ العاشق إذا وقع به ضرب شديد في ظلمة يتألم تألمًا شديدًا بمقتضى الطبع فإذا انكشفت عنه تلك الظلمة فوجد محبوبه هو الذي يضربه ذلك الضرب الشديد ينقلبُ ذلك العذابُ عذوبةً، ويشغله شهود جمال الوجه عن ألم العذاب على خِلافِ مُقتضى الطبع[١٧]".

وفي البيت التالي اتصال معنوي بمضمون البيت الأول، لكنه يمثل قاعدة أصيلة من قواعد العشق، فمن مظاهره شدة الوله، كثرة الوجد، واشتعال القلب ظمأً للمعشوق، وهنا يُقدّم ابن الفارض تنازلًا آخر قد يبدو دليل استسلام وضعف، ولكنه ضعف في حضرة من يهوى، وقوة في البذل والوفاء لمن يهوى، ومن لطيف ما ذكر ابن الفارض في البيت قوله: بقية ما أبقيتَ، ولم يقل وخذ ما أبقيتَ، فهذا العشق يحتاج البذل في أخص خصائص الأمور ومتناهيها، وهذا في عُرف ابن الفارض محمود، وقد وقف شارح الديوان أيضًا مفصلًا هذا البيتَ وموضحًا نوع (مِن) في البيت إذ تحتمل (من) التبيين والتبعيض، فقال: " يقول الشيخ خذ البقية التي أبقيتَ وهي الرمق، وهو بقية الحياة، وفيه احتمال دقيق وهي أنْ تكون (مِن) في قوله: من رمق تبعيضية، وتكون متعلقة بما أبقيت؛ أي وخذ البقية التي أبقيتها من الرمق يعني أنك أخذت بعض الرمق فخذ بقيته، وعلى القول الأول تكون (من) تبيينية، ويكون الرمق حينئذ كله باقيًا، وهو الذي أبقاه، ويكون المعنى خذ البقية التي أبقيتها وهي الرمق، والرمق بقية الروح[١٨]".

٣- قيمة الحفاظ على العهد.

إن من مسلمات العشق أنْ يُحافظ على العهد، فهو ميثاق وعقد بين العاشقين، وكان ابن الفارض يولي عهود العشق وفاءه، فهي السبيل إلى لقاء المعشوق، والطريق إلى التماهي معه، فما الوفاء والحفاظ على

(١٧) شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البروينى، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، ج٢، ص ٩١.

(١٨) شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البروينى، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، ج٢، ص ٩٢.

العهد إلا عقد عشق بين القلبين، ولابن الفارض عديد من الأبيات التي يثبت فيها حفاظه على عهد العشق، يقول:

وعقدي وعهدي لم يُحل ولم يَحُل ... ووجديَ وجدي والغرام غرامي

يشف عن الأسرار جسمي من ... فيغدو بها معنى نحول عظامي

طريح جوى حبٍّ جريحُ جوانحٍ ... قريح جفونٍ بالدوام دوامي

يصدر ابن الفارض في أبياته عن عاطفة صادقة، ترتدي رداء الوفاء الأبدي، وتتمسك بالعهد ميثاقًا، فعهده لم يُحل؛ فهو موثقُ العرى بقلبه، ولم يَحل؛ أي لم يتغير، فهو ثابت لا يتغير، وحال وجد ابن الفارض الجديد هو امتداد لحال وجده القديم، إذن عهد الحب باقٍ في فؤاد ابن الفارض ولم يتغير مهما استطال الزمان وتتالت الأيام.

يقول شارح الديوان في معرض شرحه للبيت الثاني من الأبيات السابقة: " هذا البيت من البيوت العامرة بالأسرار الظاهرة بخفي الأنوار، فأقول طالبًا للتوفيق راجيًا أنْ يكون لي خير رفيق قد بالغ في بيان النحول، وأن الأسرار في جسده الضعيف كالمحسوسات تجول. يشف عن الأسرار؛ أي يحكي ما تحته ... والمراد أن الأسرار تظهر للناظرين من شدة تحول جسمه ورقة رسمه ... وحاصل الأمر أنه رضي الله عنه يقول: أسراري التي سترتها في باطني أظهرتْها الأعضاء من ضناها... ويقول: إن نحول عظامي صار أخفى وأدق من الأسرار، فصارت الأسرار بمنزلة اللفظ ونحول العظام بمنزلة المعنى، وهذا من المبالغة بمكان ليس وراءه إمكان[١٩]".

إنَّ اللغة التي يعبِّرُ بها ابن الفارض عن حالة عشقه لهي سلسةٌ نقية تردُ إلى الروحِ كما يرد الماء الزلال على الشفاه الذابلة، ويمكننا أنْ نتبين معالمَ تلك اللغة برؤيتنا البلاغية الأسلوبية في الأبيات السابقة إذا تأملنا الأمور الآتية:

١- الجرس الموسيقي والإيقاع الفني في متتاليات الكلمات بين (عقدي وعهدي) و (يُحل ويَحل) و (طريح وجريح) و (طريح وقريح)، (بالدوام ودوامي) كل تلك المتتاليات النسقية شكلتْ بتوافدها نغمًا إيقاعيًا تشنف به الآذان وتستطيب به جوارح الإنسان، وعلى الرغم من هذا الحشد الذي يعد طاغيًا في الأبيات السابقة إلا أنه لم يشكل عبئًا على المعنى الضمني للأبيات، بل على العكس

(١٩) شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البرويني، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، ج٢، ص ٢٢١.

ازدادت الأبيات حسنًا فوق حُسن؛ لأنَّها ترمي إلى غرضٍ شريفٍ أولًا، ثمَّ إنها متحررة من نطاق التكلف، والرأي عندنا أنَّ ابن الفارضِ لم يكن في تلك اللغة متخيرًا ألفاظًا تُقنعُ أو معاني تُدهش، فهو بعيدٌ أنْ يكونَ متخيرًا لذلك لأجلِ إرضاء المتلقي، إذ كيف لمنْ يعانقُ وحيَ الجلال أنْ يفكر في انتقاء لغة تناسب مقام التلقي ، ونقول: إنَّ ابن الفارضِ تسامتْ روحه معَ الروح الجليلة، وتماهى بذاته وروحه معها، فانسابت اللغة رهيفةً لا عن دافعٍ يدفعه لها، بل عن اصطفاء منها إليه، فقبل أنْ يفكر في التلقي وينتقي له أسبابه، جعلَ من الاندماج في الحوار الروحي وسيلة تليق بها الروح الكامنة فيه، ومن ثم جاءت لغته وليدةَ الجو الجميل الذي عاشه بروحه وفكره.

٢- التكرار الفني اللطيف في البيت الأول جاء ذا فائدة عظيمة، ليست تفيدُ التأكيد فحسب كما عهدنا من أسلوب التكرار عند شعراء غير ابن الفارض؛ بل ليرسم لنا نوايا السريرة التي تكتنهها روح ابن الفارض، ونزيد الأمر وضوحًا بالقول: إنَّ الأسلوب الفني المودَع في الشطر (ووجديَ وجدي والغرام غرامي) يدلُّ على شخصية ابن الفارض نفسِه؛ حيثُ إنَّ حالة العشق الآني في ذات ابن الفارض هي نفسها الحالةُ التي يحياها حاضرًا، فما العشق إلا صورةٌ روحيةٌ لا تتبدل أو تتغير، فالعشق الآنَ هو امتدادٌ للعشق السالف، لا يتبدل ولا يتغير.

٣- إنَّ ابن الفارض في شعره يدلُّ على الأشياء بأخص خصوصياتها، استغراقًا في التعبير والوصف؛ ونوضح ذلك بالإشارة إلى قوله: (طريح جوى حبِّ)، فكان أقدر عليه أنْ يكون طريح حُبٍّ مثلًا، لكنه أراد أنْ يمعنَ استغراقًا في الحبِّ، وتصوير لواعجِ روحه، وامتثاله للعشق وسلطانه.

٤- قيمة الكرم.

ليسَ بعيدًا عنِ ابن الفارضِ الذي يتوسمُ بالعشق دينًا أنْ يكونَ الكرمُ عنوانَه الأسمى، ودليلَه الأبقى في حالاته كلها، وأي كرمٍ؟ إنه كرم البذلِ الذي يتطلبه العشق، ويحتاجه الولَه، فنرى ابن الفارضِ على كثرةِ مدامعِه في سبيل العشق يستقلُّها، وهذه عادةٌ كريمةٌ خاصةً إذا عُرِفَ من ذلك أنَّ البذلَ للمقام الأعلى، وللمقصود الأسمى، وهو الحضرة الإلهية الجليلة، فماذا سيبذل ابن الفارض من كرمه إذن؟ يقول في إحدى قصائده:

ألا في سبيل الحب حالي وما عسى ... بكم أن أُلاقي لو دريتم أحبَّتي

أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي ... يضركم أنْ تتبعوهُ بجملتي

وجـــدتُ بكـــم وجـــدًا قُـــوى كـــل عاشـــقِ ... لـــوِ احتملـــتْ مـــن عبئـــه الـــبعضَ كلَّـــتِ

برى أعظمي مـــن أعظـــم الشـــوق ضـــعفُ ... بجفنـــــي لنـــــومي أو بِضـــــعفي لِقـــــوَّتي

وأنحلنـــــي سُـــــقمٌ لـــــه بجفـــــونكم ... غـــــرامُ الْتيـــــاعي بـــــالفؤادِ وَحُرقتـــــي

فضـــــعفي وسُـــــقمي ذا كـــــرأي عـــــواذلي ... وذاك حـــــديث الـــــنفس عـــــنكم برجعتـــــي

وهـــــى جســـــدي ممـــــا وهَـــــى جلَـــــدي لـــــذا ... تَحَمُّلَـــــه يبلـــــى وتبقـــــى بَليَّتـــــي

يقدمُ ابنُ الفارضِ أغلى ما عنده في سبيل العشق؛ حالَه، وفؤادَه، وجسدَه، إنَّه يُقدِّمُ نفسَه، وهو راضٍ مطمئنٌّ، وليس ذلك إلا تسليمًا بالعشق، واحتواءً له.

ولا يقفُ ابنُ الفارضِ عند هذا البذل فحسب؛ بلْ إنَّ نفسَه المضناة بلوعة الشوق قربانُ هذا العشق الطافح، فهو لا يلبثُ أن يكون مرضَ نحولًا وشوقًا فداءً للمحبوب، ولا يلبث إلا أنْ يكون راضيًا مطمئنًا ما دام المقصد هو الأسمى، وهو العشق الأبقى، وهو الخالص للحضرة الإلهية.

وفي الأبيات السابقة ما يدلُّ على شخصية ابن الفارض، والعشق الذي يحمله في قلبه، فإذا تأملنا سنجدُ أسلوبَه الشعري يومئ إلى المبالغة، المبالغة التي لا تُحمدُ إلا في ذاته الشاعرة، ومن ذلك ما يأتي:

١- في قوله: أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي ... يضركم أنْ تُتبعوه بِجملتي، مبالغة محمودة؛ حين يعلن ابن الفارض أنَّ القلب – ديمومةَ العشق– فداءٌ للمعشوق، ولا يضرُّه أنْ يكونَ من جملةِ ما أخذ المعشوق، فكل ذات ابن الفارض قربان هذا العشق، ولعل في قوله: وهو بعضي، إشارةٌ إلى أنَّ هذا القلب وما فيه من أسرارٍ وأشواق يمثلُ عنده شيئًا غاليًا، وهذا الشيءُ يهونُ في حضرةِ ما يطلبه المعشوق، فكأنَّ ابن الفارض لا يعنيه أنْ يفقد ذاته إذ طالما وصولها إلى المعشوق، متماهيةً معه.

٢- وفي البيت الذي يقول فيه ابن الفارض: وجدتُ بكم وجدًا قوى كل عاشقٍ لوِ احتملت من عِبئه البعضَ كلَّتِ، هذا البيت يمثل أسطورة فكر العشق في معنى البذل والكرم، بذل الروح، والنفس، والحياة، وفيه أيضًا مقارنة خفية بين حاله وحال العشاق الآخرين؛ حيثُ يقدمُ العشاقُ جميعهم لواعجَ أشواقهم، ولكن النتيجة النهائية لذلك عدم احتمال ما يتطلبه العشق، أما الشاعرُ نفسُه فهو الصابر الباذل الباسلُ في كل مقاييس العشق؛ يقدِّم كل شيءٍ؛ لأنه يعرف تمامًا أنَّ هذا السبيل هو من متممات الدين.

ولا يخفى ما في البيت من إشاراتٍ بلاغية تضفي جمالًا على النص، فـــــــــ" جناس الاشتقاق بين وجدتُ ووجدًا، والمقابلة بين الكل والبعض، والتقارب اللفظي بين كل وكلَّت[٢٠]" كل هذا ساهم في إثراء النغم الإيقاعي وتوجيه الموسيقى الشعرية إلى وجهةٍ متناغمة مع حسن التلقي.

٣- وفي البيت الرابع، وهو قوله: بَرى أعظمي من أعظم الشوق ضعفُ ما بجفني لنومي أو بضعفي لقوتي، مقاربة عجيبة مدهشة للكرم والبذل؛ وهو غايةٌ في قيمة الكرم؛ ونستطيع أنْ نتوصّل لفهم ذلك، بالآتي:

إنَّ ابن الفارضِ يضع في سُلَّم حساباته العشقية أربعَة أمور براها العشق، واستعلى عليها بجبروته، وهذه الأمور هي: الأعظم، الشوق، جفنه، قوته، هذه الأمور الأربعة وظَّفها العشق، وكيَّفها في سبيلٍ واحدٍ، وهو حسن التوصل إلى العشق الأكمل، والمدهش العجيبُ أيضًا أنَّ ابن الفارض يضاعفُ ما يعتبرُه من مُسلمات العشق، كأن يقول: ضعف ما بجفني، وهذا الضعف منقادٌ إلى شوقه العظيم، والضّعف والشوق العظيم كلٌّ منهما برى أعظم ابن الفارض، أليس ذلك دليلَ فناءٍ في العشق؟ ومن ثَمَّ ألا يعدُّ ذلك نوعًا من البذل والكرم في سبيل المعشوق؟!

٤- ويستتبع ابنُ الفارضِ كلَّ ما يقدمه في سبيل هذا العشق، حالةً حالةً، حتى إذا ما وصل لقوله: وهى جسدي مما وهى جلَدي لذا تحمله يبلى وتبقى بليَّتي، يصلُ إلى الإقرار بالضعف الجسمي، والبِلى الحسي، وليس ذلك الإقرارُ منه دليلَ تراجعٍ عما بادر إليه في سبيل العشق؛ إنَّما هو صوتُ ذاته الذي يقول: هذا الفداءُ والبلية باقية، ويقصد بالبلية هنا العشق، فهو محافظ عليه، دائم الوصل له، لا يتركه أو يتخلى عنه للحظة واحدة، وهذا أيضًا مما يدل على كرم نفسه الباذلة للعشق.

٥- قيمة الصبر

يتصلُ الصبرُ في شعر ابن الفارض بقيمة البذل والكرم، فقد سبق وقلنا إنَّ ابن الفارضِ يجمعُ الكرمَ والبذل من شتاتِ ما يستطيع لأجل غاية واحدة وهي رضا المعشوق، ومن الطبيعي جدًّا أنْ يكون كل أشكال الكرم الذي يسوقه ابن الفارضِ ناتجةً عن حُسن صبر منه واحتساب، فلا يسخط لذلك، لا يغضب، ولا يتراجعُ عما يقدم، بل يزدادُ إصرارًا وصبرًا، وفي السياق السابق نفسه يورد ابن الفارض أبياتًا يتحدث فيها عن قيمة الصبر، يقول:

فـــلا تُنكـــروا إنْ مسَّـــني ضُـــرٌّ بيـــنكم علـــيَّ ســـؤالي كشـــفَ ذلـــك ورحمتـــي

(٢٠) شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البرويني، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، ج٢، ص ٢٢٩.

وصـــــبري أراهُ تحـــــت قـــــدري علـــــيكمُ مطاقًـــا وعـــنكمُ فاعـــذروا فـــوق قـــدرتي

يطلبُ ابن الفارضِ ألا يُنكر عليه أحد سؤاله اللهَ تعالى أنْ يكشفَ عنه الضُّرَّ، ويبينُ كذلك أنَّ الصبرَ الذي يطيقُه هو صبرٌ تحمل مشاق العشق والشوق، أمَّا الصبر الذي لا يطيقه فهو الناتجُ عن البُعد والهجر.

هذان النوعان من الصبرِ يقدمهما ابن الفارض؛ لبيانِ أنَّ النفس العاشقةَ لا تطيقُ هجر المعشوق، إنما يخرج عن حدود المطاق أنْ يسلو المعشوق معشوقه ويفارقه.

وقد نجدُ ابن الفارضِ يبحث عن الصبر الذي لا يعقبه ضعف، أو تراجع، فالصبر الذي يطلبه هو ذلك الصبر الذي يجعل منه وجهًا حسناً محمودًا أمام المعشوق، يقول في إحدى قصائده:

بانكســـــاري بـــــذلتي بخضـــــوعي بافتقـــــاري بفـــــاقتي بِغناكـــــا
لا تَكلنـــــي إلـــــى قُـــــوى جَلَـــــدٍ خـــــا نَ فـــــإني أصـــــبحت مـــــن ضـــــعفاكا
كنـــتَ تجفـــو وكـــان لـــي بعـــضُ صـــبر أحســـن الله فـــي اصـــطباري عزاكـــا

يتوجه ابن الفارض للمعشوق مستعيناً بأسلوب القسم، يقسم عليه بانكساره وذلته وخضوعه وافتقاره وفاقته، وبغنى المعشوق أن يهب له صبرًا يليق بحالة العشق، دون أن يكون هذا الصبر قيد تراجع قد يخون، إنما الصبر الذي يأمله ابن الفارض هو ذلك الصبر الذي يطاق، ويطاق أكثر حين يزداد ويعظُم.

أما البيت الثالث من الأبيات السابقة " إشارة إلى أيام غفلته وجهله بربه، وقوله: كان لي بعض صبرٍ؛ أي عن لقائك وشهود تجليك في كل شيء والإشارة بالبعض إلى أيام سلوكه في الطريق بالأعمال الصالحة، فإنه يشتاق إلى الحق مع الغفلة عنه فله بعض صبر عن مشاهدته، وقوله: أحسن الله في اصباري عزاكا كنايةٌ عن ذهاب صبره الآن بالكلية لبلوغه مرتبة العرفان وتحققه بحقائق الوجدان[٢١]".

إذن نال ابن الفارض ما يستحقه من وصولٍ لمرتبة أسمى بعد كل هذا البذل والعطاء والصبر، واكتمال المنظومة الأخلاقية التي بها صح عشقه، وسما مقصده.

([٢١]) شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البرويني، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، ج١، ص ٣٢٦.

الخاتمة

بعد هذا العرضِ الموجزِ للقيم الأخلاقية التي تبدَّتْ في شعر ابن الفارض، نستطيع بيان مجموعة النتائج التي توصلنا إليها في النقاط الآتية:

أولًا: إنَّ للعشق في كيان الشعر عند ابن الفارض معنًى خاصٌّ يختلف عن العشق في مفهوم غيره من الشعراء، وهذا ديدنُ العشق في فلسفة ابن الفارض؛ حيثُ يُعلي من توظيف الرمز، ويثبتُ حريَّة التعبيرِ للوصول إلى قاعدة أصيلة في قاموس العشق مؤداها إلى العشق الإلهي، وإنَّ هذا العشقَ عالَمٌ صافٍ نقيٌّ، لا تشوبُه انحرافاتُ فكر ولا تأويلات زور؛ لأنه يصل القلب بالحضرة العلية المتمثلة بالمقام الإلهي الأعظم.

ثانيًا: اتضحت لنا منظومة الأخلاق وقيمه في فكر ابن الفارض من خلال أمور عديدة، منها: الحب الإلهي، والوفاء متمثلًا بالوفاء للوطن والوفاء للمحبوب، وكذلك الحفاظ على العهد، بالإضافة إلى الكرم والبذل، والصبر.

ثالثًا: إنَّ لكل قيمةٍ أخلاقية في فكر ابن الفارض منحًى مختلفٌ في التعبير والتأويل عن غيره من الشعراء؛ ذلك لأنَّه يسعى إلى هذه تمثُّل هذه الأخلاق بأسلوبٍ رمزي وفني، تحقيقًا لغاية أسمى، وهي الرضا الإلهي.

رابعًا: كشفت أبياتُ ابن الفارض عن لغته الناصعة، وأسلوبه الفني الرائق العذب، وحققتْ في مضمار البلاغة والأسلوب كينونة خاصة؛ ذلك لأنَّ القاموس الذي ينهلُ منه ابن الفارضِ قاموسٌ عذب، ترِدُ الشفاه الظامئة عليه، فترتوي.

خامسًا: استطاع ابن الفارض أنْ يكوِّن في الشعرية العربية لغةً لها شخصيتها، وأسلوبًا له حضوره في ميدان الفكر والشعر، فهو يُلمحُ بفنيَّةٍ عالية، ويومئ إلى سرٍّ وجودي أعظم، يتعلق بالعشق الإلهي.

المراجع:

١- الأدب في التراث الصوفي، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة غريب، د.ط، د.ت.

٢- أساس البلاغة، الزمخشري، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٣- التصوف والمتصوفة، عبد الله حسين، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.

٤- التصوف، ماسينيون، ومصطفى عبد الرازق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٥- التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلابادي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط٣، ١٤٠٠هـ.

٦- تكملة الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، جمال الدين بن حامد بن محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني، طبعة بغداد، ١٩٥٧م.

٧- الرسالة القشيرية، القشيري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

٨- شرح ديوان ابن الفارض، من شرحيْ الشيخ بدر الدين الحسن بن محمد البرويني، والشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، جمعه: الفاضل رُشيد بن غالب اللبناني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٩- عمر بن الفارض وحياته الصوفية من خلال قصيدته التائية الكبرى، دراسة تحليلية بلاغية، الأب جوزيف سكاتولين.

١٠- لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

١١- مقدمة ابن خلدون، تحقيق وتقديم: عبد السلام الشذاذي، الطبعة الأصلية، ٢٠٠٦م.

١٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

مظاهر القيم الأخلاقية وجمالياتها في الأمثال العربية والفارسية
(دراسة مقارنة)

د. حسن الهياري (أستاذ مساعد، قسم التاريخ في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران)
hasanallahyari@pgu.ac.ir
د. رسول بلاوي (أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران)
r.ballawy@pgu.ac.ir
د. ناصر جابري أردكاني (أستاذ مشارك، قسم اللغة الفارسية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران)
jaberi@pgu.ac.ir

جامعة البصرة
مكتب العميد
عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

تُعدُّ الأمثال تراثاً مشتركاً بين الشعوب لما تحمل في طياتها من تجربة إنسانية مشتركة لا تحدّها الحدود الجغرافية وتعدّد اللغات، ممّا ساعد على سرعة انتشارها وانتقالها من شعبٍ إلى شعبٍ آخر. معظم هذه الأمثال تدعو إلى التحلّي بالفضائل والتخلّي عن الرذائل. فالقيم الأخلاقية من أهمّ الثيمات التي ارتكزت عليها الأمثال في اللغتين العربية والفارسية، إذ تهدف صياغة الأمثال ونشأتها إلى الدعوة للتمسّك بالخيرات والفضائل في المجتمع البشري بأبلغ الطرق لاختصارها وإيجازها وسرعة تأثيرها على المتلقي. هذه القيم الأخلاقية التي تتضمّنها الأمثال العربية والفارسية لها روافد مشتركة عدّة بين الشعبين منها الدين والعقيدة والمشتركات التاريخية والثقافية والحضارية والأدبية. ومن خلال بحثنا وجدنا كثيراً من الأمثال في هاتين اللغتين جاءت قريبة المعنى والمبنى مع تغييرات طفيفة حسب ما تقتضيه اللغة وطبيعة صياغتها، وهذا يعود إلى التراث الأخلاقي المشترك بين الشعبين. لقد تعدّدت الفضائل الإنسانية والقيم الأخلاقية في هذه الأمثال مثل الكرم، والتسامح، والصدق، والأمانة، والنجابة، والتواضع، والمحبة، والعفو، واحترام الجار، والدعوة للابتعاد عن الرذائل الأخلاقية ونبذها في الجتمع كالكذب، والنفاق، والفتنة، والنميمة، والحسد، والكذب، والبخل، والحقد. إنّنا في هذه الورقة البحثية نسعى إلى دراسة القيم الأخلاقية في الأمثال العربية والفارسية ورصد جمالياتها ومفاهيمها المشتركة برؤية مقارنة وحسب المنهج الوصفي – التحليلي، بغية الوصول إلى المشتركات الثقافية والحضاريّة بين الشعبين.

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية، الجماليات، الأمثال، العربية، الفارسية.

Ethical values and its aesthetics in Arabic and Persian proverbs (comparative study)

allahyari Dr.Hasan
Iran − Assistant Professor, Department of History, Persian Gulf University, Bushehr
hasanallahyari@pgu.ac.ir
Dr.Rasoul Balavi
Associate Professor, department of Arabic language and literature, Persian Gulf University,
Iran − Bushehr
r.ballawy@pgu.ac.ir
Dr. Sayyed Naser Jaberi
Associate Professor, Department of Persian Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran
jaberi@pgu.ac.ir

Abstract

Proverbs are a common heritage among nations, because they carry with them a common human experience and are not limited by geographical, historical and linguistic boundaries, and this helped to spread it rapidly from one nation to another. Most of these proverbs call for expressing virtues / good and abandoning vices / bad. Moral values are one of the most important themes in Arabic and Persian proverbs, and the purpose of the formation of proverbs is to invite people to the virtues and values of human society in the shortest and most concise terms. These moral values, which are mentioned in Arabic and Persian proverbs, have several common sources between the two peoples, including religion, belief, historical, cultural, civilizational and literary commonalities. In this research, many proverbs are found in these two. We found that language, due to its linguistic features and structural nature, is similar in meaning and structure to minor changes, and this is due to the common heritage and moral value between the two peoples. In these proverbs, many human moral virtues and values can be seen, including generosity, forgiveness, honesty, trustworthiness, humility, love, forgiveness, respect for the neighbor, and an invitation to avoid moral vices in Society referred to as lies, hypocrisy, sedition, absenteeism, jealousy, lies and stinginess. In this article, we seek to examine the moral values in Arabic and Persian proverbs and their common concepts and structures with a comparative view and a descriptive-analytical approach to understand the cultural and civilizational commonalities between the two nations.

Keywords: moral values, aesthetics, proverbs, Arabic, Persian.

المقدمة

الأمثال جُمل قصيرة في غاية الإيجاز والبلاغة تُعبّر عن حدثٍ سابق ويستدلّ بها في وقوع حالات مشابهة للمواقف السابقة. ولقدرتها التأثيريّة استعملها الناس في محاوراتهم اليومية، وضمّنوها حكماً وقيماً أخلاقية، كما نقلت معها تجارب الآخرين فهي عصارة تجربة إنسانية مشتركة بين أفراد المجتمع وبين الشعوب على اختلاف لغاتهم وثقافتهم وحضارتهم. وللأمثال «مصداقية كبيرة. وأصبحت بديلاً لجدل طويل، فهي اليقين التام. وخلاصة حكمة الناس، ومفتاح للتعرّف عليهم»[1]. ولا يخفى أنّ كثيراً من الأمثال المنتشرة بين شعوب العالم التي تحمل معها طابعاً أخلاقياً وإنسانياً نبيلاً نجدها مشتابهة في المضامين والثيمات لتقارب التجارب البشرية، أو لاشتراكها في الروافد التي يستقي منها الناس أفكارهم وعقائدهم. ومن بين الأقوام الذين يشتركون في التجربة والروافد هم العرب والفرس، إذ جاءت الأمثال لديهم متشابهة ولاسيما في البُعد الأخلاقي، إذ نجد جملة من الأمثال وكأنها ترجمة حرفيّة بعضها من بعض.

هذه الأمثال المشتركة تدلّ على تلاحم الثقافتين وتقاربها على مدى التاريخ، وتشكل تراثاً مشتركاً بين الشعبين. وهذه الأمثال التراثية تُسهم في تكوين ثقافة مشتركة وقيم واحدة.

وتؤدي الأمثال دوراً فاعلاً في توجيه سلوكيات أفراد المجتمع، فهي تجربة مشتركة لدى شرائح المجتمع وجسر يمتد بين الماضي والحاضر والمستقبل، وفي ضوئها يمكن للدارس أن يتعرّف على سمات المجتمع وثقافته وعاداته وقيمه.

إنّنا في هذه الدراسة نسعى إلى رصد القيم الأخلاقية وجمالياتها في الأمثال العربية والفارسية، ونحاول استجلاء الظواهر المشتركة لهذه الأمثال بين الشعبين، ومدى تفاعلهما وتقارب حضارتهما كاشفين لدلالاتها ودورها الفاعل في بناء مجتمع إنساني يهتمّ بالمحاسن والفضائل في حياته الفرديّة والاجتماعية.

الهدف المتوخّى من وراء إعداد هذه الدراسة هو الإسهام في استجلاء التراث الإسلامي المشترك بين العرب والفرس برؤية حديثة تكشف عن القيم الأخلاقية في الأمثال المتداولة بينهم. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي – التحليلي برؤية مقارنة وبالاستعانة بالمنهج الميداني الذي يعتمد على الرصد والاستماع.

أسئلة البحث

إنّنا في هذه الدراسة نريد الإجابة عن الأسئلة الآتية:

– كيف تجلّت القيم الأخلاقية في الأمثال العربية والفارسية؟

– ما الروافد التي اعتمدت عليها الأمثال في التعبير عن الأبعاد الأخلاقية؟

– ما الأساليب المشتركة في الأمثال العربية والفارسية؟

خلفية البحث

اعتنى كثير من الباحثين بالأمثال وصنّفوا كتباً في هذا المجال منذ القديم، فمن أهمّ مصادر الأمثال هي: أمثال العرب للمفضّل الظبي (١٦٨هـ)، وكتاب الأمثال لأبي قيد مؤرخ السدوسي (١٩٥هـ)، وكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الظبي (٢٥٠هـ)، وكتاب الافخر للمفضل بن سلمة (٢٩١هـ)، وكتاب الزاهر لابن الأنباري (٣٢٨هـ)، وكتاب الدرّة الفاخرة لحمزة الأصبهاني (٣٥١هـ)، وكتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٣٩٥هـ)، وكتاب الوسيط في الأمثال للواحدي (٤٦٨هـ)، وكتاب مجمع الأمثال للميداني (٥١٨هـ). فهذه المؤلفات تدلّ على عنايّة العرب بالأمثال وإقبالهم على جمعها وضبطها لما تحمله من تراث خصب ودلالات عميقة لا يُستغنى عنها في معرفة الأمّة ودراستها.

ومن الدراسات التي تناولت الأمثال بالنقد والدراسة كتاب «القيم في الأمثال الشعبية بين مصر وليبيا»، للباحث محمد أمين عبدالصمد (٢٠١٢م)، القاهرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب. وإطروحة مقدمّة لنيل درجة الدكتوراه تحت عنوان «القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي»، للطالبة انتصار مهدي عبدالله (٢٠٠٨م)، في جامعة الخرطوم. ودراسة تحت عنوان «البُعد القيمي في الأمثال الشعبية بوادي سوف» للباحثة سعيدة نسيب (٢٠١٥م) في جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي. وبحث موسوم بـــ «القيم الأخلاقية والإنسانية في شعر أبي فراس الحمداني وسلوكه» للباحثة سميحا زريقي (٢٠١٢م)، منشور في العدد الثامن من مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. ومقال «القيم الاجتماعية والأخلاقية في الأمثال الشعبية الجزائرية»، للطروش عائشة (٢٠٢٠م) منشور في العدد الثاني من مجلة دراسات معاصرة/ المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر. ومن خلال بحثنا لم نعثر على دراسة مقارنة تهتم بموضوع القيم الأخلاقية في الأمثال العربية والفارسية.

المهاد النظري

أ) القيم الأخلاقية

القيم هي مجموعة معايير اجتماعية «ذات صبغة انفعالية قويّة وعامة وتتّصل من قريب بالمستويات الخلقيّة التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من البيئة الخارجية، ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ويتّخذها هادياً ومرشداً»[٢]. فالقيم هي «مجموعة الصفات الأخلاقية والاجتماعية المرغوبة في ثقافة معينة، والتي تمثّل مستويات يستهدفها الأفراد في سلوكياتهم، كما تمثّل معايير يحكم بها المجتمع على سلوك هؤلاء الأفراد في المواقف المختلفة ويشمل الحديث عن القيم على أمرين، أوّلهما: نوع القيم، وثانيهما: طريقة عرضها»[٣]. فهذه المعايير الاجتماعية تأخذ طابعاً هادياً ومتكاملاً إذا ارتبطت بالجانب السلوكي.

والأخلاق سجية الإنسان وطبيعته التي جُبِلَ عليها، وقد ذكر ابن منظور «الخُلُقُ هو الدين والطبع والسجية»[٤]. فالأخلاق مجموعة من القواعد التي «تحدّد للإنسان ما ينبغي أن يكون عليه سلوكياً تجاه الآخرين (من طبيعة ومجتمع) يكتسبها الإنسان من انتمائه إلى مجتمع معين في زمان ومكانٍ ما، كما يكتسبها المجتمع من مصادر متعددة (مطلقة كالدين أو نسبية كالعرف الاجتماعي أو العقل ....» [٥]. وقد وردت مفردة (خُلق) في القرآن الكريم إذ خاطب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿وَإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٦].

ب) الأمثال

وردَ في لسان العرب لابن منظور: «المثل: التسوية، والمشابهة، يقال مِثْلُهُ ومَثِيلُهُ، أي شَبَهَهُ وشَبَهُهُ، وجمع المثل أمثال، وجمع مثال أمثلة»[٧]. وقال المبرد «المثل مأخوذ من المِثال، وهو قول سائر يشبّه به حال الثاني الأول»[٨]. فكما نلاحظ ممّا جاء في كلام المبرد، أنّ المثل هو قول شاع وانتشر بين الناس، فتناقلوه فيما بينهم لكي يقارنوا حالة بحالة أخرى. وقد عرّفه الميداني هو «ذلك الفن من الكلام، الذي يتميّز بخصائص ومقومات، تجعله جنساً من الأجناس الأدبية قائماً بذاته، وقسيما للشعر والخطابة والقصة والمقالة والرسالة والمقالة ...»[٩].

يقول خير الدين الشمسي باشا في تعريف المثل: «أفكار اختلجت في النفوس، ومعانٍ تصوّرت في الأذهان واتّصلت بخواطر الناس، وجاشت بها صدورهم، ثم أدّتها التجارب، فأملتها على ألسنة الناس أقوالاً متغيّرة فسارت مع الزمان حكماً وعبراً وصوراً تتضمّن الخبرة والموعظة، بجمل مقتضبة خالية من التعقيد تعني فيها الإشارة بالتلميح من التصريح، وترمز الصورة فيها إلى المعنى اللطيف، ممّا يجعل السمع مأخوذاً بطلاوة العبارة، يسوغ خاطره في نزهة الفكاهة ويعمل فكره في فهم المغزى، وتتّعظ نفسه بالعبرة»[١٠].

ويعرّفه عبدالمجيد قطامش بقوله: «المثل قول موجز سائر، صائب في المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة»[١١]. ويقول ابن عبد ربه في هذا الصدد: «الأمثال وشيء الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل أيسر من مثل»[١٢]. هذه الأقوال والآراء الواردة عن المثل تبيّن لنا مدى أهميته وفاعليته على سلوكيات أفراد المجتمع وتهذيب خُلقياتهم.

تجليات القيّم الأخلاقية وجمالياتها في الأمثال

إن الأمثال تضمّنت جملة من الموضوعات والأغراض التي تداولها الناس فيما بينهم، إلّا أنّ تركيزها على الجانب الأخلاقي له طابع توعويّ ورسالة هادفة تسعى لتوطيد العلاقات البشريّة وترقية مستوى الأفراد في

تواصلهم وتعاملهم. تمثّلت القيم الأخلاقية في الأمثال العربية والفارسية بعدّة ثيمات وموضوعات أبرزها حسن الجوار، والحثّ على الكرم، وصلة الرحم، والوفاء بالعهد، والعدالة، والتسامح، والتزام الصمت. فإنّنا في هذه الدراسة سوف نركز على أهمّ الأبعاد الأخلاقية في الأمثال.

- الحثّ على الكرم

الكرم من السمات الأخلاقية التي يقوم بها الإنسان بدافع حب الخير دون أن ينتظر جزاء أو شكراً من الآخر. ويُعتبَر من المكارم الأخلاقية التي تجلب لصاحبها مكانة مرموقة لدى الجميع.

ذكر القرآن الكريم صفة الكرم والعطاء والسخاء في أكثر من موضع، إذ قال تعالى:

(مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [١٣].

(وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) [١٤].

وأشادت مجموعة من الأمثال بالكرم وحثّت الإنسان على الجود والعطاء ولو كان قليلاً: «الجود بالموجود»، فالإنسان الكريم يجود بما لديه للآخرين وقت حاجتهم ولو كان ما لديه قليلاً. يُعد الكرم من الخصال الحميدة التي تجلب للإنسان العزة والمحبة بين أهله وجيرانه وأصحابه. وكثرة الإكرام لا تؤدّي إلى الفقر والفاقة بل تضاعف الخير على حدّ تعبير الآية القرآنية المباركة (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ). هناك كثير من الأمثال اعتنت بالكرم والحثّ عليه، منها:

- أكرم من حاتم؛ وهو مثل يقال في الرجل الذي يُعرف بالكرم، وقد اشتهر حاتم الطائي عند العرب بالكرم والعطاء.

- أصل المحاسن كلها الكرم: فهذا المثل يعتبر الكرم أصلاً لكل المحاسن، وفي المقابل البخل يكون أصلاً لكل المساوئ والمعايب.

- من جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل: فالجود بالمال يجلب للإنسان الجلالة والمهابة، ويصون ماء وجهه.

- ساقية جارية خيرٌ من نهر مقطوع: استعمل هذا المثل لغة رمزية للتعبير عن العطاء والجود، فالساقية الجاريّة التي تروي وتعطي ممّا عندها أفضل من نهر كبير لا خير فيه.

– من عادة الكريم أنه إذا قدر غفر، وإذا رأى ستر: نرى في هذا المثل، يتّسع مفهوم الكرم فهو لا يشمل العطاء فقط، بل يصبح سمة أخلاقية تشتمل على مظاهر أخرى منها العفو عند المقدرة وستر الآخرين.

ومن الأمثال الفارسية التي تحتفي بالكرم وتحثّ المتلقي على التحلّي به نذكر منها:

– مالت را خوار كن، تا خودت عزيز شوى: أي ذل مالك لكي تكون عزيزاً. وهو مثل يقترب من حيث المعنى والدلالة بالمثل العربي: (من جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل) والذي مرّت مناقشته.

– دستِ دهنده، زيردست نشود: وهو يعني أن اليد الواهبة، لا يمكن لها أن تكون في الأسفل. فهكذا اليد الكريمة دائماً تكون في الأعلى لتميّزها.

– حساب به دينار، بخشش به خروار: هذا المثل يدلّ على شدّة الكرم، فهو يبيّن حال الشخص الذي شديد الحساب في المعاملة، لكنّه وقت الكرم والعطاء يهب دون حساب. فكما رأينا في هذه الأمثال العربية والفارسية، كان التركيز على ثيمة الكرم، فهي خصيصة محبّبة لدى الشعبين، تجلب لصاحبها السمعة الحسنة والمكانة المرموقة.

– صلة الرحم

الصلة هي الوصل أي ضد القطع، والمقصود منها عدم القطيعة بين الأهل والأقرباء، والحثّ على زيارتهم ومباشرتهم وتفقّدهم. صلة الرحم هي علاقة فطريّة بين الإنسان وأقربائه، وجنوح للمّ الشمل بين الأقارب. وقد تؤدّي إلى إصلاح العلاقة بين الفرد وذويه وتحسينها. وقد حثّ القرآن على صلة الرحم والإحسان إليهم:

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [١٥].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَ) [١٦].

فالذي يضن بخيره على الأقرباء ولا يباشرهم يقال له في المثل «مقطوع من شجرة»، وهي صفة ذميمة للإنسان. والأمثال بوصفها تجربة مشتركة بين الشعوب شأنها شأن النصوص الدينية نجدها تدعو إلى صلة الرحم والتواصل مع الأرحام والأقرباء. جاء في الأمثال:

– الأقربون أولى بالمعروف

– صلة الأرحام من أفضل شيم الكرام

– صلة الرحم تدرّ النعم وتدفع النّقم

- صلة الرحم منماة للعدد مثراة للنّعم
- في صلة الرّحم حراسة النّعم
- صلة الرحم عمارةُ النّعم ودفاعةُ النقم
- صلة الرّحم تنمي العدد وتوجب السُّؤدد

فهذه الأمثال تعطي للملتقي درساً أخلاقيّاً من خلال تأكيدها لأهميّة التواصل مع الأقارب، فهم أولى بالمعروف والإحسان والاحتفاء من غيرهم.

وتعني صلة الرحم المراودة والمعاشرة والزيارة والجود بالمال على الأقرباء؛ ولهذا نرى المثل يقول: (الأقربون أولى بالمعروف)، وهي من شيم الكرام. ثمّ هناك أربعة أمثال تدلّ على أهميّة صلة الرحم في جلب النعم ودفع النقم. وفي الأمثال الفارسية:

- ثواب صله رحم سريع تر از هركارى خيرى به صاحبش ميرسد (ثواب صلة الرحم أسرع من أي عمل آخر يصل إلى صاحبه).
- حفظ نعمتها در صله رحم است (حفظ النعم في صلة الرحم).
- كامل ترين نيكىها صله رحم است (أكمل الفضائل هي صلة الرحم).
- صله رحم رزق را افزايش و عمر را طولانى ميكند (صلة الرحم تزيد الرزق وتطيل العمر).

هذه الأمثال أيضاً تنصّ على مدى أهميّة صلة الرحم في حفظ النعم وزيادة الأرزاق وطول الأعمار.

- حسن الجوار

الجار هو الذي يجتمع بك في مكان واحد، يتعامل معك حسب الظروف وما تقتضيه طبيعة الجوار. والمجتمع الإنساني يتطّلب هذا الجوار الذي يبتني على الرفق والمحبة والرحمة والتواصل. قال الله تعالى في محكم كتابه:

(وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا) [١٧].

في ضوء هذه الآيّة تتبيّن لنا مكانة الجار وضرورة إكرامه والاعتناء بحسن معاملته، وقد وردت أمثال كثيرة تحثّ الإنسان على حسن الجوار: «جارك القريب ولا أخوك البعيد»، أي أنّ وقت الحاجة الجار القريب لك أولى من الأخ البعيد عنك.

والتعاليم الإسلامية تحثّ المسلم على العنايّة بالجار، والمحافظة على أهله وأولاده في غيابه، وكف الأذى عنه وعدم التعرّض له بشرّ أو أذى أو إساءة. «الجار للجار ستّار العيب والعار». ومن الأمثال القصيرة الموجزة الجديرة بالتمعّن «الجار قبل الدار». فعلى الإنسان أن يحسن اختيار جاره قبل شراء الدار واختيارها؛ فثمن الدار بثمن جارها. ومن الأمثال التي تحتفي بالجار ومكانته:

- الجـــار جـــار ولـــو جـــار
- حـــــق الـــجـــار عـــلى الـــجـــار واجـــــــب

ومن الأمثال الفارسية التي تحثّ على حسن الجوار:

- همسايه نزديك، بهتر از برادر دور (جارك القريب خير من أخيك البعيد) وهو يعادل المثل العربي (جارك القريب ولا أخوك البعيد).
- همسايه نيك در جهان فضل خداست (الجار الصالح في العالم هو نعمة من الله).
- همسايه را بپرس، خانه را بخر (اسأل عن الجار، ثم اشترِ البيت) وهو معادل للمثل العربي: (الجارُ قَبلِ الدارُ).
- همسايه ز همسايه گرد قيمت و مقدار (ثمن الجار واعتباره بجاره)
- مال خودت را محكم نگهدار، همسايه را دزد نكن (احفظ مالك ولا تخوّن جارك)
- خانه همسايه آش مي‌پزند به من چه؟ (في بيت جاري يطبخون الحساء، فماذا يخصني؟) وهو مثل يدلّ على عدم التدخّل في ما لا يعني الإنسان.

- الوفاء بالعهد

الوفاء معادل موضوعي للصدق ومخالف للغدر. فالوفاء هو صدق في القول وفي العمل. يُعد الوفاء بالوعود من الخصائص الأخلاقية النبيلية والشريفة التي تكشف عن صدق صاحبها وسلامته، وهي مرحلة من مراحل بلوغ النفس البشرية. وقد حثّت الآيات القرآنية على التحلّي بهذه السجيّة، منها قوله تعالى: (بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) [١٨]. وقد نعت الله الموفين بعهودهم بأجمل الصفات الإنسانية النبيلة وأحسنها:

(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [١٩].

ومن الأحاديث المنسوبة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان». ومن الأمثلة الأخلاقية عن الوفاء بالعهد:

- الكريم إذا وعد وفى
- وعدُ الكريمِ ألزَمُ من دَيْنِ الغَريمِ

فالمسلم وكل إنسان شريف إذا أوعد أوفى بعهده وصان الميثاق بينه وبين الآخر. «الوفاء من شيم النفوس الشرّيفة، والأخلاق الكريمة، والخلال الحميدة، يعظم صاحبه في العيون، وتصدق فيه خطرت الظنون»[٢٠]. وقد اعتنت الأمثال الفارسية بهذه الصفة الحميدة؛ منها:

- عهد نابستن از آن به كه ببندى و نپايى (ألّا تعاهد أحداً، أفضل من عدم الالتزام بالعهد)
- پيمان شكن هر آيينه گردد شكسته دل (من يخالف العهد، سينكسر قلبه)
- اگر رفيق شفيقى، درست پيمان باش (إذا كنت صديقاً شفيقاً، فعليك أن تلتزم بالعهود)
- آن دوست كه بى وفاست دشمن به از اوست (العدو أفضل من الصديق الذي لا وفاء له)
- سرم برود قولم نمى رود (حتى لو أفقد رأسي، فلا أنكث عهدي)
- وفا را نگهدار و سر را ده (احفظ العهد وإعطِ الرأس)، يعني إذا تطلّب الأمر أن تفقد رأسك فلا تخون عهدك.
- بيگانه اگر وفا كند، خويش من است (إذا التزم الغريب بالوفاء، يصبح لي من المقربين والأحبة)

- الحثّ على العدل

العدل هو الإنصاف وإعطاء كل ذي حقّ حقّه، ويقابل الظلم والجور والعدوان. ويُعد العدل من أهمّ مظاهر الحياة البشريّة، وهو الداعم لاستمرارية الحياة والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع في ظل المحبة والوئام والتآخي وعدم السطو على الآخر. أوجب الله العدل وأمر بالتزامه، فيقول:

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [٢١].

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [٢٢].

ويقول تعالى على لسان رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في سورة الشورى: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) [٢٣].

فكما نلاحظ في هذه الآيات، إنّ الله أمر بإقامة العدل والحثّ عليه فمدح من قام به في أكثر من سورة لأهميّة العدل بين الناس وضرورة اجتناب الظلم والعدوان. وقد سارت الأمثال على هذا النهج في العناية بالعدل ووجوب الالتزام به:

– عدل قائم خير من عطاء دائم

وفي الأمثال الفارسية نقرأ:

– عدالت بهتر از عبادت است (العدالة أفضل من العبادة)

– عدالت كور است و كسى را نمى بيند (العدالة عمياء فلا ترى أحداً في حكمها).

– شمشير عدالت غلاف ندارد (سيف العدل ليس له غمد)

فكما نرى للعدالة مكانة مرموقة بين الثقافتين العربية والفارسية، فقد اعتنت الأمثال بالعدل وتجنّب الظلم، وقد استقت أفكارها من القرآن الكريم الذي يأمرنا بالعدل والقسط.

– العفو والتسامح

العفو هو ترك مؤاخذة المسيء خاصة عند المقدرة، إذ يكون الشخص قادراً على رد الإساءة بمثلها لكنه يعفو ويسامح الخاطئ، وهذا العمل لا يصدر إلّا ممّن تحلّى بأخلاق جميلة، وتخلّى عن الرذيلة. التسامح والعفو من أعلى المراتب الأخلاقية التي يمكن للإنسان أن يرتقي إليها، فإذا توصّل إليها سوف يتصالح مع نفسه أولاً ثم مع الذين أساءوا إليه، فيعيش بسعادة دون أن يُكَدِّر صَفْوَ عَيْشِهِ شَيءٌ. وقد وردت آيات كثيرة في العفو والصفح والترغيب فيهما، ومن هذه الآيات قوله تعالى:

(وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [٢٤].

-وقال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [٢٥].

و يقول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): «مَرارَةُ الحِلمِ أعذَبُ مِن مَرارةِ الإنتقامِ».

وقد وردَ في الأمثال:

– العفو عند المقدرة من شيم الكرام

– في العفو لذة لا نجدها في الانتقام

– أشرف الثأر العفو

- إنَّ العفو عن الإساءة هو انتقام رقيق.
- إذا قابلت الإساءة بالإساءة، فمتى تنتهي الإساءة؟
- العفو يُصلح الكريم ويُفسد اللئيم
- لا يظهر الحلم إلا مع الانتصار، كما لا يظهر العفو إلا مع الاقتدار
- التسامح يمحو العداء ويزيل البغضاء
- إعفُ عما أغضبك لما أرضاك

فنجد هذه الأمثال جاءت بصيغ وأساليب مختلفة منها خبرية ومنها إنشائية، لإقناع المتلقي وترغيبه وحثّه على العفو والتمتّع بلذته. وفي الأمثال الفارسية:

در عفو لذتی است که در انتقام نیست (هو معادل دقیق للمثل العربي السابق: في العفو لذة لا نجدها في الانتقام)

بخشش از بزرگتر است (دائماً يكون العفو من جانب الأكبر)

- **التزام الصمت وحفظ اللسان**

تؤكّد المجتمعات التقليديّة على التحلّي بالصمت وعدم الولوج في كل قضية خاصة في الأمور التي لا تعني الإنسان. فقد أصبح لديهم الصمت وعدم البوح والثرثرة فضيلة يحمد عليها صاحبها، وينعت بالأدب والأخلاق والترفّع عن الدنايا. وقد يحاسب الإنسان بشدّة على أخطاء اللسان التي مصدرها الثرثرة والكلام الزائد. هناك كثير من الأمثال العربيّة تحثّ على التزام الصمت والابتعاد عن الكلام ولاسيما إذا كان في غير محله:

- إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب
- لسانك حصانك إن صُنته صانك، وإن هِنته هانك
- من لانت كلمته وجبت محبته

فلو كان الكلام محموداً في جوانب كثيرة من الحياة اليومية فالسكوت وترك ما لا يعني الإنسان أولى في أكثر الأحيان لأنّ الإنسان لا يندم على ترك الكلام أو قلّما يندم على ذلك، فاللسان محفوف بالهفوات فلهذا يُوصف بالحصان الذي لابدّ وأن تكون له كبوة. وفي الفارسية أيضاً نرى ذلك:

- کم گوی و گزیده گوی یعادل: (خير الكلام ما قلّ و دلّ) وكذلك: (إذا تمَّ العقل نقصَ الكلام).
- خاموشی با سلامت به از گفتن با ملامت (السكوت مع السلامة خير من الكلام مع الملامة)
- سخن اگر زر است سکوت گوهر است (إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب)

- خاموش نشين و فارغ از عالم باش (الزم الصمت وتخلّى عمّا في العالم)
- خاموشى از كلام بيهوده به (السكوت أفضل من الكلام بلا فائدة)

ففي هذه الأمثال تتجلّى للقارئ مدى أهميّة السكوت عمّا لا يعني الإنسان، والمقصود من السكوت في هذه الأمثال هو الذي يقابل الثرثرة والكلام غير المجدي.

صياغة الأمثال وأسلوبها:

يُعد المثل من أبلغ الأقوال وأفصحها في اللغات، ومن حيث الصياغة فهو بنية متكاملة «يصلح أن يكون موضوعاً لعمل أدبي كبير»[٢٦]، وذلك أمر يعود لطابعه البلاغي وأسلوبه المكثّف. اتّسم المثل بالكثافة والاختزال بغية استقطاب الفكرة بعمق وفنيّة، وهذه الخصائص جعلت المثل ينفتح على التأويل والتعدّدية في الفهم والتفسير.

أ) الجمل الإخبارية

الجملة الخبرية هي الجملة التي تحمل خبراً يحتمل الصدق والكذب؛ «فالخبر هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته أي بقطع النظر عن الذي ينطق بالخبر سواء أكان مقطوعاً بصدقه أو كذبه وبقطع النظر عن البديهيات كالسماء فوقنا والأرض تحتنا. فهذه ممّا لايشك أحد في صدقها، ولكننا نعتبرها خبراً إلى ذات الكلام نفسه»[٢٧]. ومن الأمثال التي جاءت بصيغة الإخبار هي:

- حـــق الـــجـــار عـــلى الـــجـــار واجـــــب
- التسامح يمحو العداء ويزيل البغضاء
- الأقربون أولى بالمعروف

وفي الأمثال الفارسية نذكر:

- همسايه نزديك، بهتر از برادر دور (الجار القريب أفضل من الأخ البعيد)
- عدالت بهتر از عبادت است (العدالة أفضل من العبادة)
- عدالت كور است و كسى را نمى بيند (العدالة عمياء فلا ترى أحداً في حكمها).

فكما نرى هذه الأمثال جاءت بصيغة خبريّة لكي تدلّ بثبوت الحكم، إذ الجمل الاسمية موضوعة لثبوت المسند للمسند إليه؛ فهي في أصل وضعها تفيد ثبوت الوصف لموصوفه، لأنّ الخبر في الحقيقة وصف من غير نظر إلى حدوث أو استمرار.

ب) الجمل الإنشائية

الجملة الإنشائية هي التي تتضمّن كلاماً لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته. الأسلوب الإنشائي ينقسم إلى قسمين: إنشاء طلبي وإنشاء غير طلبي. أمّا الإنشاء الطلبي فقد قسّموه إلى تسعة أقسامٍ: أمر، ونهي، واستفهام، ودعاء، وعرض، وتحضيض، وتمنٍّ، وترجٍّ، ونداء. وفي ما يلي سوف نركز على دراسة (الأمر، والشرط، والاستفهام).

١. الأمر

فعل الأمر من «الأفعال التي في أوّلها تدلّ على أنّ المتكلم يطلب من المخاطب بهذه الأفعال حصول شيء من الأشياء ويأمره بأن يفعله بعد وقت التكلّم، فمثلاً (أكتب) يدلّ على أنّني أطلب منك حصول الكتابة بعد النطق بهذا وآمرك بالكتابة فكتابة الأمر يُطلَبُ به حصول شيءٍ بعد زمن التكلّم»[٢٨]. وهناك أمثال أخلاقية جاءت بصيغة الأمر، منها:

- إعفُ عما أغضبك لما أرضاك
- اگر رفيق شفيقى، درست پيمان باش (إذا كنت صديقاً شفيقاً، فعليك أن تلتزم بالعهود)
- خاموش نشين و فارغ از عالم باش (الزم الصمت وتخلّى عمّا في العالم)
- كم گوى و گزيده گوى يعادل: (خير الكلام ما قلّ و دلّ) وكذلك: (إذا تمَّ العقل نقصَ الكلام).
- همسايه را بپرس، خانه را بخر (اسأل عن الجار، ثم اشترِ البيت) وهو معادل للمثل العربي: (الجارُ قَبلِ الدارُ).

ولما كانت هذه الأمثال تتضمّن وصايا أخلاقية، فصياغة الأمريّة تكون أبلغ وأشد تأثيراً على المتلقي، لأنّ هذه الأمثال تحمل معها سمات تحفيزيّة ومثيرات موحية تشدّ المتلقي نحوها. وفي ضوء بحثنا عن الأمثال، تبيّن لنا أنّ الأمثال الفارسية أكثر من العربية جاءت بصيغة الأمر.

٢. الشرط

كثير من الأمثال جاءت بصيغة الشرط لما يحمله هذا الأسلوب من طاقات إيحائية وإمكانيات تواصلية وقابلية دلاليّة، لأنّ «الأمثال العربيّة عموماً تميل إلى التركيب الثنائي الذي يكون في صورة مقدمة ثم نتيجة، وأسلوب الشرط يتيح للأمثال قالباً ثنائياً متميزاً، لأنّه يقوم أساساً على وحدتين، الأولى جملة الشرط والثانية جوابها»[٢٩]. ففي المثل التالي:

«إذا اتّخدتم عند رجل يداً فانسوها»[٣٠].

جاء هذا المثل بصيغة شرطية مكثّفة يسهل حفظها ونقلها عند الحاجة للاستشهاد به. اليد في هذا السياق تعني الخير والمعروف، فالمثل يقول إذا قدّم الرجل معروفاً لشخصٍ آخر فعليه أن ينسى هذا الجميل ولا يتغنّى به، لأنّ المعروف واجب أخلاقي يقوم به المرء بدافع الإنسانية ويجب ألّا ينتظر من ورائه مكافأة أو شكراً.

ومن جمال أسلوب الشرط في الأمثال تأثيره الإقناعي على الملتقي، إذ «يُعدّ أسلوب الشرط سمة جوهرية للنص الحجاجي، إذ يسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، ذلك أنّ أسلوب الشرط يقوم على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه، ما دام أن فعل الشرط يتنزل منزلة المسلم به، والمعلوم والمعنى المشترك المتعارف عليه الذي يبنى عليه استنتاج غير المسلم به وغير المعلوم»[٣١]. وفي الأمثال:

– من لانت كلمته وجبت محبته

– من جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل

– لسانك حصانك إن صُنته صانك، وإن هِنته هانك

– بيگانه اگر وفا كند، خويش من است (إذا التزم الغريب بالوفاء، يصبح لي من المقربين والأحبة)

– اگر رفيق شفيقى، درست پيمان باش (إذا كنت صديقاً شفيقاً، فعليك أن تلتزم بالعهود)

يُعدّ هذا الأسلوب من أساسيات الإقناع لما يؤدّي إلى ثنائيّة بين السبب والنتيجة، أو الطلب والجواب، فإقناع المتلقي بشيء ما، مرهون بكشف عاقبته[٣٢].

– الاستفهام

الاستفهام كما جاء في البلاغة هو «طلب المتكلّم من مخاطبه أن يحصل في الذّهن ما لم يكن حاصلاً عنده ممّا سأله عنه»[٣٣]. والاستفهام «أكثر أدوات التخاطب فاعليّة للسيطرة على المخاطب»[٣٤]. لا يخفى أنّ حياة البشر قائمةٌ على السؤال للمعرفة والتطوّر، وهذا الأسلوب كثيراً ما يُستخدَم في معناه الحقيقيّ والبلاغيّ لإفادة المعنى والمقصود، لأنّ للاستفهام أهمية بالغة في توصيل المعاني وله تاثيرٌ مضاعفٌ للفت انتباه المخاطبين. وقد يخرج هذا السؤال أحياناً عن الاستفسار وطلب المجهول لأغراض بلاغيّة، فيكون للإنكار والتوبيخ والتعجّب. صياغة الجمل الاستفهامية في الأمثال وسيلة من وسائل الإثارة يستخدمها المُرسل لتحفيز ذهن المُرسل إليه وتؤدّي وظيفة حجاجيّة كما جاء في الآتي:

– إذا قابلت الإساءة بالإساءة، فمتى تنتهي الإساءة؟

فنرى مدى فاعلية الاستفهام في هذا المثل وما له من تأثير فاعل في إقناع المخاطب، لأنّ الاستفهام يُعد من الأساليب الإنشائيّة ذات الأهميّة البالغة في عمليّة الإقناع؛ «فهو يُعتبر وقوداً للحوار، وبه تتّسع رقعته بين

الطرفين المتحاورين، أو الأطراف المتحاورة، وكلّما زادت رقعة الحوار اتّساعاً، زادت واتّسعت مساحة الحجاج، وارتفعت نسبة الإقناع فيها»[٣٥].

– خانه همسايه آش مى‌پزند به من چه؟ (في بيت جاري يطبخون الحساء، فماذا يخصني؟) وهو مثل يدلّ على عدم التدخّل في ما لا يعني الإنسان. وكما نرى الاستفهام جاء في كلا المثلين في آخر الجملة، كحجة ودليل لإقناع المتلقي.

ج) التجنيس

يُعد الجناس من المحسنات اللفظية في علم البديع وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى[٣٦]. وقيل «الأجناس من كلام العرب ما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى»[٣٧]. من أهمّ خصائص الأمثال هو الجناس الصوتي الذي يساعد على سرعة حفظه وفاعليته واستدعائه أثناء الكلام. «التسجيع هو العنصر السمعي الذي يجعل للملفوظ الشفهي تأثيراً أكبر وأشدّ فاعلية في حافظة المرء، وهو نتيجة لتشديده غالباً على طرفي التضاد، وهو يحفظ للازدواج الذي تتّسم به المفارقة، موقعه الدائم في الذاكرة، يجعله دائم الاستدعاء مرة بعد أخرى»[٣٨]. في المثل الآتي نرى مدى جمالية الجناس وبلاغته:

– من جاد بماله جل، ومن جاد بعرضه ذل

فهذا الجناس الصوتي يؤدّى إلى التوقّف مرتين «ليعطي مجالاً نفسياً للتردد بين قطبي التضاد الشكلي الذي ينطوي على تماثل مضموني، وللتأثير النفسي الكبير للإيقاع الصوتي أصبح أحد الميكانيزمات الدعائية الحديثة التي وظّفتها الإعلانات التليفزيونية لترويج السلع والخدمات بين الجمهور، وهو ما يؤكد الاستجابة الجماعية لهذا اللون من التواصل البلاغي»[٣٩]. وكذلك:

– عدل قائم خير من عطاء دائم

– سخن اگر زر است سكوت گوهر است (إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب)

– خاموشى با سلامت به از گفتن با ملامت (السكوت مع السلامة خير من الكلام مع الملامة)

إنّ توظيف الجناس له دور بارز في إحداث البناء الموسيقى للكلام كما إنّه يساعد على إيجاد التوازن والكشف عن خفايا الجمال في الكلام.

د) فاعلية الطباق

الطباق يُعدّ من أروع أنواع المحسنات البديعيّة، وهو الجمع بين ضدين أي معنيين متقابلينِ في سياق واحد، ويُطلق عليه التطبيق، والمطابقة، والتكافؤ، والتضاد أيضاً. هذا التلاعب البلاغي وسيلة فاعلة من وسائل

الإقناع وذلك من خلال الجمع بين متناقضين لتكملة الفكرة التي يسعى الشاعر إلى نقلها للمتلقي. نرى الأمثال العربية والفارسية تستخدم بكثرة هذه المحسنة البديعية لجمالها ودورها الفاعل في التأثير عن المخاطب:

– الخير في الكريم طبيعة وفي البخيل دفيعة

– آن دوست كه بى وفاست دشمن به از اوست (العدو أفضل من الصديق الذي لا وفاء له)

– در عفو لذتى است كه در انتقام نيست (في العفو لذة لا نجدها في الانتقام)

– مالت را خوار كن، تا خودت عزيز شوى (ذل مالك لكي تكون عزيزاً)

ففي المثل الأول نجد تقابلاً بين (الكريم والبخيل)، وفي الثاني بين (دوست ودشمن: الصديق والعدو)، وفي الثالث بين (عفو وانتقام)، وفي المثل الرابع يقع الطباق بين (خوار وعزيز: الذلّ والعزيز). ولا يخفى على القارئ أنّ هذه الأمثال الفارسية من حيث الفكرة تقترب للأمثال العربية، وحتى من حيث اللغة والصياغة نجد تشابهاً ملحوظاً.

الخاتمة

توصّلت هذه الدراسة إلى نتائج أهمّها:

– معظم الأمثال العربية والفارسية تتّسم بطابع إنساني وقيم أخلاقية نبيلة تهدف إلى إصلاح المجتمع وتطوير العلاقات الإنسانية.

– الأمثال نتيجة لتجربة إنسانية ونتاج عدّة عوامل ثقافية وحضارية وفطريّة، فلهذا نجدها مشتركة من حيث المعنى والمبنى بين الشعوب.

– من خلال البحث في الأمثال العربية والفارسية تبيّن أنّ كثيراً من الأبعاد الأخلاقية والقيم الإنسانية في هذه الأمثال ذات طابع مشترك من حيث الشكل والمضمون، وذلك يعود للروافد المشتركة بينهما ولاسيما الرافد الديني.

– تؤدّي القيّم الأخلاقية في الأمثال دوراً مهمّاً في توجيه سلوكيات أفراد المجتمع وحثّهم على الخير والمحبة والتآخي.

– تمثّلت القيم الأخلاقية في الأمثال العربية والفارسية بعدّة ثيمات أبرزها حسن الجوار، والحثّ على الكرم، وصلة الرحم، والوفاء بالعهد، والعدالة، والتسامح، والتزام الصمت.

– تنوّعت صياغات الأمثال بين الجمل الإخباريّة والإنشائية، وتميّزت بإيقاعها الصوتي ممّا أدّت إلى جمال البنية وإثراء الدلالة، وسرعة حفظها ونقلها.

هوامش البحث:

[1]. محمد أمين عبدالصمد، القيم في الأمثال الشعبية بين مصر وليبيا، القاهرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص ١١.

[2]. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ج ٥، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٤٠.

[3]. نجلاء محمد علي أحمد، قصص وحكايات الأطفال، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠١١، ص ٥٨.

[4]. محمود خليل ابودف، القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية الفلسطينية، دراسة تحليلية من منظور إسلامي، الجامعة الإسلامية غزة، ١٩٩٩، ص ٥.

[5]. انتصار مهدي عبدالله، القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي، للطالبة، جامعة الخرطوم، إطروحة مقدمّة لنيل درجة الدكتوراه، ٢٠٠٨، ص ٧.

[6]. سورة القلم: آية ٤.

[7]. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، صص ١٨-١٩.

[8]. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق حنا الفاخوري، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٧، ص ٢٠.

[9]. أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق وشرح محي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصريّة صيدا، جزء ١، ٢٠٠٥، ص ٦.

[10]. خير الدين شمسي باشا، معجم الأمثال العربية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ج١، ط ١، ٢٠٠٢، ص ١٠.

[11]. عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية/ دراسة تحليلية، ص ١٢، نقلاً عن لخضر حليتيم، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائريّة، دار النشر، المؤسسة الصحفية بالمسيلة، ص ١٦.

[12]. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج ٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٣.

[13]. سورة البقرة: آية ٢٦١.

[14]. سورة البقرة: آية ٢٧٢.

[15]. سورة البقرة: آية ٢١٥.

[16]. سورة النساء: آية ١٣٥.

[17]. سورة النساء: آية ٣٦.

[18]. سورة آل عمران: آية ٧٦.

[19]. سورة البقرة: آية ١٧٧.

[٢٠]. شهاب الدين بن محمد الأبشيهي، المستطرف في كل فنّ مستظرف، تحقيق عبدالله أنيس الطبّاع، بيروت، دار القلم، ص ٢٠٦.

[٢١]. سورة النحل: آية ٩٠.

[٢٢]. سورة النساء: آية ٥٨.

[٢٣]. سورة الشورى: آية ١٥.

[٢٤]. سورة النور: آية ٢٢.

[٢٥]. سورة آل عمران: آية ١٣٣.

[٢٦]. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص ١٦٧.

[٢٧]. محمد علوان ونعمان علوان، من بلاغة القرآن (المعاني، البيان، البديع)، ط٢، مطبعة بغداد، ١٩٩٨م، ص ٣٢.

[٢٨]. عبدالحميد، محمد محيي الدين، مبادئ دروس العربيّة، ط٢، جدّة: دار نور المكتبات، ٢٠٠١م، ص ١٦.

[٢٩]. أماني سليمان داود، الأمثال العربية القديمة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٣٩-١٤٠.

[٣٠]. الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٤٧.

[٣١]. حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته/ دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م، ص ٣٢٩.

[٣٢]. فوز سهيل كامل نزال، «أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني (شعر الإمام الشافعي أنموذجاً)»، المجلة الأردنيّة في الدراسات الإسلاميّة، المجلد ٩، العدد ٤، ٢٠١٣م، صص ٢٨٣-٣٠١، صص٢٨٧ و٢٨٨.

[٣٣]. - جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، ج٧، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص ٤٣.

[٣٤]. هاري ميلز، فن الإقناع، ط١، الرياض، مكتب جرير، ٢٠٠١م، ص ٢١١.

[٣٥]. أحمد مزاوغي، أساليب الإقناع في سورة يوسف/ دراسة لسانية تداولية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٢م، ص ١٥٣.

[٣٦]. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٦٠م، ص٤٥٠.

[٣٧]. أحمد مطلوب، فنون بلاغة البيان والبديع، الكويت، دار البحوث العلميّة، ١٩٧٥م، ص٢٢٣.

[٣٨]. محمد أمين عبدالصمد، القيم في الأمثال الشعبية بين مصر وليبيا، ص ١٥٣.

[٣٩]. المصدر نفسه، ص ١٥٣.

مصادر البحث:

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٨١.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، ج ٥، ط ١، ٢٠٠٤.
- ابودف، محمود خليل، القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية الفلسطينية، دراسة تحليلية من منظور إسلامي، الجامعة الإسلامية غزة، ١٩٩٩.
- الأبشيهي، شهاب الدين بن محمد، المستطرف في كل فنّ مستظرف، تحقيق عبدالله أنيس الطبّاع، بيروت، دار القلم، ١٩٨١.
- أحمد، نجلاء محمد علي، قصص وحكايات الأطفال، الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠١١.
- الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.
- باشا، خير الدين شمسي، معجم الأمثال العربية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ج١، ط ١، ٢٠٠٢.
- حليتيم، لخضر، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزئريّة، دار النشر، المؤسسة الصحفية بالمسيلة، ط١، ٢٠١٠.
- داود، أماني سليمان، الأمثال العربية القديمة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٩.
- السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، ج٧، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م .
- عبدالحميد، محمد محيي الدين، مبادئ دروس العربيّة، ط٢، جدّة: دار نور المكتبات، ٢٠٠١م.
- عبدالصمد، محمد أمين، القيم في الأمثال الشعبية بين مصر وليبيا»، القاهرة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠١٢.
- عبدالله، انتصار مهدي، القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي، للطالبة، جامعة الخرطوم، إطروحة مقدمّة لنيل درجة الدكتوراه، ٢٠٠٨.
- علوان، محمد ونعمان علوان، من بلاغة القرآن (المعاني، البيان، البديع)، ط٢، مطبعة بغداد، ١٩٩٨م.
- علوي، حافظ اسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته/ دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م.

- قطامش، عبد المجيد، الأمثال العربية/ دراسة تحليلية، دمشق، دار الفكر، ط ١، ١٩٨٨.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق حنا الفاخوري، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٧.
- مزاوغي، أحمد، أساليب الإقناع في سورة يوسف/ دراسة لسانية تداولية، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٢م.
- مطلوب، أحمد، فنون بلاغة البيان والبديع، الكويت، دار البحوث العلميّة، ١٩٧٥م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، تحقيق وشرح محي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصريّة صيدا، جزء ١، ٢٠٠٥.
- ميلز، هاري، فن الإقناع، ط١، الرياض، مكتب جرير، ٢٠٠١م.
- نزال، فوز سهيل كامل، «أساليب الإقناع اللغوية في شعر الوعظ الديني (شعر الإمام الشافعي أنموذجاً)»، المجلة الأردنيّة في الدراسات الإسلاميّة، المجلد ٩، العدد ٤، ٢٠١٣م، صص ٢٨٣-٣٠١.
- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٦٠م.

العدل الأخلاقي من منظور قرآني وأثره في بناء المجتمع

أ.م.د. كمال حمادي سفيح
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

ملخص البحث

العدل وضع الشيء في موضعه ، والاخلاق هو علم يبحث فيه عن الصفات الحسنة والسيئة وكيفية اكتساب الفضائل وترك الرذائل، وهو من الاهداف المهمة لبعثة الانبياء، وهو استحكام العدالة في مملكة النفس لكي تساعد على توزيع الادوار بحسب الحاجة، وهذا بحاجة الى العلم والعمل، واتضح من خلال البحث الطريقة في تثبيت العدالة في النفس، والرؤية القرآنية للعلاقة مع افراد الاسرة والمجتمع، مع بيان أهمية عدالة القانون ومطبق القانون في بناء المجتمع. وبيان الاسلوب الأمثل للمبلغ الرسالي بدفع السيئة بالحسنة ورفع الموانع الشيطانية، ومع ذلك فان التغيير الاجتماعي يعتمد على تغيير الانسان لنفسه، واتضح أيضاً العامل الغيبي واثره في العطاء اللامحدود.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، العدل الأخلاقي، بناء المجتمع.

abstract

Justice puts something in its place, Ethics is a science that seeks good qualities And evils and how to acquire virtues and leave vices, One of the important goals is the resurrection of the prophets, This is the establishment of justice in the realm of the soul in order to help perform roles as needed, And this requires knowledge and practice, And it became clear through research on the method of establishing justice in the soul, And Quranic insights for relationships with family members and the community, Pointing to the importance of the rule of law and law enforcement in building society. And explaining the ideal way to preach by repelling evil with good and removing demonic barriers, however, the change in the social depends on the change of the person himself. The occult factor and its effect on unlimited forgiveness were also identified…

Keywords: the Noble Qur'an, moral justice, building society

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: نستوحي من آيات القران الكريم ان الخُلق الانساني السّامي الرفيع لا يقتصر تأثيره على السلوك المعنوي الاخروي بل له اثر كبير في الحياة المادية والدنيوية، وبناء المجتمع الامثل يبدأ من بناء النفس الاكمل، وان للعدل الاخلاقي الدور الكبير في بناء الحياة والحضارة الانسانية السّامية والمجتمع الامثل، وان ما جاء في القران الكريم من القيم الاخلاقية التي تستطيع تحرير الانسان من غطرسة النفس والمجتمع وفوق قانون إلهي يضمن لنا التكامل والرقي، ومع ان التركيز عادة على دور الاخلاق في الحياة الفردية الانسانية الا ان الاهم من ذلك الحياة الاجتماعية.

ويمكن طرح مناقشة علمية ذات بعد عملي لبيان العدل الاخلاقي من منظور قراني لمعركة النفس وملكاتها(سجاياها)، وبيان كيفية الموافق للعدل الاخلاقي، والنزاع والتزاحم بين نفسك ومن حولك من الاهل وغيرهم، وكذلك في العدالة بين الآخرين في التعامل المادي والعاطفي.

كذلك نستوحي من الآيات القرآنية الأساس في التعامل لبناء المجتمع الانساني الأمثل كما في قوله تعالى{**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**} سورة فصلت آية ٣٤-٣٥ وقوله تعالى{ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** }سورة الزمر آية ١٨، ثم كيف يمكن تغير المجتمع والاساس القاعدة القرآنية كقوله تعالى{ **لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** } سورة الرعد آية ١١ فأساس البناء العلوي يعتمد على البناء السفلي، ولكي تكتمل الصورة لابد من بيان ما لأثر العامل الغيبي الالهي من البركة والعطاء اللامتناهي لمن سار على النهج القرآني الالهي كما في قوله تعالى{ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**} سورة الأعراف آية ٩٦ وقوله تعالى{ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**} سورة المائدة آية ٦٦.

وفي الخاتمة وبعد بيان أهمية و دور علم الأخلاق في بناء المجتمع لذلك ينبغي اضافته ضمن مناهج التدريس في المدارس والجامعات لان العلم قبل العمل بل لا يمكن العمل بدون العلم.

خطة البحث

((العدل الاخلاقي من منظور قرآني وأثره في بناء المجتمع))

حيث يتكون البحث من مدخل، ومبحثين، وخاتمة

يحتوي المدخل على:

أولًا : بيان مفردات البحث. ثانيًا : أهمية البحث. ثالثاً: هدف البحث

رابعاً: علاقة العلم بالأخلاق خامساً: قابلية الأخلاق للتعيير

المبحث الأول: العدل الأخلاقي ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العدل الأخلاقي بين ملكات النفس.

المطلب الثاني: العدل الأخلاقي بين النفس والآخرين.

المطلب الثالث: العدل الأخلاقي بين الآخرين.

المبحث الثاني: المنظور القرآني في بناء المجتمع، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الأدلة القرآنية لبيان التعامل الأمثل لبناء المجتمع.

المطلب الثاني : أساس التغيير الاجتماعي.

المطلب الثالث : العامل الغيبي و أثره في العطاء اللامحدود.

الخاتمة : بيان أهمية العلم قبل العمل.

المدخل: كليات البحث وفيه: أولاً: مفردات البحث

تعريف علم الأخلاق

أخلاق جمع خلق . واصل اللغة خلق بمعنى الهيئة والشكل الذي يراه الانسان بعينه ، والخلق بمعنى القوى والسجايا الذاتية للإنسان[١]، قال ابن مسكويه في تهذيب الاخلاق : ان الخلق هو تلك الحالة النفسانية التي تدعو الانسان لأفعال لا تحتاج الى تفكر وتدبر[٢]، وهو نفس كلام الفيض الكاشاني في كتاب الحقائق : " اعلم أن الخلق هو عبارة عن هيئة قائمة في النفس ، تصدر منها الأفعال بسهولة من دون الحاجة الى تدبر وتفكر"[٣].

ويمكن القول : ان الاخلاق هو علم يبحث فيه عن سجايا الانسان او علم يبحث فيه عن داء النفس ودوائها او علم يبحث فيه عن كيفية اكتساب الفضائل وترك الرذائل .

وقد عرف بانه علم يبحث فيه عن أسس اكتساب هذه الصفات الحسنة وطرق محاربة الصفات السيئة واثارها على الفرد والمجتمع أو " علم يبحث فيه عن الملكات والصفات الحسنة والسيئة [٤]

تعريف العدل

العدل لغة : عَدَلَ أنصف ، تجنب الظلم ، عدل بين المتخاصمين أنصف بينهما وتجنب الظلم

العدل: المساواة عدل شيء بشيء سواه به عدل في امره استقام، التوسط بين الافراط والتفريط [٥]

العدل اصطلاحا : كثر الكلام عن معنى العدل ومن حيثيات مختلفة وافضل ما قيل فيه

العدل في اقوال أمير المؤمنين(ع) : ان العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق ونصبه لإقامة الحق فلا تخالفه في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه . [٦]

سئل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) : أيهما افضل العدل او الجود ؟ فقال : العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها من جهتها والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل أشرفها وأفضلها [٧].

القرآن: هو الكلام المنزل للإعجاز بآية منه المتعبد بتلاوته[٨]. للقرآن الكريم أسماءٌ أُخرى منها: الكتاب: في قول الله تعالى: {حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}[٩]. الفرقان: في قول الله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[١٠]. الذّكر: في قول الله تعالى: {وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}[١١]. النّور: في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}[١٢]. التّنزيل: في قول الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[١٣].

البناء الاجتماعي: هو عبارة عن نظم اجتماعية تتصف بمنزلة معينة من المتانة والاستقرار وتتكون من أفراد وجماعات، على سبيل المثال: العشائر والقبائل والامم وتعمل كل منها على ترتيب العلاقات بين الأفراد الذين ينتسبون إليها[١٤].

أو هو الإطار التنظيمي العام الذي يندرج تحته كافة أوجه السلوك الإنساني في مجتمع ما ويتضمن مجموعة النظم الاجتماعية ذات القواعد السلوكية المستقرة[١٥].

ثانياً: اهمية البحث

بحث الاخلاق بشكل عام كان من أهم أهداف الانبياء والرسل؛ قال تعالى { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[١٦] وقال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }(١٧) وقال تعالى { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}[١٨].

كما ترى ان الآيات الكريمة قدمت التزكية على التعليم، والظاهر ان التزكية من الاهداف المهمة لبعثة النبي (ص)، فان التزكية هي الهدف والغاية النهائية وان كان التعليم من الناحية العملية مقدم فلا يمكن التزكية بدون التعليم لذلك كان في الآيات تقديم التزكية وتأخيرها ويمكن ان تذكر امور اخرى لأجل التقديم والتأخير[١٩].

نعم إن التكامل الاخلاقي للفرد والمجتمع هو أهم الأهداف التي تعتمد عليه جميع الأديان السماوية هو أساس كل صلاح في المجتمع.

والعدالة : هي اشرف الفضائل الاخلاقية وافضلها بل هي كل الفضائل كما ان الجور كل الرذائل، وهي هيئة نفسانية يستطيع بها تقويم جميع الصفات والافعال واخذ الوسط وتجنب الافراط والتفريط ومن هنا فالعدالة الاخلاقية هي اساس بناء المجتمع من ذلك يتضح اهمية البحث.

ثالثاً: هدف البحث

بيان كيفية تنمية صفة العدالة في داخل الانسان، وان سعادة الانسان تبدأ من داخله و تنتقل الى خارجه وبها يعمر البلد وتصل بالمجتمع الى المجتمع المثالي.

رابعاً: علاقة العلم بالأخلاق

الجهل هو اساس ارتكاب الرذائل، والعلم هو اساس السعي وراء الفضائل، وكما هو معلوم في القران الكريم جاء تعليم الكتاب والحكمة، وهذا التلازم يدل على هذا الجانب وهو اثر العلم في تزكية النفس لذلك اذا اردت ان ترتقي بالمجتمع أول ما تبدأ بالعلم كما هو من سيرة الوحي الالهي في قرانه المجيد في أول آيات شرف فيها مسامع النبي { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[٢٠] واضحة الدلالة على طلب العلم وهو العلم الكسبي القراءة والكتابة، ومن النادر ان يتجه الانسان الى الرذائل وهو عالم بها، واذا علم الانسان ماهي الفضائل سوف لن يتركها، ومن هذا المنطلق فان مفتاح البناء الاساسي للمجتمع يعتمد على المعرفة كي تزرع في نفوسنا بذور الفضائل الاخلاقية وهذا لا يكون من دون معرفة بهذه الفضائل.

والسؤال الذي يطرح نفسه ، نجد من درس وتعلم ثم ارتكب الرذائل ؟ والجواب واضح: ذلك لان الانسان لديه بعدان بعد العلم والادراك، والاخر البعد العملي : وهو الميول والغرائز والشهوات ، ولأجل ذلك قد يميل نحو الغرائز مع علمه بالضرر إلا ان التأثير المتبادل بين عنصر الجهل وسوء العمل كما في قوله تعالى {**أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ**}[٢١]، فجهله هو من اسباب عمل السوء، وعندما يرتفع الجهل سوف يرجع

الانسان الى الطريق القويم، وان الجهل هو احد اسباب الكفر وإشاعة الفساد والتعصب والعناد والتقليد الأعمى والتفرقة وسوء الظن والجسارة وقلة الادب بذلك يمكن القول أن الجهل هو أصل الفساد لكثير من القيم .

هناك كثير من الناس من لا يعلم إلا انه يعاند ويسير على الخطأ ويبقى في طريق الظلم والعدوان كما في قوله تعالى { **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً**}[٢٢] وكما في وصفه تعالى لبعض اهل الكتاب {**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** }[٢٣] وهذه الآية وغيرها إلا ان ذلك لا يمنع القول بان المعرفة والعلم يكون البناء السليم للمجتمع

خامساً: قابلية الأخلاق للتغيير

ان قلنا ان اساس بناء المجتمع هو العلم والمعرفة لابد من الاجابة على هذا السؤال وبيان قابلية التغيير في العلم والمعرفة نعم ان قلنا لا يمكن التغيير اصلاً تصبح كل برامج الانبياء التربوية والكتب السماوية ووضع القوانين والعقوبات لا فائدة ولا معنى لها الا ان هذا البحث قد طرح في كتب الاخلاق وغيرها ..وهذا يرجع الى ظاهر بعض الآيات والروايات عند التأمل في ذلك حتى قال الشاعر : إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

ملخص البحث في هذا ثلاث اقوال: الاول: من اخذ بظاهر الدلالات وقال بعدم امكان التغيير كما في الحديث الشريف " الناس معادن كما الذهب والفضة "[٢٤] وحديث اخر : " اذا سمعتم ان جبلاً زال عن مكانه فصدقوه واذا سمعتم رجلا زال عن خلقة فلا تصدقوه فانه سيعود الى ما جبل عليه "[٢٥]

هذه وامثالها من احاديث الطينة[٢٦] التي تدل على ان كل انسان يرجع إلى اصل خلقه وعلى ذلك فلا فائدة من التعليم والتخلق بالمعارف الفاضلة.

اما القول الثاني الذي يقول بإمكانية التغيير؛ لان بعث الانبياء والرسل وغيرها من برامج التعليم تعتمد على هذا القول، وهو امكانية التغيير بالعلم و العمل، كما ان الانسان استطاع من ترويض الحيوانات الوحشية كيف لا يستطيع ترويض نفسه وهو العاقل الذي يدرك الحسن والقبيح، كما ان هناك آيات وروايات كثيرة تدل على امكان التغيير وان الانسان هو الذي يختار طريقه { **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً** }[٢٧]، { **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** }[٢٨] وغيرها من الادلة الواضحة على امكان التغيير.

القول الثالث : فصل بين السجايا التي لا يمكن ان تتغير والسجايا والاخلاق التي يمكن ان تتغير[٢٩].

وهذا القول لا دليل عليه إلا انه يمكن القول ان بعض الصفات يمكن تغييرها بسهولة والاخرى لا يمكن بتلك السهولة بل لابد من المجاهدة لفترة من الزمن حتى تغير نفسك عن الحالة التي انت عليها وان كانت من الاخلاق الرذيلة .

المبحث الاول: العدل الأخلاقي وفيه مطالب:

المطلب الاول: العدل الاخلاقي بين ملكات النفس

كما تحدث اهل الاخلاق[٣٠] عن الموازنة بين قوى النفس ورجوع هذا الامر اما الى العقل او الحكمة هي التي تعادل بين القوى النفسية الاخرى ولم نجد تفصيل في المسألة الا ان العدالة الاخلاقية ان استحكمت المملكة النفسية يمكن ان تسود العدالة داخلها وتوزع الادوار بحسب الحاجة من غير افراط وتفريط وعلى القول المشهور وهي اربع قوى داخل مملكة نفس الانسان:

١- السبعية (الغضبة) وافعالها العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم وهو الوسيلة لحماية الانسان وحماية نفسه وعرضه وماله.

٢- البهيمية (الشهوية) وافعالها افعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره وفي نفس الوقت هي القوة الماسكة والجاذبة والتي تكسر القوة الغضبية .

٣- القوة الوهمية (الشيطانية) وافعالها الوهم و التفكر خارج المألوف ودخول الانسان في خيالات كثيرة وفي نفس الوقت هي الأمل في ايجاد المخارج في اوقات الحرج والضيق من العدو او غيره من مكائد الدنيا.

٤- القوة العاقلة (الربانية) وافعالها الاستيلاء والاستعلاء والاستبداد وهي تدعوا الى التواضع وحب الاطلاع على العلوم كلها والمعرفة والاحاطة بحقائق الامور وتكره الجهل

وعلى ذلك " فكل إنسان فيه شوب من هذه الصفات الاربعة أعني الربوبية ، الشيطانية ، والسبعية ، والبهيمية "[٣١] فيحتاج الى العدالة الاخلاقية وهي التي تحدد كل من هذه القوى عن التعدي و الافراط وفي نفس الوقت توظفها في خدمة الانسان ، والانسانية : محاولة ان تتقوى على الغضبية بالشهوية باعتبار القوى الدافعة بالقوة الماسكة وعلى الشهوية بالغضبية لتوازن بينهن فلا تتعدى الشهوية حدودها ولا تتعدى الغضبية حدودها وكذلك بالقوى العاقلة يتحكم بالقوة الوهمية او الشيطانية وتكشف انواع الشيطنة التي تأتي بها وبهذا تصبح القوى الحاكمة لملكة الانسان هي القوة العادلة او العدل الاخلاقي وهذا الشيء ليس هو بالسهل بل هو اصعب الاشياء عن ابي عبد الله الصادق (ع): ان النبي (ص) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقى الجهاد الأكبر فقيل يا رسول الله ما الجهاد الاكبر قال : جهاد النفس [٣٢]، وكيف ذلك لابد من

بيان وهي خطوات لإصلاح حال القلب ويمكن ان يكون اول خطوة هي الارادة : وهي الرغبة في ادراك المراد وعبر عنها الشيخ الرئيسي في الاشارات(٣٣).

اما بعد الارادة هناك مقام مهم وهو العزم وهو هنا وظيفته باتخاذ القرار بتسليم مملكة النفس بيد القوة العادلة هنا يحتاج الى وقت يحسب طبيعة النفس للوصول إلى الاتزان وتحكيم العدالة الاخلاقية في جميع الافعال والاقوال بما فيها الخواطر الذهنية وهذه المرحلة من اصعب المراحل لان الذهن وخواطره من جهة سهل إلا انه صعب السيطرة عليه وفي ذلك ذكرت اقوال:

الاول : انقطاع الوسوسة بذكر الله تعالى لقول الرسول (ص) اذا ذكر الله خنس الشيطان.

الثاني : لا تنقطع اصل الوسوسة ولكن لا يكون لها اثر في القلب.

الثالث : لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ولكن لا تكون هي الغالبة على القلب.

الرابعة : تعاقب الوسوسة والذكر على القلب.

الخامس :أن الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب في نفس الوقت(٣٤).

ويمكن ان تكون جميع هذه الاقوال صحيحة واقوال اخرى تضاف إليها لان الامر بحسب طبيعة الانسان وعزمه وبنفس الوقت بحسب درجات الخواطر القلبية فهناك اخطار ضعيف وهناك قوى وهناك اخطار ذو شيطنة عالية او شيطنة دانية وعلى هذا لا يمكن تحديد القول الصحيح إلا بتحديد نوع الاخطار ونوع القلب الانساني وقوة ايمانه لان كل هذه تبدأ بظاهر الشريعة واداء واجباتها والطريق طويل للوصول الى ان تكون العدالة الاخلاقية هي المالكة لمملكة النفس وظهورها في قلب الانسان واستمرارها في ادارة الامور وهذا بحاجة إلى السعي للحصول على هذه الصفات التي هي اشرف الفضائل كما مر وتجنب الافراط والتفريط .

ومن الأمور الضرورية لتحقيق العدالة الاخلاقية داخل النفس هي : المشارطة وهو ان يشارط نفسه ان لا يمكن النفس من أي القوى فقط العدالة ومن الممكن ان يصور لك ابليس وجنده ان الامر صعب وعسير وان هذه من مقامات الانبياء ليضعف عزيمتك إلا انك بالمشارطة تعتبر نفسك ملزم بهذا العمل وبعدها المراقبة وهي ان تنتبه طوال مدة المشارطة على العمل وفق ما قررت ثم تحاسب نفسك وتعالج الامر ان وقع خلاف وتشكر الله تعالى ان وفقت لذلك ومع الارادة ثم العزيمة ثم المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة وبهذا حصلت التخلية القلبية فلا يترك القلب بل لا بد من التحلية وباختصار لابد من ذكر الله تعالى والمواظبة على الذكر لتحصل بعد ذلك التحلية وتتمكن العدالة الاخلاقية من امتلاك زمام المبادرة ولا تنس ان ذلك على طريق الايمان بالله تعالى وان قلنا هناك من العدالة الاخلاقية عند غير المؤمن نعم وفي ذلك بحث طويل في النظام

الطولي والعرضي اقصد بالطولي الوراثي والعرضي التربية يمكن حصول العدالة الاخلاقية لغير الموحد ولكن كلامنا في حصول ذلك وكيفيته ضمن البرنامج الإيماني التوحيدي.

المطلب الثاني : العدل الاخلاقي بين النفس والاخرين

من وصية امير المؤمنين علي ابن ابي طالب الى ولده الحسن والحسين (عليهما السلام) " يا بني أجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فاحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك "[٣٥]

من الامور الصعبة هي الميزان الحقيقي لبيان حقيقة الانسان عندما يدور الامر بين نفسه وبين الاخرين كيف يكون الحكم ؟

وهنا تظهر بجلاء العدالة الاخلاقية فقد فصل الامام عليه السلام في الحب والكره والظلم وكل ما تفعله اذا كنت تستقبله من غيرك فمن نفسك من باب اولى .

وهذا الميزان هو جزء من تراث أهل البيت عليهم السلام لبيان حقيقة في نفسك وهي متى يكون تحكمك مطابق للواقع

لابد من بيان ما في القران الكريم من طبيعة التعامل مع الاسرة التي هي نواة المجتمع

اولا: الزوجة فالحياة الاولى تبدأ مع الزوجة قال تعالى{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً }[٣٦] { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ }[٣٧]

اذن اصل السكن والاستقرار والمودة والرحمة هنا في التعامل الايجابي مع شريك الحياة وهذا امر مهم جداً ويجب الالتفات اليه هنا عنصر ايجابي ومساعد ومساند لاستمرار الحياة بشكل افضل

ثانياً: الوالد والوالدة وهنا آيات كثيرة تشير الى ذلك قوله تعالى {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}[٣٨] .. اذن الاساس الذي يكون في التعامل مع الوالدين واضح جدا بإعطاء الرحمة الكبيرة

ثالثاً : الاولاد عندما يحذر الله تعالى من الاولاد ويبين انهم فتنه قال تعالى { **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ** }[٣٩] وذلك لأنه تعالى جعل في قلب الاب عاطفة ومحبة كبيرة باتجاه الاولاد وهذا من تكامل وبناء المجتمع ولكن في نفس الوقت حذر من ذلك حتى لا يميل الاب ميلاً كبيرا ولأجل الموازنة والعدالة في احكامك اثناء حياتك

لابد لك من الالتفات الى هذه النقطة المهمة اثناء حكمك على الامور العائلية خاصة عندما تنظر الى الحياة في الريف وغيرها من المجتمعات التي تتأثر بالخلافات والامور البسيطة ثم تكبر ويصعب حلها، مع ذلك فلابد من الرحمة الكبيرة للولد والبنت معاً وان يستشعروا الحنان الذي في قلب الوالدين اتجاههم فكثير من الاباء في بعض المجتمعات قد تعلم على قساوة الحياة والشدة مع الاولاد وهذا خلاف الدين فالدين هو الرحمة والمحبة فكيف بمن اجبلك الله تعالى على محبتهم ومع ذلك عليك بالموازنة والسير وفق الحق والعدل دون الانحياز الى جهة معينة مع الحاجة لله سبحانه وتعالى ليعيننا على العدالة.

رابعا: الاخوة: قدم الله تعالى اخوة الدين على اخوة النسب قال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }[٤٠] وفي آيات كثيرة حث وتشجيع على تبديل اخوة الدين بدل اخوة النسب وليس ذلك ان اخوة النسب ليس لها اهمية في الدين ولكن المنظور القرآني يعطي اهمية للعقيدة اولاً فاذا كان اخوك في النسب هو اخوك في الدين فهو اولى اما اذا كان عدواً لك في العقيدة فعليك الحذر منه ويمكن ان يكون الامر ليس فقط بالعقيدة في مواضيع كثيرة اخلاقية اهمها الحسد كما في قصة نبي الله يوسف (ع) مع اخوته ومن الامثلة على الاخوة في العقيدة قصة الكليم موسى (ع) مع نبي الله هارون (ع) { وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي }[٤١] وهناك آيات كثيرة تتضح منها معالم الخريطة في التعامل مع الاخوة وفق النظرية القرآنية

المطلب الثالث: العدل بين الآخرين

في قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ }[٤٢]العدل هو مقابلة الخير بالخير والشر بالشر اما الاحسان مقابلة الخير بالخير والشر بالإحسان ومن هنا حسب البناء الاجتماعي الامثل يكون الاحسان له درجة عالية وهو الامثل في بناء المجتمع اما لماذا قدم العدل على الاحسان في الآية الكريمة يمكن ان تشير الآيات الكريمة الى درجات الناس فلا يتناسب الاحسان في اكثر المواقف اما العدل فهو المناسب لكل الحالات الاجتماعية والواقع يوافق هذا العمل فان الاحسان ليس دائما مصيباً ومع الجميع بل له ظروف محدودة ومع اناس محدودة اما العدل فهو يناسب كل الناس ومع كل الظروف قال صاحب الميزان في تفسيره " للآية بهذه الاحكام التي هي بالترتيب أهم ما يقوم به صلب المجتمع الانساني لما ان صلاح المجتمع العام أهم ما يبتغيه الاسلام في تعاليمه"[٤٣] بما ان الانسان الاجتماعي بالطبع ولذلك كان الاهتمام في اصلاح المجتمع اهتماماً لا يعادله غيره بشكل خضعت القوانين الاسلامية لهذا الأصل سواء العبادات او المعاملات وما العدل في الآية

إلا وضع كل شيء موضعه الذي يستحقه في العقل او الشرع او العرف ومن هنا العدل هو يساوق الحسن ويميل إليه كل انسان ويعترف بحسنه، وإن اختلف الناس في مصاديقه باختلاف مالكهم في الحياة[٤٤]

وهناك جملة من الآيات في الذكر الحكيم امر الله سبحانه بالقسط والعدل بشكل عام كما في قوله تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ }[٤٥] او { ان الله يأمر بالعدل والاحسان} وكذلك يشير الى القضاء بالحكم والعدل { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }[٤٦] وهنا ذكر العدل عدد من المصاديق الفقهي والاخلاقي والحقوقي والقضائي و العدل الاخلاقي مقدم على الجميع يمكن ان يقدم عليه العدل الفقهي كما هو بنظر الشيخ جوادي املي[٤٧] باعتبار هو مهيمن على الجميع ولكن العدل الاخلاقي صورته اوضح واوسع من العدل الفقهي ويمكن ان يدخل العدل الفقهي تحت دائرته ففي بعض الاحيان الاحكام الفقهية تحسم الموضوع بعيداً عن الاخلاق لذلك يمكن القول ان الآيات تتحدث عن العدل بشكل واسع بما يشمل الجميع وان كانت هناك خصوصيات فمثلاً العدل القضائي ليس هو بمقدور الناس جميعا لذلك الآية الكريمة تقول اذ سنحت لكم فرصة القضاء بين الناس وهنا من جهات قد يكون الانسان قادر على القضاء ولكن لا تسنح له الفرصة ان يكون قاضياً وقد يكون بطبيعته غير قادر على القضاء فهذا المنصب صعب لذلك قال تعالى لداوود { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ }[٤٨] هنا بعد سلسلة من الاختبارات الالهية لنبي الله داود (ع) تأهل لمنصب القضاء وهنا الآية ذكرت الناس باعتبار ان العدالة واجبة بين ابناء البشر جميعا لا فرق سواء كان مسلماً او غيره .

هذه الآيات تتحدث عن اصل من اصول القرآن وهو ان اساس الحكومة هو العدل وهو العدل في القانون وفي مطبق القانون فاذا لم يكن القانون متحرراً من التعقيدات وفيه قصور وضعف وتناقض وعيوب أو أخطأ وما شابه فسيكون عرضة للآفات التي تردي المجتمع وكذلك مطبق القانون اذا كان نفسه رهين الطمع والجور لا شك أنه سيكون عاجزاً عن تأمين العدالة للامة .

وهذين الاصلين القرآنيين هما اساس تحرير المجتمع والنهوض به من الجهل والتخلف والضياع إلى الحرية والعدالة والاستفادة وهذا لا يأتي إلا من كان هو نفسه عادلاً وعالماً يضع الشيء في موضعه الصحيح.

المبحث الثاني: المنظور القرآني في بناء المجتمع وفيه مطالب:

المطلب الاول : التعامل الامثل في بناء المجتمع

لا توجد نظرية ارقى من النظرية القرآنية في كيفية التعامل وبناء اواصر المجتمع يبدأ من { وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ

صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }[٤٩] في بناء نفس الانسان اتجاه الاخرين والرؤية القرآنية ان قلت المثالية لا تصل الى هذا التصور في حال بناء الانسان نفسه قرآنياً يعني ليمسح من نفسه كل الكراهية و جميع الاحقاد وتصبح نفسه ببيضاء اشد من بياض الثلج فقط في هذه الآية الكريمة عندما تجعل من الذي يعاديك وبينك وبينه عداوة كأنه صديق حميم في داخل قلبك وفي تعاملك الاخلاقي معه لذلك تكون النسبة ذات مستقبل ويتحول بفضل التعامل الاخلاقي القرآني الى صديق وهذا هو الطريق الامثل في التعامل مع الاخرين هذه الدرجة تحتاج إلى همة عالية ونفس كبيرة لذلك وصفها الباري تعالى : { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا } { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } وهذا غاية في المدح وتشجيع أهل القرآن للنحو والسير بهذا الطريق ومن العجب ان تجد الغلظة عند بعض أهل القران ألا يتدبرون هذه الآية الكريمة ويعرفون اسرارها ولقد امتاز بأعظم المقامات الاول مقام الصابرين والثاني بانه ذو حظ عظيم، وهذه الطريقة المثلى في المعاشرة مع الاخرين ومن المعلوم على مر الزمن اختلاف الناس في عقائدهم وليس هذا فقط بل إنّ كثيراً من الحروب والمشاكل بين الناس بسبب العقيدة خاصة بين عقيدة أهل التوحيد و أهل الشرك والكفر . ومهما تصورنا الموقف لا نجد حلا لهذه المشكلة كما هو الحل الذي وصفة القران الكريم { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ }[٥٠] " وبالرغم من أن الآية استفهامية إلا أن الاستفهام هنا إنكاري " يوضح مدى أهمية الدعوة الى التوحيد بكل مستلزمات التوحيد وهذه الدعوة وصفت بالقول وليس القول الحسن بل الأحسن ومع هذا القول الأحسن لابد من عمل صالح مقارن لهذه الدعوة لذلك قال تعالى {وعمل صالحاً} وهذه الصفة الثانية للمبلغ الرسالي وهي ان يعمل صالحا ليكون مطابق قوله إلى فعله، إلى هذين الوصفين يمكن القول بالاكتفاء إلا ان اعلان الدعوة باسم الاسلام الصفة الثالثة المكملة لهذه الصفات وفيها الايمان القلبي وهذه الصفات وان اتصف بها الرسول الاكرم (ص) والائمة الاطهار عليهم السلام وغيرهم من الصحابة والعلماء وعلى مر التاريخ الا انها صفات وقواعد لكل من يريد ان يهذب نفسه لهذه المهمة الشريفة العظيمة ولم تقف الآية عند هذه الصفات بل أوضحت الطريق بأفضل ايضاح {ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن } قبل ان الحسنة " التقيد والسيئة الاذاعة "[٥١] ولكن هذا مصداق من المصاديق مما يتناسب مع الزمان والمكان لذلك الحسنة كانت دعوة الرسول (ص) الى التوحيد والسيئة كان جواب أهل مكة من المشركين وطريقة تعاملهم[٥٢]، نعم في زمن الرسول (ص) وما تحمله الآية من المعنى انها اصل من أصول التبليغ الذي ان طبق من أي مبلغ سوف يكسب الجولة بالتأكيد فهذه الطريقة هي عندما يكون جواب الاساءة بالإحسان و جواب السيئة بالحسنة سوف يكون بناء المجتمع سليم من الحقد والكره والثارات التي لا

تنتهي وتصفية الحسابات فالآية الكريمة رسمت الطريق الافضل في التعامل الاجتماعي وبناء اساس المجتمع على الود والاحسان وبث روح التسامح والمحبة من غير مقابل ومن غير التفكير في الانتقام أو الرد بالمثل فعندما يبني المجتمع على هذا الاساس القرآني لا شك انه يثمر في بناء افضل مجتمع { ادفع بالتي هي احسن} " ادفع الباطل بالحق والجهل والخشونة بالحلم و العلم "[٥٣] ولكن عبر التاريخ تبين ان بعض الناس لا ينفع معهم هذا الاسلوب إلا ان الفطرة السليمة التي تخص الاغلبية يكون هذا الاسلوب بمثابة الصدمة القوية للقلب الحاقد ان يتحول الى قلب خالي من الحقد ثم الى قلب لين وبعد ذلك يصبح محبا ، وان قلنا انها لم تنفع فإننا لا نجد طريقة اخرى لزرع المحبة والثقة في المجتمع افضل من هذه الطريقة ولو تأملت قليلا تعرف ان هذا الاصل القرآني {ادفع بالتي هي احسن } افضل قاعدة اجتماعية لبناء المجتمع المثالي . ولتكملة الاصل في الآية المباركة {فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم } " يعني اذا قابلت إساءتهم بالإحسان وأفعالهم القبيحة بالأفعال الحسنة تركوا أفعالهم القبيحة وانقلبوا من العداوة الى المحبة "[٥٤] وايضا توضح الآية الكريمة طريقة التعامل مع الاخرين عندما تصل الى درجة انك تعامل مع عدوك الظاهر في عداوته بالمعاملة القرآنية التي يحبها الله تعالى تتعامل معه كأنه ولي حميم أي صديق عزيز وغالي عليك وهذا لا يأتي بدون ان تصقل نفسك وتربيها على الامتثال لطاعة الله بكل صبر وعزيمة وتقوى لذلك ليس كل انسان او ليس كل مؤمن بل القليل الذي يصل لهذه الدرجة العالية من علو الهمة وثبات النفس {وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم } " ومن الفضائل النفسانية والدرجة العالية في القوة الروحانية "[٥٥] وبهذا الاصل القرآني تكون الآية واصفة لمن يوقف نفسه للدعوة الى الله تعالى عليهم ان يتحلوا بهذه الخصال وهي :

١- البناء الذاتي للدعاة من حيث الايمان والعمل الصالح.

٢-الاستفادة من اسلوب دفع السيئة بالحسنة.

٣- تهيئة الارضية الاخلاقية لإنجاز هذا الاسلوب والعمل به.

٤- رفع الموانع من طريقة محاربة الوساوس الشيطانية[٥٦].

"هذه الارضية الاخلاقية ان لم تحكمها العدالة الاخلاقية وتتسلط على مملكة الجسم والنفس من الصعب ان يعمل الانسان بهذه الدرجة فبالعدالة النفسية اولا ثم العدالة بين الناس وتعامل مع الناس بهذا الاصل القرآني يكون المجتمع قد حقق انجازاً كبيراً للوصول الى المجتمع الامثل او المدينة الفاضلة.

المطلب الثاني : اساس التغير الاجتماعي

البحث عن العدالة الاخلاقية واثراها في بناء المجتمع من ذلك تتعرف على النظرية القرآنية في كيفية التغير او ما هو اساس التغير الاجتماعي؟ لنعلم ان تغير النفس هو اساس ذلك التغير ومن ذلك يبدأ التغير { إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ }[٥٧] عندما يتمكن الانسان من بناء نفسه وفق العدالة الاخلاقية، يتحول إلى انسان عادل في نفسه، ويكسب أبعاداً مختلفة في حياته والمجتمع، فعلى مستوى المجتمع حسب مفهوم الآية يتم التغير من قبل الله تعالى بعد اصلاح افراد المجتمع لمحتواهم الداخلي أي اصلاح انفسهم، عند التعرف على هذه السنة الالهية يستطيع الانسان ان يغير حياته وحياة الاخرين " يصبح بإمكانه أن يتصرف بالنسبة إلى الجزاء ففي كل حالة يرى أنه بحاجة إلى الجزاء يعمل هذا القانون يوفر شروط القانون"[٥٨] وبدل ان يتخبط الانسان في الظلام يصبح قادراً على فهم السنن الالهية { وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً }[٥٩] فيعي الشرط وجزاء الشرط ويكون الانسان بهذه الصياغة يعلم كيف يتحكم في التاريخ ويوجد العنصر المهم في فعله وهو العنصر الذي يكون له بعد ثالث فـــ "حينما يعمل عملا تجاريا ، القائد حينما يعمل عملا حربياً السياسي حينما يمارس عملاً سياسياً المفكر حينما يتبنى وجهة نظر في الكون والحياة هذه الأعمال لها موج يتعدى شخص العامل" [٦٠] وتنطلق الفكر بشكل ترتب العلل فيجعل تغير الحياة وهذه العلة الغائية ومن الطبيعي يكون هو العلة الفاعلية وعلى هذا موجب قانون العلة والمعلوم يكون هذا العمل له بعد ثالث – البعد الاول هو اعلم من اجل نفسه فقط مثل الاكل و الشرب ، البعد الثاني هو العمل لنفسه ولغيره مثل التجارة و الفلاحة فانه يستفيد من ذلك وفي نفس الوقت يفيد غيره اما البعد الثالث وهو ان يدخل هذا العمل في التاريخ أي تاريخ الامة ويكون له موج في التغير ويحدث له اثر في الامة ويختلف الاثر باختلاف الموج الذي احدثه كما في واقعة الطف في كربلاء الامام الحسين (ع) الذي امتد الموج عبر التاريخ لشخصية الامام و اخلاصه لله تعالى _

وفي نفس الوقت هناك عمل سلبي له اثره على المجتمع { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً }[٦١] أيضا سنة تاريخية بينت بلغة القضية الشرطية ربطت بين أمرين بين تأمير الفساق والمترفين في المجتمع وبين دمار ذلك المجتمع

وهذا ميزان واضح يمتلك زمام الامور الذي هو جائر مع نفسه وأهله وليس له واعظ من نفسه يصل بالمجتمع الى الدمار الحتمي وهذه السنة الالهية واضحة وتستشعر بها عندما تتصفح التاريخ خاصة تاريخ

قيام الحضارات وزوالها ومن هنا يكون المنطلق في التغير من تغير النفس وامتلاك العزيمة على تغير النفس وتمكن العدالة من سلطة محكمة النفس للوصول الى التغير الاجتماعي

المطلب الثالث : العامل الغيبي واثره في العطاء اللامحدود

هل يمكن ان نتصور قانون نستنتجه من القران الكريم من سورة الحمد الى سورة الناس ؟ ويمكن صياغته بشكل: – العامل الغيبي وأثره في العطاء اللامحدود– تجده بشكل مباشر او غير مباشر تحكيه الآيات، وتبينه السنن، وتفهمه الناس بشكل لا يصعب فهمه ولو بدرجة هو هذا القانون بان الله تعالى يصرح ويلوح بأشكال مختلفة وهو يشير إلى عطاءه اللامحدود وكرمه ونعبر عن هذا القانون بالعامل الغيبي، فوق الاسباب والمسببات، وفوق العلة والمعلول، وفوق امكانية الممكن بما فيهم الملائكة والجن والانس، وهناك عامل غيبي لا يطلع عليه احد حتى الملائكة { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }[٦٢] فماهية الملائكة النورانية، وماهية الجن النارية افضل بكثير من ماهية الانس الطينية إلا ان الاستعداد والقابلية عند هذا الانسان بقدرته على التعلم والترقي إلى الوصول الى عالم الغيب { فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى }[٦٣] ثم ينبأ الملائكة يدل على ان الفيض الالهي مطلق وان كل ممكن يستلم من هذا الفيض المطلق بقدر استعداده واستعداد الانسان كان بدرجة فاق اقرانه رغم ان ماهيته طينية ما دام هذا هو الاصل في قصة خلافتنا في الارض من قبل الله تعالى اذن علينا ان نكمل المسير بطلب العلم والترقي وان الله تعالى يهبنا من الفيض المطلق بشكل لامتناهي فلا درجة يمكن الوقوف عندها على القول بالتكامل البرزخي وهو الصحيح وإلا تسقط من ايدينا كثيراً مما تدل عليه الادلة الواضحة للعلاقة بين عالمنا وعالم البرزخ ويصبح الانسان حبيس هذه الدنيا القصيرة الفانية وعندما اختصر على هذه الدنيا فقط وبين العلل والمعاليل والاسباب والمسببات ، أقول : لابد ان يعمل الانسان ويسير نحو الامام بالتوكل على الله تعالى وفوق الاسباب والمسببات { فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ }[٦٤] فاجمل ما في قصة نبي موسى (ع) { قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى }[٦٥] يعني العامل الغيبي موجود وان الله تعالى موجود يسمع ويرى وهذا يجب ان يكون ضمن خيوط الخيال التي تنسجها لكل ما تريد ان تصل اليه بان العطاء اللامحدود موجود ولا يوقفه احد.

ان الايمان بهذا الاصل الذي آمن به الانبياء والاولياء على مر التاريخ هو نقطة مهمة في طريق التغير وتحول الانسان من حال اليأس والتشاؤم الى حال التفاؤل والتحرك نحو العمل الدؤوب فهذا الاصل هو بمثابة الطاقة الكامنة داخل الانسان تجعل عمله ملتصقاً بالله تعالى في كل حركاته وسكناته ولا يعمل للرياء ولا

للشيطان بل يكون في قمة التوحيد والامتثال للواحد الاحد وهو يعمل بصدق وتوكل و بتسلم تام لأنه يؤمن بان العطاء الالهي لامحدود وينتظر ذلك في كل افعاله ولا يخضع الى العلل والمعاليل و الاسباب والمسببات ولا يوقفه عن العمل شيء من سوء الاحوال الاجتماعية والدولية وغيرها { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً }[٦٦] بقوة القلب والتوكل والعمل المستمر مع الله تعالى وبدون تردد لذلك استحق ان يكون امة كاملة وهو نفر واحد.

ثم ان الايمان بهذا الاصل يجب ألا تترك للشيطان مجال في نفسك وهو يحدثك ويقول لك هذا عمل الانبياء والاولياء واين انت من هؤلاء وغيرها من الخواطر التي تدمر هذا الاصل في نفسك، أعلم ان الفيض الالهي مطلق والانسان هو خليفته في الارض في كل زمان ومكان وما عليه إلا ان يقوم فينفض غبار الهموم اليومية البسيطة ويصبح ذا رؤية واسعة وبعيدة ويجد ويجتهد ولا يتوانى ولا يتكاسل ويبقى بأمل قوي على الحصول على الدعم اللامحدود من قبل الباري سبحانه وتعالى وانه عند ظن عبده.

نعم هذا الطريق بحاجة الى مقدمات وشروط يجب العلم بها وحياكتها الى ان تتوفر فيه فيحصل على العطاء الغيبي اللامحدود.

أيها الانسان لا تختزل الطاقة التي أودعها الله تعالى عندك بل اخرجها بكاملها وتحرك بجد ونشاط واترك الكسل و الملل.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين و صلنا الى خاتمة البحث وكيف تختم بحث له اصول وقواعد ونظريات وضوابط كثيرة تحتاج الى تنقيح وبيان وذكر مصاديق تطبيقية ، وهذا طبيعي يحتاج الى وقت والى طاقات إنما حاولنا ان نشير الى بعض ما يشكل بذور بحسب الامكانيات البسيطة

فان العدل الاخلاقي القرآني هو النظرية الالهية لقوله تعالى { اني جاعل في الارض خليفة } يعني نظرية استخلاف الانسان في الارض وبسط العدل وان شاء الله سوف يكون على يد صاحب العصر والزمان الرجل الموعود في اخر الزمان عجل الله فرجة الشريف

وعلى ذلك نحاول ان ندرس ونتعلم ونعلم الاجيال عسى ان نكون من الممهدين لهذا الظهور المبارك.

والمسؤولية كبيرة في بيان أهمية و دور علم الأخلاق في بناء المجتمع لذلك ينبغي اضافته ضمن مناهج التدريس في المدارس والجامعات لان العلم قبل العمل بل لا يمكن العمل بدون العلم.

مصادر البحث

١- القرآن الكريم

٢- نهج البلاغة خطب الإمام علي 7 مصادر الحديث الشيعية ، ش النهضة – قم دار الذخائر – قم – إيران.

٣- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٦٥٦، مصادر الحديث السنية ــ القسم العام، محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع،

٤- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، احمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه ٤٢١هـ ، الناشر المطبعة الحسينية، القاهرة.

٥- البحراني، البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم البحراني، الطبعة الثانية المحققة ٢٠١٣م ، المطبعة ولي عصر ، ايران – قم.

٦- الجزائري، تحفة السنية في شرح نخبة المحسنية (مخطوط)، السيد عبدالله الجزائري الوفاة : ١١٧٣هـ.

٧- الجوآدي، تسنيم في تفسير القرآن، العلامة الشيخ عبدالله الجوادي الطبري الآملي، دار الاسراء للطباعة والنشر – قم

٨- الخميني ، الأربعون حديثاً، الامام روح الله الموسوي الخميني، ط١ مؤسسة نشر التراث الامام الخميني ، طهران- ايران.

٩- الرازي، التفسير الكبير ، الفخر الرازي، دار احياء التراث العربي، ط١ ٢٠٠٨م بيروت – لبنان.

١٠- الريشهري، ميزان الحكمة، محمد الريشهري، الوفاة: معاصر، ط١، الطباعة و النشر: دار الحديث.

١١- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ط١ ، ٢٠٠٠م، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان.

١٢- الشيرازي. الأخلاق في القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط٤ تاريخ ١٤٤١هـ ، مؤسسة نشر آثار الامام مكارم الشيرازي، ايران – قم

١٣- الشيرازي، تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط٢ ، أميران ، ايران – قم.

١٤- الصدر، المدرسة القرآنية، الشهيد محمد باقر الصدر ، ط٥، ١٤٣٥هـ انتشارات دار الصدر ، المطبعة شريعت – قم

١٥- الطباطبائي، تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، مطبوعات الأندلس العالمية، بيروت – لبنان – النجف الاشرف، ط١، ٢٠١٠م.

١٦- الكاشاني، مقامات القلب، الفيض الكاشاني، دار المحجة ابيضاء، ط١، ٢٠٠٥م بيروت – لبنان.

١٧- الكربلائي، الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة، الشيخ جواد عباس الكربلائي، الوفاة : معاصر، ط١ ، ٢٠٠٧ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت.

١٨- الكليني، الكافي، الشيخ الكليني الوفاة : ٣٢٩، ط٥، لسنة : ١٣٦٣ ش، المطبعة : حيدري، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران

١٩- النراقي، جامع السعادات ، محمد مهدي النراقي، ط٣ مطبعة االنجف – النجف الأشرف لسنة ١٩٦٣م.

٢٠- سايت google/search

الهوامش:

(١) الأخلاق في القرآن، مكارم الشيرازي، ج١، ص١٤.

(٢) تهذيب الأخلاق، ابن مسكويه، ص٥١.

(٣) الحقائق، الفيض الكاشاني، ص٥٤.

(٤) انظر الأخلاق في القرآن، مكارم الشيرازي، ج١، ص١٥.

(٥)الأخلاق في القرآن، مكارم الشيرازي، ج١، ص١٥.

(٦) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢، ص١٨٣٨.

(٧) نهج البلاغة ، ج٤، ص ١٠٢.

(٨) البحر المحيط، الزركشي، ج١، ص٣٥٦.

(٩) سورة الزخرف آية ١-٢.

(١٠) سورة الفرقان آية ١.

(١١) سورة الانبياء آية ٥٠.

(١٢) سورة النساء آية ١٧٤.

(١٣) سورة الشعراء آية ١٩٢.

(١٤) سايت google/search

(١٥)سايت google/search

(١٦) سورة الجمعة آية ٢.

(١٧) سورة آل عمران آية ١٦٤.

(١٨) سورة البقرة آية ١٥١.

(١٩) انظر الاخلاق في القرآن ، مكارم الشيرازي، ج١، ص ١٠-١٣.

(٢٠) سورة العلق آية ١-٥.

(٢١) سورة الانعام آية ٥٤.

(٢٢) سورة النمل آية ١٤.

(٢٣) سورة آل عمران آية ٧٥ ، ٧٨.

(٢٤) التحفة السنية، السيد الجزائري ، ص٤٢.

(٢٥)التحفة السنية، السيد الجزائري ، ص٤٢.

(٢٦) انظر الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة، الشيخ جواد عباس الكربلائي، ج٢، ص٢٤٨.

(٢٧) سورة الانسان آية ٤.

(٢٨) سورة الشمس آية ٨-١٠.

(٢٩) انظر الاخلاق في القرآن ، مكارم الشيرازي، ج١، ص ٢٣.

(٣٠) انظر الاخلاق في القرآن ، مكارم الشيرازي. جامع السعادات ، محمد مهدي النراقي، ج١. مقامات القلب، الفيض الكاشاني.

(٣١) مقامات القلب، الفيض الكاشاني، ص٢٢.

(٣٢) الكافي ، الكليني، ج٥، ص١٧.

(٣٣) انظر الأربعون حديثاً، الامام الخميني، ص٣٠.

(٣٤) انظر مقامات القلب، الفيض الكاشاني، ص٩٥-٩٦.

(٣٥) شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد، ج١٦، ص٨٤.

(٣٦) سورة الروم آية ٢١.

(٣٧) سورة البقرة آية ١٨٧.

(٣٨) سورة الاسراء آية ٢٣-٢٤.

(٣٩) سورة الانفال آية ٢٨، سورة التغابن آية ١٥.

(٤٠) سورة الحجرات آية ١٠.

(٤١) سورة طه آية ٢٩-٣٢.

(٤٢) سورة النحل آية ٩٠.

(٤٣) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج١٢، ص٣٠٤.

(٤٤) انظر تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج١٢، ص٣٠٣-٣٠٥

(٤٥) سورة الأعراف آية ٢٩.

(٤٦) سورة النساء آية ٥٨.

(٤٧) انظر تسنيم في تفسير القرآن، العلامة الجوادي الطبري الآملي، ج١٩، ص٢١٣.

(٤٨) سورة ص آية ٢٦.

(٤٩) سورة فصلت آية ٣٤-٣٥.

(٥٠) سورة فصلت آية ٣٣.

(٥١) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني، ج٧، ص٥٦.

(٥٢) تفسير الرازي، الرازي، ج٩، ص٥١٤.

(٥٣) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ج١٢، ص١٩٠.

(٥٤) تفسير الرازي، الرازي، ج٩، ص٥٦٥.

(٥٥) تفسير الرازي، الرازي، ج٩، ص٥٦٥.

(٥٦) تفسير الأمثل، مكارم الشيرازي، ج١٢، ص١٩٣.

(٥٧) سورة الرعد آية ١١.

(٥٨) المدرسة القرآنية، الشهيد الصدر، ص٩٠.

(٥٩) سورة الجن آية ١٦.

(٦٠) المدرسة القرآنية، الشهيد الصدر، ص٨٢.

(٦١) سورة الاسراء آية ١٦.

(٦٢) سورة البقرة آية ٣٠.

(٦٣) سورة الجن آية ٢٦-٢٧.

(٦٤) سورة البقرة آية ٦٠.

(٦٥) سورة طه آية ٤٦.

(٦٦) سورة النحل آية ١٢٠.

ثنائية الفقه الإسلامي والقيم الأخلاقية
مقاربة لفهم العلاقة بين الفقه والأحكام الأخلاقية

أ.م.د. فلاح عبد الحسن هاشم
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

ملخص البحث:

هدف البحث بيان مستوى الارتباط بين الفقه الإسلامي والقيم الأخلاقية. هل الأحكام الأخلاقية مستقلة عن الفقه أم لا؟ هل الأخلاق تستمد وجودها البنيوي من الدين والفقه بالخصوص، فلا توجد إلا الأخلاق الدينية؟ وعلى تقدير الاستقلال هل تؤثر القيم الأخلاقية في توجيه الأحكام الشرعية؟ هل الأخلاق تحظى بمعيارية تمكنها من أن تكون بديلة عن الفقه في مساحة معينة؟ هل يوجد في الفكر الإسلامي نظرية أخلاقية ذات بعد فلسفي واضحة يمكن أن تستند لها الأحكام الشرعية؟ ما هي وظيفة الفقه؟ هل الفقه كما يرى الغزالي مختص بالجانب الدنيوي؟

على تقدير عدم الاستقلال عن الدين، هل التداخل مع الدين بشكل كامل أم هناك من الأحكام الأخلاقية ما يمكن للعقل إدراكه قبل الدين؟ وهذا القسم من الأخلاق –وليكن أصول الأخلاق– هل العقل يحكم به مطلقاً أم يحكم بشكل اقتضائي استثنائي؟ ما هو ارتباط الأخلاق بمسألة الحسن والقبح؟ هل العقل العملي له من الصلاحية من دون النظري أن يعين حاكمية الأخلاق كأصل فوقي غير خاضع للتغيرات والتزاحم في عالم الحياة؟

وسواء قلنا بالاستقلال أم لا، هل الفقه يسير في إطار الأخلاق؟ فكما هو معلوم إن هدف الرسالة النبوية هو إتمام مكارم الأخلاق، هل أحكامنا الفقهية كلها لا تتناقض مع الأخلاق؟ ألا يوجد أحكام قد يرفضها الوجدان الفطري ولكن الفقه يراها صحيحة، كما في الحيل الشرعية التي تتقاطع مع الأخلاق، وكثير من الفقهاء أجازوا الحيل الشرعية مع ثقل كاهلها على الوجدان الأخلاقي، أو مسألة الاستنساخ البشري المعروفة أو مسألة زراعة الأعضاء التي يرى الفقهاء صحتها تبعاً لسلطنة الإنسان على الأعضاء بينما تتجه الأخلاق لرفضها لكونها تنتج بيع الفقراء لأعضائهم، فيتعارض فيها الوجدان الأخلاقي مع الفهم الفقهي، فهل ينبغي أن تكون الأخلاق مستندة للفقه أم أن الفقه يكون مستنداً للقيم الأخلاقية التي تشكل إطاراً عاماً حالها حال مقاصد الشريعة؟ هل ينبغي أن يدور فهم الأحكام الشرعية في نطاق أعم من قواعد اللغة وقواعد الأصول والمنطق

ونحوها لتشمل الأخلاق التي تفضي بالتأكيد إلى تشكيل نسق ثقافي يحتم على المعرفة الفقهية أن تتجه صوب بوصلة الأخلاق عندما تتشابك الأحكام الفقهية مع الأخلاقية؟

كلمات دلالية: الفقه، الفقه الإسلامي، الأخلاق، القيم الأخلاقية

المقدمة:

الفقه في اللغة مصدر مشتق من الثلاثي (فقه)، وفي مقاييس اللغة هو أصل واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به، تقول: فقهت الحديث أفقهه، وكل علم بشيء فهو فقه[١].

ويرى ابن الأثير أن الأصل فيه الفهم[٢] بينما يرى الزمخشري أنه مشتق من الشق والفتح[٣] ولهذا يسمى الشخص العالم بالأحكام الشرعية بالفقيه لكونه يشق الأحكام ويفتش عن حقائقها ويفتح ما استغلق منها[٤]. وقيل هو وقيل: فهم الأشياء الدقيقة[٥].

أما المعنى الاصطلاحي فلم يفترق كثيراً عن معناه اللغوي، إلا أن خلافاً في دائرة متعلق الفهم أو العلم سعة وضيقاً، فإن المتتبع لمدلول كلمة الفقه تاريخياً يجد أنها قد مرت بمرحلتين: الأولى: اختصت بالصدر الأول من الإسلام، فكانت تطلق على فهم الأحكام الدينية جميعاً، سواء كانت اعتقاديه أم أخلاقية أم عملية، فكانت كلمة فقه مرادفة لكلمة دين بمعناه الواسع، أو لكلمة شريعة عند من يرى أن الشريعة لا تختص بالأحكام العملية.

وإلى هذا المعنى تشير الآية المباركة: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كلّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ)[٦] وكذلك في الحديث النبوي المعروف: "إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين"[٧]. واستمر هذا الاصطلاح متداولاً لمعنى الفقه الشمولي إلى عصر أبي حنيفة، فقد عرفه بأنه معرفة النفس مالها وما عليها [٨] كما أطلق أسم "الفقه الأكبر" على بعض الأوراق التي ألفها أبو حنيفة في علم الكلام[٩].

ثم بعد ذلك تضيق متعلق الفقه ودائرته الواسعة بسبب تمايز العلوم، فأصبح الفقه مختصاً بخصوص الأحكام العملية الشرعية، ومن هنا عرفه المتأخرون بأنه العلم بالأحكام الشرعية.

وربما قيل: أن أفضل تعريف للفقه هو ما عرفه الشافعي؛ وهو: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية" [١٠]. وفسروا العلم في التعريف بما يشمل الظن؛ تخلصاً من إشكالية أن قيد العلم لا يصح مع أن أكثر أحكام الفقه ظنية [١١].

فالفقه إذن في الاصطلاح هو الفهم البشري للأحكام الشرعية العملية من خلال فهم الأدلة التي تثبت تلك الأحكام، وأهم هذه الأدلة النص القرآني ثم يليه النص الذي يحكي عن السنة النبوية المتمثلة بقول النبي(ص) أو بمعية أهل البيت(ع) أو النبي(ص) بمعية الصحابة (رض). وهذا الفهم الإنساني قد يصيب الواقع وقد يخطئه، كما أنه قد يصل هذا الفهم إلى مرحلة القطع واليقين والعلم على مستوى النفس وقد لا يكون إلا ظناً. والمقصود بالأحكام العملية ما تتعلق بفعل المكلف، لا عقيدته وإيمانه أو أخلاقه الفطرية التي جُبل عليها. فالفعل الذي يقوم به المكلف أو يمكن أن يصدر عنه يخضع للحكم الفقهي العملي الشرعي إما الحرام أو الوجوب أو الكراهة أو الاستحباب أو الإباحة.

وثمة فرق بين الفقه والشريعة، فإنّ الشريعة في الاصطلاح عند فقهاء المسلمين يريدون بها الأحكام التي شرعها الله على لسان رسول من الرسل[١٢]، وبهذا التعريف تكون شاملة لكلّ الأحكام التي شرعها الله لعباده سواء الأحكام الاعتقادية أم الأحكام العملية، سواء العبادية منها أم المعاملاتية. فالشريعة اصطلاحاً: مجموعة الأوامر والأحكام الاعتقادية والعملية التي يوجب الإسلام تطبيقها؛ لتحقيق أهدافه الإصلاحية في المجتمع. وعندما نقول الأحكام الشرعية نقصد بها واقع الأحكام الشرعية الثابتة في علم الله تعالى؛ فهي عبارة عن نصوص محكمة ثابتة وقواعد كلية عامة ثابتة في لوح الواقع، وبهذا تختلف عن الفقه بما عرفناه سابقاً، فهو الجهد البشري لفهم هذا الواقع للشريعة في عالم ثبوتها.

أما الدين فهو في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي: "دان"، وله معان متعددة يجمعها أصل واحد" ترجع إليه جميعها، وهذا المعنى هو: "الانقياد"[١٣]. فالدين في اللغة مأخوذ في معناه الطاعة والانقياد. أما في الاصطلاح فله تعريفات متعددة، والدين في أصل معناه يستبطن الانقياد والطاعة والذل[١٤] وبهذا الاعتبار سمي العبد مديناً؛ لأنّ العمل أذله[١٥] والكلمة بشكل عام تدل على علاقة بين طرفين يكون أحدهما خاضعاً والثاني آمراً وسلطاناً، والارتباط بين الاثنين يكون بما يدان به، وهو يعم كلّ طاعة وخضوع، كما يشمل كلّ ما يمكن أن يدان به من قبيل الخلق والعادة والمذهب.

وبهذا الاعتبار تسمى الشريعة ديناً؛ كونها تستوجب انقياداً وخضوعاً فيما يدان به من أحكام شرعها الله لعباده؛ ليتعبدوا بها. فالشريعة والدين بمعنى واحد وهو ما شرعه الله لعباده من أحكام عملية، لكن هذه الأحكام تسمى شريعةً بلحاظ وضعها وبيان أحكامها واستقامتها، وتسمى ديناً باعتبار الخضوع لها وعبادة الله بها[١٦].

وقد يطلق القرآن كلمة الدين تارة على ما يرادف الشريعة بمعنى الأحكام العملية، وتارة على خصوص العقائد الأصلية المشتركة في جميع الأديان.

والراجح أن كلمة الدين تنصرف مع إطلاقها إلى كلّ ما جاء به النبيّ من تعاليم[١٧]، وهي بهذا تساوق معنى الشريعة بمعناها الواسع الذي يشتمل بالإضافة للأحكام العملية كلاً من العقائد والأخلاق إن قلنا إن الأخلاق من الشريعة. كما تعطي كلمة الدين معنى الملة المحددة عقائدياً كدين الإسلام ودين المسيحية[١٨]. وقد عرفنا الدين تعريفاً اصطلاحياً بعيداً عن بعض التعريفات التي لها ارتباط بالفلسفة والعرفان مثل تعريفه بالتجربة الدينية، وسوف يأتي البحث في ذلك لاحقاً فهذا التعريف تعريف وظيفي لا اصطلاحي.

وبهذا تميز لنا الفرق بين الفقه والشريعة والدين، وأن الأول يكون فهماً للثاني والثالث، ومن هنا مادام الفقه فهماً وعلماً بشرياً لواقع الشريعة والدين، هل يتحدد هذا الفهم في إطار أخلاقي؟ وهل يحق لنا طرح هذا السؤال لو افترضنا أن الأخلاق هي جزء من واقع الشريعة الذي ينبغي فهمه؟ ولو أنكرنا أن تكون الأخلاق جزءاً من الشريعة، بل هي مدركات فوقية يدركها العقل من دون تدخل الشريعة، عندئذ هل تتكامل هذه الأحكام مع الفقه ليكونا معاً منبعاً لإدارة الحياة؟ هذا يعني أن الفقه لن يتكفل بكل أمور الحياة بل بمعية تلك الأحكام الأخلاقية التي يكفي فيها العقل. وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة نبحث في الفقه وهل هو دنيوي أم أخروي أم الاثنين معا؟

الفقه بين الدنيوية والأخروية

يذهب الغزالي (٥٠٥هـ) في كتابه "إحياء علوم الدين" إلى أن الفقه من العلوم الدنيوية، فقد ذكر تحت عنوان بيان العلم الذي هو فرض كفاية، أن العلوم تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، ومعيار شرعيتها أن تكون مستفادة من الأنبياء(ع) وألا يرشد العقل إليها مثل علم الحساب، ولا ترشد التجربة لها مثل علم الطب، ولا يرشد السماع لها مثل علم اللغة.

والعلوم غير الشرعية مثل علم الطب ونحوه تنقسم إلى علوم محمودة ومذمومة ومباحة، والمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كعلم الطب والحساب. والمذموم مثل علم السحر ونحوه، والمباح مثل العلم بالأشعار وتواريخ الأخبار التي فيها منفعة. أما العلوم الشرعية فهي كلها محمودة، وهي إما أن تكون أصولاً أو فروعاً أو مقدمات أو متممات. والأصول أربعة: كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الأمة وآثار الصحابة. أما الفروع فهي ما فهم من تلك الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم كما في قوله (ع): لا يقضي القاضي وهو غضبان أنه لا يقضي إذا كان خائفاً أو جائعاً أو متألماً بمرض.

وهذه الفروع أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا.

والثاني: ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه[١٩]. فإن قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا؟ يجيب الغزالي: إن الله خلق الدنيا زاداً للمعاد، ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة. وهو متعلق أيضاً بالدين لكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا.

ولم يقتصر الغزالي على الخصومات التي يظهر منها في كلامه انحصار ذلك في القضاء، بل عمم الدنيوية أيضاً الى العبادات قال: "فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام.

أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته. وهذا من شؤون الدنيا، أما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من الفقه وإن خاض الفقيه فيه.

وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق. وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة.

إن الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن فنه. **وأما الزكاة** فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته. فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم.

وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب: الأولى: الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الاحتراز عن الحرام. الثانية: ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات. الثالثة: ورع المتّقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام. الرابعة: ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى. وكل هذه المراتب خارجة عن نظر الفقيه إلا المرتبة الأولى وهي ورع الشهود

والقضاء وما يقدح في العدالة، والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة. والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها، بل فيما يقدح في العدالة فقط، فإنّ جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة، فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة، فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل(٢٠).

وقد رفض الفيض الكاشاني هذا الكلام من الغزالي، وبين أن الفقه علم أخروي، قال في المحجة البيضاء: "ما ذكره أبو حامد ليس على ما ينبغي، وليس معنى علم الفقه ما زعمه، بل هو علم شريف إلهيّ نبويّ مستفاد من الوحي، ليساق به العباد إلى اللّه عزّ وجلّ وبه يترقّى العبد إلى كلّ مقام سنيّ، فإنّ تحصيل الأخلاق المحمودة لا يتيسّر إلا بأعمال الجوارح على وفق الشريعة الغرّاء من غير بدعة، وتحصيل علوم المكاشفة لا يتيسّر إلا بتهذيب الأخلاق وتنوير القلب بنور الشرع وضوء العقل، وذلك لا يتيسّر إلا بالعلم بما يقرّب إلى اللّه عزّ وجلّ من الطاعات المأخوذة من الوحي ليأتي بها العبد على وجهها، والعلم بما يبعّد عن اللّه عزّ وجلّ من المعاصي ليجتنب عنها، والمتكفّل بهذين العلمين إنّما هو علم الفقه، فهو أقدم العلوم وأهمّها"(٢١).

هذه فكرة الغزالي عن دنيوية الفقه، أطلنا في ذلك؛ لأن بعض المفكرين المعاصرين أمثال سروش ومجتهد شبستري قد تأثروا بفكر الغزالي هنا، ورتبوا عليه نتائج لها ارتباط وثيق بالفقه والأخلاق، وسوف نشير لها لاحقا.

مفهوم الأخلاق

من المهم توضيح مفهوم الأخلاق ليتم التفصيل بين ما هو فقهي وما هو أخلاقي:

الأخلاق في اللغة جمع خلُق "بضم الخاء وبضم اللام وبسكونها، قد يكون مشتقاً من (الخَلق)، وهو في اللغة له أكثر من معنى: يقول ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان، أحدهما: تقدير الشيء والآخر ملاسة الشيء؛ فأما الأول فقولهم خلقت الأديم للسقاء إذا قدّرته... ومن ذلك الخُلُق وهي السجية؛ لأن صاحبه قد قدّر عليه. وفلان خليق بكذا وأخلق به أي ما أخلقه أي هو ممن يقدر فيه ذلك"(٢٢). وقد يكون مشتقاً من الخلق بمعنى الإبداع، ويقول الراغب: "والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحد كالشُّرْبِ والشَّرْب، لكن خص الخَلْق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"(٢٣).

أما في تعريف العلماء المسلمين، فإن كل ما ذكر للأخلاق من تعريفات تؤول لتعريف واحد، مع توسع في القيود المأخوذة فيه أو تحديد لها، وهذا التعريف الرائج هو أن الأخلاق: ملكة أو حالة راسخة تبعث على إيجاد الفعل الحسن أو الجميل المحمود عقلاً بنحو عفوي وتلقائي من دون تفكر أو تأمل. وقيد العفوية يخرج من تكلَّف بذل المال مثلاً أو السُّكوت عند الغضب بجهد ورويَّة فلا يقال إن خُلُقُهُ السَّخاء والحلم(٢٤).

أما في الفكر الفلسفي فإن محاولة مقاربة مفهوم الأخلاق قد تبدو محاولة ساذجة؛ لكنها- كما يقول المطهري- من أصعب مسائل الفلسفة البشرية وأكثرها إثارةً للإشكال، فإنه منذ آلاف السنين وإلى اليوم لم تتفق نظريات فلاسفة العالم على رأي واحد بالنسبة لهذا الموضوع؛ حتى أن بعض المدارس الفلسفية أنكرت الأخلاق وزعمت أنها كلمة لا معنى لها ولا رصيد، فلا يوجد في هذا العالم غير اللذة والمنفعة[٢٥].

وعلى أي حال فإن الأخلاق كمفهوم لا خلاف كثيراً فيه، والمهم هو منشأ هذه الأخلاق ومصدرها والمعيار في كون فعل ما أخلاقياً دون غيره.

منشأ الأخلاق

من الأسئلة المقلقة والمهمة: ما هو الأصل الذي ينبغي أن نعزو إليه ما لدينا من أخلاق كالخير والشر والحسن والقبح ونحو ذلك؟ وما دام البحث وقع في فلسفة الأخلاق من المناسب التعرض للفلسفة اليونانية، وحتماً نبدأ بالمفهوم الأخلاقي عند سقراط، فهو رائد الفلسفة الخلقية العقلانية ذات البناء الفكري المتناسق ببنية التتابعية المتواصلة، يرى سقراط -الذي انحصرت فلسفته بالأخلاق- أن الأخلاق مجالها العقل لا الدين أو التقاليد أو الأعراف، نعم الارتباط قائم في فلسفة سقراط الأخلاقية بين العلم والمعرفة وبين الفضيلة الأخلاقية، فالعلم أو الحكمة هي التي تحدد قيمة الفعل الأخلاقي، فإنه متى ما حصل للإنسان هذا العلم بالخير لن يتردد الإنسان في فعله، ومتى ما جهل الإنسان الخير فقد وقع في فعل الشر، ففعل الشر والمساوئ الأخلاقية إنما تكون نتيجة الجهل بالخير.

وإن من غير الممكن ألا يترك الإنسان فعل الخير لو علم به ولم يمنعه مانع؛ لأن الأصل في الإنسان عنده أن يكون خيراً بطبيعته. والخير هذا إنما الباعث له هو السعادة، فالسعادة هي الأصل في منشأ الأخلاق؛ فالإنسان كما أنه خير بطبيعته كذلك هو ذو نزعة نحو السعادة ومفطور عليها.

وهكذا تعود كل الشرور للجهل بالخير. وجميع أفعال الخير ناتجة من العلم والحكمة. وأن رذائل الأخلاق يمكن معالجتها بالعلم بما تؤول إليه[٢٦].

أما تلميذه أفلاطون فإن فلسفة الأخلاق تبدأ عنده ببيان أن الفضيلة ليست مرادفة للذة وليست هي عمل ما يراه كل شخص حقاً؛ لأن اللذة هي أرواء الرغبة أو الشهوة وهما لا ينتميان للشعور، وبهذا تكون الأخلاقية أو الحكم على العمل كونه خيراً أو شراً تابع للشعور الشخصي، ولا قانون عام في ذلك يخضع له كل البشر.

وقيمة الأخلاق تنبع من ذات الفعل الأخلاقي، فيجب أن نفعل الخير لأنه خير لا لشيء آخر وراءه وغاية.

كما أن الحق ليس فضيلة؛ فقد يعمل الحق على أساس باطل، وهكذا تكون الفضيلة في نظره هي العمل الحق الصادر عن معرفة سابقة صحيحة بقيمة الحق. وبناء على ذلك فرق بين الفضيلة الفلسفية والفضيلة العادية التقليدية، فالأولى مؤسسة على التفكير وفهم الأساس الذي بني عليه الفعل الأخلاقي، والثانية فعلٌ حقٌ نشأ عن عرف أو تقليد أو غريزة أو عطف أو نحو ذلك.

ويرى أفلاطون أن السعادة هي غاية الغايات وان الفعل كلما أوصل إليها كان خيراً، والعكس صحيح، والسعادة لا تعني بالضرورة النفع كما يراها بنتام[٢٧] صاحب المنفعة العامة، الذي يفسر السعادة باللذة، سواء لذة الفرد أو لذة المجموع، بل السعادة عنده مبنية على نظرية المثل، ونظرة على عالم الحس الذي نعيش فيه، ونتيجة ذلك أن السعادة تتكون من أربعة أجزاء، أولها: العلم بعالم المثل وهو الفلسفة وثانيها تفهّم الارتباط بين عالم المثل وعالم الحس وكيف يتجلى عالم المثل على عالم الحس، وثالثها التثقف بأنواع من العلوم والفنون ورابعها التمتع بلذائذ هذا العالم النقية الطاهرة البريئة والترفع عما هو رذيل ودنيء؛ والفضيلة الفلسفية يمكن الوصول لها عبر غرس الفضائل العرفية والعادات الحسنة[٢٨].

أما مفهوم الأخلاق الأرسطي، حيث يرى أرسطو الفضيلة تنقسم إلى نوعين، أحدهما عقلي والآخر أخلاقي، وأن الفضيلة العقلية تتولد وتنمو بالعلم والتجربة أما الفضيلة الأخلاقية فهي ميل أو نزعة تحفزها عادات الإنسان تفضي بالنتيجة إلى مشاعر مناسبة، فهي تتولد من العادة والممارسة؛ فالفضائل الأخلاقية لا توجد في الطبع ولكن الطبع له استعداد لتقبلها، والعادة والممارسة تنميها وترسخها، فالإنسان يكون عادلاً بإقامته للعدل وحكيماً بمزاولته للحكمة وشجاعاً حينما يمارس الشجاعة فعلاً. ويؤكد على ضرورة الاعتدال في الأفعال والوسطية فيها، فالإفراط في الشهوات وعدم الاعتدال يجر إلى الرذائل بينما الذي يعتدل في ملذاته يكون عفيفاً[٢٩]. وهكذا يمكن القول إن الفضائل الأخلاقية عند أرسطو تكتسب بالتعلم، وأن الإنسان يولد بلا أخلاق. فالفضائل الأخلاقية، مثل الشجاعة والعفة والكرم وما إليها، فإنها تُكتسب بالتعوّد والممارسة والإرادة الواعية، إذ لا تتكون فينا على سبيل الطبع، بل إننا مهيؤون لاكتسابها، وإلا ما أمكن الاتصاف بأضدادها، كما إنها لا تضاد الطبع وإلا لما أمكن الاتصاف بها. وهكذا، فالتهيؤ الذي هو بالقوة إنما يُستكمل ويصير بالفعل بحكم العادة والمران والتدريب. إذ إن الاستعداد لقبول هذه الفضائل المكمونة في النفس ترتكز فيه بالطبع، وما غاية التربية وواضعي الشرائع إلا غرس هذه الفضائل في النفوس وتنشئة الناس عليها [٣٠].

ولو تجاوزنا الفلسفة اليونانية فثمة عدة آراء مهمة وبارزة في مصدر الحكم الأخلاقي:

الأول: إن مصدر الحكم الأخلاقي أو قل مصدر الإدراك- بأن فعلاً ما يجب فعله، وفعلاً ما يجب تركه- هو الله تعالى. فالعدل نشعر بضرورة فعله والظلم بضرورة تركه؛ لأن ذلك مما أمر الله به فعلاً وتركاً. وهذا الرأي ينسجم مع النزعة الأشعرية في مسألة الحسن والقبح. وهذا الكلام غير صحيح، لأننا نجد أن هذا الإدراك موجود فينا حتى لو لم نكن مؤمنين بوجود إله شرع حرمة الظلم ووجوب العدل.

ثم لو فرضنا صحة هذا الرأي؛ فإن المنكر لوجود الله سوف لن يبقى له مبرر للبحث عن المسائل الأخلاقية!

كذلك يقال: إن وجوب طاعة الله حسنة، فإذا توقفت على وجود أمر إلهي لزم الدور، فلا بد أن يصار إلى مبدأ آخر هو مصدر ذلك الإدراك الأخلاقي[٣١].

الثاني: إن مصدر الأخلاق هو الضمير وهو الذي يبعث الإنسان نحو الخير ويزجره عن الشر والقبيح.

وقد واجه هذا الرأي اعتراضاً مفاده أن الضمير ليس شيئاً آخر وراء العادات التي يحسنها المجتمع ويرتضيها، وهذه العادات تتطور باستمرار.

نعم يندفع هذا الاعتراض بأن ثمة ضميراً فطرياً عند جميع الناس وهو واحد، وهذا الضمير يطرأ عليه نزعات مختلفة تؤثر في انحرافه عما كان على الفطرة. لكن يبقى الإشكال من جهة أخرى وهو أن الضمير لا يمكن إحراز أنه مبدأ مستقل عن العقل الذي سيأتي لاحقاً.

الثالث: إن المبدأ الأخلاقي هو العاطفة، فهي التي تدفع الإنسان إلى الى التضحية في سبيل مصالح الآخرين. ويعترض على هذا الرأي أن العاطفة التي تعني رقة القلب والإحساس بالرأفة، لا ينبغي الانسياق وراءها مطلقاً بل يجب أن يكون العقل حاكماً عليها، وإلا فهي موجودة في الحيوان أيضاً ولهذا لا بد أن يتحدد نشاطها وفقاً للعقل لا أن العقل يكون خاضعا لها.

وقد رفض القرآن الرأفة والعاطفة في مورد مخالفة الحكم الشرعي، كما في قوله تعالى: (والزانية والزاني... ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ...)[٣٢] لأن العاطفة هنا تفضي الى زيادة جريمة الزنا، وما يتسبب منها من فساد اجتماعي؛ فالعاطفة ترفض العقوبة بينما العقل يرجح العقوبة؛ لإدراكه المصلحة المترتبة عليها والمفسدة بتركها. وكما يقول أحد الشعراء: الرحمة بالنمر ظلم للأغنام. وكذلك الأمر في قطع يد السارق؛ قد يقال وفقاً للعاطفة أن القطع فعل يتسم بالوحشية والقسوة وهو ضد العاطفة. ولو تم إطلاق العنان للعاطفة لارتدت الأفعال الأخلاقية الى غير أخلاقية. والعاطفة دون الاتكاء على العقل عمياء لا عيون لها وبلهاء لا منطق لديها[٣٣].

الرابع: إن المصدر هو المجتمع؛ لأن الأخلاق إنما تنبع من العيش مع الجماعة، فلا أخلاق إلا في مجتمع، فالخير ما يأمر به العقل الجمعي والشر ما يمنع عنه العقل الجمعي. والشعور بالإلزام هو وليد الضغط الذي تمارسه الجماعة على الفرد. ويعترض على هذا الرأي بأنه يلزم منه انعدام الأخلاق لو لم تكن هناك قوانين أخلاقية مجتمعية. كما يلزم منه ألا يكون هناك تمرد من الفرد على القوانين الاجتماعية والسعي وراء تعديلها، مع أن هذا فعل أخلاقي أيضاً.

الخامس: إن المصدر هو الطبيعة بمجموع قوانينها التي منها تطور الإنسان وتكيفه مع البيئة، فالإنسان يتحول بفعل التطور من كائن إنساني أناني الى كائن فيه الإيثار والاستئثار، ثم يتحول الى كائن له عاطفة الإيثار الخالصة؛ فيزول الشعور بصعوبة الفعل الأخلاقي؛ فلن يحتاج الى إلزام وتكليف خارجي، بل تصدر الأفعال الأخلاقية بسهولة ويسر.

ويعترض عليه أن هذا الرأي ليس شيئا وراء العاطفة التي مر ذكرها سابقاً. على أن القانون الطبيعي الجبري لا يتوافق مع الأفعال الأخلاقية الإرادية، والظاهرة الأخلاقية ظاهرة إنسانية تتدخل في تكوينها الخصائص الإنسانية بما فيها العقل والإرادة الحرة.

السادس: إن مصدر الحكم الأخلاقي هو العقل العملي، ونقصد به العقل الذي يدرك ما ينبغي فعله وما لا ينبغي فعله، في مقابل العقل النظري الذي يدرك القضايا النظرية غير المرتبطة بالانبغاء وعدمه في الأفعال. الإنسان بطبيعته يمتلك عقلاً، وهذا العقل تارة يدرك أموراً نظرية مثل استحالة اجتماع النقيضين ويدرك الكمال ونحو ذلك، وتارة يدرك أموراً عملية مثل وجوب فعل العدل والصدق ونحوه، وعدم فعل الظلم والكذب والخيانة ونحو ذلك، ولسنا نقصد المصداق الخارجي، فإن كثيراً من المصاديق الخارجية يتنازع في كونها عدلاً أم ظلماً، بل المقصود الظلم بما هو مفهوم واضح ومحدد، والعدل كذلك؛ فعندما نجزم بمورد خارجي أنه ظلم، هنا يأتي دور العقل ليدرك أنه مما لا ينبغي فعله، وكذلك في العدل.

فهنا في هذا الرأي نفس العقل يفرض تكليفاً على الإنسان، ويلزمه بفعل العدل وينهاه عن الظلم من دون قصد اللذة أو دفع الألم أو إرضاء العاطفة أو السعادة أو الكمال. وأحكام العقل هذه لا تقبل الاستثناء تحت أي ظرف زماني أو مكاني أو فردي خاص.

وهذه هي نظرية كانت التي يؤكد فيها أن الواجب الأخلاقي يصدر عن العقل العملي، ولا يكون له من باعث إلا التقدير العقلي لمبدأ الواجب في ذاته.

وبهذا يفصّل كانت بين الخيرية والجمال والحسن وبين الإغراء بالغايات، أو الإغراءات بنعيم الجنة أو التهديد بعذاب النار؛ فيصبح الإلزام في الأخلاق نابعاً من الذات (الضمير أو العقل ونحوه) ولا يأتي من الخارج، وبهذا فإن الإنسان لا يطيع مبادئ الأخلاق طمعاً في نعيم الله ولا خوفاً من جحيمه، ولا اتقاءً لعذاب حاكم أو عقاب قانون، بل يطيعها تقديراً للواجب لذاته وإرضاءً للضمير أو حباً في الخير؛ لأن الخير جميل، والنفس بطبيعتها تهفو لكل جميل، وبهذا تنفصل الأخلاق عن فكرة المقدس واتصالها بالدين[٣٤].

فالخير عند كانت ضرورة عقلية، إنه بديهي أولي، ومن ثم كان نقيضه مستحيل الوقوع، إنه لا ينبثق عن التجربة ولكنه يأتي بالاستدلال القياسي، ولا يحتاج الى برهان، إنه يقوم في الفعل الإنساني ولا يكون قط مجرد صفة تضاف الى الأفعال الإرادية، فهو مع سائر القيم موضوعي ثابت، وليس مجرد وجدان ذاتي متغير.

إن الأخلاق عند كانت تقتضي القدرة على رفض الأفعال التي تساير إشباع النزعات الطبيعية؛ استجابة للعقل ومن غير دافع حسي، وهذا الأمر يتطلب حرية الإرادة التي يتعذر بدونها اختيار السلوك الأخلاقي، وغاية هذه الأخلاقية إنسانية خالصة يفرضها العقل وحده، ومن هنا أوجب كانت على الإنسان أن لا يأتي فعلاً لا يستطيع بإرادته أن يجعله قاعدة في كل زمان ومكان، وليس في قواعد الأخلاق ما يبيح الاستثناء مهما كانت الظروف[٣٥]. وبإيجاز إن الفضيلة عند كانت هي المبدأ الأخلاقي لأفعالنا وأن غاياتها أولاً كمال المرء ذاته وثانياً سعادة الآخرين، ولهذا نجد دائماً أن ممارسة الفضيلة تصطحب معها شعوراً برضى عميق، بينما الرذيلة مشفوعة دائماً بتأنيب الوجدان وتمزق الضمير[٣٦].

وهذه النظرية ربما يعبر عن العقل العملي فيها بالوجدان، وتدعى بالأخلاق الوجدانية، فيسلك الإنسان سلوك طريق الأخلاق بلا ترقب منه لحصول نفع وثواب من المجتمع أو من الإله، وما عدا ذلك فهو ليس من الأخلاق. وهي كما هو واضح لا ربط لها بالدين ولا غيره.

لكن مع هذا لم تسلم من النقاش نظرية كانت، فثمة اعتراض أيضاً في امتدادها لمثل الصدق وغيره من الصفات الأخلاقية، فعدم الاستثناء في مثلها لا يصح، فإن هناك موارد كثيرة لا يجوز فيها الصدق مثلاً؛ لترتب المفسدة عليه والضرر؛ والسبب أن القيمة الأخلاقية[٣٧] في مثل الصدق ليست مرتبطة بذات الصدق، بل بما يترتب على الصدق من أهداف وغايات نبيلة، وهذا يعني أن العقل العملي غير مستقل عن العقل النظري. ولهذا لا ينبغي الاعتماد كلياً على العقل العملي وإدراكاته[٣٨]. على أن فعل الصدق انطلاقاً من إدراك العقل العملي لو فتش عن جذور ذلك لتبين أن هناك داعياً أعمق وراء إدراك العقل العملي بضرورة قول الصدق، وهو سعادة بلوغ الكمال الإنساني[٣٩].

السابع: إن مصدر الحكم الأخلاقي هو العقل بمعونة التجربة التي أثبتت ضرورة الحياة الاجتماعية، وتوقف سعادة الفرد فيها على سعادة المجتمع، فلا تكفي اللذة الفردية معياراً لمعرفة الخير، بل لا بد من مراعاة لذة المجتمع، وهذا ما يسمى مذهب المنفعة العامة، واختاره جيري بنتام وجيمس مل وجون ستيوارت ميل(٤٠).

يقوم مذهب بنتام على أساس أن الفعل الخير هو الذي يحقق أكبر مقدار من اللذة أو السعادة لأكبر عدد من الناس، وهذا هو مبدأ المنفعة، وهي غاية الحياة الخلقية التي ينبغي أن يطمح الى تحقيقها الأفراد والجماعات الإنسانية معاً، ومن ثم تكون أخلاقية الأفعال الإنسانية مرهونة بما يترتب عليها من منافع تحقق السعادة للناس وتصبح اللذة هي الخير الوحيد كما يصبح الألم هو الشر الوحيد في حياة الإنسان ويتحول علم الأخلاق إلى علم حساب لتقدير ما ينجم عن الأفعال من لذّات وآلام، وإن كان أساس اللذة عند بتنام فردي أناني، كما يقول: بأن الطبيعة قد وضعت الإنسان تحت سيطرة سيدين شديدين: هما اللذة والألم، إليهما وحدهما مرجع ما ينبغي أن يأتيه من أفعال، وبهما يتحدد ما سيقدم عليه من تصرفات، فهما مستوى الصواب والخطأ، وبعرشهما ترتبط سلسلة العلة والمعلول، يتحكمان في كل ما نقوم به من أفعال، وما يطوف بخواطرنا من أفكار(٤١).

هذه تقريباً أهم الآراء في نشوء الأخلاق ومصدرها، وهناك بعض الآراء تركناها مراعاة للاختصار، وهي كما ترى في جميعها لا علاقة لها بالدين، بل لها وجود يسبقه، وهو واضح في أهم نظرية منها وهي ما ذهب له كانت فإن في فلسفته للأخلاق أراد أن يجعلها قانوناً محكوماً بالضرورة عندما أقامها على فكرة الواجب غير المشروط، وهي فكرة تؤسس لإشكالية العلاقة بين الأخلاق والدين، فليست الأخلاق مستقلة عن الدين فحسب بل إن الدين هو تابع لها؛ انطلاقاً من أن الأخلاق هي نفسها دليل على وجود الله(٤٢).

الأخلاق من وجهة نظر إسلامية

بعد أن بينا المعايير الموجهة للسلوك الأخلاقي عند غير المسلمين لا بأس بعطف البحث على الأخلاق عند المفكرين المسلمين وعلمائهم؛ لنرى مقدار تقاطعهم واشتراكهم مع غيرهم في كبريات المسائل الأخلاقية.

وفي هذه النقطة يمكن القول إن الإسهامات الفلسفية في الأخلاق ومصدر انبثاقها في الفكر الإسلامي نادرة عموماً، مع الاعتراف أن هناك علماءً من المسلمين تناولوا الأخلاق في دراساتهم مثل علماء الكلام في بحثهم للحسن والقبح والاستطاعة وغير ذلك مما يرتبط بالأخلاق، كذلك ما قدمه علماء التصوف من مقاربات أخلاقية، لكن الفلاسفة منهم بالخصوص كان معظم نتاجهم – إلا القليل– في فلسفة الأخلاق مستنداً إلى

صياغات يونانية؛ فلم تكن هناك دراسات جادة للخروج بنظرية فلسفية أخلاقية إسلامية بعيدة عن الوعظ والإرشاد.

وربما يكون غياب النظرية الأخلاقية والاتفاق على مبادئ أساسية في الأخلاق مما يسهم في بروز الأزمات الأخلاقية في بعض المجتمعات.

فنجد أن الغزالي مثلاً يعتنق وجه نظر صوفية إسلامية في الأخلاق؛ فهو ينطلق من اعتبار الله القيمة المطلقة الوحيدة(٤٣).

فالغزالي يميز بين الخُلُق كسجية وطبع وبين حسن الخُلُق، فالخُلُق عنده ليس هو فعل الجميل أو القبيح، ولا القدرة على فعلهما، ولا التمييز بينهما، وإنما هو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر عنها الإمساك والبذل، فثمة مقتض للمحمود والمذموم في الفعل، يقول: "وأما حسن الخُلق بأن يزيل جميع العادات السيئة التي عرّف الشرع تفصيلها، ويجعلها بحيث يبغضها فيتجنبها كما يتجنب المستقذرات، وأن يتعود العادات الحسنة فيشتاق إليها ويؤثرها ويتنعم بها"(٤٤). فثمة جانب فطري جبلي للأخلاق، وجانب مكتسب يمكن تربيته.

وفى موضع آخر يصرح الغزالي المقصود بحسن الخلق بقوله: "فالخلق عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنية وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق... وأنه صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصدّيقين، وهو على التحقيق: شطر الدين وثمرة مجاهدة المتّقين ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين(٤٥).

وكذلك يتجه الماوردي –المتأرجح مذهبه بين الاعتزال والأشعرية – إلى مذهب قيمي ينبثق من المعطى الديني متطابقاً تقريباً مع مذهب الغزالي، فهو ينطلق من إرادة الله وفضله مؤكداً أن النفس "مجبولة على شيم مهملة وأخلاق مرسلة لا يستغني محمودها عن التأديب ولا يكتفي بالمرضي عنها عن التهذيب فإن أغفل تأديبها إلى العقل أو توكلاً على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع أعدمه التفويض درك المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائبين"(٤٦) فالمعرفة النظرية لا تكفي لصدور الفعل الأخلاقي ما لم تكن هناك قيمة أخلاقية مضافة تستند بالدرجة الأساس الى معطى ديني(٤٧). وأن تشَكُّل الأخلاق وانبثاقها يرجع في الحقيقة إلى أصلين هما الطبع والتطبع؛ فالأخلاق: "بعضها خُلق مطبوع مرسل ومهمل، وبعضها خلق مصنوع؛ لأن الخلق طبع وغريزة، والتخلق تطبع وتكلف... فتصير الأخلاق نوعين: غريزية طُبع عليها –غير موجهة– ومكتسبة تَطَبّع بها"(٤٨).

أما ابن مسكويه (٤٢١هـ) فلم يتبين بشكل واضح ماهية نظريته الأخلاقية، نعم هو يعتقد أن تبدل الأخلاق أمر ممكن، وأن الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وأن هذه الحال نوعان، منها ما يكون طبعياً من أصل المزاج، ومنها ما يكون مكتسباً من العادة والتدريب المستمر، وربما يظهر من كلامه أن الخلق ليس من الطبع؛ لأنه يذكر برهاناً منطقياً مفاده: أن كل خلق يمكن تغييره، ولا شيء مما يمكن تغيره هو بالطبع، والنتيجة أن لا خلق ولا واحداً منه بالطبع"[٤٩].

وخلاصة الرأي الأخلاقي عند الغزالي والماوردي وابن مسكويه أنه ينطلق من أن الله تعالى خلق الإنسان وألهمه الخير والشر على السواء، كما هو مدلول بعض الآيات القرآنية، ولهذا نجد أن نظرتهم للأخلاق تكاد تكون متقاربة، وإن اختلفت في صياغة الألفاظ، هذه النظرية تتمثل في أن الإنسان يولد وهو مفطور على الخير والشر لكن بنحو المقتضي لا بنحو الفعلية، أو قل بنحو القوة لا الفعل، والدراسات الحديثة تدعم هذا المعنى، فقد أثبتت بعض الدراسات الحديثة في علم النفس التطوري، قام بها بعض علماء النفس الاجتماعي، وجود الخير بالفطرة لدى البشر، ثم يتطور لديهم الحس الأخلاقي الذي يمكنهم من التمييز بين الصواب والخطأ في مرحلة مبكرة من الطفولة[٥٠].

وللمودودي رأي جدير بالذكر هنا في الأخلاق الإسلامية، فهو يرى أن ثمة إشكالية مهمة للغاية في فلسفة الأخلاق تستند إلى سؤال هام: كيف يمكن معرفة الخير والشر؟ وما هو المصدر الذي ينبغي لنا أن نرجع إليه لنعلم ما الحسن وما القبيح؟ وما هو الصحيح من الخطأ؟ ويقول إن الجواب عن هذا السؤال لم يتمكن الإنسان من أن يجد له جواباً واحداً مقنعاً، بل تعددت في ذلك الأجوبة بين قائل بأن التجربة الإنسانية هي المرجع وبين قائل بالطبيعة وقوانينها، وبين قائل بالوجدان، ورابع قائل بالعقل فحسب، فتجد في ذلك الفوضى والاضطراب.

فلا التجارب لها القدرة، بل قدرتها ناقصة ولا القوانين الطبيعية المتغيرة، كما أن العقل والوجدان لا قدرة لهما مطلقة في تحديد ذلك، فإنه وإن كان العقل له جانب الاستعداد لمعرفة الخير والشر، حيث أوتي كل البشر من ذلك العقل حظاً، وكذلك لا ريب في أن معرفة الخير والشر يتصل جانب منها بالوجدان؛ فيلهم الإنسان إلهاماً بطبعه وفطرته، لكن الحق أنه ليس أي منهما كافياً بذاته للحصول على تلك المعرفة المطلوبة بشكل كامل؛ والاستناد للعقل والوجدان والاكتفاء بهما يعد وسيلة ناقصة ومحدودة، وليس كذلك فحسب، بل إنها وسيلة يختلف حكمها في مختلف الأحوال والأوضاع، فقد يصدر حكمٌ من العقل والوجدان بأمور متباينة أنها خير أو شر، كما لو صدر الحكم من أناس مختلفين من طبقات متفرقة في أزمنة وأوضاع مختلفة، فتجد شر هذا الفرد خير عند فرد آخر، فهناك فوضى في التشخيص.

فكم من الأعمال والأفعال التي عدتها الإنسانية في سالف الزمان من المآثم والجرائم أضحت عين الخير عند طبقة من الطبقات الإنسانية اليوم، وإن لم تكن خيراً محضاً، فإنها لا شك قد أصبحت خيراً نسبياً[٥١].

وكذلك كم من الفضائل والمكارم التي حكم عليها الإنسان أبداً بالخير والصلاح قد أصبح أكثرها اليوم من الحماقة والسفاهة وشيئاً مضحكاً! فكان الصدق يعد قوام الأخلاق العالية لكن الفلسفات السائدة اليوم على عقول البشر جعلت الكذب والزور مكرمة وفضيلة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبح تلفيق الكذب فناً عظيماً وعلماً برأسه.

وهناك سؤال آخر هام في فلسفة الأخلاق: ما الذي يحض الإنسان على العمل بالقوانين الخلقية والسير بمقتضاها على رغم أنف ميوله ورغباته الفطرية؟ فهل يقال مثلاً بأن المكارم من الأخلاق تصعد بالإنسان في معراج السرور والكمال بحيث تستطيع بذاتها أن تستحث المرء على اتباعها، والرذائل من الأخلاق التي تفضي بالإنسان الى الحزن والألم وتتردى به في هاوية الذلة والمسكنة فيها من الرادع ما يكفي أن يحذر الإنسان إياها ويعرفه بها. فلا حاجة هناك لاتباع القوانين الخلقية الى سلطة خارجية لتنفيذها. أو أن هناك قانون الواجب قد فرض على الإنسان من خلال إرادته العادلة، هو الذي يأمر باتباع الأخلاق؟ أم السلطة السياسية هي القوة المنفذة لقانون الأخلاق، أم سلطة المجتمع هي المسؤولة عن التنفيذ؟ ويعتقد المودودي أن كل تلك المصادر لا عصمة لها ولا نزاهة.

وفي المقابل يطرح فلسفته الأخلاقية قائلاً: إن القاعدة التي تصلح لأن ينهض عليها صرح الأخلاق الإنسانية مستندة إلى أساس واحد لا غير، وهي التي تستند إلى ما يهيؤه الإسلام ويزود به الإنسانية جمعاء، ففيه تجد كل الأجوبة الشافية لجميع الأسئلة الجوهرية في فلسفة الأخلاق، وهي أجوبة لا تتسم بالضعف كغيرها، وفي الإسلام تجد هداية خلقية شاملة تأخذ بيد الإنسان وتصعد به إلى أعلى درجات السمو والرقي في مختلف مجالات الحياة، وأول أمر لا بد من ملاحظته هو إن من الخطأ أن يتصدر سؤال ما هو منشأ الأخلاق عند الإنسان؟ بل الصحيح أن يكون السؤال الأول في فلسفة الأخلاق: ما هو مكانة الإنسان ومنزلته في هذا العالم؟ ومن العبث السؤال عن منشأ الأخلاق مع عدم معرفة جواب هذا السؤال بشكل حاسم، وأمر منطقي جداً، والعقل يفرض المعرفة للمنزلة قبل الخوض في منشأ الخير والشر.

ويضرب مثالا عرفيا لتقريب الفكرة، لو أن شخصاً أراد أن يرسم خطة عمل لاستثمار ضيعة معينة، فلا بد أن تعلم أولاً منزلتك من هذه الضيعة وحدود تصرفك فيها، إن كانت هذه الضيعة ملكاً لغيرك أم أنت فيها كالنائب والأمين، وعندما تجزم بأحد الوجهين سوف يختلف نوع تصرفك فيها بكل تأكيد.

وهكذا في المسألة الأخلاقية، فإن الإسلام يحدد لنا نحو تصرفنا في هذه الأرض، وأن الإنسان نائب عن الله وهو المالك الحقيقي لها. وأن كل ما في هذا الكون هو خالق له، بما يشمل الإنسان وجميع قواه ومواهبه فهي ملك لله تعالى. وخلافة الإنسان للأرض محفوفة بالابتلاء والاختبار، وسوف تظهر نتائج هذه الاختبارات يوم يحشر الناس جميعا لله وسيحاسبهم أفراداً ومجتمعات ثم يحكم بينهم فيمن قام بحسن عبادته وخلافته ومن قصر في ذلك.

وحين نعلم بهذه المنزلة الإنسانية في هذا الكون، يكون من نتاج ذلك عقلاً ألا يبقى للإنسان حق في أن يرسم لنفسه خطة العمل الصحيحة في هذه الحياة الدنيا بل كل ذلك الحق يرجع الى الله تعالى وهو الذي يحدد للإنسان خطة العمل والسعي وينير له معالم الجادة السوية في حياته. وهكذا تحل جميع الأسئلة التي أثارها الفلاسفة وتنحل عقدها في باب الأخلاق وتنتهي الفوضى في الأجوبة المتعددة، فكل ما قيل من مناشئ لإدراك الخير والشر ليست إلا أمور مساعدة ومؤازرة، وليست هي تمام الخير وتمام الشر.

فالمرجع الأصلي الصحيح لمعرفة الخير والشر والصحيح والخطأ في جميع أفعال الإنسان هو هدى الله تعالى وإرشاده لا غير. وكل ما عداه من العقل والوجدان والضمير والتجارب الحياتية مجرد مؤازرة ومساعدة للمرجع الأصل لا أنها مرجع مستقل بذاته.

وكذلك يتبين أن المرجع الأصلي المحفز لتنفيذ الأخلاق هو حب الله تعالى والحرص على نيل رضاه والخوف من سخطه، فهو الحافز الحقيقي للتخلق بالأخلاق العالية والخصال الشريفة وتجنب الرذائل[٥٢]. ويلتقي مع هذه النظرية ما يعتقد به المطهري الذي يصرح بأن الحقيقة الكاملة تتلخص في اعتبار الأخلاق من مقولة العبادة الناتجة من الالتزام بسلسلة من التعاليم الإلهية مع السعي لجعل جميع الأفعال لتكون شعاعاً أخلاقياً وسيكون كل شيء لله وفي الله (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"[٥٣]. وما ذكره المودودي ومن تبعه يطلق عليه بعض الفلاسفة المسلمين اسم نظرية رضا الله تعالى[٥٤].

وكما هو واضح نظرية المودودي قد يمكن تسجيل بعض الاعتراضات عليها منها: أن الأخلاق لا يمكن أن تكون نسبية، وإلا سوف لن تكون هناك قائمة أخلاقية في هذا العالم. ونسبية الأخلاق وعدم ذلك من المسائل المهمة أيضاً ونغض الطرف عنها – وربما نذكر لها بعض الإشارات– في هذا البحث مراعاة للاختصار.

وعلى أي حال يمثل الاعتقاد الديني حجر الأساس في الفلسفة الأخلاقية، فلو لم يعتقد الإنسان بوجود العدل الإلهي سوف يقع أحياناً تحت تأثير ظروف موضوعية تفضي فيه إلى الاعتداء على حقوق الآخرين، بل إن الأخلاق من مقولة العبادة؛ فالإنسان يتبع سلسلة من التعاليم الإلهية بقدر ما يعبد الله وعندما تتحول عبادته الى عبادة شعورية واعية فستكون كل أفعاله وتصرفاته ذات صبغة أخلاقية[٥٥].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول إن النظرية عند علماء المسلمين- كما عند المودودي- تعطي للعقل مساحةً ما في تمييز الأخلاق التي تقوم على الحسن والقبح، كما سوف يأتي، لكن المساحة الأكبر في منشأ الأخلاق وتوجيهها هو الدين وإرشاداته.

وقد حاول بعض العلماء المعاصرين أن يصوغوا نظرية فلسفية ذات صبغة إسلامية أمثال الدكتور أحمد محمود صبحي الذي كانت له مقاربة أخلاقية جيدة من خلال منهج يقوم على قراءة التراث الإسلامي بحثاً فيه عن آراء ومذاهب أخلاقية؛ لاستخراج نظرية ذات طابع إسلامي، فسعى في كتابه "الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي" لاستخراج رؤية أخلاقية عند المعتزلة في علم الكلام، وأخرى عند الصوفية في علم التصوف.

وكذلك حاول محمد عبد الله دراز- رائد الأخلاق القرآنية كما يسميه بعضهم- في كتابه "دستور في الأخلاق في القرآن" أن يخرج بنظرية أخلاقية إسلامية لكنها لا تقوم على أساس فلسفي، بل مجردة عن تأثيره، مستوحاة من الفكر القرآني، يقول: "لقد علمنا القران إن النفس الإنسانية قد تلقت في تكوينها الأولي الإحساس بالخير والشر (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها)...وكما وهب الإنسان ملكة اللغة والحواس الظاهرة؛ فإنه زود أيضاً ببصيرة أخلاقية: (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره) ولقد هدي الإنسان طريقي الفضيلة والرذيلة: (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين). إن النفس-حقاً- لأمارة بالسوء ولكن الإنسان قادر على أن يحكم أهواءه: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى).

وإذا لم يكن كل الناس يمارسون هذا التأثير على أنفسهم، فان منهم من يفعله بتوفيق الله له. وهو ما قرره رسول الله في قوله: (إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه) ففي الإنسان إذن قوة باطنة لا تقتصر على نصحه وهدايته فحسب بل إنها توجه إليه بالمعنى الصريح أوامر أن يفعل أو لا يفعل. فماذا تكون تلك السلطة الخاصة التي تدعي السيطرة على قدراتنا الدنيا إن لم تكن ذلك الجانب الوضيء من النفس والذي هو العقل. ذلكم أيضا هو ما عبر عنه القرآن بألفاظه الخاصة..."[٥٦] وهو كتاب جدير بالقراءة.

بخلاف عادل العوا الذي كان يرى الأخلاق من المباحث الفلسفية الأصيلة ومهما تطورت وتعاظمت فإنها ستظل في حضن الفلسفة، محاولاً تقديم رؤية تهدم الهوة بين الأخلاق النظرية والعملية، معتقداً أن الوجدان في هذا المجال مفهوم معقد جداً، وأنه متأصل في الإنسان يؤرجح شعوره بين الخير والباطل، وهذه الأخلاق المنبثقة عن الوجدان لا علاقة لها بمعتقد أو دين؛ فنزعة علمنة الأخلاق ظاهرة عنده لا يمكن إنكارها. فالوجدان هو الحاكم الذي بيده القول والفصل وهو آخر مرجع يرجع إليه الفرد، وليس في وسع أي سلطة غيبية أن تحمل الوجدان على الخضوع، ما لم يعتنق الإنسان بضميره وما ينبع منه بما يتفق مع تعاليم تلك

السلطة، بل إن اتباع نهج الوجدان في التربية ينشئ جيلاً صالحاً؛ لأنه بتلك التربية يتحرر الشخص من أسر غرائزه وأهوائه فالوجدان ارتكاس شامل في ميدان الخير والشر(٥٧).

استقلال الأخلاق عن الدين

يتضح مما سبق أن قضية ارتباط الأخلاق بالدين أو استقلالها ليست موضع اتفاق، وأن هناك خطين متعاكسين في هذه المسألة، بل إن هناك ثلاث اتجاهات، بل أربعة فيما لو أدخلنا القضية العكسية تماماً وهي تبعية الدين للأخلاق كما ذكرنا ذلك في مذهب كانت المتفرعة على القول بمبدأ الإرادة الخيرة للإنسان أو الإرادة الحسنة أو الطيبة الذي أقام عليه كانت نظريته الأخلاقية، وأن منشأ الأخلاق من خير مطلق يكون سبباً لكل قيمة أخلاقية والخيرية تأتي من آثارها وثمراتها، فيكون صرح الأخلاق قائماً على هذه الإرادة، فهو في غنى عن الإقامة على قاعدة الإيمان بالإله أو فكرة كائن مختلف وأعلى من الإنسان لكي يعرف هذا الإنسان واجبه ولا إلى سبب غير القانون نفسه لكي يتبعه، بل يكفي العقل العملي الخالص(٥٨).

فهناك إذن في مسألة استقلال الدين وعدمه، أكثر من اتجاه، ومن هذه الاتجاهات المهمة:

الاتجاه الأول: استقلال الأخلاق عن الدين، بغض النظر عما سوف يأتي من أحكام العقل العملي، بل المستند في ذلك قانون هيوم المعروف، فإنه يعد أحد المؤسسين لفكرة استقلال الأخلاق عن الدين؛ مستنداً إلى قانونه المعروف لا وجوب من الوجود، فكل نتيجة أخلاقية – غير خبرية- لا تنبثق من قضايا غير أخلاقية؛ فلا يصح أن يصار إلى وجوب طلب العلم في القضية الخبرية، فلو كانت القضية غير الأخلاقية من قبيل: "العلم فيه منفعة للإنسان أو يوجد في العلم منفعة له" لا يمكن أن تنتج إلزاماً لقضية أخلاقية، مفادها: أن طلب العلم واجب. فهو يرفض أن تقوم الأخلاق على أساس جمل خبرية، وهكذا يعتقد أن الأحكام الدينية لا تصلح لأن تؤسس الأحكام الأخلاقية، بل تقوم على أساس الوجدان الإنساني، فهو يعتقد بانحصار الحكم الديني في الإخبار عن المغيبات، بينما الحكم الطبيعي محصور في الإخبار عن المشاهدات والمحسوسات(٥٩). وهذا الاتجاه بهذه الصياغة واجه انتقادات كثيرة، منها أن الدين ليس نظرية في خصوص المغيبات، فثمة فهم ضيق للدين، ولا ينحصر في الأحكام الخبرية أو الوجودية، بل الدين منظومة من الأحكام تحدد كيفيات العمل لتلبية حاجات معينة وفيه من الأقوال الوجوبية فضلاً عن الإخبارية(٦٠).

الاتجاه الثاني: عدم استقلال الدين عن الأخلاق وحجة الذين يذهبون إلى ذلك أن المصدر الوحيد للقيم والتقويم هو الله تعالى، فهو الذي يقرر ما هو حلال وما هو حرام وما هو خير وما هو شر، وليس في الأفعال ولا في الأشياء في ذاتها قيمة ذاتية، وإنما الذي يعطيها هذه الصفة هو الشرع الإلهي، فالتحسين

والتقبيح هما من الله وليسا عقليين. وذهب إلى هذه الاتجاه المسلمون من أهل السنة الأشاعرة، وكذلك ذهب له كثير من المسيحيين من اللاهوتيين، حتى تطرف بعضهم وزعم أن العقل الإنساني الخالص لا يمكنه التمييز بين الخير والشر ولو لم يشأ الله أن يكشف لنا عن قصده لكان من الممكن أن يقتل الولد أباه دون أن يكون مذنباً. وديكارت تبنى هذا الرأي أيضاً فهو يرى أن القضايا التي تبدو متناقضة يمكن أن تكون صادقة لو شاء الله ذلك، وأن الأفعال التي يستهجنها ضميرنا يمكن أن تكون مقبولة لو قرر الله ذلك(٦١).

الاتجاه الثالث: ما يترتب على رفض المعتزلة للاتجاه الأول للأشاعرة ومن سار معهم، وقرروا بأن الحسن والقبح لكل منهما واقعية وقيمة ذاتية، وأن الله تعالى عندما يقرر أن هذا شر وهذا خير أو حرام أو حلال إلا لأسباب ذاتية في الأفعال استدعت ذلك، وهو أيضاً نفس الموقف عند بعض اللاهوتيين من المسيحين، فذهب بعضهم إلى أن الله تعالى لا يمكن أن يريد شيئاً ليس متفقاً مع الطبائع التي خلقها، وعلى هذا فإن الخير والشر كما قرره الله هما أيضاً يرجعان الى الخير والشر في الأشياء المخلوقة. ولا تعارض بين ما قرره العقل وما قرره الشارع(٦٢).

أما غالب الشيعة فقد تطابق رأيهم مع المعتزلة، فذهبوا إلى كون الحسن والقبح عقليين واقعيين، واستدلوا على صحة ذلك تارة بالشعور الوجداني أو ببداهة العقل في قدرته على التمييز بين الخير والشر والحسن والقبح قبل نزول أي شريعة، وإلا يلزم أن منكر الشريعة لا يشعر بقبح الظلم وحسن العدل! والواقع بخلافه. وتارة أخرى بأن عدم واقعية الحسن والقبح يستلزم منه عدم الوثوق بالمعجزة النبوية، فإن العقل يحكم برتبة سابقة أن الله تعالى يقبح منه التضليل فيما لو أجرى المعجزة على يد الكاذب، فإدراك القبح قبل النبوة وما جاءت به من شريعة(٦٣).

والمقصود بالحسن والقبح عندهم – لا ما يستحق فاعله المدح في الحسن والذم في القبح– بل أن الحسن هو ما ينبغي فعله، والقبح ما لا ينبغي كذلك. والكلام فيما يدرك العقل العملي لا النظري.

الاتجاه الرابع: ما يترتب على نتيجة أن الحسن والقبح مرتبطان بالمصلحة والمفسدة في ضمن النظام المجتمعي، لكن ليس كل مصلحة ومفسدة بل ما كان منهما واضحاً بدهياً يدركه جميع العقلاء (المصلحة النوعية) ولا يحتاج إلى تأمل عقلي لإدراكه. وهذا ما يصطلح عليه بالحسن والقبح العُقلائيين لا العقليين. وهو يؤول إلى تفسير الحسن والقبح بالمدح والذم من قبل العقلاء؛ لتطابق آرائهم على مدح فاعل ما فيه المصلحة العامة وذم فاعل ما فيه المفسدة(٦٤).

وجدير بالذكر هنا أن نفي إدراك الحسن والقبح عند الأشاعرة ومن تبعهم لا يعني نفي أصل الإدراك، بل المنفي هو التعويل على الإدراك العقلي لكثرة خطئه مثلاً، حتى لا نصل إلى حالة من التكاذب فيما بين الاتجاه القائل بالحسن والقبح الشرعيين مع الاتجاه النافي له. أو أن يقال بأن إدراك الحسن والقبح واقع لا محالة لكن النزاع والاختلاف في أن الحسن هل يضاف للشيء المدرك أم يضاف للشارع.

وعلى أي حال نحن لا نرجح الاتجاه الأشعري، للأدلة التي ذكرت في علم الأصول وعلم الكلام. فعدم التعويل على العقل العملي لكثرة الخطأ مثلاً إنما هو بسبب التزاحم في إدراكات هذا العقل لا في أصل الإدراك، فقد يدرك الإنسان قبح القتل، لكن في مجتمع ما لو قام شخص بقتل رئيس وقام مقامه، لا يرى ذلك المجتمع فعلاً قبيحاً ولا يذمون فاعله، وهذا نتيجة التزاحم بين المصالح والمفاسد.

وهذا يعني الإيمان بأن العقل له القدرة على تمييز الحسن والقبح في رتبة سابقة على الشريعة والدين.

نعم ربما نتفق مع الاتجاه الثالث في ربط الحسن والقبح في باب المصلحة والمفسدة لأن الحكم بالحسن والقبح يدور مدار نتيجة التزاحم بين المصالح والمفاسد.

والسبب في ذلك أن المرجعية العامة والمطلقة لأحكام العقل العملي تتمثل في العدل فيما ينبغي والظلم فيما لا ينبغي فعله، كأساس لكل الأحكام العملية، وهذه الأحكام من المفترض أنه لا يمكن تقييدها بوجه، فعنوان النافع والضار لا يقيد تلك الأحكام، وعندئذ يخرج الصدق والكذب من أخلاقيات العقل العملي، لأن العقل يدركها في ضوء الحس والتجربة، وهي مقولات نسبية فما هو نفع ومصلحة لدى فرد أو شعب قد لا يكون نفعا ومصلحة لفرد وشعب آخر في ظل ظرف تاريخي مختلف(٦٥).

بل قد يقال بأن العدل والظلم أيضاً ليس من المفاهيم المتعالية القبلية التي يدركها العقل العملي، بل من المفاهيم اللاحقة؛ فتحديد قيمة العدل والظلم على أساس قواعد الواجب وفق المشرع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والقضائي، وعلى ضوء مقاييس الشرع وأحكامه، فما هو عدالة لدى قضاء قد يكون ظلماً في عرف وقيم ومقاييس قضاء آخر، وما هو عدالة في التوزيع لدى نظام اقتصادي ما يكون إجحافاً وظلماً لدى نظام اقتصادي آخر وهكذا. ومن هنا يمكن حذف مبدأين من قائمة الأحكام الأولية العملية التي لا تقبل الاستثناء التي طرحتها مدرسة العقل الكلامية وهما قبح الظلم ووجوب العدل والإنصاف، بل ويلحقهما ذات المصلحة والمفسدة فهي أيضاً مفاهيم لاحقة(٦٦).

فعند الفلاسفة ما يدركه العقل العملي في جوهره مفاهيم يبتكرها ذهن الجماعة ثم تشتهر بين الناس كتأديبات اجتماعية لوحظ فيها الصالح العام فهي مشهورات ليس لها واقع موضوعي وراء إنشائها واعتبارها والتصديق والجزم بها باعتبارها أحكاماً تضمن المصلحة العامة(٦٧).

ولهذا بحث المتكلمون عن مخرج عندما واجهوا مشكلة أن العقل لا يمكن أن يكون منشئا لأحكام العقل العملي بل العقل مدرك لهذه الأحكام المتقررة سلفاً وأزلاً، ومن هنا لا بد من الخروج من الإشكالية، وهو أن هذه الأحكام ما هو عالمها؟ هل عالم الخارج أم عالم الذهن أم عالم ثالث؟ وحيث هي ليست وقائع ذهنية وليست وقائع خارجية أيضا، فأين تقع؟ هنا افترض علماء الكلام أن هناك عالماً ثالثاً أسموه عالم نفس الأمر واسماه الشهيد محمد باقر الصدر عالم لوح الواقع الذي هو أوسع من لوح الوجود وهو عند كارل بوبر العالم الذي يتضمن القيم والتقاليد والمعرفة البشرية(٦٨).

وما دام أن أحكام العقل العملي الأولية ينبغي أن تكون قبلية وصادقة صدقا مطلقاً في كل زمان ومكان فلا تقبل الاستثناء، بيد أن الملاحظ أن صدق هذه القضايا لا يمكن تحققه؛ لأن هذه القضايا ترتبط بالسلوك وبواقع الأفعال الإنسانية هذا الواقع لا يخلو من التزاحم والتدافع فيقتضي وقوع الاستثناء. والعقل الخالص شأنه أن يدرك المبادئ الثابتة التي تنعم بالدوام المطلق(٦٩).

وقد كانت محاولة كانت منسجمة مع هذه الرؤية؛ ولذا حاول اقتناص مبادئ السلوك وقواعد الأخلاق، خالصةً من شوائب الخبرة؛ لتتسم بالإطلاق والعموم والثبات. وحاول أن يرجع القضايا اللاأخلاقية الى اللامنطقية؛ فيضمن لقواعد الأخلاق وأحكام العقل منطقيتها؛ ويوفر الشرط المهم للمعرفة القبلية. لكن محاولته تصادمت مع الواقع الذي تتزاحم فيه القواعد وتتعارض عنده الأحكام. وقد حاول محمد باقر الصدر حل هذه الإشكالية بإدخال عنصر الاقتضاء فالكذب يقتضي الكذب بذاته ما لم يزاحمه قبح أكبر. وهو في الحقيقة سلب الإطلاق لهذه الأحكام العقلية لأنها لا تنفي وجود احتمال وقوع الاستثناء. وهكذا يفقد مفهوم القبلية سمته البرهانية في أحكام العقل العملي، بل نص محمد باقر الصدر على أن حكم العقل مشروط ومعلق وليس حكماً مطلقاً.

وهكذا تعود أحكام العقل العملي ملوثة بالتجربة وتفقد قبليتها الخالصة، ولأن مخرج الاقتضائية أمر يفرضه عالم خبرتنا ومحيطنا الذي نعيش فيه. والاستثناء الذي قرره محمد باقر الصدر يقرر وجود التزاحم، وكذلك يقرر مراتب للقبح ودرجات. وهذا السلّم للمراتب لا يدرك بالعقل الخالص، بل هو معطى من معطيات عالم المفاسد والمصالح الذي هو عالم تجربتنا(٧٠).

وهذه نقطة جديرة بالاهتمام في مسائل الأخلاق التي تتكئُ على مسلمات العقل العملي، وتضعف من قدرة العقل على إبراز حكم مطلق يتجاوز الزمان والمكان والتزاحم وعالم المفاسد والمصالح، فإن ترجيح العقلاء بين المتزاحمات في عالم حياة الإنسان لا يمكن أن يتجرد عن مفاهيم ومتطلبات المصلحة والمفسدة التي يحددها الناس في ضوء تجاربهم وممارساتهم الحياتية في عالم المتغيرات، والعقل البشري الخالص لا يمتلك أولويات للترجيح في عالم تزاحم الخبرات البشرية، هذا العالم الذي يختلف اختلاف جوهريا عن العقل

الخالص المبني في صميمه على الثبات والدوام، بينما لا دوام ولا ثبوت في مجال الحياة الذي يختلف من جيل لآخر ومن مكان لآخر، وبالضرورة سيتأثر هذا العقل الحياتي بأحكام الدين وغيره لمن عاش في كنف الشريعة والدين مثلا. ومتـــأثراً بالنزعة الإنسانية عند من لا يهتم لشأن الدين(٧١).

ولو تجاوزنا هذا المأزق في أحكام العقل العملي تبقى نقطة هامة وهي أن الحسن والقبح على تقدير واقعيته وقبليته المطلقة، هل يشمل كل الفضائل الأخلاقية والرذائل؟ وهل توجد صفات أخلاقية لا توصف بالحسن والقبح؟ ضرورة أن التقابل بينهما ليس من تقابل النقيضين بل من تقابل الضدين فيمكن أن يرتفعا في مورد.

وقد قالوا إن الحسن والقبح وإدراك العقل لهما في حدود العدل والظلم، أما غير ذلك من الأخلاق والمكارم والرذائل فلا يمكن للعقل أن يجزم –بنحو اليقين– بحسنها وقبحها.

وإذا كانت الأخلاق تتسم بأنها أعم من الحسن والقبح، فهذا يعني أن هناك إدراكاً في الجملة وإن كان في دائرة ضيقة من الأخلاق، يمكن أن توجد لدى الإنسان قبل أي شريعة ودين.

ويترتب على كل ما مر أن الأخلاق بشموليتها لا تستقل عن الدين، وإن كانت في بعض الموارد كفضيلة العدل ورذيلة الظلم تكون للعقل القدرة على تشخيصها من دون حاجة لتدخل الدين. لكن يبقى ذلك على مستوى نظري، لأن التطبيق الخارجي للظلم طالما وقع فيه خلاف وأضحى نسبياً. هذا إذا لم نعترض على اتفاق العقلاء على قضية الظلم قبيح والعدل حسن، فإن هاتين القضيتين مرجعهما إلى قضية بشرط المحمول(٧٢). فقولنا: العدل حسن والظلم قبيح ضروريتان بشرط المحمول، ولا معنى معقول للظلم عدا سلب ذي الحق حقه؛ فقد فرض في الرتبة السابقة على هذا الكلام حق للمظلوم، وهذا الحق تارة يفترض أنه ليس مدركاً بالعقل، وإنما هو حق قانوني واعتباري بحت، وأخرى يفترض كونه مدركا بالعقل. فإن فرض الأول: فمن الواضح أن العقل العمليّ لا يدرك قبح مخالفته، لعدم اعترافه به، وإنما الحاكم بقبحها هو القانون والمجتمع أو الفرد الذي اعتبر هذا الاعتبار. ولذا ترى أن ما يقبح في مجتمع رأسمالي من تصرفات في أموال لا يقبح في مجتمع شيوعي مثلاً، باعتبار أن ملكية الفرد وسلطنته أمر اعتباري اعتبره المجتمع الأول ولم يعتبره المجتمع الثاني. وإن فرض الثاني أي أن العقل العمليّ أدرك الحق المسلوب، فهذا بنفسه هو الإدراك للقبح. فمعنى قولنا مثلا: إن من حق اليتيم أن لا يضرب، هو أنه يقبح ضرب اليتيم. فقولنا: (الظلم قبيح) يرجع ويؤول إلى قولنا: (القبيح قبيح) وهذه قضية بشرط المحمول. وهكذا قضية العدل حسن(٧٣).

وعلى أي حال؛ فإن الفعل في الخارج يرتبط بملابسات عالم الخارج وبظروف الحياة الإنسانية وقيمها المادية وبالمصالح الاعتبارية والحقيقية، بينما لا يدرك العقل القبلي الخالص هذ الملابسات، ولا يضع في حسابه القيم المادية والموازين الاعتبارية التي تقوم على أساسها حياة الجماعة، ومن ثم نحتاج إلى العقل المطلق المطلع

على عالم الغيب المكنون لكي يهدينا ويأخذ بيد هذا العقل المحدود لكي لا يضيع في مقاييس المجتمعات التي تخضع لشهوات وقوة وتأثير سلطة النخب ومصالحها والعقلاء بما هم عقلاء لم يتركوا لنا سوى اتفاق على قبح القبيح وحسن الحسن(٧٤).

وهكذا يتضح أن محاولة فلاسفة الأخلاق لالتماس مبادئ عامة تقوم على أساسها قواعد السلوك وأحكام العقل العملي بحيث تكون أحكاماً مشتركة بين المجتمعات البشرية، لم تخلو من الإشكالية، فإنهم حتى وإن حصروها بوجوب العدل وقبح الظلم فلن ينجو هذا الحصر من خضوعه للإشكال.

إن التحليل العقلي للأخلاق يختزلها في غريزة وأنانية وتضخيم للذات، ومن هنا يكون ثمة مبرر لمن يرى عدم إمكانية العقل الذي يدور في إطار المادية أن ينتج منظومة أخلاقية، فقد يستطيع العقل أن يختبر العلاقات بين الأشياء ويحددها، لكنه لا يستطيع أن يصدر حكماً قيمياً عندما تكون القضية استحسانا أو استهجانا أخلاقياً، الغريزة والعقل على السواء لا تميز بين الصح والخطأ وبين الخير والشر، فمحاولة إقامة الأخلاق على أساس عقلي لن يثمر في شيء إلا في مجال الأخلاق الاجتماعية، وأن التحليل العقلي للأخلاق يختزلها إلى أنانية وتضخيم للذات. فالأخلاق كظاهرة إنسانية واقعية لا تفسر تفسيراً عقلياً، وحقيقة الأخلاق لا بد أنه تدور في فضاء وجود الله وتعاليمه وإرشاداته لبني البشر(٧٥).

وعلى أساس تبني اتجاه عدم الاستقلال بين الأخلاق والدين لا يبقى عندئذ على المستوى التداولي والاستعمالي ثنائية القيم الإنسانية والقيم الدينية، بل ستكون القيم واحدة في كل الأحوال.

تطور الأخلاق

مهما يكن مصدر الأخلاق سواء قلنا إنها مستقلة عن الدين أم متداخلة معه، ثمة تساؤل مفاده هل القيم الأخلاقية ثابتة وخالدة؟ أم القيم تتغير حسب الظروف الزمانية والمكانية وغيرها؟ وهنا اتجاهان: الأول تتبناه النظرية الغربية الذي يرى أنها متغيرة حتماً، فقد يكون يوماً شيء له قيمة وفي يوم آخر فاقداً لهذه القيمة(٧٦)، وأن تطبيقات مبادئ الأخلاق الكلية لا شك في أنها تختلف باختلاف الزمان والمكان ما دامت حياة الجماعة في كل بيئة وفي كل عصر في تطور دائم وتغير متصل(٧٧). وقد يكون هذا الاتجاه واضحاً في الفكر الديالكتيكي الذي يرى أن الأخلاق ظاهرة إنسانية فوقية تتطور وفقاً لتطور الوضع الاقتصادي، وتحكم عليها أصول المادية الديالكتيكية الحاكمة على الطبيعة والإنسان والفكر والتاريخ والمجتمع على السواء. فليس هناك أصول أخلاقية خالدة أو مثل عليا ثابتة أو أحكام خلقية لا تنالها يد التطور بل الفضيلة ما تقتضيه الظروف الخاصة للمجتمع، فالسرقة مثلا تعد مذمومة في المجتمع الإقطاعي والرأسمالي الذي يسوده مبدأ الملكية،

وتصبح فضيلة إذا احتاجت إليها الثورة العمالية التقدمية وتفقد موضوعها عند وصول المجتمع الى قمة الشيوعية اللاطبقية [٧٨].

والاتجاه الثاني يرى أن الفعل الأخلاقي يتقوم بالقصد، فلو عمل الإنسان عملا أخلاقيا بقصد الرياء والسمعة لا يسمى هذا العمل أخلاقيا وليس له قيمة أخلاقية في الواقع، فقيمته رهن بالنية الصالحة. وهذه النية تتوقف على منشأ الأخلاق والاختلاف فيه، فمثلُ كانت يرى أن قيمة الفعل الأخلاقي مرتبطة بقصد إطاعة العقل أو الوجدان والضمير، لا بقصد إرضاء العاطفة أو المنفعة ونحو ذلك. وأما في الإسلام فالقيمة الأخلاقية رهن بقصد التقرب الى الله تعالى، طبعا يحظى الفعل الأخلاقي بقيمة محددة لكنه في درجة ما لو صدر من دون قصد القربة لله، ومع القصد ترتفع درجة القيمة فيه إلى أعلى مراتبها[٧٩].

تقليل نفوذ الفقه مع قواعد أخلاقية

بعد ما تقدم نعود إلى القضية الجوهرية في البحث وهي ثنائية الفقه والأخلاق، وهذا يتفرع إلى فرعين مهمين: الأول: هل الأخلاق تستقل عن الفقه؟ والثاني: هل الفقه يدور في فضاء الأخلاق؟ وفي كل الفرعين تترتب ثمرات مهمة، فالأول لو قلنا بالاستقلال، فهذا يعني إمكانية الاعتماد على تلك الأخلاق في مجالات الحياة بلا حاجة إلى تدخل فقهي، وبهذا نقلل من نفوذ الفقه الكبير في الحياة الإنسانية. ويتفرع على المسألة الثانية: أن الفقه ينبغي أن يقصي جميع الأحكام التي تتقاطع مع الأخلاق، وبالتالي يتكون فقهٌ جديدٌ فضاؤه وإطاره الأخلاق.

ونبحث أولاً في الجهة الأولى وهي استقلال الفقه عن الأخلاق أم التداخل أم التطابق وما يتفرع على ذلك من ثمرات. وقد مر تعريف الفقه سابقاً وكذلك تعريف الدين والفرق بينهما، وذكرنا هناك أن الفقه هو الفهم البشري للأحكام المختصة بأفعال المكلفين في عالم جعل المولى وصفحة تشريعاته، وهذا هو الاصطلاح الرائج للفقه وقد كان في فترة من تاريخ التشريع الإسلامي أوسع، فقد عرفه أبو حنيفة بأنه: "معرفة النفس مالها وما عليها"[٨٠] وهذا التعريف يشمل أحكام الاعتقادات، كوجوب الإيمان بالله، والأخلاق والتصوف، والأحكام العملية كالصلاة والصوم والبيع ونحوها، وهو المعبر عنه بالفقه الأكبر.

وبناء على ما مر من بحث منشأ الأخلاق والنظريات المتعددة فيه، ووفقاً للنظرية الإسلامية ببعدها الفلسفي تكون الأخلاق في تكونها فطرية المبدأ ثم مكتسبة البقاء من الدين. وأن الأخلاق الفطرية لا تتسع لتكون قادرة على معرفة الخير والشر بنحو كلي لا يقبل التخصيص من دون تدخل الدين، وأن العقل في إدراكه العملي لا يدرك إلا الحسن والقبح لكن بنحو متفاوت وتبعاً للتزاحم الموجود في مجالات الحياة؛ فهو إدراك اقتضائي،

وبهذا المعنى يصح القول إن الأخلاق لا تستقل عن الدين. وهذا لا يعني أن لا قدرة للعقل على إدراك الفضائل والرذائل الأخلاقية وعدم قدرته على تشخيص الحسن والقبح، بل هو قادر على ذلك لكن حيث إن هذه الفضائل ناتجة من نظام الحياة، وفي نفس الوقت تكون هي بذاتها معايير لسلوكه ونظامه العام، وأن عالم الحياة عالم تسود فيه المصالح والمفاسد وتتزاحم فيما بينها، فلم يكن للعقل الخروج بمعيار أخلاقي مطلق في كل زمان ومكان، فالصدق، والوفاء بالعهد، وعدم الخيانة وصلة الرحم، والتعاطف، وغض الطرف عن عيوب الناس، وقول الحق، والتواضع والشجاعة ونحو ذلك من الأخلاق لا تعتمد على وجود شريعة سابقة ليحصل العلم بمعياريتها في السلوك الإنساني، والإشكالية التي تكلمنا عنها سابقاً هي الاستثناءات التي تعرض على الأحكام والمفاهيم العقلية ولا يأبى العقل عن تخصيصها، وهذا إن دل فهو يدل على عدم كون الحكم العقلي حكماً مطلقاً.

ومن هنا يمكن تصور أن الاستثناءات لو أصبحت هي القاعدة في الحياة والقاعدة هي الاستثناء، فإن المفاهيم الأخلاقية ستكون خلاف ما نعرفه عنها، إذ ستكون مثل الكذب هو الحسن والسرقة مثلاً هي الحسنة بينما الأمانة والصدق ليس حسناً، وافتراض هكذا فرضية لا يمكن البرهنة على عدم إمكانها عقلاً.

فالعقل يدرك ويحكم بحسن الكذب لا مطلقاً وهذا هو منشأ الإشكال في عدم الاستقلال الكامل عن الرؤية الدينية، فإن المجتمعات متغيرة ولكل مجتمع خصوصيته، ولكي تكون الأحكام الأخلاقية مضمونة الحقانية في كل زمان ومكان وفي كل الظروف لا بد أن تتكئ على الرؤية الدينية الإلهية بوصفها التجسيد الكامل لكل قيم الخير والعدل والواجب.

والإدراك لهذه المفاهيم الأخلاقية لا على نحو إدراك المقولات الماهوية التي لها منشأ انتزاع في الخارج بل هي من المعقولات الثانية التي يكون اتصافها في الخارج وعروضها في الذهن، وما يتحقق في الخارج من مصاديق هو مورد اتصاف للمقولة الأخلاقية أما محل عروضها فهو في الذهن، فالصدق مثلا عندما يخبر به في الخارج يكون مما يتصف بالحسن العقلي، وهذا محل عروضه في عالم الذهن.

كما إن الأخلاق الدينية لا تعني وصفاً مباشراً للأفعال بالصفات الأخلاقية من قبل الدين، بل تعني انتزاع الصفات الأخلاقية عبر الأمر والنهي والتحسين والتقبيح الديني[٨١].

وعندما نقارن بين الدين والفقه بمعناه الاصطلاحي الضيق المختص بالأحكام الشرعية العملية يكون الفقه معزولاً عن الأخلاق، سواء كانت الأخلاق مرهونة بالدين أم بالعقل والوجدان أم غير ذلك؛ لأن الدين هو المنظومة المتسقة من الأحكام العملية والأخلاقية والعقدية.

نعم لو فسرنا الفقه باصطلاحه الواسع سيكون الفقه فهماً للأخلاق وأحكامها بالمعنى الذي ذكرناه لها. لكن ما هي طبيعة الفهم عندئذ؟ هل الفهم لتعاليم أخلاقية المفترض أن العقل قد أدركها في رتبة سابقة؟ أم فهم لتعاليم أخلاقية عجز العقل عن إدراكها والفقه سيقوم بفهمها وتشخيصها من المنظومة التشريعية الدينية؟ هذا يرتبط بالخلاف في استقلال الأخلاق عن الدين وبمقدار الاستقلال.

وما يهمنا في بحثنا هذا، هو هل يمكن الاعتماد على قدرة الأخلاق سواء المرتبطة بالدين أم المستقلة عنها في تحديد نفوذ الفقه؟

يبدو أن للمفكر الإيراني المعروف عبد الكريم سروش رأياً في هذه النقطة، إذ يرى أن بالإمكان تقليل نفوذ الفقه بالاعتماد على المنظومة الأخلاقية في توجيه السلوك العملي للإنسان، أليس الفقه مختصاً بالأفعال ويوجهها الطريق الصحيح والصواب؟ فلماذا لا تكون الأخلاق بديلة عن الفقه في توجيه سلوك الإنسان، وبهذا نقلل من المساحة التي يتحرك فيها الفقه ونخفف الثقل عن كاهله؟

يقول سروش: "لا يمكن لنا أن نتوقع من الفقه أن يقوم بحل مشاكل الحياة المعاصرة، مثل مشكلة تلوث الهواء، ومشاكل الأمراض الطبية والتعليم العام والهجرة الباهظة للقرويين إلى المدن، وتراكم الثروات الهائلة وإدمان المخدرات والاكتظاظ السكاني، فهذه ليست مشاكل قانونية حتى يقوم الفقه بحلها، بل هذا لا يليق بالفقه. ثم يقول: كلام الغزالي يستشف منه أن كل مصاعب الحياة الاجتماعية وليدة الرذائل الأخلاقية كالجشع والقتل وسلب الحقوق، ورذيلة الشهوة والغضب. فإذا انعدمت الرذائل لم يكن هناك حاجة للفقهاء والفقه[٨٢].

ويقول أيضاً إن الفقه تغول كثيراً في حياة المسلمين، حتى حل محل الأخلاق، فإن المعروف والسائد بين علماء الفقه الإسلامي قدرة الفقه على تبيين جميع الأحكام المرتبطة بفعل المكلف، وأنه لا حاجة لعلم الأخلاق في هذا المجال. بينما الصحيح أنه ليس ثمة ترابط بين علم الأخلاق وعلم الفقه، وللوصول للرقي الأخلاقي لا بد أن يتحول المجتمع الفقهي إلى مجتمع أخلاقي فيكون هو المحور في سمو المجتمع الإنساني ورقيه. فترويج المذهب الأخلاقي وسيادته في المجتمع يحد من سيطرة علم الفقه في هذا المجال. وهذا انطلاقاً مما ذكرناها سابقا في رأي الغزالي بما يتعلق بوظيفة الفقه، وأنها تتكفل بالجانب الدنيوي، فالفقه برأيه هو فقه دنيوي يعالج مشاكل الناس في هذه الحياة. ومن هنا بات من الضروري استبدال الفقه بالأخلاق الاجتماعية[٨٣].

وفي تقييمنا لهذا الرأي أنه مبني على الرؤى التي يحملها مثل سروش في الفكر الديني المعاصر، والتي تنطلق بالدرجة الأساس من عدم شمولية الشريعة لجميع مجالات الحياة، وتنطلق من أن الأخلاق منفصلة عن الدين، ولهذا هو وغيره من المفكرين الإيرانيين الذي سبقوه بأن الدين إنّما جاء لتنظيم الحياة الأخروية، وأن

رسالة الدين لا علاقة لها بتنظيم الحياة الاقتصادية والسياسية أو وضع خطط وبرامج لإدارة حياة المجتمع، بل هدف الدين هو تنظيم علاقة الإنسان بربّه ودفعه لخوض التجربة الروحيّة والأخلاقيّة، ونحن نضع الفقه في مأزق حينما نحمله مسؤوليّة وضع برامج للدولة والعلوم والتقدّم الصناعي والتكنولوجي والصحّة والاقتصاد والأمن وغير ذلك.

ونظرة عدم الشمولية لا تتفق مع الرؤية الفقهية السائدة التي ترى خلاف ذلك، وإن كنا نرجح أن الشمولية على مستوى النصوص الفقهية الواقعية التي تم تبليغها للناس لم تكن متحققة؛ فثمة فراغ تشريعي في أصل الفقه، لكن على مستوى الإثبات لا مستوى الثبوت والواقع، وقد حققنا ذلك في كتابنا منطقة الفراغ. ولو فرضنا عدم الشمولية، لكن يبقى أيضا القول بعدم استقلال الأخلاق عن الدين بوجه من الوجوه بما ذكرناه سابقاً لعدم وجود قانون أخلاق خالص يمكن أن يعمم ويكون عابراً للزمان والمكان والمصالح والمفاسد المجتمعية والفردية. فالأخلاق المطلقة غير متحققة في ظل عقل ملوث بالتجربة، والعقل الخالص محكوم بالاستثناءات التي تقلل من شأن معايير الأخلاق.

كما أن هذه الرؤية مبنية على ما يراه الغزالي ورأيه في الفقه الذي يراه من حيث المبدأ مجموعة من الأوامر والنواهي التي تفيد في حسم النزاعات وتنظيم أمور العيش للإنسان فهو أحد الأسس الاجتماعية، فالفقه يهتم بالجانب الدنيوي، ولو تصرف الناس في الدنيا بمقتضى أخلاق العدل لما كان هناك حاجة للفقهاء[٨٤].

وهذا الرأي لم يكن مقبولاً عند شريحة واسعة من العلماء وقد انتقدوا كلامه وعدوه شاذاً، كما أن استناد سروش له ليعزز رأيه في الفقه الدنيوي لم يكن إلا انتقاءً لكلام الغزالي، فإن الغزالي في موارد كثيرة من كلامه صرح بأهمية الفقه في حياة الإنسان وأنه الجسر لعالم الآخرة، وإنه لم يقصد من الدنيوية ما يترتب عليه من نتائج عند سروش، وما ذكره الفيض الكاشاني من انتقادات وتعريف للفقه، في الجملة مقبول. نعم الفقه بحاجة إلى آليات معاصرة تضمن تغطيته لجميع المجالات التي عبرنا عنها بمجالات منطقة الفراغ التشريعي، ليكون مواكباً للتطور المعرفي والتقني. وهذا لن يحدث ما لم يتم الاعتراف بوجود منطقة فراغ في الشريعة ولو على مستوى الإثبات.

المقاصد الأخلاقية في الأحكام الفقهية

فيما يتعلق بالفقه والأخلاق، لا شك في أن الإسلام بمقتضى الحديث الصحيح لقول النبي (ص) إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق يكون الإسلام عبارة عن رسالة أخلاقية في قمة المثالية، وأن السلوك الصالح هو المعيار في الأوامر الربانية فكل أمر من أوامره يجب أن يقترن على الأقل بقيمة خلقية واحدة تتمثل في

سلوك الفرد أو المجتمع، فيبنى الأمر الإلهي على اثنين من المقومات الأساسية: المقوم الأخلاقي والمقوم القانوني والأول مقدم على الثاني لأن ثمرة الحكم ليست في التطبيق الخارجي فحسب بل بما يتحقق في الخارج من إصلاح خلقي(٨٥).

والفقه بطبيعته الصناعية الاحترافية القائمة على القواعد الأصولية التي قد تدخل فيها القواعد الكلامية والفلسفية يخرج عن الطور العفوي الذي يتسق مع الفطرة الروحية التي خلق الإنسان عليها، ويتجه إلى الفقه الصناعي الذي قد يحجب تلك الفطرة الروحية، لأنها لا تمثل جانباً منضبطاً بخلاف القانون الذي يتسم بالانضباط والتعميم، والمفترض أن يكون الجانب الأخلاقي هو الأصل ومن ثم يتفرع عليه الجانب الذي يتمثل بالقانون والحكم الشرعي.

وهناك عوامل عديدة نأت بالفقه عن المهمة التي هي الأساس فيه وهي تزكية باطن الإنسان وتربية ضميره الخلقي وتصحيح معتقداته القلبية بل انحصر الفقه في ضبط السلوك العملي الخارجي وإخضاع مختلف الجوارح لأحكامه في صورتها القانونية ووقفوه على الرسم الظاهري والطقوس المقررة للتعبد، وأصبحت هذه الطقوس هي المعيار بصحة عبادات الإنسان ومعاملاته بل وثبوت الاستقامة لصاحبها.

ولم يعد الفقه يعنى بتنمية القوة الإيمانية والوازع الداخلي لدى الفرد بل تركز اعتناؤه على تقوية المظاهر الاجتماعية للتعبد وتقنين التطبيق الجمعي للطقوس والشعائر(٨٦). ولعل من أهم أسباب ذلك هو إقصاء التصوف النخبوي برموزه المعروفة مثل الحسن البصري وأبي حامد الغزالي وجلال الدين الرومي والطعن بسلامة معتقداتهم والقدح بمعرفتهم بأحكام الشرع استجابة للنزعة الحرفية الصناعية للفقه، وهكذا ينتهي الصراع بين أهل الفقه وأهل التزكية لصالح الأول(٨٧). وإذا كان الفقه يرسم منهج حياة كاملة في جميع أبعادها المادية والمعنوية ويتكفل بالحياة الطيبة والسعادة الدنيوية والأخروية، لا بد أن لا ينحصر في فعل المكلف الامتثال كما أشار لذلك الغزالي في بحث سابق، ولم يكن المقصود في قوله تعالى: (ليتفقهوا في الدين) انحصار الفقه بالأحكام العملية المحضة، دون سائر الجهات الأخرى المعنوية القلبية والأخلاقية(٨٨).

وعدم اهتمام الفقه بالأخلاق واضح من عدم اهتمام علم أصول الفقه بالمنظومة الأخلاقية والمعايير القيمية ومجالاتها المحورية وروافدها الملهمة، وأثر الضمير الأخلاقي في بناء الحياة الإنسانية الأصيلة، ولم يحدّد موقعَها في الشريعة الإسلامية، على الرغم من أن المنظومةَ الأخلاقية والمعاييرَ القيمية منبثّةٌ في سياق الآيات باختلاف موضوعاتها. كذلك أهمل أصولُ الفقه، وتبعاً له أهمل الفقهُ، الدلالاتِ القرآنيةَ للحياة الروحية، وتعبيراتها العميقة في الحياة، والروافد التي تستقي منها، ولم يحدّد موقعَها في الشريعة الإسلامية، على الرغم من أنها تسري في سياق الآيات باختلاف موضوعاتها كالمنظومة الأخلاقية والمعايير القيمية"(٨٩).

ولكي تكون الفتاوى الفقهية مقبولةً لا بد من انسجامها مع القِيَم الأخلاقية. وعليه فإن وظيفة الفقهاء تقتضي منهم قبل إصدار الفتوى أن يكون فهمهم للنصوص الدينية قائماً على أساس القِيَم الأخلاقية، وأن تكون الفتوى متماهيةً ومنسجمة مع تلك القِيَم. إذا أريد للفقه أن يكون ناجعاً لا بد أن تحظى القواعد الأخلاقية والمعرفية للفقه بأهمّية زائدة على سائر القواعد والمباني الأخرى(٩٠).

هوامش البحث:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٤ ص ٤٤٢.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣ ص ٥٢٢.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج ٣ ص ٤٦٥.
(٤) الفايق في غريب الحديث، الزمخشري، ج ٣ ص ٤٥.
(٥) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن، ج٣ ص٤٩.
(٦) التوبة: ١٢٢.
(٧) الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، ج١ ص٣٢. سنن الترمذي، الترمذي، ج٤ ص١٣٧.
(٨) حاشية رد المحتار، ابن عابدين، ج١ ص٦١.
(٩) الأشقر، سليمان، تاريخ الفقه الإسلامي، ص١٥.
(١٠) "وبقيد المكتسب خرج علم الله وملائكته وعلم النبيّ من خلال الوحي، وكذلك العلم بالضروريات كوجوب الصلاة؛ فهذه ليست مكتسبة فلا يشملها الفقه) انظر: أصول الفقه، وهبة الزحيلي، ج١ ص١٩. نهاية السول، الأسنوي، ص١١.
(١١) انظر: معالم الدين، الحسن بن زين الدين، ص٢٦. وانظر: أصول الفقه، وهبة الزحيلي، ج١ ص٢٠.
(١٢) انظر: المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، محمد مصطفى شلبي، ص١٥.
(١٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢، ص٣١٩.
(١٤) تاج العروس، الزبيدي، ج١٨ ص٢١٦. مادة دين.
(١٥) المصدر نفسه ص٢١٨.
(١٦) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٦ ص٤١٤. وانظر: المدخل لدراسة الشريعة للدكتور عبد الكريم الزيدان: ص٨٣.
(١٧) رسائل المرتضى، المرتضى، ج٢ ص٢٧١.
(١٨) ما وراء الفقه، محمد صادق الصدر، ج١ ص٨٥.
(١٩) إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، ج١، ص١٦-١٧.
(٢٠) المصدر السابق، ج١، ص١٨-١٩.
(٢١) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني، ج ١ ص ٥٩.
(٢٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٢ ص ٢١٤.
(٢٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ١٥٨.
(٢٤) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج ٨ ص ٩٧. وانظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، ص٩٧. وانظر: التعريفات، الجرجاني، ج ١ ص ١٣٦. تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ج ٣٠ ص ٨١.
(٢٥) انظر: فلسفة الأخلاق، المطهري، ص١٩-٢٢.
(٢٦) انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج١، ص١٨٠-١٨١. وانظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص٤٩.
(٢٧) هو جيرمي بنثام: عالم وفيلسوف إنجليزي (١٨٣٢م) من أهم كتبه: مبادئ الأخلاق والتشريع.
(٢٨) قصة الفلسفة، زكي نجيب محمود، أحمد أمين، ص١٧١ -١٧٥.
(٢٩) علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، آرسطو، ج١، ص٢٢٥-٢٢٩. دار صادر، بيروت،
(٣٠) علم الأخلاق الى نيقوماخوس، أرسطو، ج٢، ص١٥٠، ترجمة أحمد لطفي، دار الكتب المصرية، ج٢، انتشارات أقتاب طهران، ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م.
(٣١) انظر: كلمة في فلسفة الأخلاق، اليزدي، ص٣-٤.
(٣٢) النور: ٢.
(٣٣) انظر: فلسفة الأخلاق، مطهري، ص٤٩-٥٠. كلمة في فلسفة الأخلاق، اليزدي، ص٥.

([٣٤]) أسس الفلسفة، د. توفيق الطويل، ص٣٧٥.
([٣٥]) مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، توفيق الطويل، ص٣٠٨-٣١٠.
([٣٦]) العمدة في فلسفة القيم، د. عادل العوا، ص٥١٢-٥١٣.
([٣٧]) القيمة في اللغة اسم هيئة يدل في الاستعمال العادي على قدر الشيء أو مقداره وفي الاصطلاح: لها دلالات مختلفة، وفي المجال الفلسفي: "المعنى الخلقي الذي يستحق أن يتطلع إليه المرء ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه" انظر تعددية القيم، طه عبد الرحمن، ص١١. أو أن القيمة: "ما هو جدير بأن يطلب" الأخلاق النظرية، عبد الرحمن بدوي، ص٩٠.
([٣٨]) فلسفة الأخلاق، مرتضى المطهري، ص٦٩.
([٣٩]) انظر: فلسفة الأخلاق، مطهري، ص٧٢.
([٤٠]) انظر: كلمة في فلسفة الأخلاق، اليزدي، ص٣-١٨. ذكر اليزدي أكثر الآراء في منشأ الأخلاق.
([٤١]) مذهب المنفعة العامة، توفيق الطويل، ص٩٨-٩٩.
([٤٢]) انظر: أخلاقنا في حاجة الى فلسفة جديدة، إدريس هاني، ص٤٣. وانظر: الدين في حدود مجرد العقل، كانت، ص٢٦٥، الباب الثاني. وانظر: سؤال الأخلاق، طه عبد الرحمن، ص٣٥.
([٤٣]) انظر: العمدة في فلسفة القيم، د. عادل العوا، ص٥٦٢.
([٤٤]) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٣، ص٥٣.
([٤٥]) المصدر نفسه، ص٤٩.
([٤٦]) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، ص٢٣١.
([٤٧]) المعتمد في فلسفة الأخلاق، عادل العوا، ص٥٨٥.
([٤٨]) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، أبو الحسن الماوردي، ص٤، نشر دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي.
([٤٩]) انظر: ابن مسكويه، مذاهب أخلاقية، كامل محمد عويضة، ص٤٤.
([٥٠]) علم النفس التطوري، دافيد باس، ص٧٦٤. ترجمة د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤٣٠هـ.
([٥١]) نظرية الإسلام الخلقية، أبو الأعلى المودودي، ص٣٤-٣٨.
([٥٢]) انظر: نظرية الإسلام الخلقية، المودودي، ص٣٩-٤٩.
([٥٣]) فلسفة الأخلاق، مطهري، ص١٠٨-١٠٩.
([٥٤]) انظر: التعليم والتربية في الإسلام، مرتضى مطهري، ص٨٧.
([٥٥]) انظر: التربية والتعليم، مرتضى مطهري، ص١١٩. فلسفة الأخلاق، مرتضى مطهري، ص١٠٦.
([٥٦]) دستور في الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ص٢٧-٢٨.
([٥٧]) انظر: عادل العوا أخلاقه وفلسفته الأخلاقية، د. عزت السيد أحمد، ص١٢٥-١٢٦.
([٥٨]) انظر: سؤال الأخلاق، طه عبد الرحمن، ص٣٥-٣٧.
([٥٩]) انظر: المصدر نفسه، ص٤٠-٤٢.
([٦٠]) سؤال الأخلاق، طه عبد الرحمن، ص٤٣-٤٤.
([٦١]) انظر: الأخلاق النظرية، عبد الرحمن بدوي، ص٩٤.
([٦٢]) انظر: المصدر نفسه، ص٩٦.
([٦٣]) مباحث الأصول، محمد باقر الصدر، ج١، ص ٥٠٦.
([٦٤]) انظر: مباحث الأصول، محد باقر الصدر (تقرير السيد كاظم الحائري) ج١، ص: ٥٢٥
([٦٥]) الأسس العقلية، عمار أبو رغيف، ص٦١٤.
([٦٦]) المصدر نفسه: ص٦١٧-٦١٨.
([٦٧]) الأسس العقلية، عمار أبو رغيف، ج١، ص١٩٣-١٩٤.
([٦٨]) المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥.
([٦٩]) المصدر السابق، ص١٩٨-١٩٩.
([٧٠]) الأسس العملية، عمار أبو رغيف ج١، ص٢٠٠.
([٧١]) الحكمة العملية، عمار أبو رغيف، ص٢٠٧-٢١٠.
([٧٢]) الضرورة بشرط المحمول: المقصود منها القضايا التي أُخذ المحمول جزءً أو شرطاً في موضوعها، فهي ضرورية باعتبار أن المحمول جزء للموضوع، أي أن صيرورة القضايا الممكنة في نفسها ضروريّة، يكون بشرط أخذ المحمول جزءً أو

شرطاً في موضوعها، وعندئذ يكون ثبوت المحمول للموضوع من قبيل ثبوت الشي لنفسه، وهو ضروري كما هو واضح. فعندما يقال: (زيد عالم) فإنَّ هذه القضية ممكنة، إذ أنَّ المحمول كما يمكن ثبوته للموضوع يمكن انتفاؤه عنه، أما حينما يقال: (زيد العالم عالم) فإنَّ القضية تصبح ضرورية، وذلك لأنَّ العالم أخذ جزءً في الموضوع، فيكون ثبوت العالميَّة لزيد العالم من ثبوت الشيء لنفسه. المعجم الأصولي، محمد صنقور، ج٢، ص٢٦٥. منشورات الطيار، قم، ط٢، ١٤٢٨ ه

(٧٣) مباحث الأصول، محمد باقر الصدر، ج١، ص ٥٤٤-٥٤٥.

(٧٤) الحكمة العملية، عمار أبو رغيف، ص٢١٢.

(٧٥) الإسلام بين الشرق والغرب، عزت بيجوفيتش، ص١٨٦. ترجمة محمد يوسف عدس. مؤسسة بافريا للنشر، ط٢، ١٩٩٧م.

(٧٦) أصول المعارف الإنسانية، اليزدي، ص١٨-١٩.

(٧٧) أسس الفلسفة، توفيق الطويل، ص٣٨٤.

(٧٨) انظر كلمة في فلسفة الأخلاق، مصباح اليزدي، ص١٧.

(٧٩) أصول المعارف الإنسانية، اليزدي، ص ١٤٣-١٤٤.

(٨٠) شرح التلويح على التوضيح، التفتازاني، ج١، ص١٦.

(٨١) الحكمة العملية، ص٣٨٩.

(٨٢) انظر: أرباب المعرفة، سروش، ص٥٦.

(٨٣) انظر: مجلة دراسات في فقه الإمامية، مقال بعنوان تقييم رؤية الغزالي في ظل علاقة الفقه بالأخلاق، العدد ٥، ١٣٩٤ش، ص٩١.

(٨٤) انظر: قصة أرباب المعرفة، سروش، ص١٩١-١٩٢.

(٨٥) انظر: روح الدين، طه عبد الرحمن، ص٤٠٢.

(٨٦) روح الدين، طه عبد الرحمن، ص٤٠٤.

(٨٧) روح الدين، طه عبد الرحمن، ص ٤٠٦.

(٨٨) انظر: تفسير الميزان، ج٩، ص٤٠٤.

(٨٩) الأخلاق والمدونة الفقهية، الرفاعي، مقال منشور في موقع مؤمنون بلا حدود.

(٩٠) انظر: مجلة نصوص معاصرة، مقال بعنوان أخلاق المعرفة الدينية، أبو القاسم فنائي، ص٢٨٩-٢٩١. العدد ٤٥ سنة ١٤٣٩هـ.

مصادر البحث

١.ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

٢.ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢، ١٣٨٦هـ.

٣.ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٤.ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١.

٥.أبو رغيف، سيد عمار، الأسس العقلية دراسة في المنطلقات العقلية للبحث في علم أصول الفقه، دار الفقه، ط١، ١٤٢٥هـ.

٦.أبو رغيف، سيد عمار، الحكمة العملية دراسات في النظرية وآثارها التطبيقية، دار الفقه للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٢٣هـ.

٧.أحمد أمين، زكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٣٥م.
٨.إدريس هاني، أخلاقنا في الحاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة، مركز الحضارة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٩.أرسطوطاليس، علم الأخلاق الى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي، دار الكتب المصرية، انتشارات أقتاب طهران، ١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م. ونسخة أخرى: دار صادر، بيروت.
١٠.الأسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول شرح منهاج الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
١١.الأشقر، د. عمر سليمان، تاريخ الفقه الإسلامي، دار النفائس، عمان، ط٣، ١٤١٢هـ.
١٢.بدوي، عبد الرحمن، الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٦.
١٣.بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
١٤.الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد، دار الفكر ـ بيروت، ط٣ـ ١٩٨٣م.
١٥.التفتازاني، سعد الدين، شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح، مصر.
١٦.الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتاب العربي ـــ بيروت، ط١، ١٤٠٥هـــ.
١٧.دافيد باس، علم النفس التطوري، ترجمة د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٤٣٠هـ.
١٨.دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة.
١٩.الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، دار السلام – القاهرة، ط ١٤٢٨هـ.
٢٠.الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٢١.الزبيدي، محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ط ١٩٩٤م.
٢٢.الزحيلي، وهبة مصطفى، أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢٣.الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر الخوارزمي، الفايق في غريب الحديث، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١ـ ١٤١٧هـ.
٢٤.زيدان، عبد الكريم بن زيدان بن بيج العاني، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
٢٥.سروش، عبد الكريم، قصة أرباب المعرفة، مؤسسة الصراط الثقافية، ط١، ١٣٧٣ش.

٢٦.شلبي، محمد مصطفى، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي وقواعد الملكية والعقود فيه، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٩٦٢م.
٢٧.الصدر، محمد صادق، ما وراء الفقه، دار الأضواء ـــ بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.
٢٨.صنقور، محمد، المعجم الأصولي، منشورات الطيار، قم، ط٢، ١٤٢٨ ه
٢٩.الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، جماعة المدرسين ـــ قم.
٣٠.طه عبد الرحمن، تعددية القيم، ما مداها وما حدودها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ط١، ٢٠١١م.
٣١.طه عبد الرحمن، روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠١٢م.
٣٢.طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٠م.
٣٣.الطويل، توفيق، أسس الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، ط٣.
٣٤.الطويل، توفيق، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٣م.
٣٥.العاملي، الحسن بن زين الدين، معالم الدين وملاذ المجتهدين، جماعة المدرسين، قم.
٣٦.عزت السيد أحمد، عادل العوا أخلاقه وفلسفته الأخلاقية، دار أنهار للدراسات والنشر، ط ٢٠١٧م.
٣٧.عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس. مؤسسة بافريا للنشر، ط٢، ١٩٩٧م.
٣٨.العوا، عادل، العمدة في فلسفة القيم، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط١، ١٩٦٨.
٣٩.عويضة، كامل محمد، ابن مسكويه مذاهب أخلاقية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٤٠.الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
٤١.الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي.
٤٢.الكاشاني، محسن بن محمد بن المرتضى، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٤٣.كانت، إيمانويل، العقل في حدود مجرد العقل، ترجمة: فتحي المسكيني، جداول للنشر، الكويت، ط١، ٢٠١٢م.
٤٤.الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٨هـ.
٤٥.الماوردي، أبو الحسن، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، ط١٩٨٦م.
٤٦.الماوردي، أبو الحسن، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٤٧.مجلة دراسات في فقه الإمامية، العدد الخامس، سنة ١٣٩٤شمسي، ص٩١.
٤٨.مجلة نصوص معاصرة، العدد ٤٥ سنة ١٤٣٩هـ.
٤٩.محمد باقر الصدر، مباحث الأصول، بقلم كاظم الحائري، مكتب الحائري، قم، ط١، ١٤٠٨ه
٥٠.محمد رشيد، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦ هـ.
٥١.المرتضى، علي بن الحسين، رسائل المرتضى، تقديم: السيد أحمد الحسيني، دار القرآن ـــ قم، ط١٤٠٥ هـ.
٥٢.مصباح اليزدي، محمد تقي، أصول المعارف الإنسانية، إعداد مركز نون للتأليف، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، ١٤٢٢هـ.
٥٣.مصباح اليزدي، محمد تقي، كلمة حول فلسفة الأخلاق، انتشارات في طريق الحق، قم.
٥٤.مطهري، مرتضى بن محمد حسين، التعليم والتربية في الإسلام، ترجمة أحمد القبانجي، قلم مكنون، إيران، ط١، ١٣٨٥ش.
٥٥.مطهري، مرتضى بن محمّد حسين، فلسفة الأخلاق، ترجمة الشيخ وجيه المسبح، مؤسسة أم القرى، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٥٦.منعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، القاهرة.
٥٧.المودودي، أبو الأعلى، نظرية الإسلام الخُلقية، ترجمة محمد كاظم سباق، مكتبة الشباب المسلم، دمشق، ط ١٩٥٦م.
٥٨.يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٤٦م.

التربية الروحية والخلقية في القرآن الكريم
وصايا لقمان الحكيم لابنه(عليهما السلام) أنموذجا

أ.م. د. كامران أورحمان مجيد
جامعة السليمانية/ كلية العلوم الاسلامية
قسم أصول الدين

د. نوال الصادق أحمد الطيب
جامعة بخت الرضا/ كلية التربية نعيمة
قسم الدراسات الإسلامية

ملخص البحث:

جاءت الشريعة الاسلامية لحفظ مصالح العباد في العاجل والآجل، فاستقرار الحياة وقيام الأمن والأمان من أهم المصالح ، وسبب لانتشار هذا الدين على مر التأريخ، وتحقيق الأمن لا يأتي من فراغ بل بحاجة إلى بذل الجهود ومن أهم أركان تحقيق الاستقرار في المجتمع هو التركيز على التربية الصحيحة المبنية على فضائل الأخلاق، وخير عون لمكارم الأخلاق هو الدين الاسلامي الحنيف؛ لأن النصوص الشريعة توجه المسلم وتحثه نحو التحلي بمكارم الخلق والتخلي عن رذائله، وهذا الأمر من المقاصد العليا في الشريعة، حيث وردت نصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كلها تؤكد وتأمر المسلم بهذه المسألة، ولعل من مقدمة هذه النصوص، قوله تعالى لرسوله(صلى الله عليه وآله وسلم):{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم٤]، فالتحلي بالأخلاق الفاضلة من صلب دين المسلمين، لكن تطبيق هذه النصوص على واقعنا الحالي، فهو بحاجة إلى جهود جبارة بغية حصول الأمن والاستقرار في البلاد؛ لأن التمسك بالأخلاق الاسلامية سيؤدي بلا ريب إلى الاستقرار وانتشار الأمن والسلام، والحوار والتعايش السلمي الذي نحن نبحث عنه.

كلمات مفتاحية: التربية والتزكية، القرآن الكريم، الوصايا، لقمان الحكيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صاحب الخلق العظيم، وعلى آله وصحبه الطيبين.

التربية بأنواعها وأقسامها لها صلة قوية بالتشريع الإسلامي، وهي جزء منه ولها مكانة عظيمة، فالتربية من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها الدين، ونالت العناية الفائقة، فلا تخلو صفحة من القرآن الكريم إلا ولها علاقة بالتربية والتزكية مباشرة أو تلميحا وإشارة، فالقرآن الكريم يدفع الإنسان ويشجعه نحو فضائل الأخلاق ويأمره بالاجتناب عن رذائلها، وكما هو الحال بالنسبة للسنة النبوية الشريفة، فهي مصدر موضح لتطبيق ما ورد من النصوص القرآنية.

هذا البحث يستهدف التعرف على بيان التربية الروحية والخلقية في القرآن الكريم، ولما تأملت في اختيار قصة أو مجموعة من الآيات الكريمات لبيان المقصود وإثبات الدعوى، رأيت أن أكثر السور والقصص القرآنية المتعلقة بالتربية، بحاجة إلى بحث مفصل فاخترت أخيرا وصايا لقمان الحكيم في القرآن المجيد، لبيان أهمية التربية الروحية والخلقية في القرآن الكريم.

وليس المقصود من هذا البحث استقصاء التربية بأنواعها وفروعها، أو سرد كلام أهل العلم في الحث عليها، وإنما المقصود بيان التربية الروحية والخلقية في جزئية من القرآن الكريم.

وإنما تم تقييد العنوان بالروحية والخلقية، لأنهما شاملتان للحياة، وتتعلق بهما السعادة الأخروية.

أسباب اختيار الموضوع:

لاريب أن كل باحث يجمع عنده أسباب للخوض فيما اختاره من موضوع للبحث والدراسة، أما الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا العنوان: فهي: أننا نقرأ ونلمس حث الإسلام على التربية والتزكية والتمسك بفضائل الأخلاق ومكارمها، وجعل حسن الخلق مفتاح الجنة، ولكن واقع حال المسلمين ليس كما تقتضيه النصوص فيما يخص التربية، فجاء البحث ليتحدث عن الموضوع، وكل أملي أن يكون له أثر في حياتنا، وخدمة للطلبة والدارسين.

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي، فيقوم الباحث بتصفح المواطن التي لها صلة بموضوع البحث، ثم يأتي باستنباط المسائل التي تدخل في إطار البحث، ويعقب بعد ذلك بكلام أهل العلم حول الموضوع قدر المستطاع.

الدراسات السابقة:

لا يخفى على القراء والدارسين أهمية التربية في التشريع الإسلامي، وهذا مشجع لأن يخوض فيها الكُتّاب بالبحث، فلذلك هناك دراسات في التربية والأخلاق والسلوك، وادعاء عدم وجود مثل هذه الدراسة ليس بالهين في عصرنا الذي تصدر وتنشر يوميا مئات وآلاف المقالات والبحوث العلمية إلا أن لكل باحث طريقته في الكتابة والتفكير لها فربما يفيد المجتمع بما في جعبته ومخيلته.

خطة البحث:

المبحث الأول: التربية ماهيتها ومكانتها في التشريع الإسلامي.

المبحث الثاني: شرح وجيز لبعض ألفاظ وصايا لقمان الحكيم عند المفسرين

المبحث الثالث: المعالم التربوية الروحية والخلقية في وصايا لقمان الحكيم.

الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول:

التربية ماهيتها ومكانتها في التشريع الإسلامي

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية واستقرائها يتبين أن مادة التربية وأصلها لها معاني كثيرة، ولعل من أهمها تأتي التربية بمعنى النمو والزيادة، والتنشئة والحفظ والرعاية والعناية، والإصلاح، والرب هو المالك[١]، والمعاني التي ظهرت أكثر في التعريف الإصطلاحي الآتي هو: النمو والزيادة والإصلاح.

والتربية مصطلح عربي وإسلامي حيث ورد مشتقاتها في المصادر الأصلية كالكتاب والسنة إلا أن علماء الاسلام عبروا عن التربية بمصطلحات أخرى أيضا وذلك كالتزكية، وهي لفظة معروفة وورد أيضا في القرآن الكريم في قوله تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}[الشمس ٩]، أي: النفس.

وأما التربية في الاصطلاح، فقد عرفت بتعريفات منها[٢]:

عرفها البيضاوي بقوله:" تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا"[٣]، وقال الراغب:" إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام"[٤]. ويصور الغزالي التربية من خلال تشبيه بديع، فيقول:" ومعنى التربية يشبه عمل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع، ليحسن نباته، ويكمل ريعه"[٥]، وهذا تعريف بالتشبيه، وهو ملحق بالتعريف بالمثال عند المناطق[٦].

وهذه التعريفات لا بأس بها رغم اختصارها وعدم التركيز على كل جميع زاوية المعرّف ولعل من التعريفات المعاصرة الجيدة للتربية هي:" تنشئة وتكوين إنسان سليم مسلم متكامل من جميع نواحيه

المختلفة، من الناحية الصحية والعقلية والإعتقادية والروحية والإدارية والإبداعية"[٧].

أهمية التربية في الإسلام:

فالتربية في الإسلام منهج متكامل يعنى بالجسم والروح والعقل، ومن أجل تكامل النظرة الإسلامية إلى الحياة والوجود والمجتمع، جمعت التربية الإسلامية بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم، فهي تعني بالتربية الخلقية والصحية والعقلية دون إعلاء لأي منها على حساب الآخر، ولذلك ينشأ المسلم سويا قوي الصلة بالله، محققا لرسالته في الحياة[٨].

التربية الروحية:

عرفنا معنى التربية وأما الروحية فهي نسبة إلى الروح، والمراد بالتربية الروحية هو: ترسيخ حب الله في قلوبهم فيجعلهم يحرصون على إرضائه في جميع تصرفاتهم القولية والفعلية، والاجتناب عن كل ما يبعدهم عنه ويغضبه عليهم[٩]. أو هي: تربية تستهدف تزكية النفس وترقية الخلق وتطهير البدن وتسخير قواه وقدراته في الخير والصلاح وإشباع حاجاته ونوازعه بطرق الحلال المشروع[١٠]، وعلى هذا فالتربية الروحية من أهم جوانب التربية التي تؤثر في شخصية الفرد تأثيراً كبيراً فتجعله ميالاً للخير، متحلياً بالصفات الحميدة، ملتزماً في سلوكه وتصرفاته التزاماً ذاتياً مستمراً بالخلق الكريم، عاملاً على مساعدة الآخرين، محباً للتعاون، ذا نفس مطمئنة ومتفائلة يقبل على الحياة بروح إيجابية، وعزيمة متوقدة، لا يعجز إن اعترضت طريقه العقبات والعراقيل في محاولاته المستمرة لتخطيها، مستعيناً بالله عزَّ وجل الذي يؤمن به، ويلجأ إليه في الشدائد، ويثق في عونه وهدايته وتوفيقه[١١]، فالتربية الروحية وتزكية النفوس اسمان لمسمى واحد[١٢]، وحقيتها تطهير الأخلاق وتنقيتها، بالتخلي عن الرذائل والصفات المشينة الذميمة، والتحلي بالفضائل والصفات الحميدة، وإنما يكون ذلك بالاتباع عما شرعه الله تعالى لعباده، وأساس التربية هو الايمان.

التربية الروحية تنبع من الإيمان، وتقوم على إقامة أركان الإيمان والإسلام وهذه الأركان بدورها تستهدف تزكية النفس وترقية الخلق وتطهير البدن وتسخير قواه وقدراته في الخير وإشباع حاجاته ونوازعه بطرق الحلال[١٣]، وهي تجعل الإنسان أن يسير على المنهج الوسطي بلا إفراط ولا تفريط، وهو عدم التعمق وهو التكلف والمغالاة بأخذ النفس بما لا تطيق والتشدد معها في غير موضع التشديد قولا أو فعلا مما يولد رد الفعل متمثلا في النفور من العبادة أو الفتور عليها التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام[١٤].

ولتزكية الروح وتربيتها عدة محاور من أبرزها:

١) التدبر في كون الله تعالى، وفي كتابه المنظور والمسطور للشعور بعظمة الخالق وحكمته وقدرته سبحانه.

٢) التأمل في علم الله الشامل وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون.

٣) العبادة لله تعالى وهي من أعظم الوسائل لتربية الروح، فهي غاية التذلل لله سبحانه، ولايستحقها إلا الله وحده، فالعبادات تسمو بالروح وتطهر النفس[١٥].

أثر التربية الروحية:

للتربية الروحية آثارها في أمور كثيرة ومن أهمها:

توثيق صلة الإنسان بربه سبحانه، وتحسين صلته بنفسه، وتوضيح صلة الإنسان بالكون وما فيه، وترشيد هذه الصلة، وتحبيب الإنسان لأخيه المسلم، وحرصه على هدايته وحب الخير له، وتحبيب الإنسان لمخلوقات الله كلها، والتعامل معها، وفق منهج الإسلام ونظامه، وتحبيب الإنسان في الخير عموما والتقرب به إلى الله، واستعلاء الإنسان على شهواته، وسيطرته على نزعاته، وتوجيه ذلك كله، وفق منهج الله، ونظامه في الحياة الدنيا، واستعلاء الإنسان على أي قوة مادية، أو غيرها، واستمداد القوة من الله وحده، بشتى صورها[١٦]، للتربية الروحية أثر في شخصية الفرد تأثيرا بينا، فهي التي تجعل الفرد ميالا للخير متحليا بالصفات الحميدة ملتزما في سلوكه وتصرفاته التزاما ذاتيا مستمرا بالخلق الكريم عاملا على مساعدة الآخرين محبا للتعاون ذا نفس مطمئنة ومتفائلة يقبل على الحياة بروح إيجابية وعزيمة متوقدة لا يعجز إن اعترضت طريقه العقبات والعراقيل في محاولاته المستمرة لتخطيها مستعيناً بالله- عزَّ وجل- الذي يؤمن به ويلجأ إليه في السراء والضراء والشدائد ويثق في عونه وتوفيقه[١٧].

التربية الأخلاقية :

عرفنا معنى التربية فيما سبق، والأخلاق جمع خلق ولها في اللغة معان منها: التقدير والسجية والطبع، والخليقَة: الطبيعة، والدين، والخِلْقة بالكسر: الفطرة[١٨].

وفي الاصطلاح: اشتهر ماذكره الغزالي: بأن الخلق:".. هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهوله ويسر من غير حاجة إلي فكرٍ وروية ..." [١٩]، وفرق بين حسن الخلق وقبحه أيضا:" فإن كانت الهيئة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً قبيحاً"[٢٠].

وقد عرفه بعض المعاصرين بأنه:" مجموعة القيم والمبادئ التي تنظم سلوك الإنسان التي حددها الوحي ووضع لها من الضوابط ما يحقق الغاية من وجود الإنسان علي الأرض"[٢١]، فالأخلاق حالة راسخة في النفس

كما سبق وتتصل بباطن الانسان، والمظهر لهذه الصفة النفسية هو السلوك، فهو المظهر الخارجي للخلق وعنوانه، فالسلوك عبارة عن اتجاه الانسان وسيرته، فهو عمل ارادي[٢٢].

وأما تعريف التربية الخلقية:

عرفت بأنها: تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا متكاملا من الناحية الأخلاقية، بحيث يصبح في حياته مفتاحا للخير ومغلاقا للشر في كل الظروف والأحوال[٢٣]، فلو أبدلنا لفظة الطفل بلفظ الإنسان ليشمل التعريف جميع مراحل الحياة –فيما يخص موضوعنا– لكان أنسب.

أهمية الأخلاق في الإسلام:

الأخلاق في الإسلام لها مكانة عظيمة، يفتخر المسلم بدينه؛ لأنه يدفعه الى التحلي بمكارم الاخلاق، فهي أحدى الدعائم الاساسية التي يقوم عليها الإسلام، وتعرف هذه المكانة الراقية للأخلاق بكثرة النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع الأخلاق[٢٤]، أمراً بالحسنة منها، وثناء لمن يتصف بها، والثواب لمن إلتزم بها، ونهيا عن المذمومة منها ولوم من يقترفها، دالة على موقعها ومكانتها في حياة المسلمين، وهذه النصوص تدل على أنها ضرورية للانسان، فلا يستغنى عنها بحال، وان مراعاة الأخلاق والحفاظ عليها لابد في جميع الأحوال؛ لأنها موضع اعتناء في سور المختلفة المكية والمدنية على حد سواء، وهذا يدل على أنها ثابتة ولاتتغير بحال، وكذلك الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في سننه القولية والفعلية، وفي جميع أحواله كان مهتماً بالخلق الحسن، ومدح المتمسك به كما نرى في مضامين هذا البحث ذكر جزء من النصوص الدالة على هذه الحقيقة.

<u>مميزات الأخلاق الاسلامية:</u>

تنفصل الأخلاق الإسلامية عن غيرها بأنها مُلزمة؛ لأنها جزء مهم من الايمان[٢٥]، والحتمية تأتي من أمور من أهمها: العقيدة الدينية، ونيل الأجر واجتناب النهي وعذاب الله تعالى؛ لأن مكارم الاخلاق ومحاسنها جزء من الايمان، وطريق للسعادة في العاجل والاجل: قال تعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[آل عمران ١٣٣–١٣٤]، تأمل هذه المسائل الواردة في النص والتي جعلت أسبابا بل مفتاحا لدخول الجنة وكلها عبارة عن مكارم الاخلاق ومحاسنها وفضائلها[٢٦]، فالأخلاق عبادة يثاب فاعلها، ويتقرب بها إلى الله تعالى، مما يجعلها ذات جدوى دنيويّة وأخرويّة.

وتتميز الأخلاق الإسلامية بأنها شاملة سلبا وايجابا: فيحث الانسان على حسن الخلق، وكذلك منعهم

ونهاهم عن سوء الخلق: فكما أمر وحتم على المسلم التحلي بمكارم الاخلاق، كذلك حرم ومنع مساوئ الاخلاق؛ لأن الأمر بمحاسنها دون منع مساويها لايكون له موقع في الحياة فيخلط الإنسان بين المحاسن والمساوي باعتبار الأولى أمر من الشارع، والثاني أقل ما يقال في حقه مباح، لذلك حرمت الشريعة مساوئ الاخلاق[٢٧]، وجعلها سببا لدخول النار على خلاف محاسن الاخلاق، والنصوص في ذلك كثيرة جدا. ومنها :

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[الحجرات١١]، فكل ما نهى عنه في النص من السخرية، وتحقير الآخرين أو الترفع والتكبر على غيره، والهمز[٢٨]، والدعوة باسم أو لقب لايحبه الشخص[٢٩]، فجميع ذلك إثم يجب الرجوع عنه بالتوبة، ومن لم يتب فهو من زمرة الظالمين، والناظر لهذه الأمور كلها عبارة عن سوء التعامل مع الاخرين وسوء الخلق لذا حرمه الشارع.

بل جعل ان سوء الخلق طريقا وسبباً لدخول النار ورد في السنة:" قيل للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم): يا رسول الله ! إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعلُ، وتصدقُ، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم):لا خير فيها، هي من أهل النار!، قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصدق بأثوار[٣٠]، ولاتؤذي أحداً؟ فقال(صلى الله عليه وآله وسلم):هي من أهل الجنة) [٣١].

أهداف التربية الأخلاقية:

من أهم أهداف التربية الإسلامية التي تسعى إلى تحقيقها هو الهدف الأخلاقي فمن أهم أهداف الإسلام إتمام مكارم الأخلاق وقد قالها(صلى الله عليه وسلم)(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٣٢]، ونبي الإسلام على خلق عظيم هكذا وصفه الخالق جلَّ شأنه:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم ٤]، ويدخل في نطاق الأخلاق كل سلوك إرادي صادر من إنسان راشد ولذا فهدفها هو تنمية السلوك الأخلاقي على أساس شموله لما ينظم علاقة الفرد بنفسه أو بالنَّاس أفرادا وجماعات أو بالكون أو بالخالق طبقا لما جاء به القرآن الكريم وتهدف من ذلك إلى سعادة الإنسان عن طريق إرضاء الله بحيث تصبح الأخلاق هي ذلك النشاط الذي يربط بين تعاليم القرآن والإنسان فرداً وجماعة بحيث تتحول هذه

التعاليم إلى حياة يومية تمارس([٣٣]).

ومفاسد الغفلة والإعراض عن التربية الخلقية كثيرة، ومن ذلك" أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسئولية، وإذا عدمت المسئولية فلا يمكن أن تكون العدالة، وحينئذ تتفشى الفوضى ويفسد النظام"[٣٤].

المبحث الثاني

شرح وجيز لبعض ألفاظ وصايا لقمان الحكيم عند المفسرين

في بداية البحث فضلت عدم كتابة هذا المبحث الثاني، وذلك بغية الوقوف والرسوخ أكثر في المبحث الآتي، لكن لما رأيت لابد من بيان لبعض المقاطع والألفاظ ليكون القارئ الكريم على بصيرة من المعاني أتيت بشرح وجيز لبعض الكلمات والمقاطع على النحو التالي([٣٥]):

وصايا لقمان الحكيم (عليه السلام) وردت في السورة التي سميت باسمه[٣٦]، وهي سورة مكية – على قول أكثر أهل العلم، وعدد آيات السورة أربع وثلاثون آية، وكلماتها خمسمائة وثمان وأربعون أو(سبعمائة وثمان وأربعون) [٣٧]، وأحرفها ألفان ومائة وعشرة، ترتيبها في المصحف الحادية والثلاثون نزلت بعد سورة" الصافات، موضوعات السورة موزعة على الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وتعني بالتركيز على أصول الإيمان وهي الوحدانية والنبوة والبعث والنشور، كبقية السور المكية التي تهتم بهذه المسائل المتعلقة بالإيمان بالله والرسول واليوم الآخر وطلب المقارنة بين حال المؤمن والكافر.

اتفق المسلمون على أن لقمان الحكيم كان عبدا صالحا محبا لله تعالى ومحبوبا عنده سبحانه، واختلفوا في نبوته على قولين، منهم من أقر نبوته، ومنهم من نفاها، ولعل أبرز أدلة الطرفين أمارات وتلميحات لا سبيل للترجيح بينها، ولكنني أرى أنه لا حاجة إلى الجدال في ذلك؛ لأن الأمر المهم بالنسبة لنا هو ما ورد في وصاياه؛ ولأن نبوته وعدمها لا يغير شيئا مادامت الوصايا أقرها الشارع في كتابه المجيد.

والوصية تأتي بمعان منها: التقدم إلى غيرك بما يعمل به مقترنا بالوعظ[٣٨]، وقد ورد بهذا المعنى القرآن الكريم قال تعال:{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[العصر٣]، ووصينا الإنسان أي: عهدنا إليه ببرهما وهو كف الأذى عنهما والإحسان إليهما وطاعتهما في المعروف.

والحكمة: أي: الفقه في الدين والعقل والإصابة في الأمور، وفسرت الحكمة بأوجه فقيل هي:" اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه"[٣٩]، وقال النَّووي هي:" العلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك"[٤٠].

أن اشكر لله: أي: اشكر لله ما أنعم عليك بطاعته وذكره، (لابنه): واختلف في اسمه وقيل هو ثاران، وقيل غير ذلك.

وهو يعظه: الموعظة: أي: يأمره وينهاه مرغباً له مرهباً. قال الطبري الموعظة هي: التخويف والترهيب مما

سيحيق بالمقصود[٤١]، وقال الجرجاني: الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة[٤٢]، وقيل غير ذلك.

وهناً على وهن: أي: ضعفاً على ضعف وشدة على شدة وهي الحمل والولادة والإرضاع.

وفصاله في عامين: أي: مدة رضاعه تنتهي في عامين، وبذلك يفصل عن الرضاع، واختلف في هاتين الآيتين في كونهما أنهما ضمن وصايا لقمان أو من كلام رب العباد؟، والظاهر أنهما وقعتا اعتراضاً بين كلام لقمان الأول والثاني.

فقال:{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}[لقمان ١٦] أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل[٤٣]. وقوله:{يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} أي: أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط، وجازى عليها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وقوله:{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} أي: لطيف العلم، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت(خَبِيرٌ) بدبيب النمل في الليل البهيم.

وقوله:{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[لقمان ١٧]، فيأمر ابنه وأوصاه بالصلاة أولا وذلك بحدودها وفروضها وأوقاتها، ولا يخفى ما في هذا الخطاب، يا بنيّ، من المحبة واللين، الذي ينبغي للوالد أن يخاطب أولاده على هذا النحو، وهو مطابق لما ورد في القرآن الكريم من أسلوب الداعي .

وقوله:{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ}أي: بحسب طاقتك وجهدك، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وظيفة الأنبياء والرسل ومن ينوب منابهم في الأمة، قال تعالى:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران ١٠٤].

قوله:{وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ}، فمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر.

وقوله:{إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور ، ولابد من الصبر لأن الله تعالى أمر به عزماً لا رخصة فيه.

وقوله:{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}[لقمان ١٨]

يقول لابنه: لا تتكبر فتحقِرَ عبادَ الله،و لا تُعرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك، لاحتقارك لهم، واستكبارك عليهم، ولكن ألِنْ جانبك، وابسط وجهك إليهم[٤٤].

وقوله:{وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا} أي: مختالا خيلاء متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله، وقال تعالى:{وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا}[الإسراء ٣٧]، ولهذا قال:{إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} أي: مختال معجب في نفسه، فخور، أي: على غيره، مختال فخور: أي: متبختر فخور كثير الفخر مما أعطاه الله ولا يشكر.

ولما نهى عن رذائل الخلق والسلوك المبغوض عند الله كالمشي المعجب بنفسه الخيلاء، أرشده إلى مكارم الخلق وحسن التصرف فبين له المشي المقبول، بقوله:{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}[لقمان ١٩]، أي: امش مشيًا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلا وسطًا بين بين.

وقوله:{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} أي: لا تبالغ في الكلام، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، واخفض صوتك وهو الاقتصاد في الصوت. ولهذا قال تعالى:{إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}، قال مجاهد وغير واحد: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير، أي: غاية مَنْ رفع صوته أنه يُشَبه بالحمير في علوه ورفعه، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى، وفي التشبيه بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم، أي: أقبح الأصوات وأشدها نكارة عند الناس[٤٥].

ثم قال ابن كثير في نهاية الوصايا:" فهذه وصايا نافعة جدًا، وهي من قَصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم. وقد روي عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة وساق نماذج من حكمه ووصاياه في الروايات"[٤٦].

المبحث الثالث:

المعالم التربوية الروحية والخلقية في وصايا لقمان الحكيم

وصايا لقمان الحكيم (عليه السلام) وردت في السورة التي سميت باسمه، وهي سورة مكية– على قول أكثر أهل العلم، كما سبق، والآيات المتضمنة لنص الوصايا هي خمس آيات إذا استثنى منها آيتي(١٤ و ١٥)، اللتان اختلف فيهما المفسرون في كونهما من كلام لقمان الحكيم و أنهما من كلام الله تعالى، وكذا الآية الأولى التي تتحدث عن شخص لقمان الحكيم، وعليه فتبدأ من الآية رقم(١٣) وتنتهي بالآية رقم(١٩)، وهي قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ

خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}[لقمان ١٣-١٩]

ومن أقوال المفسرين في أهمية هذه الوصايا، قال ابن كثير في بداية الوصايا:" هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم، ليمتثلها الناس ويقتدوا بها"[٤٧]، وقال ابن عاشور:" أن الله سبحانه ابتدئ ذكر لقمان بالتنويه بأن آتاه الله الحكمة وأمره بشكر النعمة، وأطيل الكلام في وصايا لقمان وما اشتملت عليه: من التحذير من الإشراك، ومن الأمر ببرّ الوالدين، ومن مراقبة الله لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام"[٤٨]، ونخوض في الحديث عن الوصايا حسب خطتنا –التربية الروحية والخلقية – سابقا.

الوصايا المرتبطة بالتربية الروحية:

سبق أن عرفنا التربية الروحية في الإسلام بأنها: ترسيخ حب الله في قلوبهم فيجعلهم يحرصون على إرضائه في جميع تصرفاتهم القولية والفعلية، والاجتناب عن كل ما يبعدهم عنه ويغضبه عليهم[٤٩]، وباختصار:" التربية الروحية في الإسلام عبارة عن: تطهير النفس[٥٠]، وقال محمد قطب أن الهدف من التربية الروحية، يعني الروح وهو سلسلة قادر على ربط الناس مع خالقهم[٥١].

قال تعالى في وصفه للعبد الصالح لقمان الحكيم:(وهو يعظه): عرفنا معنى الموعظة فيما سبق، وهي من الناحية الدينية لا يتصور إلا لمن التزم بما يرشد وينصح الناس إليه، وفعل الواعظ لا يخالف دعوته، وهنا هو بحاجة إلى التربية الروحية، إذاً فلابد لمن يعظ الناس ويدعوهم إلى الخير أن يكون هو قدوة ومثلا لهم في التطبيق، وبذلك يحتم على الواعظين تربية أنفسهم قبل الشروع في الموعظة، قال تعالى معاتبا بعض المسلمين:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}[الصف ٢-٣].

بدأ أصل الوصايا بالنهي عن الشرك بالله تعالى والاجتناب عنه؛ وهذا مطابق لمنهج الرسل(عليهم السلام) لأن أول ما دعوا إليه هو التوحيد ونبذ الشرك، والإنسان كلما ابتعد عن الشرك يقترب من الإيمان، وكلما اقترب من الإيمان لا يصعب عليه تزكية النفس وتهذيبها، والإيمان هو أصل التربية الروحية وأساسها، وهو متعلق بالقلب ويستقر فيه، فكذلك التربية الروحية تكون في سفح الإيمان فإذا صلح القلب بافراغه لحب الله، هان على صاحبه أن يخطو لتهذيب نفسه وتطهيرها عن الأدناس والأسقام المعنوية(وإن في الجسد مضغة إذا

صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)([٥٢])، ولذلك بدأت وصية الحكيم بإصلاح الأصل، ولما نهى ابنه عن الشرك، بين له مآله بقوله(إِنَّ الشِّركَ لَظُلْمٌ عَظيم)، لأن الإنسان لما اختار منهجا منحرفا لحياته وطريقة يسير عليها يعرض نفسه إلى الضلال والهوان والخسران، لأن الله تعالى قال:{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}[طه١٢٣-١٢٤]، ويقول جل شأنه:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل ٩٧]، قال ابن عاشور:" والطيب: ما يطيب ويحسن. وضد الطيب: الخبيث والسيء. وهذا وعد بخيرات الدنيا. وأعظمها الرضى بما قسم لهم وحسن أملهم بالعاقبة والصحة والعافية وعزة الإسلام في نفوسهم. وهذا مقام دقيق تتفاوت فيه الأحوال على تفاوت سرائر النفوس، ويعطي الله فيه عباده المؤمنين على مراتب هممهم وآمالهم. ومن راقب نفسه رأى شواهد هذا"[٥٣].

وقد خص تعالى الأمن والاهتداء لأهل الإيمان:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[الأنعام ٨٢]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة، فالإيمان بالله تعالى ينقي النفس ويطهرها من الأمراض المعنوية، قال ابن عاشور:"أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له، وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح،...وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي، لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه "[٥٤].

ويفصل البحث عن قدرة الخالق سبحانه لولده الصالح، بقوله:{إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات ... يأت بها الله} وهذا يعني إحاطة العلم بجميع الأشياء ظاهرةً وخفيةً، وأن المعصية والطاعة لا يخفى عليه حتى ولو مثل مثقال حبة خردل، ومن كان هذا وصفه فهو أحق بالطاعة، ويختم المشهد{إن الله لطيف خبير} إن الله عليمٌ بمدى وعده خبيرٌ بأحوالكم مما جمعه[٥٥].

ومن ثم فتح الحكيم باب الصلاة فيقول: (أقم الصلاة)، للصلاة آثار روحية وخلقية، فمن آثارها الروحية أنها مناجاة مع الخالق سبحانه، وتقترب إليه، وهي تساهم في تزويد الإنسان بالمثيرات النفسية والروحية والفكرية... التي تؤثر في سلوكه ومواقفه وعلاقاته، مع ربه ونفسه ...، من خلال جعله يعيش تحت التأثيرات الروحية القوية لقاعدة الإحسان التي ترفع مستوى يقظته الروحية وتحافظ على استمراريتها[٥٦]، فالصلاة" ترتقي علاقته الروحية بربه إلى مستوى عالٍ من اليقظة الروحية الدائمة، التي تمكّنه من أن يعبده فيها كأنه يراه ويستشعر حضوره القوي المستمر في حياته[٥٧].

قال محمد قطب:" إن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته، وأعظمها، وأشدها اتصالاً بحقائق الوجود .. وطاقة الروح وحدها، في كيان الإنسان، هي التي لا تعرف الحدود والقيود. هي وحدها التي تملك

الاتصال بما لا يدركه الحس ولا يدركه العقل.. تملك الاتصال بالله"[٥٨]، ومن هنا" فكل أفعال الصلاة وأقوالها تدعم الجانب الإيماني عند المصلي وترعاه، ليتقوى ويزداد.. وخاصة المواظبة على العبادة، والإكثار من الذكر، يليّن القلب، ويهيئ الجوارح لاستقبال نفحات الإيمان"[٥٩]، ولذلك ففي الصلاة": العناية بالجانب الروحي في الإنسان فتملؤه إيماناً وسكينة، وتوثّق صلته بربه، فيسعد في حياته، ويطمئن على مصيره، ويطمح إلى حياة أخرى أسعد، وأحسن في جوار ربه"[٦٠].

(وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من آثار التربية الخلقية إلا أنه كما قلنا في الموعظة، لابد من الاستقرار والتعود على التربية الروحية ثم ينطلق إلى التربية الخلقية فالروحية أساس للخلقية كما أن الإيمان أصل لكل منهما، ومادامت الوصايا من هنا تبدأ بالخلقية أكثر أفضّل أن نخوض في التربية الخلقية للوصايا.

الوصايا المرتبطة بالتربية الخلقية :

بداية أقف مع أسلوب لقمان الحكيم في مخاطبته لابن، لأنه أسلوب تربوي خلقي رائع، ومخالف لما عليه الآباء في أيامنا حيث يتعاملون مع الأولاد بالعنف، وينتظرون منهم الطاعة العمياء لهم، علما أنهم لم يقوموا بواجبهم أثناء طفولة الأولاد من حسن تربيتهم وتوجيههم نحو الخير، والآن ينتظرون منهم أن يكونوا مثل أولاد الأنبياء، وهذا أمر مهم للغاية بأنه الوالدين عليهم واجبات تربوية، قبل واجب الطاعة لهم من قبل الأولاد.

كما سبق يحذر ابنه عن الشرك ويطلب منه الإيمان بالله تعالى وتوحيدهن والإيمان كما ان له أثر في التربية الروحية ، كذلك فهو الأصل في التربية الخلقية، حيث أن الإيمان يغطي كل حياة الإنسان فيتعامل مع من حوله حسب التوجيهات الإيمانية، فيكون صابرا وصادقا ومحسنا ومتعاونا في الخير وداعيا للخير كل ذلك؛ لأن الإيمان يوجهه إليها.

ثم الأمر بالصلاة: وهي لها صلة قوية بالتربية الخلقية، فهي لا تتوقف عند المناجاة مع الخالق سبحانه وتعالى ولا ينحصر دورها هناك، بل تخوض في ربط علاقة صحيحة مع المخلوق عامة، فقد قال تعالى في حقها:{إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ}، وهذا الجانب التربوي للصلاة يوضح التأثيرات الراسخة لها في الحياة الفردية والجماعية، فلو وقفنا قليلا مع لفظتي الفحشاء والمنكر لنجد أنهما لها أثرا كبيرا في الحياة الاجتماعية وهما على صلة تامة بالتربية الخلقية، من حيث الوجود يدلان على وجود الانحراف الخلقي ومن العدم على سلامة التربية الخلقية سواء كان على مستوى الفرد أو المجتمع، والآن ما هو معنى اللفظين:

الفحشاء والمنكر، لما نستقرئ النصوص القرآنية نجد أن الفحشاء ورد كمرادف لكبائر الإثم:{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ}[الشورى ٣٧]، وورد بمعنى الزنا والخمر وغيرهما من القاذورات المنهيات عنها[٦١] في نصوص كثيرة مثل قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}[الإسراء ٣٢]، وقوله عز وجل:{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ}[الأعراف٨٠]، وورد بمعنى البخل أيضا[٦٢]، وهذه الأمور كلها تدخل في الانحراف الخلقي، إذاً فالصلاة مانعة من الانحراف عن التربية الخلقية. وكذلك المنكر يأتي بمعنى المنهي عنه، وهو ضد

المعروف، وورد النهي عنه في القرآن الكريم، كما في قول الحكيم هنا.

{وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المنْكَرِ}، من تحلى بالتربية الخلقية الحسنة يتمنى أن يكون المجتمع صالحا بل ومصلحا مثله، ولذلك بدأ هنا جاهدا لتحقيق هذا الهدف، وامر الله به، لكن الامر بالمعروف لابد وأن يكون بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يكون بالمنكر، بل بأسلوب حسن وخلق جميل، وهذا الأمر بحاجة العزم والصبر لما يتعرض له الداعي من قبل المدعويين لذلك يقول:(إن ذلك من عزم الأمور): مما أمر

الله به عزماً لا رخصة فيه.

وهذا إطار التربية الخلقية وواجب على المتحلين بالفضائل أن ينهضوا مجتمعهم نحو هذا الهدف.

{وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ، وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان١٨]، ففي هذا المشهد تختص الوصايا بمجموعة من الأمور والتصرفات الظاهرة المتعلقة بالتربية الخلقية، وكما قلنا أن الأخلاق أساسها في الباطن وآثارها تظهر على الجوارح والتصرفات اليومية، وهو ما يطلق عليه السلوك، فالسلوك مرآة الأخلاق ومظهر للباطن ، وما ورد في المشهد من ذكر لبعض التصرفات الظاهرة المخالفة للتربية الخلقية ، ولذلك حذر لقمان الحكيم ابنه عنها ، وهي:

١) {ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاس}، فهذه ظاهرة موجودة في المجتمعات، وهو تصرف بغيض عند الله تعالى، ففيه إشارة إلى الكبر والترفع والنيل من شخصية الآخرين، وكل ذلك تؤدي إلى الطبقية والتمزق داخل المجتمع الانساني وهذا مخالف لمقصد المحبة والتعاون على الخير الذي أمر الله به، ودعا رسله إليه.

٢) {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}: أوصاه بأن لا يكون كحال من يتبختر متمايلاً مشي الجبارين، فيقول له لا تمش في الارض فخرا وكبرا، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا تخرق الارض بكبرك وفخرك[٦٣]، كما قال

تعالى:{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}[الإسراء ٣٧]، ويختم الفقرة بالتأكيد على أن هذه التصرفات منهي، ولا يقبلها الخالق من الإنسان:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}.

٣) قوله تعالى:{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}أي: اعدل فيه فلا تتكبر ولا تدب دبيبا والقصد ما بين الإسراف والتقصير[٦٤]، ولما بين له المشي المغضوب عليه، ذكر له المقبول منه بهذه الوصية، وهو القصد فيه، وقد بين أكثر نوع المقبول من المشي بقوله تعالى:{وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً}[الفرقان ٦٣].

٤) وقوله:{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} أمر بخفض الصوت؛ لأنه أقرب إلى التواضع[٦٥] وأبعد عن الكبر، وكما في قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}[الحجرات ٣]، والمسائل الواردة في هذا المشهد الثاني كلها صلة بالكبر والعجب والتكبر وقد جاءت النصوص في السنة النبوية بعظم خطر هذه

المسائل والرذائل الخلقية فورد في الكبر:(لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر)[٦٦].

قال بعض المفسرين:" إن هذه الآيات التي تضمنت وصايا لقمان، منهج كامل في التربية، فهو يجمع بين حق الله وحق عباده، بل حتى حظ النفس، فقد أمره بما فيه قوام النفس واستقامتها حتى في أخلاقها مع الناس؛ حيث قال له: لا تصعر خدك للناس، تكبراً وخيلاء، ولا تمش في الأرض مرحاً، فالإنسان إذا أراد أن يربي ولده، يربيه على مكارم الأخلاق، فكمال العبد في كمال خلقه[٦٧].

الخاتمة

الحمد لله الذي اختار لأمة الإسلام حسن الخلق دينا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فأثناء دراستي لهذا الموضوع جمع عندي نتائج وهي.

١) التربية في الاسلام قضية دينية، وهي مفتاح لكل خير، وسبب لعفو الله تعالى ومغفرته، فليس قضية اختيارية.

٢) التربية الإسلامية عامة وشاملة لجوانب الحياة، وغايتها سعادة الإنسان ورفاهيته، في الدنيا والآخرة.

٣) من فوائد التربية أنها تقلل الانحرافات في التصرفات والأفعال، وتنشر روح التسامح والتعايش بين أبناء المجتمع، بناء على حرصها ودعوتها الى العفو والتسامح والصفح.

٤) أن الله تعالى مدح رسوله بأنه على خلق عظيم، وهذا تصريح بأهمية الأخلاق ومادام الرسول أسوة المسلمين فينبغي اتباعه في التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات الحسنة، والتي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

٥) التربية الإسلامية ربانية المصدر بخلاف القوانين التي واضعها الانسان مجموعة من الخبراء.

٦) لا يمكن الاستغناء عن التربية بحال: فالعلم مفيد وضروري للحياة لكنه بحاجة إلى الاخلاق ومكارمها؛والأخلاق جزء من التربية ويتحصل الإنسان على حسن الخلق بالتعويد والممارسة وهي التربية.

وأما توصياتنا:

نقترح الاشتغال بهذا المطلب– التربية بفروعها وأقسامها– وببذل الجهود في إصلاح تصرفات الفرد من الناحية الاجتماعية؛ لأنه كما لا يخفى على أحد بأننا أمام تغيرات مختلفة وإيدولجيا متباينة، فينبغي الاخذ بكل جديد مفيد من الخلق والاعراف، ونبذ كل مذموم ومضر للانسان والمجتمع.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

المصادر بعد القرآن الكريم وكتب السنة المعتبرة.

١. الأبعاد التربوية للصلاة، أحمد العامري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط ١٩٩٧م

٢. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق : محمد الصادق، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥.

٣. إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، دار االمعرفة – بيروت. د.ت.

٤. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د.عبد الحميد الصيد الزناتي، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط٢، ١٩٩٣م.

٥. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر- دمشق- سوريا- السنة:١٩٧٩م.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، دار الفكر- بيروت- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبدالله البضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت. د.ت.

٨. أهداف التربية الإسلامية وغاياتها مقداد يالجن، دار الهدى، الرياض –السعودية، ط٢، ١٩٨٩م.

٩. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

١٠. أيها الولد، محمد الغزالي، تحقيق: د.علي القرةداغي، القاهرة ، دار الاعتصام، ١٩٨٣م .

١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس- ١٩٩٧م.

١٢. تربيتنا الروحية، سعيد حوى، المكتبة الوهبة، القاهرة،١٩٩٢م.

١٣. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.

١٤. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر- بيروت/ لبنان -١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٥. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(٧٠٠-٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

١٦. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان. خال عن بقية المعلومات

١٧. تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، عبد المنعم صالح العي، مؤسسة الرسالة، بيرت ط٦، ٢٠٠٠م

١٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري(٢٢٤-٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

١٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤م.

٢٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٥٦م

٢١. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر- بيروت، الطبعة: الأولى.

٢٢. دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، الكتاب في الأصل باللغة الفرنسية ثم ترجمه الدكتور شاهين للعربية. خال عن المعلومات.

٢٣. دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسلامية، د. مقداد يالجن، دار الشروق، ط١، ١٣٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٤. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ت سنة ٩٤٢ هـ ، تحقيق وتعليق: عادل احمد، وعلي محمد، لدار الكتب العلمية-بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م

٢٥. الصحاح للجوهري، أبو نصر، تحقيق: د. أحمد عبدالغفور، دار العلم بيروت، ط٤.

٢٦. فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم، ط٢، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م

٢٧. الكافي الأصول والروضة، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، مع شرح الكافي الجامع، للمولى محمد صالح المازندراني ت ١٠٨١هـ مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني

٢٨. الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ م، ط١، تحقيق: أبو محمد بن عاشور.

٢٩. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٠. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب –دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٤هـ.

٣١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.دار الكتب العلمية– بيروت/لبنان ط١، – ١٤١٩هـ–١٩٩٨م،

٣٢. لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر بيروت– لبنان، ط٣.

٣٣. للمولى محمد صالح المازندراني ت ١٠٨١ هـ مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني.

٣٤. المحاور الخمسة في القرآن، محمد الغزالي، ط٤، دار القلم، دمشق ٢٠٠٥.

٣٥. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي(ت ١٤٠٥هـ)، تحقيق وتصحيح، حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الاسلامي، مدينة قم.

٣٦. المصباح المنير، الرافعي أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.

٣٧. المعجم الوسيط، مجموعة من لمؤلفين، دار الدعوة.

٣٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تمحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية– دمشق بيروت، ط١–١٤١٢هـ

٣٩. مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارِس، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب الطبعة: ٢٠٠٢م.

٤٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٤١. منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروع، القاهرة : ٢٠٠٤

٤٢. موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، ط١،١٩٧٩، دار الأنصار– القاهرة.

٤٣. موقف الإستشراق من السيرة والسنة النبوية، أكرم ضياء العمري، مركز الدراسات والإعلام، دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م،

٤٤. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة .

٤٥. النكت والعيون(تفسير الماوردى)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان.

الهوامش:

[١]– الصحاح للجوهري، أبو نصر، تحقيق: د. أحمد عبدالغفور، دار العلم بيروت، ط٤،(٦/٢٣٥)، لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم، دار صادر بيروت– لبنان، ط٣،(١٤/٣٠٥).
قال ابن عاشور:" الرب إما مصدر، وإما صفة مشبهة على وزن فَعْل مِنْ رَبَّه يَرُبُّه بمعنى رباه وهو رَب بمعنى مُرَبَ وسائس، والتربية تبليغ الشيء إلى كماله تدريجاً، ويجوز أن يكون من ربه بمعنى ملَكَه، فإن كان مصدراً على الوجهين فالوصف به للمبالغة، وهو ظاهر، وإن كان صفة مشبهة على الوجهين فهي واردة على القليل في أوزان الصفة المشبهة، فإنها لا تكون على فَعْل من فعَل يفعُل إلا قليلاً. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م(١/١٦٦).

[٢]– لمكانة التربية الراقية في حياة الإنسان وأذهان المفكرين والمشتغلين بأطوار الإنسان خاض فيها وفي مسائلها فرق واتجاهات مختلفة منها الفلسفية والدينية وغيرهما، وإننا بطبيعة الحال عدلنا عن التعريفات الفلسفية باتجاهاتها المختلفة وذلك طلبا للايجاز، وعدم الخروج عن الموضوع. ومن تعريفات علماء التربية الحديثة للتربية أنها: تغيير في السلوك. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، دار الفكر– دمشق– سوريا– السنة:١٩٧٩م، (ص١٩).

[٣]– أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين عبدالله البضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت، (١/٢٨)

[٤]– المفردات في غريب القرآن، الحسن بن علي، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى(ت ٥٠٢هـ)، تمحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى–١٤١٢هـ (ص٢٦٩–٢٧٠)

[٥]– أيها الولد، محمد الغزالي، تحقيق: د.علي القرتداغي، القاهرة ، دار الاعتصام، ١٩٨٣م (ص١٢٨)

[٦]– المناطقة: هم الذين اشتغلوا في علم المنطق وبمسائله وقضاياه. الباحث.

[٧]– أهداف التربية الإسلامية وغاياتها مقداد يالجن، دار الهدى، ط٢، الرياض –السعودية، ١٩٨٩م، ص٢٠)، وبقريب من هذا انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من حتى البلوغ، د. محمد شاكر الشريف، ط١، ١٤٢٧هـ(ص١٣)، وبقريب من هذا ومفصل أكثر تعريف علي بن سعيد إسماعيل، في كتابه التربية الإسلامية، دار المسيرة عمان الأردن ٢٠٠٧م، ط١، (ص٢٧)

[٨]– موسوعة مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، دار الأنصار– القاهرة، ط١، 1979، ص٣٩٧).

[٩]- أصل هذا التعريف هو للزنتاني لكنه يحتوي على ذكر المعرَّف داخل التعريف فعدل عنه بعض الباحثين وأثبتوا ما ذكرناه، وهو الأوفق. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د.عبد الحميد الصيد الزناتي، دار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط٢، ١٩٩٣م، (ص٣٢٦- ٣٢٧).

[١٠]- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د .عبدالحميد الصيد الزنتاني، ص313).

[١١]- الزنتاني نفسه (ص ٣٢٦).

[١٢]- عرف بعض العلماء التزكية بأنها: تربية القلب وتنميته بالكمال والصلاح، وذلك بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره. مجموع الفتاوى، لابن تيمية(٩٦/١).

[١٣]- ينظر: أسس التربية الإسلامية، الزنتاني، ص٣١٣)

[١٤]- موقف الإستشراق من السيرة والسنة النبوية، أكرم ضياء العمري، مركز الدراسات والإعلام، دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ص٧.

[١٥]- فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، (٤٧١،٤٧٠/١). بتصرف كثير باختصار.

[١٦]- ينظر: فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم (٤٧٢،٤٧١/١). بتصرف واختصار.

[١٧]- أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، د. عبد الحميد الصيد الزناتي ص ٣٢٦ .

[١٨]- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، ط١٩٥٦م (١٤٧٠/٤-١٤٧١). لسان العرب، ابن منظور، (٨٦/١٠). القاموس المحيط، الفيروزآبادي،(٢٣٦/٣). ومقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب الطبعة: ٢٠٠٢م.(٢١٤/٢). والمصباح المنير، الرافعي، لمكتبة العلمية – بيروت (ص٦٩).

[١٩]- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار االمعرفة – بيروت(٥٣/٣).

[٢٠]- الغزالي نفسه.

[٢١]- فقه الدعوة إلي الله، د.علي عبد الحليم محمود، نقلاً عن د. ماجد يحيي العويسان، طرق التدريس الحديثة (٩/٢). والتربية الإسلامية، مقداد يالجن(ص٧٦).

[٢٢]- المعجم الوسيط، مجموعة من لمؤلفين، دار الدعوة(٢٥٢/١).

[٢٣]- ينظر: دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسلامية، د. مقداد يالجن، دار الشروق، ط١، ١٣٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص ٢٢ .

[٢٤]- النصوص التي لها صلة بالاخلاق كثيرة جدا ربما تصل الى قرابة مائة نص في القرآن الكريم، وأما السنة النبوية فلا يمكن حصر ورود الأخلاق فيها لكثرتها.

[٢٥]- اعترض على أهل الأخلاق النظرية، لأنه ليس لديهم سلطة إلزام في الأخلاق إلا مجرد الضمير أو الإحساس بالواجب أو القوانين الملزمة، أما الأخلاق الإسلامية فمصدر الإلزام فيها هو الإحساس بمراقبة الله تعالى، ونيل الثواب والسعادة في الدارين. ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة ٧٠/١. و ص١٠٠.

[٢٦]- منها: أولا: انفاق المال إنما يكون للفقراء والمساكين والمرضى وغيرهم من أصناف المحتاجين، والجود والعطاء من مكارم الاخلاق لايخفى على من له عقل صحيح وفطرة سليمة. وثانيا: كظم الغيظ وإمساك النفس عند الغضب، الغضب رأس كثير من المشاكل الاجتماعية، فنرى في أيامنا أن كثيرا من المشاكل بين بني آدم سببه عدم الصبر وعدم منع النفس عند الغضب، والوارد هنا ليس كظم الغيظ فقط؛ لأنه قد يكظم غيظه لكن يبقى بداخله لاينسى ربما ينتقم في موقف آخر، فورد بعد الكظم، والعافين عن الناس فلفظا (العَافِينَ) و(الناس) كلاهما من ألفاظ العموم يشمل جميع وجوه العفو لجميع الانسان، من كان من طائفته وحزبه ودينه ومن لايكون كذلك. والعفو ومنع الغضب من محاسن الخلق. وتنتهي الآية باثبات حب الخالق لكل محسن؛ لأن لفظ (المحسنين) جمع محلى بأل الاستغراقية، ومعنى ذلك أن الله يحب كل محسن، والاحسان من مكارم الاخلاق، ومن تحقق فيه هذه الخصال والصفات فهو محبوب عند الله؛ لأنه محسن وفي جماعة المحسنين، إذاً رأينا أن الجنة التي أمر الله تعالى المسلمين بالمسارعة إليها مفتاحها مكارم الاخلاق، فهي جزء أصيل مهم من الايمان وهي صمام الأمان من سعادة الدنيوية والاخروية.

[٢٧]- لكثرة النصوص الواردة في محاسن الاخلاق ومساويها ألف العلماء فيهما ففي محاسن الاخلاق ألف الخرائطي كتابه المشهور: مكارم الاخلاق، والطبراني بنفس العنوان، والقرشي كذلك مكارم الاخلاق، ولابن حزم الاخلاق والسير، وفي ذم مساوئ الاخلاق: الخرائطي (مساوئ الاخلاق)، والذهبي صنف(الكبائر) والاصبهاني كتاب في (ذم مساوئ الاخلاق) واسمه(التوبيخ والتنبيه)، هذه مؤلفات في مساوئ الاخلاق أما من أورد بعض الاجزاء في ذم سوء الخلق فهي كثيرة) .

[٢٧]- الهمز يكون بالفعل كالغمز بالعين احتقاراً وازدراء، واللمز باللسان، وتدخل فيه الغيبة. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر- بيروت- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م (٧/ ٤١٣).

[٢٨]- الهمز يكون بالفعل كالغمز بالعين احتقاراً وازدراء، واللمز باللسان، وتدخل فيه الغيبة. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر- بيروت- ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م (٧/ ٤١٣).

[٢٩]- أضواء البيان، الشنقيطي(٢٤٣/٨).

[٣٠]- جمع ثور: القطعة من الأقط، وهو الجبن المجفف الذي يتخذ من مخيض لبن الغنم. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، الطبعة : ط١: ١٤٢١هـ، (ص ٥٧).

[٣١]- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، الألباني، ٥٧- باب لا يؤذي جاره، الرقم(١١٩/٨٨) .

[٣٢]- رواه أحمد في مسنده(٣١٨/٢) الرقم (٨٩٣٩) عن أبي هريرة مرفوعا، والحاكم في المستدرك(٦٧٠/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، والبيهقي في السنن الكبرى(١٩١/١٠)، والبخاري في الأدب المفرد، الرقم (٢٧٣).

[٣٣]- فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، علي خليل أبو العينين : (ص ١٨٦) .

[٣٤]- دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، الكتاب في الأصل باللغة الفرنسية ثم ترجمه الدكتور شاهين للعربية(ص٢١).

[٣٥]- لتفسير الآيات وشرح بعض ألفاظها راجعت التفاسير الآتية: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري(٢٢٤-٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م(١٣٦/٢٠)، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر-بيروت/ لبنان -١٣٩٩هـ/١٩٧٩م(٢١٣/٥)، النكت والعيون(تفسير الماوردى)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان(٣٣٣/٤)، الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ م، ط١، تحقيق: أبو محمد بن عاشور(٣١٢/٧)، اللباب في علوم الكتاب،

أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان– ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، ط١، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض(١٥/ ٤٤٢)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (٣/٤٢٠-٤٢٦).

[٣٦]– وسبب هذه التسمية ظاهر، لاشتمالها على قصة لقمان الحكيم، والتي تضمنت فضيلة الحكمة، وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن القبائح والمنكرات، وما تضمنته كذلك من الوصايا الثمينة التي أنطَقَه الله بها. ينظر: تفسير الخازن ٥/٢١٣، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، ص٣٤٤، وتفسير الماوردى ٤/٣٢٦، صفوة التفاسير، الصابوني ٣/١٤.

[٣٧]– ويعود الاختلاف في عد الكلمات إلى اختلافهم في اعتبار بعض المقاطع كلمة فمن اعتبرها كلمة زاد العدد عنده.

[٣٨]– المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تمحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٢ هـ، ص٨٧٣ .

[٣٩]– الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر– بيروت، الطبعة: الأولى، ص٧٣ .

[٤٠]– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت

الطبعة: الثانية، ٢/٣٣.

[٤١]– جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ٢/١٨٠.

[٤٢]– التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي– بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص٣٠٥.

[٤٣]– تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(٧٠٠-٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ٦/٣٣٧.

[٤٤]– المصدر نفسه٦/٣٣٨).

[٤٥]– تفسير الطبري ١٨/٥٦٤. وابن كثير ٦/٣٠٣، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (ت ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، ١٥/٤٥٣ .

[٤٦]– تفسير ابن كثير(٦/٣٤٠)

[٤٧]– المصدر نفسه ٦/ ٣٣٧.

[٤٨]– التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١/١٣٩.

[٤٩]– ينظر: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د.عبد الحميد الصيد الزنتاني ص٣٢٦– ٣٢٧.

[٥٠]– تربيتنا الروحية، سعيد حوى، المكتبة الوهبة، القاهرة،١٩٩٢م، د.ط، ص٦٩.

[٥١]– منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروع، القاهرة: ٢٠٠٤، ص ١٣.

[٥٢]– أخرجه البخارى باب فضل من استبرأ لدينه(١/٢٨،رقم٥٢)، ومسلم باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٥/٥٠، رقم ٤١٧٨، والكافي الأصول والروضة، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، مع شرح الكافي الجامع، للمولى محمد صالح المازندراني ت ١٠٨١هـ مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني،٢٦/ ٧٥، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد بن يوسف

الصالحي الشامي ت سنة ٩٤٢ هـ ، تحقيق وتعليق: عادل احمد، وعلي محمد، لدار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م، ٢/١١.

[٥٣]- التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢٠/١٣.

[٥٤]- المصدر نفسه ٥١/٣

[٥٥]- المصدر نفسه (١٩٩/٢١)، و اللباب في علوم الكتاب ٢٦/٦.

[٥٦]- تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، عبد المنعم صالح العي، ط٦، مؤسسة الرسالة، بيرت ٢٠٠٠م، ٢/ ٧٦٣.

[٥٧]- المحاور الخمسة في القرآن، محمد الغزالي، ط٤، دار القلم، دمشق ٢٠٠٥. ص ٧١.

[٥٨]- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٤٧

[٥٩]- الأبعاد التربوية للصلاة، أحمد العامري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط ١٩٩٧م ص: ٤٨.

[٦٠]- المرجع نفسه: ص: ٢٦.

[٦١]- تفسير الطبري ٥٢١/٢٠، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤م٦٧، ٣٥/١٦.

[٦٢]- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ٢١٠/٤، فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٤هـ، ٦١٩/٤.

[٦٣] – جامع البيان في تأويل القرآن تفسير الطبري(٤٥٠/١٧)

[٦٤] – المصدر نفسه.

[٦٥] – أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق : محمد الصادق، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٤٠٥، (٢٣٠/٥).

[٦٦] – أخرجه مسلم (٩٣/١ ، رقم ٩١) . وشرح أصول الكافي(٢٦/ ١٣١).

[٦٧] – فقه الأسرة، محمد بن محمد المختار الشنقيطي ترقيم الشاملة(٩/٤)

القيم الاخلاقية في نماذج مختارة من القصص القرآنية وأثرها في إصلاح المجتمع

م.د. ساجدة عواد صالح
مديرية تربية بغداد/ الكرخ الأولى

ملخص البحث:

يعد القرآن الكريم الموجه الاساس للتربية واهدافها وميادينها واساليبها ووسائلها في اعداد الانسان فكرياً وروحياً ونفسياً مراعياً في ذلك استعداداته وقدراته وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه

ويهدف البحث الى وجوب معرفة القيم الاخلاقية التي جاءت في القرآن الكريم عن طريق وصايا الانبياء والمرسلين (عليهم السلام) لتذكير الدعاة والمربين والاباء بما تتضمنه الآيات القرآنية من قيم وأساليب تربوية تمثل أساس بناء الأنسان المسلم وتربيته واعداده وكيفية المحافظة عليها في ظل صراع الحضارات ، وكذلك لرفع مستوى الانسان المسلم في جميع جوانب حياته وتصرفاته. ولتحقيق هدف البحث اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي للآيات القرآن الكريم.

الكلمات الافتتاحية: القيم الاخلاقية ، القصص القرآنية ، اصلاح المجتمع.

Abstract

The Holy Qur'an is the basic guide for education, its goals, fields, methods and means in preparing man intellectually, spiritually and psychologically, taking into account his preparations, abilities and the needs of the society in which he lives.

The research aims at the necessity of knowing the moral values that came in the Holy Qur'an through the commandments of the prophets and messengers (peace be upon them) to remind the preachers educators and fathers of the values and educational methods contained in the Qur'anic verses that represent the basis for building the Muslim human being, educating and preparing them and how to preserve them in light of the conflict of civilizations, as well as to raise the level of a Muslim in all aspects of his life and his behavior.

To achieve the goal of the research, I adopted the descriptive and analytical approach to the verses of the Noble Qur'an.

Key words ;moral values, Quranic stories, community reform

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد الصادق الوعد الأمين (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)

يعد القرآن الكريم الموجه الاساس للتربية واهدافها وميادينها واساليبها ووسائلها في اعداد الانسان فكرياً وروحياً ونفسياً مراعياً في ذلك استعداداته وقدراته وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه

وان الذي دفعني الى هذا اختيار الموضوع الموسوم (القيم الاخلاقية في القصص القرآنية وأثرها في أصلاح المجتمع) هو وجوب المحافظة على القيم الأخلاقية والمثل العليا في المجتمعات الانسانية عامة والأسلامية خاصة ، وان هذه القيم باتت مهددة نتيجة الانحلال الفكري والثقافي المتواصل نتيجة الصراع المتواصل بين المثل العليا والتطور الانساني الذي أنصرف الى أهمال دور القيم المتعلقة بحياة الفرد والاسرة والمجتمع ،

ويهدف البحث الى وجوب معرفة القيم الاخلاقية التي جاءت في القرآن الكريم عن طريق وصايا الانبياء والمرسلين (عليهم السلام) لتذكير الدعاة والمربين والاباء بماتتضمنه الآيات القرآنية من قيم وأساليب تربوية تمثل أساس بناء الأنسان المسلم وتربيته واعداده وكيفية المحافظة عليها في ظل صراع الحضارات ، وكذلك لرفع مستوى الانسان المسلم في جميع جوانب حياته وتصرفاته

ولتحقيق هدف البحث أعتمدت المنهج الوصفي التحليلي للايات القرآن الكريم

اما خطة البحث اشتملت على ثلاث مباحث ومقدمة وخاتمة

المبحث الاول : تعريف القيم وتعريفها لغة واصطلاحا ،ومفهوم القيم الاخلاقية وتعريف القصة لغة واصطلاحا، وورود لفظ القيم في القرآن الكريم

المطلب الاول : مفهوم القيم وتعريفها لغة واصطلاحا ،ومفهوم القيم الاخلاقية وتعريف القصة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني : ورود لفظ القيم في القرآن الكريم

المبحث الثاني :- : القيم الاخلاقية التي تدعوا الى التعايش السلمي في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الاول :- أثر العفو والصفح في أصلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الثاني :- أثر العدل في اصلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الثالث :- أثر قيمة الوفاء بالعهد مع المشركين بأستجارة المستجير منهم في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الرابع :- أثر الصبر في اصلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

المطلب الخامس : أثر الاستغفار والتوبة في أصلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

المبحث الثالث : القيم الاخلاقية في قصة النبي موسى (عليه السلام)

المطلب الاول :أثر التعاون بإظهار فضل الآخرين في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

المطلب الثاني :- أثر القوة والأمانة في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

المطلب الثالث : - أثر أستعمال اللين في أصلاح ذات البين في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

المطلب الرابع :أثر إكرام اليتامى ومساندتهم في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

المطلب الخامس :- أثر إسداء النصيحة للآخرين في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

الكلمات الافتتاحية (القيم الاخلاقية ، القصص القرآنية ، اصلاح المجتمع)

المبحث الاول : تعريف القيم وتعريفها لغة واصطلاحا ،ومفهوم القيم الاخلاقية وتعريف القصة لغة واصطلاحا، وورود لفظ القيم في القرآن الكريم

المطلب الاول : مفهوم القيم وتعريفها لغة واصطلاحا ،ومفهوم القيم الاخلاقية وتعريف القصة لغة واصطلاحا

اولاً :القيم لغةً واصطلاحاً:

القيم في اللغة : القيم في اللغة جمع قيمة ، لأنها من مادة (ق و م) ، وتدل هذه المادة (ق و م) على الانتصاب أو العزم ، قال ابن منظور: (والقِيمةُ ثمن الشيء بالتقويم ، وسمي الثمن قيمة ؛ لأنه يقوم مقام الشيء يقال : كم قامت ناقتك أي كم بلغت ، وقد قامت الأمة مائة دينار أي : بلغ قيمتها مائة دينار) [١] ، وفي الحديث النبوي الشريف : قالوا يا رسول الله لَوْ قَوَّمْتَ لَنَا سِعْرَنَا ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : ((إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُقَوِّمُ))[٢]، أي : لو سعرت لنا ، وهو من قيمة الشيء ، والمراد حددت لنا قيمتها [٣].

القيم أصطلاحا:- " القواعد والسلوك التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها ان يستمدوا آمالهم ويوجهوا تصرفاتهم "[٤]. وكذلك هناك تعريف آخر للقيم " تعني السلوك الخلقي الذي يميز جماعة بشرية خلال فترة معينة ويتمثل هذا السلوك بشكل عملي بالكرم والنجدة والحلم والعفة والصبر والوفاء.." [٥]

ثانياً : - تعريف الاخلاق لغة واصطلاحاً:

١- الاخلاق لغة :- تأتي مادة (خلق) في اللغة بعدة معان أشهرها :

بمعنى التقدير والإبداع ومنه قوله تعالى : (خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ)[٦].

وبمعنى البالي، ومنه قولهم : ثوب خَلِقٌ : أي بالٍ. [٧]

وبمعنى السجية، والطبع والمروءة، [٨] ومنه قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٩].

٢- الاخلاق أصطلاحا: "مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم" [١٠].

٣- القيم الاخلاقية : هي مجموعة القواعد والمبادئ السلوكية الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان وهي عامة تنطبق على جميع الإفراد وبها تقاس أعمال الإنسان، إنها المثل العليا التي لا تتغير حقائقها، وهي كذلك المبادئ الأولية والأصول الثابتة التي يجب أن تتضمنها أفعالنا لكي تكون ذات مغزى خلقي في حياتنا الاجتماعية مثل : الصدق، الأمانة، العفة، العدالة [١١]

ثالثاً:تعريف القصة لغة واصطلاحا :

١- القصة لغة :- مشتقة من القص، تتبع الأثر، يقال قصصت أثره ،أي تتبعته كما في قوله تعالى (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) [١٢] رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به ،والقصة الخبر،وسمي الخبر المؤلف من حوادث مترابطة يتبع بعضها بعضًا قصة

لأن القصاص يتتبع الأحداث فيسردها حدثًا بعد حدث حتى يصل بالقصة الى نهايتها [١٣]

٢- القصة أصطلاحا : بأنها حكاية نثرية تصور أحداثًا واقعية أو خيالية لمجموعة من الشخصيات تربطها عناصر مشتركة، تعرض بأسلوب فكري وفني مشوق بهدف تنمية الشخصية بجميع جوانبها، العقلية والوجدانية والجسمية) [١٤]

المطلب الثاني : ورود لفظ القيم في القرآن الكريم

ورد لفظ القيم في مواضع عدة بعض تصريفات مادة (ق و م) كما في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [١٥] .

وفي هذه الآية يقول تعالى لنبيه محمد (ﷺ) قل لهم إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم ، هو دين الله الذي ابتعثه به ، فوفقني له (دِينًا قِيَمًا) أي : ثابتاً مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم [١٦] ، أي : ديناً مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا زيغ [١٧]

المبحث الثاني :- : القيم الاخلاقية التي تدعوا الى التعايش السلمي في زمن النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)

نجد القرآن يوجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن يتخذ القصة مسلكا من مسالك نشر دعوته، ووسيلة يستخدمها في توجيه الناس، فيأمره بمخاطبة الناس عبر قص قصص الأولين ، عليهم، حتى يكون لهم في آثار السابقين عبرة وهدى وموعظة حسنة[١٨]

المطلب الاول :- أثر العفو والصفح في صلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

يعد التسامح والعفو والحلم والأناة ، أخلاق إسلامية جليلة بعضها يرادف البعض الآخر ، وكلها تعود بالنفع والخير العميم على المجتمع بأسره ، [١٩] "والصفح مرادف للعفو في بعض معانيه، ولعل فيه دلاله على تجاهل الإساءة وعدم النظر إليها بعين الاعتبار وصرف النظر عن الخطأ وتجاهله" [٢٠] واتّباع مبدأ الصفح الجميل، وربْط تعاملنا مع بعضنا بعضاً بالنظر إلى الدار الآخرة والساعة الآتية لا محالة ، ولا تكن لحوحاً في استيفاء حقوقك، فاحسب حساباً ليوم القيامة أيها الإنسان!. ولَكَ أن تتصور كم تكون الحياة جميلة لو اتّبعنا قاعدة الصفح الجميل في حياتنا، وقاعدة النظر إلى الدار الآخرة والساعة الآتية، وكم تكون الحياة قبيحة مؤذية عندما يغيب أسلوب الصفح الجميل، وأسلوب النظر إلى الساعة الآتية [٢١] ، وقد اشار الله في كتابه الكريم الى هذه القيمة مبيناً أثرها الواضح في بناء المسلم فقد قارن الجمال بالصفح، وهو من أسمى الصفات، إذ هو يعني التغاضي عن إساءات الآخرين ، وقد طلبه الله تبارك وتعالى من نبيّه في مواجهة المُعرضين المُكذّبين من قومه، مُبيّناً له أنّه صاحب رسالة مُهمّتها الهداية، وعقاب الضّالين مرجعه لرب العالمين، والساعة آتية لا ريب فيها[٢٢] ، فقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)[٢٣] فاصفح الصفح الجميل (الخطاب للنبي (صلى الله عليه وسلم) أي فأعرض عنهم يا محمد واعفُ عنهم عفواً حسناً. [٢٤] والتسامح والصفح هو البلسم الشافي لعلل النفوس ويتطلب تربية مبكرة كي يسهل على الإنسان إبان كبره وهو يواجه أصناف الناس وطبائعهم المتباينة ان يتعود على التسامح والعفو [٢٥]هو الذي يقابل اساءة المسيء بالإحسان ، وذنبه بالغفران ، والذي لا يكون فيه عتاب ، وقد امر الله رسوله بأن يكون الصفح جميلاً أي حسناً وهو الذي سلم من الحقد والأذية القولية

والفعلية [٢٦] ،لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف ، أنه سبحانه وتعالى خلق خلقه ، وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم. [٢٧]

قال تعالى : (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ، فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) [٢٨] قيل سبب نزولها أن النضر بن الحارث ونفراً معه قالوا إن كان ما يقول محمد حقاً فنحن نتولى الملائكة فهم أحق بالشفاعة من محمد (صلى الله عليه وسلم) فنزلت هذه الآية، فاصفح عنهم (يعني أعرض عنهم وفي ضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب) وقل سلام (معناه المتاركه وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم) فسوف يعلمون (يعني عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم [٢٩] فيجب تغليب الخير والأخذ بدواعيه وقطع الشر وأسبابه [٣٠]

ففي الصفح والاحسان تزول الفوارق الاجتماعية ، وتهدأ الاحقاد المتوثبة ، وتسكن الثورات المستعرة ، ويعيش الشعب وجميع طبقاته بنعمة الله أخواناً [٣١] ومن آثار العفو والتسامح فأنه لايضيع معه حق ولا يترك في النفس مذلة أو شعوراً بالظلم ، ولا يكون معه إهدار لقيم أو مبادئ اسلامية [٣٢]

المطلب الثاني :- أثر العدل في اصلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

يعد العدل من أهم الدعائم التي يسعى إليها البشر حتى يطمئن الناس على حقوقهم، ويستقر العدل فيما بينهم، فليس أبعث للشقاء والفتن، وأنقى للهدوء والاطمئنان بين الأفراد والجماعات من سلب الحقوق وأغتيال الاقوياء حقوق الضعفاء[٣٣] وتعد المساواة اول مظاهر العدل ، فقد أمر الله تعالى الأفراد بالمشاركة في إقرار العدل ، فنهاهم عن الاعتداء على الحقوق حتى مع الكفار واليهود[٣٤] جاء التأكيد على قيمة العدل في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [٣٥] .

ذكر المفسرون أن هذه الآية (نزلت في اليهود ، ذهب إليهم النبي (ﷺ) ليستعين بهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، فوعدوا رسول الله(ﷺ) ، ثم هموا بغدره ، فأعلمه الله عز وجل بذلك ، فخرج عنهم ، وأمره الله عز وجل ألا يحمله ما كانوا عليه من الحالة المبغضة لهم على أن يخرج عن الحق فيها قضاء أو شهادة)[٣٦]. (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ) ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في معاملتكم مع كل أحد، صديقا كان أو عدوا ، وعدلكم أقرب للتقوى من تركه، أي العدل في معاملة الأعداء أقرب إلى اتقاء المعاصي على الوجه العام. [٣٧] ومن ذلك نصرة المظلوم حتى يأخذ حقه والأخذ على يد الظالم حتى يكف عن جنايته فيه حفظ نظام المجتمع ، وحماية الضعفاء من جبروت الاقوياء وفي هذه

المعاملة أصلاح للمجتمع [٣٨] "وتقوي علاقات الأفراد بينهم وبين بعض كما انها تقوي الثقة بين المحكوم والحاكم، وفي ظل العدل يزيد الرخاء وتنمي الثروة، وبه يستقر نظام الحكم"[٣٩].

فبالعدل يسير العالم الإنساني الى تحقيق أهدافه العظيمة ، ففي أنتشار العدل تسعد الإنسانية وتحيا حياة كريمة متجددة فيها الأمل والرجاء ، وقد وهبت عدالة السماء الإنسان حريته في الحياة ، وأمدته بجميع العناصر الأدبية اللازمة لتكوين شخصيته الإنسانية ، ولمساعدته على الكفاح في الوجود ، وعلى الانتصار في معركة الحياة الطاحنة بعد أن أمدته بجميع الوسائل التي تساعده على فهم الحياة فهماً كاملا ، وعلى أنجح السبل الموصلة الى السعادة [٤٠] لإنه مشعر للناس بالاطمئنان والاستقرار، وحافز كبير لهم على الإقبال على العمل والإنتاج، فيترتب على ذلك: نماء العمران واتساعه، وكثرة الخيرات وزيادة الأموال والأرزاق، ولا يخفى أن المال والعمل، من أكبر العوامل لتقّدم الدّول وازدهارها،[٤١]

وكذلك يؤدي انتشار العدل الى المحافظة على الحقوق لئلا تضيع ، وتنتشر الفوضى ، ورحم الله امرءاً أنصف من نفسه ، فأخذ ماله ، وأدى ماعليه ، واراح القضاة والحكام من جنايته وشكايته وفوض الأمر الى من له الأمر بين عباده [٤٢]

ويؤدي أنتشار العدل بين الجميع،الى انصراف الناس في معايشتهم آمنين وعلى نفوسهم مطمئنين، مما دفع بتلك الحضارة الإسلامية إلى الازدهار والتقدم [٤٣]

وبهذه العدالة استطاعت الحضارة الإسلامية أن تحتفظ للعالم بمجتمع متنوع الثقافات والأديان حتى الثقافات القديمة التي ظلت شاهدة على حضارات بائدة كالحضارة الآشورية والفينيقية والفرعونية وغيرها من الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية،[٤٤]

المطلب الثالث :- أثر قيمة الوفاء بالعهد مع المشركين بأستجارة المستجير منهم

في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

تعد قيمة الوفاء بالعهد مع المشركين من المتطلبات المهمة للمحافظة على حسن الجوار ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) [٤٥]

جاءت هذه الآية للتاكيد على ضرورة اعطاء فرصة للخصوم حتى يسمعوا كلام الله فقد قال الله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) يعني وإن استأمنك يا محمد أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ليسمع كلام الله الذي أنزل عليك وهو القرآن

فأجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ماله من الثواب إن آمن وما عليه من العقاب إن أصر على الكفر (ثم أبلغه مأمنه) يعني إن لم يسلم أبلغه إلى الموضع الذي يأمن فيه وهو دار قومه [٤٦] ، فاستثنت من المشركين الذين يقتلون ، من جاء سفيراً عن قومه ، ومن طلب الأمان ، ليعلم ما أنزله الله وأمر به من دعوة الإسلام ، وذلك أن بعض المشركين لم تبلغهم الدعوة بلاغاً تاماً مقنعاً ، ولم يسمعوا شيئا من القران ، أو أنهم لم يسمعوا منه ما تقوم به الحجة ، فقد قاتلوا رسول الله(ﷺ) حمية وانتصارا لدين الآباء قبل سماع الحجة منه [٤٧].

قال ابن عاشور :(والاستجارة : طلب الجوار ، وهو الكون بالقرب ، وقد استعمل مجازاً شائعاً في الأمن ، لأن المرء لا يستقر بمكان إلا إذا كان آمناً ، فمن ثم سمّوا المؤمَّن جاراً ، والحليف جاراً ، وصار فعل أجار بمعنى امَّن ، ولا يطلق بمعنى جعَلَ شخصاً جاراً له) [٤٨].

ومن هنا كان رسول الله (ﷺ) يعطي الأمان لمن جاءه ، مسترشداً أو في رسالة ، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش ، منهم : عروة بن مسعود ، وسهيل بن عمرو، وغيرهم واحداً بعد واحد ، يترددون في القضية بينه وبين المشركين [٤٩] فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم. [٥٠]

وأما حقوق الغير من المشركين وغيرهم فهي تتمثل بصورة عامة في احترام حقوقهم الطبيعية المادية منها والأدبية في تنفيذ العهود المبرمة، ثم عدم استغلال أي إنسان أو اتخاذه غرضا [٥١]

وتأكيد الحرص على السّلام، أرشد الله المؤمنين إلى وجوب قبول الأمان ومنحه لمن استأمن المسلم من المشركين. [٥٢] مشروعيّة الأمان، أي جواز تأمين الحربي إذا طلبه من المسلمين، ليسمع ما يدلّ على صحّة الإسلام، وفي هذا سماحة وتكريم في معاملة الكفار، ودليل على إيثار السّلم. [٥٣] وقد أَوجب الله على عباده المؤمنين حقوقاً أحياناً للمشركين، فضلاً عن المسلمين ، مِن أَجْل تبليغ الإسلام وإقامة الحجّة وإنقاذ الناس من النار [٥٤] لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة» فقال له رجل: وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله؟ قال: «وإن قضيبا من أراك»[٥٥] وفي ذلك دليل على وجوب الوفاء بالعهود والعقود سواء مع المشركين او مع اليهود ورعاه الرسول (صلى الله عليه وسلم) مع المشركين واليهود لكي يتم التعايش السلمي بينهم وبين المسلمين

المطلب الرابع :- أثر الصبر في اصلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

يعد الصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن؛ فالصبر يحمل على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وترك الطيش والعجلة[٥٦] " وهو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب بان تقاوم معها ، بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة ، فهو عدة النجاح ومصدر جميع الفضائل الانسانية ، مامن فضيلة الا ومحتاجة اليه ، وليس معنى الصبر هو الخضوع والاستكانة من غير مقاومة ولا عمل ، وانما الصبر جهاد ومحاولة ، مع الاحتفاظ برباطة الجأش والثقة بحسن العاقبة " [٥٧].

قال تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) [٥٨]

وهذا مما نزل في واقعة بدر التي قيل إن الآية التي نفسرها نزلت فيها وإن كان عاما في حكمه مطلقا في عبارته أمر الله (عز وجل) المؤمنين بالثبات وبكثرة ذكره الذي يشد عزائمهم وينهض هممهم، وبالطاعة له ، ولرسوله، وكان هو القائد في تلك الواقعة ، وطاعة القائد ركن من أركان الظفر، ونهاهم عن التنازع وأنذرهم عاقبته وهي الفشل وذهاب القوة، [٥٩] لان النزاع الذي يتفشى في جيش أو في شعب يستتبع ضياعه واضمحلال قوته[٦٠]

وحذرهم أن يكونوا كأولئك المشركين من أهل مكة ؛ إذ خرجوا لقتال المسلمين لعلة البطر والطغيان ومراءاة الناس بقوتهم وعزهم، وهم يصدون عن سبيل الله، فبهذه الأوامر والنواهي تعرف سنة الله في نصر الفئة القليلة على الكثيرة. [٦١]

واصبروا على الشدائد وعلى ما تلاقونه من بأس العدو واستعداده وكثرة عدده، فالله مع الصابرين يمدّهم بمعونته وتأييده، ومن كان الله معينا له فلا يغلبه غالب[٦٢]ومن آثار الصبر إن الله مع الصابرين إيماء إلى منفعة للصبر إلهية، وهي إعانة الله لمن صبر امتثالا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها،وكذلك مع الصبر لاتزول قوتكم ونفوذ أمركم، وذلك لأن التنازع يفضي إلى التفرق، وهو يوهن أمر الأمة[٦٣] والصبر طاقة تزيد الإنسان قوة وصلابة يستطيع بها مواجهة الصعاب وشدائد الحياة[٦٤]والصبر سبب لحصول الضياء في القلب، والهدوء في الطبع، لأن الصابر يعلم أن حبس النفس في الطاعة، وحبسها عن المعصية شجاعة، فالصابر يرى في الشدة حكمه فعليه أن يتلقاها بالرضا ليظفر بالثواب والأجر، [٦٥]

المطلب الخامس :- أثر الاستغفار والتوبة في أصلاح المجتمع في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)

يعد الاستغفار دواء الذنوب وشفاء القلوب، وبه النجاة، والأمان من الهلكة، فالاستغفار نعمة، وسبب في التخلص من كل بلاء ومحنه، وحصول كل خير ونعمة، وهو سبب لحصول الرزق، وبه تحصل على رضاء الرب، والتخلص من التلبس بالذنب، والاستغفار يعني طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى بالسان والقلب معا (٦٦)

قال تعالى (وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) (٦٧)

فقد حدث لنبينا (صلى الله عليه وسلم) عدة مواقف كان فيها الاستغفار ضروري لأصلاح النفوس وبيان طريق الخير الذي يجب أن يسلكه الإنسان، وطريق الشر الذي يجب أن يبتعد عنه ويندم على فعله ، ففي مسألة أسرى بدر، ومسألة الإذن لبعض المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك، كما في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ)أي ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم، أي ولو أن أولئك الذين رغبوا عن حكمك إلى حكم الطاغوت عند ظلمهم لأنفسهم بذلك جاءوك فاستغفروا الله، من ذنبهم وندموا أن اقترفوه وحسنت توبتهم واستغفر لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، أي دعا الله أن يغفره لهم لوجدوا الله توابا رحيما أي لتقبل الله توبتهم على هذا الوجه أتم القبول وأكمله، وتغمدهم برحمته، وغمرهم بإحسانه ؛ لأنه تعالى يقبل التوبة النصوح كثيرا مهما عاد صاحبها، ورحمته وسعت كل شيء. (٦٨) كما حدث مع كعب بن مالك عندما تخلف عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليه، ومعه هلال بن أمية الواقفي، ومرارة بن الربيع العامري وقد روي (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة نفر من بين من تخلف عنه قال: فاجتنبنا الناس فلم يكلمونا، فتنكرت لي والله نفسي، وتنكرت لي الأرض في نفسي، فما هي الأرض التي كنت أعرف، فأما صاحباي فاستكانا وجلسا في بيوتهما، ... في صبح خمسين ليلة منذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، صليت صلاة الصبح على ظهر بيت لنا، ثم جلست على الحال التي ذكر الله: " (ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) (٦٩) "،... وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا بعدما صلى الصبح قال: فذهب قبل صاحبي مبشرون، وذهب قبلي مبشرون قال كعب: فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار، قد استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكان إذا سر بشيء استنار وجهه، فقام إلي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يهرول حتى هنأني وصافحني، (٧٠)

"وإنما قرن استغفار الرسول باستغفار الله، لأن ذنبهم لم يكن ظلما لأنفسهم فحسب بل تعدى إلى إيذاء الرسول من حيث إنهم أعرضوا عن حكمه وهو صاحب الحق فى الحكم وحده، فكان لا بد فى توبتهم وندمهم على ما فرط منهم أن يظهروا ذلك للرسول ليصفح عنهم، لأنهم اعتدوا على حقه، وليدعو لهم بالمغفرة، إذ أعرضوا عن حكمه" [٧١]وهو يرغبهم في العودة والتوبة والاستقامة والاطمئنان إلى كنف الله وكنف رسوله.. بعد كل ما بدا منهم من الميل إلى الاحتكام إلى الطاغوت ومن الصدود عن الرسول(صلى الله عليه وسلم) حين يدعون إلى التحاكم إلى الله والرسول.. فالتوبة بابها مفتوح، والعودة إلى الله لم يفت أوانها بعد واستغفارهم الله من الذنب، واستغفار الرسول لهم، فيه القبول [٧٢] أن التوبة والاستغفار جزاء إصلاحي، ولكن، كيف نتصور أن موقفًا لاحقًا يمكن أن يصلح موقفًا في الماضي؟ ينظر إلى الماضي، والحاضر، والمستقبل، ويتجلى في الأفعال، لا في اتخاذ خط سلوك جديد فحسب، ولكن أيضًا في إعادة تجديد البناء الذي تهدم، بصورة منهجية[٧٣] ومن الوسائل التي يجب ان يتبعا المستغفر بعد الاستغفار لذنبه هي التي سوف تؤدي الى اصلاح المجتمع وذلك بإيقاف الشر الذي كان المذنب يوشك أن يجترحه، وإصلاح الماضي، وتنظيم مستقبل أفضل، فإذا كان الخطأ في واجب أهمل، وما زال الأمر به قائمًا، فإن الإصلاح ينبغي أن يتمثل في قضاء حقيقي، ذي طابع أخلاقي،[٧٤]

المبحث الثالث : القيم الاخلاقية في قصة النبي موسى (عليه السلام)

المطلب الاول :- أثر التعاون بإظهار فضل الآخرين في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

يعد التعاون ضروري ويتبين ذلك في حاجة بعض الناس، وأن كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه وأن الضرورة داعية إلى استعانة بعضهم ببعض لأن الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون إلى تماماتها ولا سبيل فالحاجة صادقة والضرورة داعية إلى حال تجمع وتؤلف بين أشتات الأشخاص ليصيروا بالاتفاق والإئتلاف كالشخص الواحد الذي تجتمع أعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له [٧٥] ، ولما لصلة الأخوة من أثر في ربط القلوب بالمحبة والإخلاص و المودة ولرفع الكلفة بين الأخوين فقد أباح القرآن للأخوة والأخوات التخفف من بعض القيود، فقد دعا موسى ربه أن يرسل معه أخاه هارون ليتعاون معه بما منحه الله من فصاحة اللسان على تبليغ الدعوة وليزداد به قوة على قوته فيأمَن مكر فرعون وبطشه [٧٦] كما في قوله تعالى : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ، قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) [٧٧]

يتبين لنا في هذه الآيات ان النبي موسى (عليه السلام) طلب معونة اخيه عند مجادلة فرعون وبين صفات أخيه في الاستدلال والخطابة ، فقال وأخي هارون هو أفصح مني لسانا، وأحسن بيانا، فأرسله معي عونا يلخّص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل، ويجيب عن الشبهات، ويجادل هؤلاء الجاحدين المعاندين، وإني أخاف أن يكذبوني ولساني لا يطاوعني حين المحاجة ،فأجابه سبحانه إلى ما طلب [٧٨]وسأل الله تعالى أن يكون من أهله لأنه من باب البر وأحق ببر الإنسان قرابته ثم عينه بسؤاله[٧٩] وبفضل أظهار النبي موسى (عليه السلام) لفضائل وصفات اخيه ، فقد كان النبي موسى (عليه السلام) في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريدا، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور [٨٠] وتبين لنا أهمية نصر الداعية وشَدِّ عَضده ، أن نصر الداعية وإعانته، ومؤازرته من أهم المهمات؛ ولهذا عندما ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس فانتدب الزبير ثلاث مرات قال صلى الله عليه وسلم: «إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير» والحواري هو الناصر والخاصة من الأصحاب، والصحابة رضي الله عنهم كلهم كانوا أنصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلا ريب، ولكن الزبير رضي الله عنه كان له اختصاص بالنصرة وزيادة فيها، ولاسيما في يوم الأحزاب [٨١]وبالتعاون على أداء الواجبات والإصلاح يُختصر الجهد، ويُخْتصر الوقت، وتستقيم التربية، وتَزْكُو النتائج أَحْسَنَ ما تكون [٨٢]

المطلب الثاني :- أثر القوة والأمانة في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

تعد الأمانة من أمهات الأخلاق التي يتفرع عنها سلسلة من الأخلاق الحميدة ، ومعنى الأمانة هي حفظ الودائع وكل مايتحمله المسلم ، ويجب عليه أداؤه من الحقوق والواجبات ، من أمانة السمع وأمانة البصر وامانة الفؤاد ، وكل ما يطالب به المسلم [٨٣] كما جاء في قوله تعالى في قصة النبي موسى (عليه السلام) عندما تحدثت ابنة شعيب مع ابيها عن أمانة النبي موسى كما في قوله تعالى : (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) [٨٤] قالت إحداهما يا أبت استأجره (أي اتخذه أجيراً ليرعى أغنامنا) إن خير من استأجرت القوي الأمين (يعني إن خير من استعملت من قوي على العمل وأدى الأمانة فقال لها أبوها ما أعلمك بقوته وأمانته ؟ قالت أما قوته فإنه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه إلا عشرة، وقيل أربعون رجلاً ، وأما أمانته فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك ، [٨٥] القويّ على حفظ الماشية والقيام عليها فى إصلاحها وصلاحها، الأمين: الذي لا تخاف خيانته فيما تأتمنه عليه منها[٨٦] وقال ابن عباس (رضي الله عنه) " قوي فيما ولي وأمين فيما استودع"[٨٧]

اما أثرهما فإن القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها، فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما، فإن العمل يتم ويكمل [٨٨]" لأن الأمانة والقوة هما الركنان المقصودان في القدرة على العمل وإدارته، والحفاظ عليه وأدائه بدون تفريط أو خلل، فالبيعة والاستفتاء والانتخاب كلها أمانة فإياك أن تضيعها فتضعها في غير أهلها "[٨٩]

وكذلك من أثار الأمانة في هذه القصة وجوب تعليم الأبناء بأن يحفظون سمعهم وأبصارهم وجوارحهم عما لا يحل ، وان يكون مراقباً لربه عز وجل اميناً على محارمه وحرماته ،ومتى نشا الابناء على هذا الوصف الحميد تجنبوا الغش والخداع والخيانة والاختلاس والسرقة وسائر ما حرمه الله عز وجل [٩٠]

المطلب الثالث : – أثر أستعمال اللين في أصلاح ذات البين في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

ان الله (عز وجل) يدعو الى اللين في الكلام مع الخصوم فبين في قصة موسى وأخيه هارون (عليهما السلام)عندما ذهبا الى فرعون ، ﷻ (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) [٩١] ، أي: قولاً سهلاً لطيفاً ، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ، ولا غلظة في المقال ، أو فظاظة في الأفعال ، (لَعَلَّهُ) بسبب القول اللين (يَتَذَكَّرُ) ما ينفعه فيأتيه ، (أَوْ يَخْشَى) ما يضره فيتركه ، فإن القول اللين داع لذلك ، والقول الغليظ منفر عن صاحبه [٩٢].قَوْلًا لَيِّناً فيه تلطف وبعد عن الغلظة والشدة، [٩٣]لأن نفس الحاكم مستعلية قاسية، لا تقبل القسر والقسوة، وتلين للمديح والاستعطاف. وكلمة «لعل» هنا لتوقع حصول ما بعدها، واحتمال تحققه، فالتوقع فيها من البشر، أي على أن تكونا راجيين لأن يتذكر أو يخشى. [٩٤] وقد تساعد هذه القيمة في النهي عن المنكر والامر بالمعروف وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمة، فنحن أولى بذلك، وحينئذ يحصل الآمر أو الناهي على مرغوبه، ويظفر بمطلوبه. [٩٥] وكذلك يمكن التوصل الى الغرض والحصول عليه باللطيف من القول كما قال النيسابوري " وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما دخل الخرق في شيء إلا شانه"[٩٦]

المطلب الرابع :– أثر إكرام اليتامى ومساندتهم في أصلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

يعرف الكرم بأنه الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه، وهو بذل ما ينبغي من مال فيما ينبغي [٩٧] والكرم أنواع :" فإن كان بمالٍ فهو جود ، وإن كان بكف ضرر مع القدرة فهو عفو ، وإن كان ببذل النفس فهو شجاعة " [٩٨] "والكريم يصل رحمه، ويحسن إلى أهله، ويواسي المسكين، ويبذل المال لمن طلبه

في وجوه البر" [٩٩] فمن وجوه البر اكرام اليتامى ، بتربيتهم والعناية بشأنهم حتى جعل القرآن كفالتهم وانفاق المال عليهم من أعمال البر وأسسه التي يقوم عليها ، وقد جاءت في قصة الخضر والنبي موسى (عليه السلام) في أقامة الجدار الذي كان تحته كنز ملك لليتامى[١٠٠] كما في قوله تعالى : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) [١٠١]

فمن الأمور التي رآها موسى عليه السلام حين صاحب الخضر، وذكر ما كان من اعتراض موسى عليه مرة بعد أخرى، وقد كان أعلمه من قبل أنه لا يستطيع معه صبرا، وعندما سأله عن الداعي الى إقامة الجدار، كان جوابه، أنه كان تحته كنز، وكان ليتيمين فى المدينة، وكان أبوهما امرأ صالحا [١٠٢]

فهذا الجدار الذي أتعب الرجل(الخضر عليه السلام) نفسه في إقامته، ولم يطلب عليه أجرا من أهل القرية ، وهما جائعان وأهل القرية لا يضيفونهما، كان يخبىء تحته كنزا، ويغيب وراءه مالا لغلامين يتيمين ضعيفين في المدينة. ولو ترك الجدار ينقض لظهر من تحته الكنز فلم يستطع الصغيران أن يدفعا عنه. [١٠٣]من رحمة الله تعالى، أمرني ربي بإصلاح ذلك الحائط، إذ لو سقط لاكتشف وأخذ، وأراد الله أن يبلغ الغلامان كمالهما وتمام نموهما، ويستخرجا الكنز من ذلك الموضع الذي عليه الجدار، رحمة لهما، بصلاح أبيهما[١٠٤]وقيل معناه إنما فعلت هذه الأفعال لغرض أن تظهر رحمة الله لأنهما بأسرها ترجع إلى معنى واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى. [١٠٥]

وكذلك تدل هذه القصة على ضرورة التماسك الاجتماعي لأنه يزيد من قوة المجتمعات ، ويؤكد أهمية الكرم والبذل والعطاء في الحفاظ على بناء المجتمعات وإدامة المودة فيها ، وهو لا ينقص من مال الإنسان ورزقه فالأرزاق مقدرة من الله [١٠٦]

المطلب الخامس :- أثر إسداء النصيحة للآخرين في صلاح المجتمع في قصة النبي موسى (عليه السلام)

فعلى المؤمن ان يرشد عباد الله إلى طاعة الله وعبادته، وان يخلص لهم النصيحة في ذلك، ويحذرهم حبائل العصيان، واتباع خطوات الشيطان، فالرشيد الذي يرشد الناس إلى طاعة الله، ويعلم ان الله جل وعلا اسعده بارشاده [١٠٧]، ومرة أخرى نجد موسى (عليه السلام) في قلب المخافة، بعد فترة من الأمن. بل من الرفاهية والطراءة والنعمى. ونجده وحيدا مجردا من قوى الأرض الظاهرة جميعا، يطارده فرعون وجنده، ويبحثون عنه في كل مكان، لينالوا منه اليوم ما لم ينالوه منه طفلا. ولكن اليد التي رعته وحمته هناك ترعاه

وتحميه هنا، ولا تسلمه لأعدائه أبدا. فها هو ذا يقطع الطريق الطويل، ويصل إلى حيث لا تمتد إليه اليد الباطشة بالسوء[١٠٨]

قال تعالى : (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) [١٠٩]أي وجاء رجل مؤمن من آل فرعون، يخفى إيمانه عن فرعون وآله، لأسباب هو بها عليم، يسرع للحاق بموسى إشفاقا وخوفا عليه أن يصيبه مكروه من فرعون وآله "[١١٠] وقال: يا موسى، إن فرعون وأشراف دولته يتشاورون فيك، ويدبرون مؤامرة لقتلك، فاخرج بسرعة من البلد، إني لك ناصح أمين. ووصف بالرجولة لسلوكه طريقا أقرب من طريق المبعوثين وراء موسى. [١١١]، فانتصح بنصحه وتقبل قوله"[١١٢]

(فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ) [١١٣]أي فخرج موسى من مدينة فرعون خائفا على نفسه يتلفّت، ويترقب متابعة أحد له حتى وصل الى مدين [١١٤]

ويتبين لنا من ذلك ان بذل النصيحة للمسلمين بأبعادهم عن ما يضرهم او يؤذيهم وهم لا يدركون ذلك ، والنصيحة هي إرادة الخير للمنصوح له ، وان يخلص الناصح نيته في قوله ، وفعله اذا أراد ان ينصح أخاه المسلم [١١٥] كذلك هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد" [١١٦] والنصيحة اساس بناء الامة والسياج الواقي لها من هدف الشيطان في التحريش بين المؤمنين ، ولهذا كان للنصيحة الشأن العظيم في حياة الامة عن طريق أثارها الاجتماعية والتربوية والتعليمية والتي تنعكس ايجاباً على الفرد والمجتمع [١١٧]

الخاتمة

بعد الدراسة المستفيضة لموضوع (القيم الاخلاقية في القصص القرآنية وأثرها في أصلاح المجتمع) توصلنا إلى حقائق ثابتة ومن هذه الحقائق

- ضرورة تقوية القيم الاخلاقية وترسيخها في نفوس المسلمين
- إن تحسين وتطوير مجالات ممارسة القيم الاخلاقية تساعد على احراز التقدم الاجتماعي في حياة الفرد والمجتمع
- وجوب الاستفادة من القصص القرآنية وتدريسها ، لانها تساهم في بناء الشخصية الاسلامية على اساس من القيم الاخلاقية الرفيعة
- ان التعود على العفو والتسامح والصفح عن الناس ومقابلة الاساءة بالاحسان سوف ينشئ جيل متعود على التعاون وينتشر التعايش السلمي بين الديانات المختلفة

- وأن أنتشار العدل بين الديانات يؤدي الى سيادة التعايش السلمي وانتشار المحبة والأمن والأستقرار والنشاط العلمي والفكري في حياة الفرد والمجتمع
- وتناولت القيم الأخلاقية التي تدعو الى التعايش السلمي مع اليهود والمشركين في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومنها أثر العفو والصفح في أصلاح المجتمع وأثر العدل في اصلاح المجتمع ،وأثر قيمة الوفاء بالعهد مع المشركين بأستجارة المستجير منهم ، وأثر الصبر في أصلاح المجتمع ، وأثر الاستغفار والتوبة في أصلاح المجتمع
- وتناولت القيم الاخلاقية في قصة النبي موسى (عليه السلام) ومنها ،أثر التعاون بإظهار فضل الآخرين في أصلاح المجتمع ،وأثر القوة والأمانة في أصلاح المجتمع

وأثر أستعمال اللين في أصلاح ذات البين في أصلاح المجتمع ،وأثر إكرام اليتامى ومساندتهم في أصلاح المجتمع ، وأثر اسداء النصيحة للأخرين في أصلاح المجتمع

- أن الالتزام بالقيم الاخلاقية تؤدي الى دوام الحياة الاجتماعية وتماسكها ، وكذلك تقدم الحضارة من الناحية العلمية والعمرانية

الهوامش:

(١) لسان العرب ، ابن منظور، (دار صادر، بيروت ، ط ٣، ١٤١٤ هـ) ج ١٢ ، ص ٥٠٠ من مادة قوم .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) (مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، ٣/ ٨٥

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحي ، (بيروت ،المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م) ، ج ١٤ ، ص ١٢٥.

(٤)المناهج التربوية ومرتكزات تطويرها وتطبيقاتها ، توما خوري ، (بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط ١ ، ١٩٨٣م) ، ص ٥١

(٥) المفصل في تاريخ قبل الإسلام، جواد علي (بيروت،١٩٧٠م) ج ٤٠ ، ص ١٣٠ .

(٦) سورة العنكبوت، آية ٤٤.

(٧) القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) (بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨ ، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، ج١ ، ص ١٨٨ من مادة فصل الخاء

(٨) القاموس المحيط ، الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، ج١ ، ص ١٨٨ ؛ لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١٠ ، ص ٨٦ من مادة فصل الخاء

(٩) سورة القلم، الآية ٤.

(١٠) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان ، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٩ ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م) ص ٧٩

(١١) القيم التربوية في القصص القرآني ، زهراء احمد عثمان الصادق ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم ، السودان ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٨

(١٢)سورة الكهف: الآية ٦٤

(١٣)لسان العرب، ابن منظور ،ج ٧ ، ص ٧٥

(١٤) القيم التربوية في القصص القرآني ، الصادق ، ص ٧٥

(١٥)سورة الأنعام : الآية ١٦١ .

(١٦) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م) ج ٢، ص ٢٠٧ .

(١٧) المصدر نفسه : ج ٢ ، ص ٢٠٧

(١٨) خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، عبد الغني أحمد جبر مزهر(وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ،المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ) ص ٣٠

(١٩) ينظر : مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، عبد الرب نواب الدين آل نواب ، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ،ط٢ ، ١٤٢٣هـ) ، ص ٢٠٠

(٢٠) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ، يحيى بن عبد الله المعلمي ،اليمن ، ب ت) ص ١٥٥

(٢١) ينظر : الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، (مطبعة سفير ،الاردن ، ب ت) ، ص ٤٤

(٢٢) قيم التعايش السلمي في الفكر الاسلامي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، قسم علوم القرآن ، ص ١١ .

(٢٣)سورة الحجر : آية ٨٥ .

(٢٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن، ج ٤، ص ٧٢.

(٢٥) ينظر : مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، آل نواب ، ص ١٩٧

(٢٦)ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ج١ ، ص ٤٣٤ .

(٢٧) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن، ج ٤، ص ٧٢.

(٢٨)سورة الزخرف : الآيات ٨٨ – ٨٩ .

(٢٩) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن، ج ٦، ص ١٤٢

(٣٠) ينظر : مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، آل نواب ، ص ٢٠٤

(٣١) ينظر: الاسلام رسالة الإصلاح والحرية ، محمد عبد المنعم خفاجي ،(القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٢م) ص ٨٥

(٣٢) ينظر : مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، آل نواب ، ص ٢٠١

(٣٣) من حصاد الفكر الإسلامي، محمد بهي الدين سام (رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٢هـ) ، ص٣٨ .

(٣٤)ينظر: تطور المجتمع الاسلامي العربي ، محمود حلمي ، (دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٩٧٤م) ، ص ١٣١.

(٣٥) سورة المائدة : الآية ٨ .

(٣٦) أحكام القران ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م) ج ٢ ، ص ٨١ .

(٣٧) ينظر : التفسير المنير ، الزحيلي ،ج ٦ ، ص ١١٨

(٣٨) ينظر : إصلاح المجتمع ، البيحاني ، ص ٧٧

(٣٩) القيم السياسية في الإسلام، اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، (الدار الثقافية للنشر، عمان، ب ت)، ص١٥٤.

(٤٠) ينظر الاسلام رسالة الاصلاح والحرية ، خفاجي ، ص ٩٢- ٩٣

(٤١) ينظر : القيم الاسلامية ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، (الرياض ، ب ت) ،ص ١٤

(٤٢) ينظر : إصلاح المجتمع ، البيحاني ، ص ٧٨

(٤٣) يُنظر: التنمية والعدالة والتكافل الاجتماعي في الإسلام، محمود فؤاد جاد الله، في المؤتمر العلمي السنوي الثالث، المنهج الاقتصادي في الإسلام بين الفكر والتطبيق، (القاهرة ٩ – ١٢، ابريل، ١٩٨٣م) المجلد الثالث، ص١٨١٤.

(٤٤) ينظر : الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة ، عبد السلام الهراس (وزارة الاوقاف ، السعودية ، ب ت) ، ج ١ ، ص ٢٢

(٤٥) سورة التوبة : الآية ٦ .

(٤٦) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن، ج ٣، ص ٦٣

(٤٧)ينظر:تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م) ، ج ١٠ ، ص ٢١٢

(٤٨)التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) (الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤ هـ) ، ج ١٠ ، ص ١١٨

(٤٩) ينظر : تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م) ، ج ٤ ، ص ١١٣

(٥٠) ينظر : آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع (الأثر التربوي والأخلاقي) ، محمد حسن سبتان، (الرياض ، الجمعية الخيرية بمنطقة الرياض ، ١٤٢٧هـ) ، ص ٢٥

شوال ١٤٢٧هـ

(٥١) ينظر : علم الأخلاق الإسلامية ، مقداد يالجن محمد علي (دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م) ، ص ١١٤

(٥٢) ينظر : التفسير المنير ، الزحيلي ،ج ١٠، ص ١١٢

(٥٣) ينظر : المصدر نفسه ،ج ١٠، ص ١١٥

(٥٤) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ، الرحيلي ، ص ١٨٨

(٥٥) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤادعبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ت)،ج ١ ، ص ١٢٢ برقم (١٣٧)من باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار

(٥٦) الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة ، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، (دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٨هـ)، ص ١١

(٥٧) التربية الاخلاقية في القصة القرآنية ، انوار جواد المظفر ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الشريعة ، ١٩٨٦م ، ص ٢٠١

(٥٨) سورة الانفال : آية ٤٦

(٥٩)تفسير المنار، محمد رشيد رضا ، ج ٣ ، ص ١٧٤

(٦٠) ينظر : دستور الأخلاق في القرآن ، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ) ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م) ، ص ٣٣٠

(٦١)تفسير المنار، محمد رشيد رضا ، ج ٣ ، ص ١٧٤

(٦٢)تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)(شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١ ، ١٣٦٥ هـ ، ١٩٤٦ م) ،ج ١٠ ، ص ١١

(٦٣) ينظر : التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ١٠ ، ص ٣٢

(٦٤)علم الأخلاق الإسلامية ، علي ، ص ١١١

(٦٥) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، حسين بن محمد المهدي، (مكتبة المحامي ، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٩م) ، ص ٥٦٥

(٦٦) ينظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، المهدي ، ج ٢ ، ص ٢١١

(٦٧) سورة النساء : الآيات من ٦٣- ٦٥

(٦٨) ينظر: تفسير المنار ، محمد رشير رضا ، ج ٥ ، ص ١٩٠

(٦٩) سورة النساء : الآية ١١٨

(٧٠)مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت٢٠٤هـ)، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي ،(دار هجر ، مصر، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ،١٩٩٩ م) ، ج ٢ ، ٢٩١

(٧١) تفسير المراغي ، المراغي ، ج ٥ ، ص ٨٠

(٧٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، (دار الشروق ، بيروت ، ط ١٧ ، ١٤١٢هـ) ، ج ٢، ص ٦٩٥

(٧٣) ينظر : دستور الأخلاق في القرآن ، دراز، ص ٢٥١- ٢٥٢

(٧٤) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٢٥٢

(٧٥) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ) ، تحقيق ابن الخطيب (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط١ ، ب ت) ، ص ١٤٩

(٧٦)مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ، المعلمي ، ص ٢

(٧٧) سورة القصص : الآيات ٣٤-٣٥

(٧٨) ينظر : تفسير المراغي ، المراغي ، ج ٢٠ ، ص ٥٧؛ التحرير والتنوير ، عاشور ، ج ١٩، ص ١٠٧

(٧٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠ م) ج ١ ، ص ٥٠٤

(٨٠) ينظر : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦١٥

(٨١)فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني(الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط١ ، ١٤٢١هـ) ،ج١ ، ص ٣٢٥

(٨٢)ينظر : الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ، الرحيلي ، ص ١٢٢

(٨٣) ينظر : مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، عبد الرب نواب الدين آل نواب ، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ،ط٢ ، ١٤٢٣هـ) ، ص ١٩٧

(٨٤) سورة القصص : آية ٢٦

(٨٥) لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن ، ج ٥ ، ص ١٧٠

(٨٦) تفسير المراغي ، المراغي ، ج ٢٠ ، ص ٥١

(٨٧)صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، المهدي ، ص ٥٢٢

(٨٨) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ،ص٦١٤

(٨٩)صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، المهدي ، ص ٥٢٢

(٩٠) ينظر : مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، آل نواب ، ص ١٩٧

(٩١) سورة طه : آية ٤٤ .

(٩٢) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ص٥٠٦ .

(٩٣) ينظر : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبه بن مصطفى الزحيلي ، (دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ)، ج ١٦ ، ص ٢١٣

(٩٤) ينظر : التفسير المنير ، الزحيلي ،ج ١٦ ، ص ٢١٥.

(٩٥) ينظر : التفسير المنير ، الزحيلي ،ج ١٦ ، ص٢١٨

(٩٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق زكريا عميرات (دار الكتب العلميه ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ) ،ج ١ ، ص ٣٢٥

(٩٧) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، المهدي ، ص ٦٠٣

(٩٨) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش ، محمد المصري(مؤسسة الرسالة ، بيروت، ب ت) ،ج ١ ، ص ٥٣

(٩٩) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، المهدي ، ج ١ ، ص ٦٠٧

(١٠٠)ينظر: أصلاح المجتمع ، محمد بن سالم البيحاني ، (دار القلم ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) ص ٤١

(١٠١) سورة الكهف : آية ٨٢

(١٠٢)ينظر : تفسير المراغي ، المراغي ، ج ١٦ ، ص ٧-٩

(١٠٣)في ظلال القرآن، سيد قطب ، ج ٤ ، ص ٢٢٤١

(١٠٤) ينظر : التفسير المنير ، الزحيلي ، ج ١٦ ، ص ١١

(١٠٥)الباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن ، ج ٤ ، ص ٢٢٨

(١٠٦) خطب الامام على (عليه السلام) في نهج البلاغة قراءة في الفكر التربوي ، علي تركي شاكر الفتلاوي ، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ، المجلد ٢٣ ، العدد ٤ ، ٢٠١٥م ، ص ١٨٣٥

(١٠٧) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، المهدي ، ج٢ ، ص ٦٩

(١٠٨) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٥ ، ص ٢٦٨٥

(١٠٩) سورة القصص : آية ٢٠

(١١٠)ينظر : تفسير المراغي ، المراغي ، ج ٢٠ ، ص٤٨

(١١١) ينظر : التفسير المنير ، الزحيلي ،ج ٢٠ ، ص ٧٧

(١١٢)ينظر : تفسير المراغي ، المراغي ، ج ٢٠ ، ص٤٨

(١١٣) سورة القصص : آية ٢١

(١١٤) ينظر: التفسير المنير ، الزحيلي ، ج ٢٠ ، ص ٧٧

(١١٥) ينظر:النصيحة فقهها شروطها ضوابطها ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، (دار ابن خزيمة ، ب ت) ، ص ٦

(١١٦) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، (دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م) ، ص ٢٤١

(١١٧) أهمية النصيحة في ضوء الكتاب والسنة ، عدنان عبد الرزاق الحموي العلبي ، :EKEV AKADEMİ DERGİSİ Yıl: 18 Sayı: 58 (Kış 2014) ، ص ١٢٦

المصادر والمراجع

١-آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع (الأثر التربوي والأخلاقي) ، محمد حسن سبتان، (الرياض ، الجمعية الخيرية بمنطقة الرياض ، ١٤٢٧هـ)

٢-أحكام القران ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط ٣ ، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م)

٣-الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، (مطبعة سفير ،الاردن، ب ت)

٤-الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة ، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، (دار ابن خزيمة ، ط١ ، ١٤١٨هـ)،

٥- الإسلام دين الوسطية والفضائل والقيم الخالدة ، عبد السلام الهراس (وزارة الاوقاف ، السعودية ، ب ت)

٦- الاسلام رسالة الإصلاح والحرية ، محمد عبد المنعم خفاجي ،(القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ط١ ، ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٢م)

٧- أصلاح المجتمع ، محمد بن سالم البيحاني ، (دار القلم ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م)

٨- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان ، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ٩ ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م)

٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) (الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤ هـ)

١٠- التربية الاخلاقية في القصة القرآنية ، انوار جواد المظفر ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الشريعة ، ١٩٨٦م

١١- تطور المجتمع الاسلامي العربي ، محمود حلمي ، (دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٩٧٤م

١٢- التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، (دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م)

١٣- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م)

١٤- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م)

١٥- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)(شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١ ، ١٣٦٥ هـ ، ١٩٤٦ م)

١٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبه بن مصطفى الزحيلي ، (دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ط٢ ، ١٤١٨هـ)

١٧- التنمية والعدالة والتكافل الاجتماعي في الإسلام، محمود فؤاد جاد الله، في المؤتمر العلمي السنوي الثالث، المنهج الاقتصادي في الإسلام بين الفكر والتطبيق، (القاهرة ٩ – ١٢، ابريل، ١٩٨٣م) المجلد الثالث،

١٨- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ) ، تحقيق ابن الخطيب (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط١ ، ب ت)

١٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠ م)

٢٠- خطب الامام على (عليه السلام) في نهج البلاغة قراءة في الفكر التربوي ، علي تركي شاكر الفتلاوي ، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية ، المجلد ٢٣ ، العدد ٤ ، ٢٠١٥م ،

٢١- خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، عبد الغني أحمد جبر مزهر(وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٢هـ)

٢٢- دستور الأخلاق في القرآن ، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ) ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م)

٢٣- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤادعبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ت)

٢٤- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال ، حسين بن محمد المهدي، (مكتبة المحامي ، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠٩م)

٢٥- علم الأخلاق الإسلامية ، مقداد يالجن محمد علي (دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م)

٢٦- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق زكريا عميرات (دار الكتب العلميه ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ)

٢٧- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، (دار الشروق ، بيروت ، ط ١٧ ، ١٤١٢هـ)

٢٨- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) (بيروت ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨ ، ١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م)

٢٩- القيم الاسلامية ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،(الرياض ، ب ت)

٣٠- القيم التربوية في القصص القرآني ، زهراء احمد عثمان الصادق ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم ، السودان ، كلية التربية ، قسم أصول التربية ، ٢٠٠٩م

٣١- قيم التعايش السلمي في الفكر الاسلامي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، قسم علوم القرآن، ٢٠١٧م

٣٢- القيم السياسية في الإسلام، اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، (الدار الثقافية للنشر، عمان، ب ت)

٣٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش ، محمد المصري(مؤسسة الرسالة ، بيروت، ب ت)

٣٤- لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م)

٣٥- لسان العرب ، ابن منظور، (دار صادر، بيروت ، ط ٣، ١٤١٤ هـ)

٣٦- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت٢٠٤هـ)، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي ،(دار هجر ، مصر، ط ١ ، ١٤١٩ هـ ،١٩٩٩ م)

٣٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) (مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م)

٣٨- مسؤولية الآباء تجاه الأولاد ، عبد الرب نواب الدين آل نواب ، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الرياض ،ط٢ ، ١٤٢٣هـ)

٣٩- المفصل في تاريخ قبل الإسلام، جواد علي (بيروت،١٩٧٠م)

٤٠- مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ، يحيى بن عبد الله المعلمي ،اليمن ، ب ت)

٤١- من حصاد الفكر الإسلامي، محمد بهي الدين سام (رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٢هـ)

٤٢- المناهج التربوية ومرتكزات تطويرها وتطبيقاتها ، توما خوري ، (بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط ١ ، ١٩٨٣م)

٤٣- النصيحة فقهها شروطها ضوابطها ، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، (دار ابن خزيمة ، ب ت)

٤٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحي ، (بيروت ،المكتبة العلمية ، ١٣٩٩هـ ،١٩٧٩م)

القيم الأخلاقية والروحية في سورة مريم

م.د. ماجدة عواد صالح
مديرية تربية بغداد/ الكرخ الأولى

جامعة البصرة
مكتب العميد
عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

القران الكريم هو أصل الاخلاق الإسلامية والقيم الروحية، والاخلاق هي التي أسست لبناء الأجيال على وفق إرادة الله تبارك وتعالى، وقام بتجسيدها الرسل والانبياء(عليهم السلام) والرسول الكريم (ﷺ) في أقواله وأفعاله، فالقيم والفضائل الأخلاقية هي التي تعطي البشرية صورتها وماهيتها الإنسانية وترسم أهدافها وترشدها نحو مسارات الخير والسعادة والطمأنينة .

تأتى أهمية البحث في القيم الأخلاقية والروحية في سورة مريم، لما تتركه من أثر في تكامل بنية المجتمع وانسجام سلوك أفراده وتماسكهم في ما يواجههم من تحدٍ مصيري في وقت أصبح فيه لموقف المجتمع الموحد أهمية كبيرة في بقائِه وديمومتهِ .

أما سبب اختياري للموضوع(القيم الأخلاقية والروحية في سورة مريم)، التذكير بالقيم الروحية والاخلاقية التي يجب على المسلمين الالتزام بها وتطبيقها في حياتهم لما لها من أهمية كبيرة في تحقيق الوحدة والأخوة الإسلامية . أما المنهج الذي كان ملائما لمثل هذه الدراسة فهو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي للايات في سورة مريم .

الكلمات المفتاحية: القيم، الأخلاقية، الروحية، سورة مريم.

Abstract

The Holy Qur'an is the origin of Islamic morals and spiritual values, and morals are the foundations for building generations according to the will of God, The apostles and prophets (peace be upon them) and the Noble Messenger (peace be upon them) embodied them in his words and actions. Moral values and virtues are what give humanity its human image and identity, outline its goals and guide it towards the paths of good, happiness and tranquility.

The importance of research in moral and spiritual values in Surat Maryam comes from its impact on the integration of the structure of society and the harmony of the behavior of its members and their cohesion in the fateful challenge facing them at a

time when the position of the unified society has become of great importance in its survival and sustainability

As for the reason for choosing the topic (moral and spiritual values in Surat Maryam), it is a reminder of the spiritual and moral values that Muslims must adhere to and apply in their lives because of their great importance in achieving Islamic unity and brotherhood. As for the method that was appropriate for such a study, it is the inductive, descriptive, and analytical method for the verses in Surat Maryam

key words: values, morals, spirituality, Surat Maryam

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابه وأتباعه أجمعين، وبعد: فان القرآن الكريم هو هداية الله العظمى، وبينته الخالدة وهو شريعة الله ودينه الذي ارتضاه لعباده، وتعد سورة مريم من سور القرآن والتي من مقاصدها الرد على اليهود فيما ادعوه في حق مريم واتهامها بالفاحشة، فكان فيها بيان نزاهة آل عمران، وطهارتهم، وإثبات وحدانيته سبحانه، وتنـــزيهه سبحانه عن الولد وإثبات البعث يوم القيامة، واشتملت مقاصد سورة مريم أيضًا على قصة زكريا (عليه السلام)، ومن مقاصد سورة مريم وعده سبحانه لعباده المؤمنين بأن يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين مودة ومحبة واخلاق.

تتأتى أهمية البحث في تأثير القيم في حياة المجتمع، ولما تتركه من أثر في تكامل بنية المجتمع وانسجام سلوك أفراده وتماسكهم في ما يواجههم من تحدٍ مصيري في وقت أصبح فيه لموقف المجتمع الموحد أهمية كبيرة في بقائِه وديمومتهِ

أما سبب اختياري للموضوع، التذكير بالقيم الروحية والاخلاقية التي يجب على المسلمين الالتزام بها وتطبيقها في حياتهم لما لها من أهمية كبيرة في تحقيق الوحدة والأخوة الإسلامية لان الواقع الذي يعيشه المجتمع الإسلامي المعاصر من الابتعاد في تطبيق القيم الروحية والاخلاقية في حياتهم اليومية قي جميع المجالات الأسرية والتربوية والاجتماعية، مما أدى الى انتشار العداوة والبغضاء بين المسلمين.

أما المنهج الذي كان ملائما لمثل هذه الدراسة فهو المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي اذ اقتضى الأمر أن نستخرج الأدلة من المصادر الرئيسة ومنها القرآن الكريم التي تبرز بعض الوقائع والتطبيقات العملية؛، وما تعطي تلك الوقائع من معنى واضح وما تدل عليه من دلالة بينة لا تقبل الجدل على ضرورة الالتزام بالقيم الروحية والاخلاقية في القرآن الكريم .

فقد جاءت دراستي لهذا الموضوع مقسمة الى مبحثين تسبقها المقدمة وتعقبها الخاتمة وهي كما يأتي:

المبحث الاول : مفهوم القيم الأخلاقية والروحية : وقسمته الى ثلاث مطالب منها : المطلب الأول تعريف القيم لغة واصطلاحا، والمطلب الثاني :تعريف القيم الروحية لغة واصطلاحا، والمطلب الثالث : تعريف القيم الاخلاقية لغة واصطلاحا .

أما المبحث الثاني : القيم الروحية والاخلاقية في سورة مريم، وقسمته الى ست مطالب منها : والمطلب الاول : التأدب مع الله في الدعاء، والمطلب الثاني : التبشير، والمطلب الثالث: بر الوالدين والاحسان اليهما، والمطلب الرابع : السلام، و المطلب الخامس : الصدق، المطلب السادس: الادب في الدعوة الى الله سبحانه وتعالى.

المبحث الاول : مفهوم القيم

المطلب الاول : تعريف القيم لغة واصطلاحا :

اولا : القيم في اللغة : القيم في اللغة جمع قيمة، لأنها من مادة (ق و م)، وتدل هذه المادة (ق و م) على الانتصاب أو العزم، قال ابن منظور (والقِيمةُ ثمن الشيء بالتقويم، وسمي الثمن قيمة ؛ لأنه يقوم مقام الشيء يقال : كم قامت ناقتك أي كم بلغت، وقد قامت الأمة مائة دينار أي : بلغ قيمتها مائة دينار)[١] وفي الحديث النبوي الشريف : قالوا يا رسول الله لَوْ قَوَّمْتَ لَنَا سِعْرَنَا، قَالَ(ﷺ) : ((إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُقَوِّمُ)) [٢] أي : لو سعرت لنا، وهو من قيمة الشيء، والمراد حددت لنا قيمتها[٣] وقيل : (فلان ما له قيمة : إذا لم يدم على شيء) [٤] والقيمة ثبات الشيء ودوامه [٥].

ثانيا: القيم اصطلاحاً عرفت القيم بعدة تعريفات افترقت في اللفظ وتقاربت في المعنى منها:

القيم : (هي مجموعة النظم والأعراف والقواعد الحاكمة التي تحدد أو تؤثر أو توجه سلوك الشخص) [٦].

أو هي : (القواعد والسلوك التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها ان يستمدوا آمالهم ويوجهوا تصرفاتهم)[٧]

المطلب الثاني: تعريف القيم الروحية لغة واصطلاحا

اولا : تعريف الروح لغة : الرَوح ــ بالفتح ــ الراحة والرحمة ونسيم الريح . الرّوَح ــ بالتحريك والتشديد ــ السعة[٨].

ثانيا : الروح اصطلاحا : إن الروح جسم نورانى حىّ متحرك من العالم العلوي، مخالف بطبعه لهذا الجسم المحسوس، سار فيه سريان الماء فى الورد، والدّهن فى الزيتون، والنار فى الفحم، لا يقبل التبدل والتفرق

والتمزق، يفيد الجسم المحسوس الحياة وتوابعها ما دام صالحا لقبول الفيض وعدم حدوث ما يمنع السريان، وإلا حدث الموت، واختاره الرازي وابن القيم فى كتاب الرّوح.[٩]

وقيل : هي ذلك الشيء الغامض المجهول المحجوب عن الإدراك، وهي من عالم الأمر بنص القرآن الكريم {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا }[١٠]، تكتنفها الأسرار وتحوم حولها الأسئلة، وتبقى مدى الدهر وتقادم الأزمان عرضة للدراسة والتنقيب والتحليل، منذ بدء الخليقة وحتى اليوم، من دون كلل، رغبة في كل نفسٍ بشرية اكتناه سرِّها وتأويل أمرها، وهي لا تزيد مع ذلك إلا غموضا واستتارا .[١١]

المطلب الثالث: تعريف القيم الاخلاقية لغة واصطلاحا :

١- الخلق لغة : الخلق بضم اللام وسكونها: الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنّه لصورة الإنسان الباطنة بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر من تعلقه بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق[١٢] كقولهﷺ حين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال:((تقوى الله وحسن الخلق))[١٣].

٢- الخلق اصطلاحا : عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة، سميت الهيئة: خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقا سيئا [١٤] وهناك عدة تعريفات للقيم الأخلاقية منها :

المبحث الثاني : القيم الأخلاقية والروحية في سورة مريم

المطلب الأول : التأدب مع الله في الدعاء .

انّ الأدب مع الله تبارك وتعالى: هو القيام بدينه والتّأدّب بآدابه ظاهرا وباطنا. إن الأدب هو الدّين كلّه، فإنّ الالتزام بالأدب يحقّق فوائد عديدة للإنسان المسلم فيجعل الإنسان يلتزم بالمنهج الإلهيّ في الأرض ممّا يصلح أحواله، ويحقّق التّقوى في قلبه [١٥]. فقد بينت سورة مريم اثر الدعاء عندما دعا النبي زكريا ربه قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا، قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} [١٦] والأدب في اللغة: تعود كلمة الأدب إلى المادّة اللّغويّة (أَدَبَ)، كذلك (فُلان أدّب فُلان) أي؛ علّمه محاسن الخُلُق، و(لقّن فُلان فنون الأدَب لفُلان) أيّ؛ قام بمُجازاته

على الإساءة، و(أدّب فُلان الدّابة) أي؛ قام بتربيتها وترويضها، وأيضاً (تأدّب فُلان) أيّ؛ تعلّم الأدَب، و(تأدّب فُلان بأدَب القرآن) أي؛ قام على بالسّير على نهجه، أمّا كلمة (الأدَب) فتُقال عن عمليّة تهذيب النّفس وتعليمها [١٧] . لدعاء اثر البالغ اذا كان العبد مخلصاً متضرعاً في دعاء قال تعالى: (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) ان النبي زكريا عندما دعى ربه أخفى دعاءه، لأنه أدل على الإخلاص، وأبعد من الرياء، وأقرب إلى الخلاص من لائمة الناس، على طلب الولد وقت الكبر والشيخوخة، ثم ذكر زكريا مسوغات أو أسباب الدعاء فقال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) ضعفه ظاهرا وباطنا، وأثر الأول قد ظهر فى العظام التي هى حاملة سائر الأعضاء، وأثر الثاني واضح باستيلاء الشيب على الرأس واضطرامه فى السواد [١٨] فتوسل إلى الله تعالى بضعفه وعجزه، وهذا من أحب الوسائل إلى الله تعالى، لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته، ثم ذكر النبي زكريا أنه مستجاب الدعاء، فلم يكن في وقت من الأوقات خائبا، بل كان كلما دعا ربه أجابه. ثم ذكر سبب آخر خوفه من يتولى على بني إسرائيل من بعد موته، أن لا يقوموا بالدين حق القيام، ولا يدعوا العباد إلى الله تعالى، وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه، ورأى غيره غير صالح لذلك، وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة [١٩]، وقد ظهر اثر الدعاء عند النبي زكريا فقد أجاب الله دعاءه، قد كان متأدب في الدعاء متضرع لله سبحانه وتعالى في دعاء، وقد ذكر ضعفه وقد بلغ الكبر، ولم يرد الله له دعاء، وكان سبب الدعاء من اجل الحفاظ على الدين ومصلحة العباد، وقد دعى الله مباشرة ولم يجعل بينه وبين الله سبحانه وتعالى واسطة، وكان الدعاء من اجل اصلاح الامة وافرادها [٢٠] .

إنّ اثر الدعاء لا تنحصر في تربية الفرد المؤمن وقضاء حاجاته فحسب، بل هي تنعكس على المجتمع كلّه حيث تسهم في بناء المجتمع الصالح السعيد. فحينما يتربى الفرد المؤمن في أحضان الدعاء وتتربى عائلته معه فإنّ الأسرة جميعها ستكون قد عاشت أجواء الصفاء الروحي والعلاقة الصادقة مع الله. لقد تظافرت الروايات في ربط استجابة الدعاء بالعمل الصالح بالسلوكية الصالحة في المجتمع وبمواصلة تزكية النفس وتطهيرها، فما كان الدعاء إلا وسيلة لتربية الإنسان وإعداده إلى الآخرة ومن هذه الروايات: ارتباط الدعاء مع فعل الخيرات[٢١] قَالَ أَبُو ذَرٍّ: " يَكْفِي مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْبِرِّ مَا يَكْفِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ" [٢٢]، قال المناوي: (البِرُّ بالكسر أي: التوسُّع في فعل الخير، والفعل المرضِي، الذي هو في تزكية النَّفس... يقال: بَرَّ العبدُ ربَّه. أي: توسَّع في طاعته... وبِرُّ الوالد: التَّوسع في الإحسان إليه، وتحرِّي محابِّه، وتوقِّي مكارهِه، والرِّفقُ به، وضدُّه: العقوق. ويستعمل البِرُّ في الصِّدق؛ لكونه بعض الخير المتوسَّع فيه)[٢٣] .

المطلب الثاني : التبشير

التبشير بالخير من مكارم الأخلاق التي تغرس بذور المحبة في النفوس وتنمي أواصر المودة بين القلوب، وقد ورد التبشير في القرآن في نيف وثلاثين موضعا بألفاظ مختلفة وبمعان سنوضح بعضا منها في حديثنا هذا إن شاء الله، وقد برَّ الله عباده المؤمنين بتبشيرهم بكثير من الخير، منه ما كان خاصاً لأفراد منهم، ومنه ما كان مبشراً بأمور معينة، ومنه ما كان عاماً للمؤمنين وبالخير مطلقاً دون تحديد[٢٤] .

وبشر الله سبحانه وتعالى نبيه زكريا عليه السلام بغلام اسمه يحيى بعد أن اشتعل رأسه شيباً في طاعةِ الله وعبادته فقال:﴿"يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا"﴾ [٢٥]، ها هي لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضى.. فالرب ينادي عبده من الملأ الأعلى: (يا زكريا) ويعجل له البشرى: (إنا نبشرك بغلام) ويغمره بالعطف فيختار له اسم الغلام الذي بشره به: (اسمه يحيى) [٢٦]،وانه تعالى وضع له الاسم المشعر ببقائه وحياته حياة مباركة طيبة [٢٧] .

ولقد تضمنت القيمة الروحية للبشرى ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة، الثاني: إعطاؤه الولد وهو قوّة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسمّ بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿من قبل﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسماً وذاتاً وحالاً وهو محمد(ﷺ)[٢٨] ثم حكى سبحانه بعد ذلك ما قاله زكريا (عليه السلام) بعد هذه البشارة السارة فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾[٢٩] أي عقيما ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾[٣٠]،حال مؤكدة لاستبعاد حدوث الولد له، والعتي مصدر بمعنى اليبس والقحول في المفاصل[٣١]،فإن قيل : كيف استبعد زكريا(عليه السلام)ذلك وأنكره؟ قيل : لم يفعله إنكاراً، بل ليُجاب بما أجيب به عن طلبه الولد [٣٢]، ثم علل هذا بقوله:﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[٣٣] "هنا يأتيه الجواب عن سؤاله: أن هذا هين على الله سهل، ويذكره بمثل قريب في نفسه: في خلقته هو وإيجاده بعد أن لم يكن. وهو مثل لكل حي، ولكل شيء في هذا الوجود" [٣٤]، وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ [٣٥]،أن المعدوم ليس بشيء [٣٦]ونظيره قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [٣٧]،ثم أخبر سبحانه وتعالى زكريا (عليه السلام) الذي طلب من الله تعالى اية او علامة على حمل زوجته، قيل طلب الآية لتحقيق البشارة وهذا بعيد لأن بقول الله تعالى قد تحققت البشارة فلا يكون إظهار الآية أقوى من ذلك من صريح القول وقال آخرون: البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب الآية ليعرف بها وقت الوقوع [٣٨]، ثم بين سبحانه وتعالى اجابه الى ما طلب فقال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[٣٩]، أي علامتك على وجود المبشر به وحصول الحمل، ألا تقدر على

تكليم الناس بكلامهم المعروف فى محاوراتهم وثلاث ليال وأنت صحيح، سوىّ الخلق، سليم الجوارح، ليس بك علة ولا مرض [٤٠] وقال الامام الماوردي (رحمه الله) :" أنه اعتقل لسانه ثلاثاً من غير مرض وكان إذا أراد أن يذكر الله انطلق لسانه وإذا أراد أن يكلم الناس اعتقل ، وكانت هذه الآية " [٤١] ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾[٤٢] "خص ذلك بالتكلم مع الناس وهذا يدل بطريق المفهوم أنه كان قادرا على التكلم مع غير الناس"[٤٣] وقال أكثر المفسرين هو صفة لزكريا والمعنى:" آيتك أن لا تكلم الناس في هذه المدة مع كونك سويا لم يحدث بك مرض،" [٤٤] وقوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٤٥] "فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد" [٤٦] "فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة إشارة " [٤٧] ﴿أَنَ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾[٤٨]"أي صلواْ بكرة وعشياً"[٤٩].

وخلاصة القول ان الله يبشر عباده ويستجاب لدعاؤهم اذا توفرت فيهم شروط الدعاء لحصول الاستجابة كما حصل النداء من الله تعالى بالبشارة للنبي زكريا (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾[٥٠] " وبشارته بولد يسمى يحيى لم يسم احد من قبله بمثل اسمه ذاكرا بعد ذلك تعجب زكريا وطلبه للاية وخروجه لقومه وأمرهم بالتسبيح بكرة وعشيا" . [٥١]

المطلب الثالث : بر الوالدين

بر الوالدين من الأمور العظيمة التي أمرنا الله سبحانه تعالى بطاعة الوالدين وعدم مخالفتهما وقد قرن الله سبحانه وتعالى طاعة الوالدين بعبادته بقوله{: وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } [٥٢]، والبر في اللغة: ضد العقوق، والمبرة مثله، تقول: بررت والدي بالكسر، أبره برا، فأنا بر به وبار، وجمع البر أبرار، وجمع البار البررة، وفلان يبر خالقه ويتبرره، أي يطيعه، والأم برة بولدها. [٥٣] . البر اصطلاحا : هو اسم جامع للخيرات كلها، يراد به التخلق بالاخلاق الحسنة مع الناس بالاحسان اليهم وصلتهم والصدق معهم والبشاشة معهم وتحمل الاذى منهم، ومع الخالق بالتزام أمره واجتناب نواهيه، كما يطلق ويراد العمل الدائم الخالص من المأثم [٥٤].

فقد بينت سورة مريم القيمه الروحية والاخلاقية في بر الوالدين في موضعين ومنها، فقد مدح الله نبيه يحيى (عليه السلام) بأنه بر بوالديه. ﴿يا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً. وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً. وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾[٥٥]، وتبدأ الايات بهذا النداء العلوي ليحيى قبل أن يتحدث

عنه بكلمة. لأن مشهد النداء مشهد رائع عظيم، يدل على مكانة يحيى، وعلى استجابة الله لزكريا، في أن يجعل له من ذريته وليا، يحسن الخلافة بعده في العقيدة وفي العشيرة، فها هو ذا أول موقف ليحيى هو موقف انتدابه ليحمل الأمانة الكبرى،[٥٦]﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ [٥٧]،يا يحيى، خذ هذا الكتاب بقوة، يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى، وهو التوراة بقوة، يقول: بجد[٥٨]، وآتاه الحكمة صبيا، فكان فذا في زاده، كما كان فذا في اسمه وفي ميلاده، فالحكمة تأتي متأخرة، ولكن يحيى قد زود بها صبيا[٥٩]، وآتيناه حنانا أي رحمة ورقة في قلبه وعطفا على الآخرين[٦٠]، وزكاة: وهو الطهارة من الذنوب، واستعمال بدنه في طاعة ربه[٦١]، وكان برا بوالديه، أي **بارا بهما** لا يعصيهما[٦٢]، مسارعا في طاعتهما ومحبتهما، غير عاق بهما، (ولم يكن جبارا عصيا) يقول جل ثناؤه: ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتمر لما أمر به، وينتهي عما نهي عنه، لا يعصي ربه، ولا والديه[٦٣] وذلك لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين، وكذلك ظهرت القيمة الروحية والاخلاقية في موقف اخر من سورة مريم بر النبي عيسى(عليه السلام) بامه مريم (عليها السلام) كما في قوله تعالى : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[٦٤] أي وجعلني بارا بوالدتي مريم، وأمرني ببرها وطاعتها والإحسان إليها بعد طاعة ربي لأن الله كثيرا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين[٦٥]. يحتمل ان معنى البر وجهان : أحدهما: بما برأها به من الفاحشة، الثاني: بما تكفل لها من الخدمة[٦٦]، ولم يجعلني الله جبارا شقيا، أي متعاظما مستكبرا عن عبادة ربي وطاعته وبر والدتي، فأشقى بذلك[٦٧].

والحكمة في بر الوالدين واضحة: وهي المعاملة بالمثل ومقابلة المعروف بمثله، والوفاء للمحسن، كما قال تعالى: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ [الرحمن ٥٥/ ٦٠] فهما بذلا للولد وهو صغير كل عناية وعطف بتربيته والقيام بشؤونه، فيجب على الولد مكافأتهما على صنعهما [٦٨].

وبر الوالدين من الأسس الهامة لبناء الحياة الاجتماعية والإنسانية الكريمة، فبر الوالدين يبث الرحمة والمودة بين أفراد الأسرة الصغيرة، كما أن المحبة والعطف المتبادل بين الوالدين وأبنائهم يربي الأطفال عاطفيًّا ونفسياً حتى يتكون لديهم الاستقرار النفسي والعاطفي. وبعطف الوالدين ورحمتهم لأبنائهم وبر الأولاد بوالديهم تُبنى الأسرة السليمة الصالحة التي تقوى فيها روابط الحب والعطف والشفقة بين الأبناء ووالديهم مما يهيئ البيئة الصحيحة لتكوين الفرد الصالح السليم الذي يسهم بشكل فاعل في بناء مجتمعه والنهوض بأمته والذي يكون رحيماً شفيقاً بإخوانه المسلمين

يحترم الكبير ويعطف على الصغير ويخلص في عمله ويتقن أداءه [٦٩] .

المطلب الرابع: السلام

قال تعالى ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[٧٠]، السلام في اللغة :" السلامة، يقال: سلم يسلم سلاما وسلامة "[٧١]، وقيل: لله السلام لأنه سلم مما يلحق الخلق من آفات الغير والفناء، وأنه الباقي الدائم الذي يفني الخلق، ولا يفنى، وهو على كل شيء قدير[٧٢]. تعريف السلام اصطلاحا : هو الذي تسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر حتى إذا كان كذلك لم يكن في الوجود سلامة إلا وكانت معزية إليه صادرة منه وقد فهمت أن أفعاله تعالى سالمة عن الشر أعني الشر المطلق المراد لذاته لا لخير حاصل في ضمنه أعظم منه وليس في الوجود شر بهذه الصفة كما سبق الإيماء إليه إلا لله سبحانه وكل عبد سلم عن الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه وسلمت عن الآثام والمحظورات جوارحه وسلم عن الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذي يأتي الله تعالى بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لا مثنوية في صفته[٧٣].

ظهرت قيمة السلام الروحية في قصة يحيى وقال ليحيى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[٧٤] . (وسلام) من الله نازل عليه(يوم ولد) من مس الشيطان (ويوم يموت)من وحشة القبر من مفارقة الخلان (ويوم يبعث حيا) قاصدا لقاء ربه المنان من العذاب واهوال النيران او من النقصان في الحساب والميزان[٧٥] .

وجاءت القيمة الروحية للسلام مرة اخرى في قصة عيسى كما في قوله تعالى ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾[٧٦]". والسلام هنا الثناء الجميل، فالله تعالى منح عيسى (عليه السلام) الامن والامان يوم ولادته وموته وبعثه، ولما اراد اليهود صلبه وقتله، عصمه الله ومنحه الامن وحال بينهم وبين تحقيق مرادهم ورفعه اليه [٧٧].

والمقصود بالسلام في الاية : تحية وأمان له من الله يوم ولادته وَيَوْمَ يَمُوتُ ويفارق هذه الدنيا وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا للحساب يوم القيامة[٧٨]. أي والسلامة والأمان علي من كل سوء، يوم الميلاد، فلم يضرني الشيطان في ذلك الوقت، ولا أغواني عند الموت، ولا عند البعث، فأنا في أمان لا يقدر أحد على ضري في هذه الأوقات الثلاثة. وهذه الصفة أيضا إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق، من جملة خلق الله، الذي يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكنه موصوف بالسلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد[٧٩] . وإفشاء السلام واجب على المسلم وهي قيمة اخلاقية عليا والسلام سواء كان يعرف من يسلم عليه أم لا يعرفه، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على جواز إفشاء السلام حتى على المخالفين والجاهلين،

ولعل في ذلك تأليفاً لقلوبهم وحملاً لهم على الارعواء عن غيهم والرجوع إلى الحق..[٨٠]، يتضح أثر إفشاء السلام بين الناس بأنه علامة على الإيمان، فالسلام يدل على تعظيم شعائر الإسلام، ومراعاة الأخوة بين المسلمين،، وقد بيّن النبيّ (ﷺ) فضل إفشاء السلام في تأليف القلوب، وحصول المودة والإخاء بين المسلمين، لقوله صلّى الله عليه وسلّم : (أوَلا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بيْنَكُمْ)[٨١] قال الطيبي: "واعلم أنه تعالى جعل إفشاء السلام سببا للمحبة، والمحبة سببا لكمال الإيمان، وإعلاء كلمة الإسلام، وفي التهاجر والتقاطع والشحناء تفرقة بين المسلمين، وهي سبب لانثلام الدين والوهن في الإسلام" [٨٢]، قال ابن حجر: " والإفشاء الإظهار والمراد نشر السلام بين الناس ليحيوا سنته "[٨٣] .

المطلب الخامس : الصدق

الصدق من الصفات العظيمة والنبيلة، ففيه تتعلق سعادة الدنيا والآخرة، والنجاة من شرهما، فما أنجى اللهُ مَن أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى النبي إبراهيم انه كان صادق القول في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [٨٤]، الصدق لغة : نقيض الكذب، صدق يصدق صدقا وصدقا وتصداقا. صدقه: قبل قوله. وصدقه الحديث: أنبأه بالصدق[٨٥] . والصدق في اللغة هو القوَّة، والصَّلابة، والشِّدة، والكمال. وهو خلاف الكذب ونقيضه وضدُّه[٨٦]، الصدق في الاصطلاح: قول الراغب الأصفهاني: "الصِّدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا"[٨٧] . ومعنى قوله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾[٨٨] أي ملازما للصدق لم يكذب قط مع اهله واولاده وعشيرته في أمور دينه ودنياه [٨٩]وقد ظهرت قيمة الصدق حينما امر الله تعالى رسوله (ﷺ) واذكر ايها الرسول الكريم للناس في هذا القرآن قصة ابيهم ابراهيم لكي يعتبروا ويتعظوا ويقتدروا بهذا النبي في قوة ايمانه وصفاء يقينه وجميل اخلاقه وقد جمع الله سبحانه وتعالى له بين الصديقية والنبوة فالصديق كما قلنا كثير الصدق فهو الصادق في واقواله افعاله واحواله المصدق بكل ما امر بالتصديق به وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل الى القلب المؤثر فيه الموجب لليقين والعمل الصالح الكامل، هذا النبي الكريم جعل في ذريته النبوة والكتاب وهو الذي دعا الخلق الى الله وصبر على ما ناله من العذاب العظيم فدعا القريب والبعيد على حد سواء [٩٠]، ويقول الامام الرازي "واعلم أن النبي يجب أن يكون صادقا في كل ما أخبر عنه لأن الله تعالى صدقه ومصدق الله صادق وإلا لزم الكذب في كلام الله تعالى فيلزم من هذا كون الرسول صادقا في كل ما يقول" [٩١] وفي هذا لفت الاذهان الى ما في الصدق والصراحة من فوائد وانهما من

دعائم الانسانية ومن اكبر صفات الامامة فيمن يتصدر لتوجيه الناس وتوعيتهم وارشادهم، لذلك جعل الله الرسل بشرا لا ملائكة، كي يكونوا نماذج للكمال الانساني، وجعل لهم من الغرائز البشرية ما لسائر البشر، ولكنهم كانوا حكماء في استخدامها فلم يقتلوا غرائزهم، ولم يميتوا شهواتهم، بل حكموا فيها عقولهم وضمائرهم، فضبطوها وسيطروا عليها وساروا بها وفق ما اراد الله عنها ونهجوا بها المنهج الذي بلغ بهم غاية الكفاح الروحي والجسماني [٩٢] قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [٩٣] يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب... ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح. ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) أي: يكون ذلك سببًا لصلاحها، وطريقًا لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمال، ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح الله الأعمال بحفظها عما يفسدها، وحفظ ثوابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعدم قبولها، وعدم تَرَتُّبِ آثارها عليها. فالتقوى والقول السديد تستقيم بها الأمور، ويندفع بها كل محذور [٩٤] .

المطلب السادس : الادب في الدعوة الى الله سبحانه وتعالى

فإن من أصول هذا الدين، وقواعده التي يقوم عليها، الدعوة إلى الله، والنصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأمور بلا شك تتطلب من المسلم الداعية أن يحتك بالآخرين من الناس، ولا بد كذلك أن يكون لديه مؤهلات ودوافع تعينه على تحقيق هدفه ودعوته وخاصة في جانب العلم والأخلاق.. ويتفهم نفسيات الآخرين وما يحبونه وما يكرهونه حتى يَحسُن التعامل معهم ويكون الاتصال بهم ناجحاً.. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة مريم أدب النبي إبراهيم عندما دعى والده الى عبادة الله سبحانه وتعالى بقوله : {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا، قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا، قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا، وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا، فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا، وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا } [٩٥]، واذكر قصة النبي إبراهيم (عليه

السلام) حاله وادبه، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [٩٦]وقد سلك عليه السلام فى دعوته أجمل الآداب فى الحجاج، واحتج بأروع البرهانات ليرده عن غيه، ويقفه على طريق الهدى والرشاد، فاستهجن منه أن يعبد ما يستخفّ به كل ذى لبّ، ويأبى الركون إليه كل ذى عقل، فالعبادة هى الغاية القصوى فى التعظيم، فلا يستحقها إلا الخالق الرازق، المحيي المميت، المثيب المعاقب، لا الأصنام التي لا تسمع الأصوات، ولا تنظر الأشياء، وتعجز عن جلب المنافع، ودفع المضار، وقصارى ما قال إن الإنسان السميع البصير يأنف أن يعبد نظيره، فكيف تعبد ما خرج عن الألوهية بفقره وضعفه واحتياجه إلى من يصنعه، وعن الإنسانية بفقد العقل، وعن الحيوانية بفقد الحواس، أما كان لك عبرة فى حاجته وفقده السمع والبصر[٩٧] . بهذا اللطف في الخطاب يتوجه إبراهيم إلى أبيه، يحاول أن يهديه إلى الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه وهو يتحبب إليه فيخاطبه: (يا أبت) ويسأله: (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) هذه هي اللمسة الأولى التي يبدأ بها إبراهيم دعوته لأبيه[٩٨].

ثم حكى سبحانه وتعالى عن خليله ما قاله في معرض النصح والارشاد ﴿قال يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾[٩٩] فليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده، إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى. فإنما يتبع ذلك المصدر، ويسير في الطريق إلى الهدى.[١٠٠] وناداه بهذا الوصف دون أن يذكر اسمه : زيادة في احترامه واستمالة قلبه للحق.[١٠١] قال الزمخشري " انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوة : كيف رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن، وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه، موقظ لإفراطه وتناهيه "[١٠٢]، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، لأنها جهل وانحطاط في التفكير فقال:﴿ يا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطانَ [١٠٣] ﴾ فإن عبادتك لهذه الأصنام هي عبادة وطاعة للشيطان الذي هو عدو للإنسان، ثم علل له هذا النهى بقوله:﴿ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا ﴾[١٠٤]أى: إن الشيطان الذي أغراك بعبادة هذه الأصنام كان للرحمن عصيا، أى: كثير العصيان، لا يهدى الناس إلى طاعة الله، وإنما يهديهم إلى مخالفته ومعصيته وموجبات غضبه.[١٠٥] ثم أسقط حصة نفسه إذ لم يقل إن الشيطان عدوّ لبني آدم بل قدّم حق ربه فقال:﴿ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلرَّحْمنِ عَصِيًّا﴾[١٠٦] حين ترك أمره بالسجود عنادا واستكبارا لا نسيانا وخطأ، نبهه بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان، وأن الرحمن مصدر كل خير، والشيطان مظهر كل شر[١٠٧]، وبين الزمخشري رحمه الله علة عدم ذكر عداوة الشيطان لادم وابنائه بقوله " لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي

الشيطان إلا التي تختص منهما برب العزة من عصيانه واستكباره، ولم يلتفت إلى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على ذهنه" [١٠٨] ثم اتبع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة والوبال بقوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾[١٠٩]، ويقول ابن عاشور(رحمه الله) " لا جرم أنه لما قرر له أن عبادته الأصنام اتباع لأمر الشيطان عصي الرحمان انتقل إلى توقع حرمانه من رحمة الله بأن يحل به عذاب من الله، فحذره من عاقبة أن يصير من أولياء الشيطان الذين لا يختلف البشر في مذمتهم وسوء عاقبتهم، ولكنهم يندمجون فيهم عن ضلال بمآل حالهم، وللإشارة إلى أن أصل حلول العذاب بمن يحل به هو الحرمان من الرحمة في تلك الحالة" [١١٠]، وفي التعبير عن الجلالة (الله) بوصف الرحمن اشارة الى أن حلول العذاب ممن شأنه أن يرحم إنما يكون لفظاعة جرمه إلى حد أن يحرمه من رحمته، وكذلك التعبير بالخوف الدال على الظن دون القطع تأدب مع الله تعالى بأن لا يثبت أمرا فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان [١١١].

كما ظهر اثر ادب الدعوة الى الله سبحانه وتعالى في شخصية النبي محمد(ﷺ) في قوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} .أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ) أي: سيئ الخلق قاسي القلب، (لانفضوا من حولك) لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه [١١٢] . وقال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم الأخلاق وخصوصا لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف. فَإِذا عَزَمْتَ أي بعد المشاورة على أمر واطمأنت به نفسك فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ في الإعانة على إمضاء ما عزمت، لا على المشورة وأصحابها [١١٣] .

الخاتمة

إن بناء القيم الروحية والاخلاقية في الذات المسلمة يضمن لها الرقي المعنوي والتكامل النفسي، فالبناء الأخلاقي يجب ان يصاحبه بناء روحي ليرتقي بسلوكه في بناء المجتمع واقامة الحضارة، فالأخلاق هي الدعامة الاخيرة في منهج الاصلاح الإسلامي وبها يتحقق التعايش في المجتمع فالسياج الأخلاقي يقود الى تحقيق الصالح العام .

إنّ المجتمع الإسلامي المعاصر بحاجة إلى بث قيم الرحمة وقيم والصدق والصبر على الشدائد من أجل تحقيق التعايش السلمي لأنّه أوصل الإنسان إلى العيش في ظلال مبادئ عظيمة وجعل من مبادئ حياته أن يرحم القوي الضعيف بكل ما تحمله هاتان الكلمتان من معنى، ولا شك في أنه إذا شاعت ثقافة الرحمة بين الأفراد والأُمم فإنّ البشرية ستشهد مراحل عظيمة من البناء النفسي والإيماني، ستظهر نتائجه على الأُمم في صورة تعايش حميد.

لقد ركزت بعض آيات القران الكريم في سورة مريم على القيم الروحية والاخلاقية، فمن القيم الروحية الايمان والرحمة والتبشير والسلام التي لها دور في تنظيم حياة البشر، فنهى الله تعالى عيسى (عليه السلام) عن التفاخر وأمره بالتواضع، وأوصاه بمعاملة الوالدين بالحسنى، وهذه من أهم الخطوات في إصلاح الأبناء بتعليمهم المبادئ الاساسية في حياتهم .

وجوب التزام ادب الدعوة الى الله سبحانه مع الوالدين كما في قصة النبي ابراهيم (عليه السلام) مع ابيه .

الصدق من أجمل الأخلاق الإسلامية ومصدر سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وتعمل على طمأنينة وراحة القلوب وفلاح المجتمع الإسلامي ورقيه .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني،(ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناش _(دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،ط١، ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م)
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،(دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ ـــ ١٩٦٤م)

- العقيدة في الله، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، (الأردن – دار النفائس للنشر والتوزيع، ط ١٢، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م)
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـــ لبنان، ط : الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م)
- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، (، مطبعة بولاق، مصر، ط ٤ ١٣٠٣هـ).
- المناهج التربوية ومرتكزات تطويرها وتطبيقاتها، توما خوري، (المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٨٣م)
- المنهاج القرآني في التشريع، عبد الستار فتح الله سعد،(دار النهضة الإسلامية، ط: ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩١م)
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ات: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م)
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: د. مصطفى ديب البغا (دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ – ١٩٨٧)
- لسان العرب، ابن منظور،(دار صادر، بيروت، ط : الثالثة، ١٤١٤ هـ .) مادة (قوم)
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي،(دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ)
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) (دار المعرفة – بيروت، ب ت)
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) (دار المعرفة – بيروت، ب ت) ج ٤، ص ٦٧
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـــ لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)

- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)،(دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت، ط ٤، ١٤١٥ هـ)
- الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والاكبر المنسوبين لأبي حنيفة:لأبي حنيفة النعمان بن ثابت ابن زطي الخزاز الكوفي، المحقق: د.محمد بن عبدالرحمن الخميس، (عجمان – مكتبة الفرقان، ط١، ١٩٩٩)
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)،، تحقيق: صفوان عدنان الداودي،(دار القلم، والدار الشامية، دمشق ـــ بيروت، ط ١٤١٢،١ هـ)
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي،(المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، محمد عبد الرحمن المرعشلي (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ)
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري(مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م)
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، (الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ)
- الفني في القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) (دار الشروق، ط ١٧، ب ت)
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م)
- تفسير النسفى، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (دار النشر: دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥)

- التفسير الوسيط، **وهبة بن مصطفى الزحيلي (دار الفكر – دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـــ)**
- التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي (دار الفكر – دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ)
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١، ١٩٩٨م)
- تفسيرالقرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء، عماد الدين، تحقيق:سامي بن محمد سلامة،(دار طيبة، ط ٢،١٤٢٠هـ ـــ١٩٩٩م)
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، ٢٠٠١م)
- جامع البيان في تأويل القرآن، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م)
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت٦٧١ هـ)، تحقيق هشام سمير البخاري (دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م)
- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي (دار الكتاب العربي – بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ)
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) (مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥م)
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) (مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة،١٢٨٥ ه)
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق بشار عواد معروف (دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م)
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م)
- صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، امين دويدار (دار المعارف، مصر، ١٩٥٨)

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، تحقيق الشيخ زكريا عميرات (دار الكتب العلميه – بيروت، ط ١، ١٤١٦ هـ)
- غرس القيم عند الاطفال، سعد رياض، مؤسسة أقرأ، (القاهرة ـــ مصر، ط ١، ١٤٣٢هـ ـــ ٢٠١١ م)
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني (دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م)
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) (دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط ١٧،١٤١٢ هـ)،
- القصص القراني عرض ووقائع وتحليل احداث، صلاح الخالدي (دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م)
- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)(دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م)
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض(دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م)
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي (دار الكتاب العربي – بيروت، ط ٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م)
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف : عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م)
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) (المكتبة العلمية – بيروت، ب ت)

- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ٣، ١٤٢٠ هـ)
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي (الجفان والجابي – قبرص، ط ١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧)
- مكارم الاخلاق في القران الكريم، يحيى بن عبد الله المعلمي، ب ت)
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عبد الكريم محمد المدرس (رحمه الله) (المكتبة العربية، ط ١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ب ت)
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م)

الرسائل والاطاريح

- التربية الاخلاقية في القصة القرآنية، انوار جواد المظفر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية الشريعة، ١٩٨٦م
- سورة مريم دراسة وتحليل، سعد عبد الله محمد امين، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية العلوم الاسلامية،قسم أصول الدين، ٢٠٠٦
- القيم الانسانية في قصص الانبياء (عليهم السلام)، مكي وليد عبد الكريم، اطروحة دكتورا، الجامعة العراقية، كلية الآداب، قسم علوم القران، ٢٠١٤ م
- القيم الروحية للمراة في الرواية العراقية، نور عقيل محمد سعيد، اطروحة دكتوراه، الجامعة العراقية، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م .

الهوامش:

(١) لسان العرب، ابن منظور،(دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ) من مادة (قوم)، ج ١٢، ص ٥٠٠

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون،، (مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، وتعليق شعيب الأرنؤوط، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري (ﷺ)، ج ٣، ص ٨٥، برقم(١١٨٠٩)، قال الهيثمي: "رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجال الطبراني رجال الصحيح." مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)،المحقق: حسام الدين القدسي،(مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م)، ٩٩/٤

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، المحقق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي،(المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)،ج ١٤، ص ١٢٥

(٤) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـــــ لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .)،ج ١، ص ١١٥٢

(٥)ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، بيروت ـــــ لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)،ج ٢، ص ١١٢

(٦) غرس القيم عند الاطفال، سعد رياض،(مؤسسة أقرأ، القاهرة ـــــ مصر، ط ١، ١٤٣٢هـ ـــــ ٢٠١١ م)،ص ٩

(٧) المناهج التربوية ومرتكزات تطويرها وتطبيقاتها، توما خوري،(المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٣م)، ص٥١

(٨) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، (، مطبعة بولاق، مصر، ط ٤، ١٣٠٣هـ) ج ١، ص ٣٣٢، لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٤٦٣ .

(٩) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م)، ج ١٥، ص ٨٩

(١٠) الإسراء: آية ٨٥ .

(١١) القيم الروحية للمراة في الرواية العراقية، نور عقيل محمد سعيد، (اطروحة دكتوراه، الجامعة العراقية، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م)، ص ٧

(١٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير، ج ٢، ص ٧١ ؛ لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ٨٦- ٨٧

(١٣) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق بشار عواد معروف (دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م) باب ما جاء في حسن الخلق ج ٣، ص ٤٣١، برقم(٢٠٠٤)، قال ابن حجر الحديث صحيح، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)،تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)، ٧٢٦/١٥

(١٤) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني،(ت: ٨١٦هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناش _(دار الكتب العلمية بيروت -لبنان،ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)،١٠١/١

(١٥) الأدب مع الله عزّ وجلّ، د. فاطمة سعد النعيمي، https://www.al-watan.com/news-details/id/

(١٦) سورة مريم: الايات ٢-٦

(١٧) لمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (براهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، (دار الدعوة -)، (1/ 9)

(١٨) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م) ١٦/ ٣٤

(١٩) تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، عبد الرحمن بن معلا اللويحق،(مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م) ١/٤٨٩، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي،(دار الفكر المعاصر - دمشق، الثانية، ١٤١٨ هـ) ١٦/٥٤،

(٢٠) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٦ / ٥٨

(٢١) خير وسيلة لإصلاح المجتمع الدعاء، عمار كاظم، / https://www.balagh.com/article:

(٢٢) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت،(ط١، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩)، ٦/ ٣٤

(٢٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)،(عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) ١/٤٧

(٢٤) مكارم الاخلاق في القرآن الكريم، المعلمي، ج ١، ص ٣٣

(٢٥) سورة مريم: اية ٧

(٢٦) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص٢٣٠٢- ٢٣٠٣

(٢٧) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، المدرس، ج ٦، ص ٣١٣

(٢٨) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري(مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ٥، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م) ج ٣، ص ٢٩٤

(٢٩) سورة مريم: اية ٨

(٣٠) سورة مريم: اية ٨

(٣١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، المدرس، ج ٦، ص ٣١٢

(٣٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق محمد علي الصابوني (دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ج ١، ص ٣٥٠

(٣٣) سورة مريم: اية ٩

(٣٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٣٠٣

(٣٥) سورة مريم: اية ٩

(٣٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢١، ص ٥١٩

(٣٧) سورة النور: اية ٣٩

(٣٨) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢١، ص ٥١٥

(٣٩) سورة مريم: آية ١٠

(٤٠) تفسير المراغي، المراغي، ج ١٦، ص ٣٧

(٤١) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم (دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ب ت) ج ٣، ص ٣٥٨

(٤٢) سورة مريم: اية ١٠

(٤٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢١، ص ٥١٥

(٤٤)المصدر نفسه، ج ٢١، ص ٥١٥

(٤٥) سورة مريم: الاية ١٠

(٤٦) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج ١٨، ص ١٥٣

(٤٧) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي (دار الكتاب العربي – بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ) ج ٣، ص ١٢١

(٤٨) سورة مريم: اية ١١

(٤٩) النكت والعيون، الماوردي، ج ٣، ص ٣٥٩

(٥٠) سورة مريم، الاية ٧

(٥١) سورة مريم دراسة وتحليل، سعد عبد الله محمد امين، ص ٣٠

(٥٢) سورة الاسراء: الاية ٢٣

(٥٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (دار العلم للملايين – بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) ج ٢، ص ٥٨٨

(٥٤) القيم الانسانية في قصص الانبياء (عليهم السلام)، مكي وليد عبد الكريم، اطروحة دكتورا، الجامعة العراقية، كلية الآداب، قسم علوم القران، ٢٠١٤ م، ص ٥٤٥

(٥٥) سورة مريم: الايات ١٢-١٤

(٥٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٣٠٤

(٥٧) سورة مريم: الايات ١٢

(٥٨) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج ١٨، ص ١٥٥

(٥٩) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٣٠٤

(٦٠) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)،(دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت، ط ٤، ١٤١٥ هـ) ج ٦، ٧٢

(٦١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج ١٨، ص ١٥٩

(٦٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، محمد عبد الرحمن المرعشلي (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ)،ج ٤، ص ٧

(٦٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج ١٨، ص١٦٠

(٦٤) سورة مريم: اية ٣٢

[٦٥] التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي (دار الفكر – دمشق، ط ١، ١٤٢٢هـ) ج ٢، ص ١٤٧٥

[٦٦] النكت والعيون، الماوردي، ج ٣، ص ٣٧١

[٦٧] التفسير الوسيط، الزحيلي، ج ٢، ص ١٤٧٥

[٦٨] التفسير المنير للزحيلي (١/ ٢١١)

[٦٩] بر الوالدين قيمة إسلامية عظيمة، عبد الله بن عبد الطيف العقيل، (مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٥ هـ)، ١٨

[٧٠] سورة مريم: اية ١٥

[٧١] لسان العرب، ابن منظور: ج ١٢، ص ١٩٨ من مادة السين المهملة

[٧٢] تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، ٢٠٠١م) ج ١٢، ص ٣٠٩، من مادة السين وللام

[٧٣] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي (الجفان والجابي – قبرص، ط ١، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) ج ١، ص ٧٠

[٧٤] سورة مريم: اية ١٥

[٧٥] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٣١٥- ٣١٦

[٧٦] سورة مريم: اية ٣٣

[٧٧] القصص القراني عرض ووقائع وتحليل احداث، صلاح الخالدي (دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م)، ج٤، ص ١٥٩

[٧٨] ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي (دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م) ج ٩، ص ٢٢

[٧٩] التفسير الوسيط، الزحيلي، ج ٢، ص ١٤٧٥

[٨٠] ينظر: مكارم الاخلاق في القرآن الكريم، المعلمي، ج١ ص ١٣١

[٨١] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، كتاب الايمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها،(١/ ٧٤)

[٨٢] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، (دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م)، (7/ 2937)

[٨٣] فتح الباري لابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩)،(١١/ ١٨)

[٨٤] سورة مريم: الاية ٤١- ٤٢

[٨٥] لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ١٩٣

[٨٦] لسان العرب (١٠/ ١٩٦) مادة (صدق)، تاج العروس (٢٦/ ١٠)، مادة (صدق)

[٨٧] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي،(دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١ – ١٤١٢ هـ)،(١/ ٤٧٨)

[٨٨] سورة مريم: اية ٤١

[٨٩] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، المدرس،ج ٦، ص ٣٢٥

(٩٠) سورة مريم دراسة وتحليل، سعد عبد الله محمد امين، ص ١٩٣-١٩٤

(٩١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢١، ص ٥٤٢

(٩٢) صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، امين دويدار، ص ٦٢٤؛ التربية الاخلاقية في القصة القرآنية، المظفر، ص ١٥٦-١٥٧

(٩٣) [الأحزاب: ٧٠-٧١].

(٩٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٦٧٣/١

(٩٥) سورة مريم: الآيات ٤١- ٥٠

(٩٦) سورة مريم: اية ٤٢

(٩٧) ينظر: تفسير المراغي، المراغي،ج ١٦، ص ٥٥

(٩٨) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٣١١

(٩٩) سورة مريم: اية ٤٣

(١٠٠) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٣١١

(١٠١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، سيد طنطاوي ج ٩، ص ٤١

(١٠٢) الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢١- ٢٢

(١٠٣) سورة مريم: اية ٤٤

(١٠٤) سورة مريم: اية ٤٤

(١٠٥) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ج ٩، ص ٤٢- ٤٣

(١٠٦) سورة مريم: اية ٤٤

(١٠٧) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ج ٤، ص ٤٩١

(١٠٨) الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢٢

(١٠٩) سورة مريم: اية ٤٥

(١١٠) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، (الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ) ج ١٥، ص ١١٧

(١١١) ينظر: المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١١٨

(١١٢) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٤)

(١١٣) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٢/ ٤٤٨)

خلق الإيثار في القرآن الكريم دراسة موضوعية

د. عبدالله بن سالم بن حمد الهنائي
أستاذ التفسير المشارك بجامعة السلطان قابوس

صبية بين عبدالرشيد البلوشية
مدرس مساعد في كلية العلوم الشرعية

ملخص البحث:

جاء هذا البحث بعنوان " **خلق الإيثار في القرآن الكريم نظرية موضوعية**" وهدف إلى إبراز معنى الإيثار في القرآن الكريم، وذكر أنواعه وتطبيقات ذلك خاصة قصص الأمم السابقة، وبيان ثمار الإيثار وعواقب تركه.

واستخدم الباحثان ثلاثة مناهج:

١. المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء جميع الآيات القرآنية التي وردت بلفظ الإيثار.

٢. المنهج المقارن وذلك بالمقارنة بين الآيات نفسها التي وردت بلفظها ومعناها، كما تمت المقارنة بين آراء المفسرين المتقدمين والمعاصرين لبيان المعنى القرآني.

٣. المنهج التحليلي وذلك بتحليل بعض الألفاظ والآراء لبيان عمق معنى النص القرآني وديمومته.

وجاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، فالمبحث الأول جاء بعنوان مفهوم الإيثار، أما المبحث الثاني فقد تم فيه ذكر أنواع الإيثار وبعض تطبيقاته، والمبحث الثالث تم فيه ذكر ثمار الإيثار، ثم جاء المبحث الرابع ليبين عواقب تركه.

الكلمات المفتاحية:

الإيثار، الاستئثار، التفسير الموضوعي، العلاج القرآني، التطبيقات القرآنية.

Abstract

This research comes under the title ***The Quality of Altruism (Ithar) in the Quran: A Theoretical and Thematic Approach***. The research aims at highlighting the meaning of *ithar* (altruism) in the Noble Quran and mentioning its types and applications, particularly in the stories of past nations. The research also clarifies the good benefits of *ithar* and the bad consequences of not possessing this quality.

The study adopts three approaches as follows:

1- The investigative approach which investigates all the Qur'anic verses which contain the word *ithar*.

2- The comparative approach compares between the Qur'anic verses which mention the word *ithar* explicitly or implicitly. A comparison is also made

between both early and contemporary Qur'an exegetes in respect of their interpretation of the Qur'anic meaning of the word.

3- The analytical approach which analyses some Qur'anic terms and opinions so as to emphasize the depth and richness of the Qur'anic text and its eternity.

The research consists of an introduction, four sections and a conclusion. While Section 1 highlights the concept of *ithar,* Section 2 mentions its types and some of its applications. Section 3 sheds light on the good benefits of possessing the quality of *ithar* whereas Section 4 highlights the bad consequences of not possessing this quality.

Key Word:

Ithar – ist'thar – tafsir mawdu'I – I'laj qur'ani – tatbiqat qur'aniyyah

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، وجعله دستورا للعالمين، وضمنه كل ما يسعد المرء في الدارين، فمن تمسك به فاز بحبل الله المتين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد جاء هذا البحث المتواضع بعنوان " خلق الإيثار في القرآن الكريم دراسة نظرية موضوعية" ليجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما هو الإيثار في المفهوم القرآني ومن المتصفون به؟ وما الفرق بينه وبين الإستئثار؟
- ماهي أنواع الإيثار في القرآن الكريم؟ وما فوائدها للأمم والأفراد؟
- ما موقف القرآن الكريم من الأمم السابقة من حيث الاتصاف بهذا الخلق من عدمه؟ وكيف أثر ذلك عليها؟

ويهدف البحث إلى:

١- إبراز معنى الإيثار في المفهوم القرآني وبيان المتصفين به بذكر أهم الآيات التي جاء ذكر الإيثار فيها.

٢- ذكر أنواع الإيثار في الآيات القرآنية مع ذكر فوائد ذلك والمقارنة ببعض النماذج المعاصرة التي تتشبه المذكور في السياق القرآني.

٣- الكشف عن موقف القرآن من الأمم السابقة وبيان أحوالها مع الإيثار أو الاستئثار.

أهمية البحث

تكمن أهمية الموضوع كون خلق الإيثار من القيم السامية التي دعا إليها القرآن فقد ذكر تطبيقات كثيرة على ذلك ومن خلال التفسير الموضوعي الذي يعد أحد الطرق المهمة التي تبرز القرآن الكريم ومفاهيمه وعلاجاته للناس عامة وللمجتمع المسلم خاصة يمكن إبراز تلكم القيمة الأخلاقية العظيمة، وعليه فإن صلة هذا الموضوع وثيقة بمحور **المؤتمر الأول القيم الأخلاقية في القرآن ودورها في رقي المجتمع.**

المناهج المتبعة في البحث:

سوف يتبع الباحثان المناهج الآتية:

١- المنهج الاستقرائي وذلك باستقراء جميع الآيات القرآنية التي وردت بلفظها.

٢- المنهج المقارن وذلك بالمقارنة بين الآيات نفسها التي وردت بلفظها، كما سوف تتم المقارنة بين آراء المفسرين المتقدمين والمعاصرين لبيان المعنى القرآني.

٣- المنهج التحليلي وذلك بتحليل بعض الألفاظ والآراء لبيان عمق معنى النص القرآني وديمومته.

مواضيع البحث (هيكل البحث):

تتكون خطة البحث من:

- المقدمة وفيها سيتم ذكر مشكلة البحث وأهدافه والمناهج المتبعة ....الخ.
- **المبحث الأول: معنى الإيثار والاستئثار في القرآن الكريم**
- المطلب الأول: تعريف الإيثار والاستئثار.
- المطلب الثاني: الفرق بين الإيثار، والاستئثار.
- **المبحث الثاني: بيان أنواع الإيثار.**
- المطلب الأول: إيثار الدنيا وما فيها على الآخرة.
- المطلب الثاني: إيثار الحياة الآخرة على الدنيا.
- **المبحث الثالث: ثمار الإيثار القرآني.**
- المطلب الأول: ثماره على الفرد.
- المطلب الثاني: ثماره على المجتمع وعلى الأمة الإسلامية.
- **المبحث الرابع: عواقب ترك الإيثار القرآني.**

- المطلب الاول: عواقبه على الأفراد.
- المطلب الثاني: عواقبه على المجتمع
- الخاتمة وفيها أهم النتائج
- التوصيات
- قائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول: معنى الإيثار والاستئثار في القرآن الكريم

تمهيد:

الإيثار خلق من الأخلاق القرآنية العظيمة، تتزكى به النفس وتطهر من أدران الدنيا، ومن أعظم الإيثار إيثار الآخرة على الدنيا، والسعي إلى رضى الله في كل قول وفعل في الحياة الاعتيادية، فإذا تحقق هذا الجانب في نفس المؤمن فسوف تترتب أسس الإيثار ترتيبها الصحيح الذي يريده الله، وعليه فما معنى الإيثار لغة واصطلاحا؟

المطلب الأول: تعريف الإيثار والاستئثار لغة، واصطلاحا

لغةً:

قال ابن فارس: الهمزة والثاء والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء، ومعنى هذا عند ابن فارس: أن الكريم الذي تؤثره بفضلك وصلتك، هو كريم عليك تصنع معه معروفا له أثره، ويبقى هذا الأثر في حياته مَعلما بارزا كما ترى في خف البعير الذي يسير في الأرض فيترك فيها أثرا، كما قال بخفه أو حافره[1]. وفي لسان العرب: آثره عليه أي: فضله ، وفي التنزيل: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]، آثره يؤثره إيثاراً : اختاره وفضله، وقال الأصمعي: أثرتك إيثاراً: أي فضلتك، وضد الإيثار: الأثرة و الاستئثار: الأنانية، ومنه حديث عمر: فو الله ما استأثر بها عليكم...[2]، وذكر السمين الحلبي: يستعار الأثر بضم الراء للفضل، والإيثار للتفضل إثارة...[3]، وذكر الفيروزآبادي: آثر بمعنى: اختار، أي اختار كذا بكذا: أتبعه إياه، واستأثر بالشيء:استبد بالشيء وخص به نفسه ... [4]، وقال الزبيدي: آثر: بمعنى اختار وفضل، واستأثر بالشيء أي استبد به وانفرد[5].

وجماع القول أن الإيثار مأخوذ من آثر يؤثر إيثاراً، وعكسه استأثر يستأثر استئثاراً.

وهو مأخوذ من التفضيل والتقديم، وآثر الشيء قدّمه وجعله ذا أثر.

معنى الإيثار في القرآن الكريم

قال الراغب الأصفهاني في معنى الإيثار في القرآن الكريم، المآثر: ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثرُ للفضل والإيثار للتفضل، ومنه آثرتُهُ، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، وفي الحديث: (سيكون بعدي أثرة)، والاستئثار التفرد بالشيء من دون غيره ...[٦]،

والخلاصة في معنى الإيثار أنه تفضيل وتقديم الآخرين على النفس في الإحسان، وأقواها ما كان صاحبه في حاجة إلى الشيء الذي يؤثر غيره به، قال تعالى في الأنصار من أهل المدينة ومعاملتهم للمهاجرين من مكة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

اصطلاحا:

الإيثار في الاصطلاح: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، رغبة في الحظوظ الدينيه، والأخروية[٧].

وواضح من التعريف أن الإيثار غالباً ما ينتج عن حسن الظن باللّه، والأمل بالتعويض الإلهي الدنيوي والأخروي، أو من أجل مرضاة اللّه والتقرّب إليه[٨].

من الألفاظ المقاربة للإيثار: الجود، والبذل، والسخاء والتفضيل، والتعاون، والعطف، ويقابل ذلك الاستئثار والأثرة أو الأنانية أو الاحتكار، وتعني التفرّد والاستبداد بالشيء، والاختصاص به دون الآخرين [٩].

نلاحظ مما سبق من معاني كلمة الإيثار في القرآن الكريم، أنه نوعان نوع فيه التفضيل والتكريم والحث، ونوع فيه التفرد والاحتكار؛ كإيثار الدنيا على الآخرة.

وقعت كلمة الإيثار بلفظها الصريح في القرآن الكريم خمس مرات، أربع منها مكية، وآية واحدة مدنية.

المطلب الثاني: الفرق بين الإيثار والأثرة.

الإيثار هو أن يقدم المسلم حاجة غيره من الناس على حاجته، برغم احتياجه لما يبذله، فقد يجوع ليشبع غيره ويعطش ليروي سواه، بل قد يموت في سبيل حياة الآخرين، وبهذا الشعور النبيل يجدد حقيقة إيمانه فيطهر نفسه من الأثرة والأنانية التي هي حب النفس وتفضيلها على غيرها وهي صفة ذميمة نهى عنها النبي-

ﷺ-، قال الراغب الأصفهاني في الفرق بين الإيثار والاستئثار: الإيثار للتفضل، واستئثار للتفرد بالشيء من غيره، ومنه قول النبي -ﷺ- :(...سيكون بعدي أَثَرة....)، أي استئثار لا إيثار[١٠].

والأثرة صفة من صِفات الكافر الفاسق الفاجر، فهو يؤثِرُ ذاتهُ على كلِّ نفس، فيبني حياتهُ على موت الناس، وغِناهُ على فقر هم، ومجدهُ على أنقاضهم، وأَمنهُ على خوفهم.

بينما المؤمن من خصائصهِ الكُبرى، وصِفاتهِ العُظمى وسِماتهِ الأساسية أنهُ يُؤثِرُ الآخرين على نفسه، وهذا ناتج من إيثاره آخرته على دنياه.

جماع القول أن هنالك صفتين، وسلوكين عامين، وحركتين ثابتتين، فإمّا أن يكونَ الإنسان من أهلِ الأثرة وإمّا أن يكونَ من أهل المؤاثرة[١١].

المبحث الثاني: بيان أنواع الإيثار.

توطئة:

الإنسان خليفة الله في الأرض، فضله الله – عزوجل – وكرمه على سائر المخلوقات، وأرسل له الرسالات السماوية لينور له طريق الهداية، ولكن الناس انقسموا إلى فريقين: فريق سلك طريق الهدى، وفريق سلك طريق الردى، فمن سلك طريق الهداية آثر الآخرة ورضى بالرحمن، ومن سلك طريق الغواية آثر الحياة الدنيا وهوى النفس واتبع طريق الباطل، فالإيثار بما يتضمن من معاني الخير، والاستئثار بما يتضمن من معاني الشر، فالناس من خلال الايثار أوالاستئثار أنواع كما نلاحظ من خلال آيات القرآن الكريم.

المطلب الأول: إيثار الحياة الدنيا على الآخرة.

من أعظم أنواع الإيثار؛ لأنه متعلق بعقيدة الإنسان ورسوخه فيها ، لذا كثر ذكره في القرآن المكي أكثر من المدني، لتصفية العقائد، وتوجيهها إلى الطريق الصحيح، وهذا النوع هو من إيثار الكفار والمشركين، وأهل الكتاب الذين ضلوا، كما يدخل فيه صنف من المسلمين الذين غفلوا عن الآخرة واتبعوا شهوات الدنيا واستهانوا بالكبائر، والمنافقون الذين ابطنوا الكفر والفسق وظهروا بمظهر الإيمان. يقول الله – عزوجل- ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى(٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩]،أي : تجاوز الحد في العصيان ،وتجرأ على الكبائر، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة ، فصار سعيه لها ووقته مستغرقا في حظوظها وشهواتها ، ونسي الآخرة وترك العمل بها، فمن كان هذا حاله فمقره ومسكنه الجحيم. وعكسهم تماما من آثر الآخرة وسعى لها سعيها وجاهد هواه ونفسه لمرضاة الله فمأواه الجنة[١٢].

يقول الله تعالى في موضع آخر :{﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا١٨وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا١٩﴾ [الإسراء: ١٨-١٩]، يخبر تعالى أنه ليس كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له ، بل إنما يحصل ذلك لمن أراد الله له ذلك في الأزل "لمن نريد" فهذه الآية مقيدة لإطلاق ما سواها من الآيات فإنه قال: عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها (أي: في الآخرة) يصلاها أي: يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه ، مذموما أي : في حال كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه؛ إذ اختار الفاني على الباقي، مدحورا: مبعدا مقصيا حقيرا ذليلا مهانا، وقوله : ومن أراد الآخرة ،أي : أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور، وسعى لها سعيها أي : طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ، وهو مؤمن ، أي : وقلبه مؤمن ، أي : مصدق بالثواب والجزاء ، فأولئك كان سعيهم مشكورا [١٣].

يقول الله – تعالى في موضع ثالث –: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ٢٠٠وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ٢٠١أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ٢٠٢وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٣] يقول السيد قطب: إن هناك فريقين فريق همه الدنيا، فهو حريص عليها، مشغول بها، وقد كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف في الحج فيقولون: اللهم اجعله عام غيث وعام خصب ولادٍ حسن، لا يذكرون من الآخرة شيئا، وورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن الآية نزلت في هذا الفريق من الناس، ولكن مدلول الآية أعم وأدوم، فهذا النموذج من الناس يتكرر في الأجيال والبقاع، النموذج الذي همه الدنيا وحدها يذكرها حتى حين يتوجه إلى الدعاء؛ لأنها هي تشغله، وتملأ فراغ نفسه، وتحيط عالمه وتغلقه عليه، وهؤلاء قد يعطيهم الله في الدنيا، إذا قدر لهم العطاء، ولا نصيب لهم في الآخرة على الإطلاق، وفريق أفسح أفقا، وأكبر نفسا، لأنه موصول بالله، يريد الحسنة في الدنيا، ولكنه لا ينسى نصيبه من الآخرة[١٤].

ذم الله – عزوجل – هذا الصنف ملفتا موبخا لهم، في قوله سبحانه: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]، أي: بل تفضلون أيها الناس هذه الحياة الفانية على الآخرة الباقية، فتشتغلون لها، وتنسون الآخرة، والآخرة خير من الدنيا وأبقى، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية، والباقي خير من الفاني، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى! قرأ ابن مسعود هذه الآية فقال لأصحابه: أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قالوا: لا، قال: لأن الدنيا أحضرت وعجلت لنا بطعامها، وشرابها، ونسائها، ولذاتها، وبهجتها، وإن الآخرة غيبت وزويت عنا، فأحببنا العاجل وتركنا الآجل ...[١٥].

بينت لنا الآيات السابقة –بجلاء– سنة الله في بيان شؤون العباد موضحة لهم طريق الهداية، ومستنكرة وذامة طريق الغواية، وما يترتب عليها من النتائج، كما أوضحت الآيات مصير من يحب الدنيا ويسعى لها ويغفل عن آخرته، وكذا مصير من يسعى لآخرته في كل قول وعمل وفعل، فيعيش في الدنيا ويستمتع بنعم الله في حدود شرع الله، ويتلذذ بحلاوة الإيمان سعيا إلى رضى الرحمن، فالناس إما فريق لاه غافل كافر ومشرك ، أو فريق مؤمن خائف راج عفو ربه، أو فريق بين بين، فإذا وجد في وسط الفتن غرته الدنيا وأخذته، وإذا أصابته نعماء سر وفرح وغفل وتاه وسط دنياه، فهذا النفاق بعينه.

يتضمن إيثار الدنيا على الآخرة إيثار الباطل على الحق، وهما متقاربان جدا، ففي قصص تاريخ الإنسانية منذ خلق الإنسان إلى يومنا هذا صراع دائم بين الحق والباطل، في أحداث ومواقف شتى، وكم من الضحايا الذين خسروا أنفسهم وأرواحهم، وتشتتوا وضاعوا وشردوا، وخلفوا دمارا، وذلك بسبب تقديم الباطل على الحق.

وجماع القول أن هذا النوع (إيثار الدنيا على الآخرة) تندرج تحته صور عدة من أهمها وأجلاها من خلال الآيات السابقة ومثيلاتها ما يلي:

- إيثار مبدأ على مبدأ، ومذهب على مذهب، وفكرة على فكرة، وذلك باتباع الهوى والتعنت والتعصب بعيدا عن الموضوعية.
- إيثار المال والولد والنفس على الوالدين، والتقصير في برهما.
- إيثار النفس والمصالح الشخصية والقبلية والمعارف، واتباعهم في الباطل.
- إيثار الدنيا وفتنها وهجر العبادات، وخصوصا القرآن الكريم والصلاة.

المطلب الثاني: إيثار الآخرة على الدنيا.

إن الدين الصحيح، والمبدأ القويم، والفكرة الرشيدة، والحق الواضح له جاذبية تشد الذين حباهم الله بقوة الروح، وهداهم إلى طريق الصواب، فأصبحوا من المؤثرين للحق، المدافعين عنه، والذين يعادون الباطل، ويصمدون في دحره، مهما صادفتهم العقبات، أو أحاطت بهم المتاعب والمشقات، وما ذلك إلا لأنهم عرفوا الله تعالى، ووثقوا في عدله، وتشوقوا لفضله، وهكذا أصحاب الهمم العالية، والنفوس القوية، والضمائر الحية، والعقائد السليمة، والإيمان الراسخ مهما تزينت لهم الدنيا، أو زينها لهم أتباع الباطل، لا يحيدون عن إيثار الحق وتفضيله، والدفاع عنه، والالتزام به ومناصرة أصحابه ، ذلك لأنهم عرفوا الحق، وهدوا إلى أتباعه، ولم تصرفهم عنه دنيا، ولم تغلبهم من أجله الشهوات.

وهذا النوع من الإيثار هو الذى حث عليه ديننا ، وورد ذكره في القرآن الكريم؛ لأهميته وضرورة التنبه له، والتركيز عليه، والدعوة إليه؛ ولهذا فقد اهتم به الإسلام منذ بداية الدعوة، وألقى القرآن الكريم الأضواء الكاشفة عليه، وتعهده النبي –ﷺ– توضيحاً وتنفيذاً وتطبيقاً في المجتمع الإسلامي . فهؤلاء هم المسلمون الأنصار بالمدينة : يفتحون بيوتهم، ويفسحون صدورهم ويقتسمون أموالهم، ويفعلون ما لم يسمع به التاريخ من قبل من صنوف الإيثار، وروائع ألوانه، مع إخوانهم الذين هاجروا إليهم مع رسول الله – ﷺ–، وذلك عن : رضى، وطيب خاطر، وسماحة نفس، بل عن سعادة بما يفعلون، ورغبة صادقة في أن يكونوا – عند الله – من المفلحين، وقد سجل القرآن الكريم لهم هذا الموقف في كلام خالد يتلى ويتعبد به إلى يوم الدين، إذ يقول – تعالى– : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].{والَّذِينَ تَبَوَّءُ الدَّارَ }أي توطنوا الدار أو هيأوها للمهاجرين وهي المدينة.{ وَالإِيمَانَ } عطف على الدار لتضمن التبوؤ التمكن واللزوم أي لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وإلا فالإيمان لا يتوطن.

إنهم هيأوا الايمان قبل الهجرة؛ لأنهم بايعوا الرسول قبلها وقيل المراد تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان، وقد قيل إنهم بنوا المساجد قبل الهجرة بسنتين.

{وَيُؤْثِرُونَ} يختارون المهاجرين وكونهم أشد منهم أثرا أي شدة وفقرا {عَلَى أَنفُسِهِمْ} بالمال وغيره حتى انه ينزل الواحد عن زوجة من زوجتيه أو ازواجه فيتزوجها المهاجر. {وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} محتاج الى ما يؤثرونهم به. وروي انه أهدي رأس شاة لأنصاري فقال: إن أخي فلان يعني المهاجر وعياله أحوج مني فبعث اليه به فبعثها هو لآخر حتى تداولت سبعة بيوت ورجعت إلى الأول فنزلت الآية.

جاء رجل الى رسول الله –ﷺ– فقال له إني مجهود فأرسل الى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء، فاقبل به الى كل واحدة فقلن كذلك، فقال: من يضيفه يرحمه الله فقال ابو طلحة الانصاري: أنا يا رسول الله فانطلق به فقال: لامرأته أعندك شيء فقالت: لا إلا قوت صبياني قال فعليلهم بشيء أي إلههم ونوميهم، فإذا دخل ضيفنا فتريه إنا نأكل فإذا هوى بيده ليأكل فقومي الى السراج كي تصليحه فاطفئيه ففعلت، وأكل الضيف وبتنا جائعين ولما أصبح غدا الى رسول الله – ﷺ – فقال له: لقد عجب الله من فعلكما البارحة أي عظّمه[١٦].

هذا إذا هو الإيثار الذي يريد أن يرسخه القرآن الكريم في نفوس المسلمين جميعا، بدأً من حياة النبي –ﷺ– التي كان حياته كلها أنموذجا تطبيقيا في واقع الحياة للإيثار والكرم والسخاء.

ومما يقدمه القرآن الكريم هذا المثل الواضح الجلي: من إيثار الآخرين على النفس عن طيب خاطر؛ لتغلغل الإيمان في نفوس هؤلاء المؤثرين لغيرهم على أنفسهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا٥عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا٦يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا٧وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا٨إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٥-٩]

يصور لنا القرآن الكريم صورة وضيئة شفافة لقلوب مخلصة جادة عازمة على الوفاء لله بتكاليف العقيدة، مع رحمة ندية بعباده الضعاف، وإيثار على النفس، وخشية لله، ورغبة في رضاه، وإشفاق من عذابه تبعثه التقوى والجد في تصور الواجب الثقيل[١٧].

من أهم تطبيقات الإيثار في القصص القرآنية ما جاء في قصة سيدنا يوسف مع إخوته: يقول تعالى : ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ٩٠ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٠-٩٢]{وآثرك الله علينا} أي : خصك بشيء فوق ما خص به الآخرين ، وهو لم يؤثرك بظلم لغيرك ،ولكنك كنت تستحق ما آثرك الله به من الملك وعلو الشأن والمكانة[١٨]

كذلك قصة أتباع موسى كما ذكر القرآن الكريم في سورة طه حيث سطر لنا التاريخ الإنساني أقوى موقف لإيثار الآخرة على الدنيا وما فيها من جهاد النفس والصمود أمام جبروت فرعون ، قال تعالى : {قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى} سورة طه (٧٣) ، قال ابن عاشور " : أَظْهَرُوا اسْتِخْفَافَهُمْ بِوَعِيدِهِ وَبِتَعْذِيبِهِ، إِذْ أَصْبَحُوا أَهْلَ إِيمَانٍ وَيَقِينٍ، وَكَذَلِكَ شَأْنُ الْمُؤْمِنِينَ بالرسل إِذا أشرقت عَلَيْهِمْ أَنْوَارُ الرِّسَالَةِ فَسُرْعَانَ مَا يَكُونُ انْقِلَابُهُمْ عَنْ جَهَالَةِ الْكُفْرِ وَقَسَاوَتِهِ إِلَى حِكْمَةِ الْإِيمَانِ وَثَبَاتِهِ. وَلَنَا فِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ صِدْقٍ.

وَالْإِيثَارُ: التَّفْضِيلُ. وَتَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنا فِي سُورَةِ يُوسُفَ، وَالتَّفْضِيلُ بَيْنَ فِرْعَوْنَ وَمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ مُقْتَضٍ حَذْفَ مُضَافٍ يُنَاسِبُ الْمُقَابَلَةَ بِالْبَيِّنَاتِ، أَيْ لَنْ نُؤْثِرَ طَاعَتَكَ أَوْ دِينَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِذَلِكَ يَلْتَئِمُ عَطْفُ وَالَّذِي فَطَرَنا، أَيْ لَا نُؤْثِرُكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ عَلَى الَّذِي فَطَرَنَا[١٩].

هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره، ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في

جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية!

وجماع القول أن هذا النوع من الإيثار (إيثار الآخرة على الدنيا) إنما بدأ ترسيخه بالقرآن المكي من خلال ذكر نماذج سابقة من قصص الأنبياء السابقين خاصة قصة يوسف عليه السلام وقصة سحرة فرعون ثم بدأ تطبيق ذلك واقعا عمليا بحادثة الهجرة النبوية وما تلاها من تطبيقات رائعة فهنالك حث ومدح وثناء لإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآخر على النفس؛ لأنه يعبر عن خلق عظيم ينشر الخير في الأمة الإسلامية بل بين جميع الأمم إذا تخلقوا به.

المبحث الثالث: ثمار الإيثار القرآني.

- **المطلب الأول: ثماره على الفرد.**

إن ثمار الايثار عظيمة على الفرد، إذا صلح في المجتمع فسيؤثر على أفراد آخرين فينهجون جميعا الطريق الرباني الصحيح. وخير مثال تطبيقي هو ما فعله رسول الله –ﷺ– مع أصحابه حين رباهم على خلق الايثار بأخلاقه القرآنية وسلوكه، والشاهد في ذلك مواقف شتى من سيرته – ﷺ – فنتج من ذلك نتائج عظيمة النفع عم خيرها كثيرا من الأفراد والمجتمعات الإسلامية إلى يومنا هذا فكان من أهمها ما يلي:

- انتشار الإيثار في المجتمع الإسلامي بالكامل، وأصبح خُلُقًا سائدًا بين الناس، فلم ترَ نزاعًا أبدًا بين هؤلاء الأكابر، برغم الأموال الطائلة والمناصب، عاشوا بزهد وورع، ففازوا برضى الرحمن.
- خلق الإيثار جعل أصلا لحل كثير من المشكلات الاقتصادية، وهو يعتبر حلا سريعا لا ينتظر أصحاب الأموال الخارجية، حتى يتفضلوا بالمن على أصحاب المشكلة، ولا أصحاب النفوذ، حتى يتحكموا في سياسية الدولة صاحبة المشكلة؛ وإنما هو حل يأتي من أصحاب المشكلة أنفسهم، فهم أعلم بمواطن الضعف والقوة عندهم، وهم أعلم بما يسد حاجاتهم، فالذي يستطيع أن يستغني فليستغن، والذي يستطيع أن يعف نفسه فليعفها، والذي يستطيع أن ينتظر فلينتظر، والذي يستطيع أن يُعطي بسخاء فليعط، والذي يستطيع ألا يأخذ فلا يأخذ، وهكذا[٢٠].
- إن الفرد يفوز برضى الرحمن في الدارين، فيعيش براحة واستقرار وهناء في الدنيا قبل الآخرة.

المطلب الثاني: ثماره على المجتمع وعلى الأمة الإسلامية.

خلق الإيثار ينتج أمة شامخة قوية راسخة، واثقة بنفسها لا تخشى شيئا، وهمها رضى الرحمن، ساعية إلى طريق الخير والمجد دوما، ومن ثماره على المجتمع وعلى الأمة الإسلامية:

- الإيثار يؤدي إلى المحبة والتصافي بين أفراد المجتمع، وينشر التعاون والتسامح والخير بين الناس.
- يقضي على الأنانية والاستئثار، والشح، والحقد، وكل الخصال الذميمة الناتجة من الاستئثار.
- الإيثار يؤدي إلى سلامة الصدور، وتصفيتها من الران والبغض والغل، وترسيخ المحبة الصادقة وحسن الظن بين الناس.
- طريق يؤدي، إلى رضى الرحمن والثواب الجزيل في الدارين.
- الإيثَار طريق إلى محبَّة الله تبارك وتعالى.
- ومِن أعظم الثِّمار والفوائد: أنَّ التَّحلِّي بخُلُق الإيثَار فيه اقتداءٌ بالحبيب محمَّد صلى الله عليه وسلم.
- أنَّ المؤْثر يجني ثمار إيثاره في الدُّنْيا قبل الآخرة وذلك بمحبَّة النَّاس له وثنائهم عليه، كما أنَّه يجني ثمار إيثاره بعد موته بحسن السيرة وجمال الذِّكر، فيكون بذلك قد أضاف عمرًا إلى عمره.
- الإيثَار يقود المرء إلى غيره مِن الأخلاق الحسنة والخِلال الحميدة كالرَّحمة وحبِّ الآخرين والسَّعي لنفع النَّاس، كما أنَّه يقوده إلى تَرك جملةٍ مِن الأخلاق السَّيِّئة والخِلال الذَّميمة كالبخل وحبِّ النَّفس والأَثَـــــــرَة والطَّمع وغير ذلك.
- جالبٌ للبركة في الطَّعام والمال والممتلكات.
- وجود الإيثَار في المجتمع دليلٌ على وجود حس التَّعاون والتَّكافل والمودَّة، وفقده مِن المجتمع دليلٌ على خلوِّه مِن هذه الركائز المهمَّة في بناء مجتمعات مؤمنة قويَّة ومتكاتفة.
- بالإيثَار تحصل الكفاية الاقتصاديَّة والماديَّة في المجتمع، فطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثَّلاثة، والبيت الكبير الذي تستأثر به أسرة واحدة مع سعته يكفي أكثر مِن أسرة ليس لها بيوت تؤويها وهكذا...[٢١].

المبحث الرابع: عواقب ترك الإيثار القرآني.

المطلب الاول: عواقبه على الأفراد

هناك أضرار وآثار تترتب على الفرد والمجتمع في حالة ترك صفة الإيثار، ومن الأضرار والآثار الناتجة على الأفراد حب النفس والأنانية والبغض والحسد، ومن هذه الخلال السيئة تنتج مجموعة عادات سيئة وأخلاق ذميمة، منها:

- فساد الأخلاق، وشيوع الرذائل وضعف الإنتاج، وسيادة التبعية، وتغلب الدونية، بما لا يمكن من نشر فضائل الأخلاق.
- فساد في العقيدة، حيث يحمل الشخص عقيدة ملوثة بأخلاقيات سيئة، فيفضل دنياه على أخراه، ويعيش في الدنيا بغفلة وأمل وتسويف.
- انتشار الظلم بين الناس، بالأخص الأنانية فالغني يستأثر بماله ويظن به فيظلم الفقير، ثم تسوء العلاقات، وينتشر الحقد والحسد والرذيلة.
- التخلف والرجعية، وأفراد منغلقون على أنفسهم، فيؤدي ذلك إلى التراجع الحضاري والفكري، والغزو الفكري.
- انتشار القتل والحرب سواء بين الأفراد أو المجتمعات أو الدول، سعيا للمصلحة الخاصة.
- ضعف الإيمان واليقين، فكما أن الإيمان القوي يدفع صاحبه للبذل والعطاء والإيثار، فإن ضعفه يكون سبباً في الأثرة والشح، وحب النفس، وتملك الأثرة على القلب.
- قسوة القلب وجموده، فمن رق قلبه، ولانت طباعه سهل عليه أمر الإيثار.
- والأمثلة من الآيات على وعيد الله –عزوجل–للذين يؤثرون الحياة الدنيا على الأخرة بالهلاك والخسران ما يلي:

قوله – تعالى–: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨–١٩]، وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى،وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: ٣٧–٣٨] وقوله –تعالى– في بيان عاقبة تفضيل وإيثار الدنيا على الآخرة:

- {من كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} سورة هود (١٥–١٦).

- قصة سيدنا نوح مع ابنه، قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِين} سورة هود (٤٥-٤٧)
- قصص أقوام الأنبياء، صدوا عن الحق وواجهوا الرسالات السماوية بالعناد والكبر وآثروا الدنيا وفتنها فعاقبهم الله في الدنيا والآخرة من مثل قوله تعالى:
- {من كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ،ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ،أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ،لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُون } سورة النحل ١٠٦-١٠٨.

المطلب الثاني: عواقبه على المجتمع.

إذا فسد الأفراد في المجتمع فسد المجتمع، فالأفراد هم الذين يقيمون المجتمعات ويرفعونها أو يتسببون في تراجعها وسقوطها، ومما استفدنا من قصص الانبياء مع أقوامهم الذين عاندوا ورفضوا الرسالات السماوية وآثروا الدنيا على الآخرة أن الله أخذهم فكانوا نكال الآخرة والأولى.

من أهم عواقب ترك الإيثار القرآني على المجتمع:

- مجتمع ضعيف متفكك يعاني من التراجع الديني، والاقتصادي، والسياسي والاجتماعي ... ألخ
- تكثر فيه السرقة بسبب الشح والبخل.
- فقدان الأمن والاستقرار والهدوء النفسي انتشار أمراض القلق والتوتر، لشدة حرص النفس على الدنيا وما فيها.
- غياب الوازع الديني، وسيطرة الغزو الفكري والحضارات الأخرى على المجتمع لتخلفه، وسعيه وراء حطام الدنيا.
- عدم التوازن في العيش وانتشار الأمراض الجسدية والنفسية والروحية من الاضطراب، والاكتئاب، وذلك بسبب عدم وجود التوازن بين متطلبات الروح والجسد.

مشروع الحل لمشكلة الإيثار

الدواء المفيد لهذا المرض الروحي النفسي الاجتماعي أن يمتلك الإنسان ثقافة الإيثار، ويعيش مع المؤثرين، ويتدرب على تذوق حلاوته، واكتشاف سرّ عظمته، ومدى رضا اللّه فيه، فيقرر بكل شجاعة أن يقتحم عقبات الذات وعقدها ويمزق شرنقة الأنانية في داخل نفسه ليجعل أشعة شمس الهداية ونور الإيمان والثقة بالله تنير داخله الروحي المظلم، كما قال تعالى:

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ١١وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ١٢فَكُّ رَقَبَةٍ١٣أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ١٤يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ١٥أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ١٧أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١١-١٨].

قال سيد قطب: "هذه هي العقبة التي يقتحمها الإنسان إلا من استعان بالإيمان هذه هي العقبة التي تقف بينه وبين الجنة. لو تخطاها لوصل! وتصويرها كذلك حافز قوي، واستجاشة للقلب البشري، وتحريك له ليقتحم العقبة وقد وضحت ووضح معها أنها الحائل بينه وبين هذا المكسب الضخم: {فلا اقتحم العقبة}، ففيه تحضيض ودفع وترغيب! ثم تفخيم لهذا الشأن وتعظيم: {وما أدراك ما العقبة}، وإنه ليس تضخيم العقبة، ولكنه تعظيم شأنها عند الله، ليحفز به (الإنسان) إلى اقتحامها وتخطيها؛ مهما تتطلب من جهد ومن كبد، فالكبد واقع واقع. وحين يبذل لاقتحام العقبة يؤتي ثمره ويعوض المقتحم عما يكابده، ولا يذهب ضياعاً وهو واقع واقع على كل حال!

ويبدأ كشف العقبة وبيان طبيعتها بالأمر الذي كانت البيئة الخاصة التي تواجهها الدعوة في أمسّ الحاجة إليه: فك الرقاب العانية؛ وإطعام الطعام والحاجة إليه ماسة للضعاف الذين تقسو عليهم البيئة الجاحدة المتكالبة، وينتهي بالأمر الذي لا يتعلق ببيئة خاصة ولا بزمان خاص، والذي تواجهه النفوس جميعاً، وهي تتخطى العقبة إلى النجاة: {ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة}[٢٢].

ومن الوسائل المعينة كذلك ما قاله ابن ابن القيم:" فإن قيل فما الذي يسهل على النفس هذا الإيثار فإن النفس مجبولة على الأثرة لا على الإيثار قيل يسهله أمور:

- أحدها: رغبة العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها فإن من أفضل أخلاق الرجل وأشرفها وأعلاها الإيثار وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته كما جبلها على بغض المستأثر ومقته لا تبديل لخلق الله.
- الثاني: النفرة من أخلاق اللئام ومقت الشح وكراهته له.

- الثالث: تعظيم الحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى للمسلمين بعضهم على بعض فهو يرعاها حق رعايتها ويخاف من تضييعها ، ويعلم أنه إن لم يبذل فوق العدل لم يمكنه الوقوف مع حده فإن ذلك عسر جدا بل لا بد من مجاوزته إلى الفضل أو التقصير عنه إلى الظلم فهو لخوفه من تضييع الحق والدخول في الظلم يختار الإيثار بما لا ينقصه ولا يضره ، ويكتسب به جميل الذكر في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة مع ما يجلبه له الإيثار من البركة وفيضان الخير عليه فيعود عليه من إيثاره أفضل مما بذله ومن جرب هذا عرفه ومن لم يجربه فليستقرأ أحوال العالم والموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى[٢٣]".

وجماع القول أن الإيثار خلق عظيم يبدا من الإيمان بالله وحب ما عنده إلى أن يصل إلى تطبيقات عملية ملموسة في مختلف ميادين الحياة العملية والعلمية قولا وفعلا وممارسة سلوكية.

الخاتمة

بعد تطواف مع كتاب الله وتفاسيره في موضوع الإيثار يمكن أخذ أهم النتائج الآتية:

- الإيثار هو التفضيل والتقديم، سواء تفضيل الدنيا على الآخرة أو العكس، أو تفضيل أحد على النفس أو العكس، والاستئثار معناه الأنانية وحب النفس.
- وردت كلمة الإيثار بلفظها الصريح في القرآن الكريم خمس مرات، أربع منها مكية، وآية واحدة مدنية.
- هنالك صفتان، وسلوكان عامان، وحركتان ثابتتان، فإمّا أن يكونَ الإنسان من أهلِ الأثرة وإمّا أن يكونَ من أهل المؤاثرة.
- العقيدة الصحيحة والبناء العقدي الراسخ في العقل والقلب والروح، يؤدي إلى تطبيق أخلاق القرآن في الواقع فطريا، فيؤثر الإنسان الحق والآخرة ولآخرين على نفسه فيسلك طريق الهداية والخير، والعكس حاصل مع ضدها.
- في القرآن الكريم تطبيقات رائعة لمفهوم الإيثار في الواقع العملي الحركي من خلال قصص الأنبياء، وكذا الحال من خلال من نزل فيهم القرآن من خيرة صحابة رسول الله ،كمثل ما مدح الله –عزوجل– الأنصار الذين آثروا على أنفسهم إخوانهم من المهاجرين، فكانوا مثلا رائعا يفتخر به التأريخ إلى يومنا هذا.

- ثمار الإيثار عظيمة الخير والنفع على الفرد والمجتمع والدولة.
- عواقب ترك الإيثار عواقب مؤلمة وسيئة في الوقت نفسه على الفرد والمجتمع.
- كثرت في القرآن الكريم التطبيقات الكثيرة لمصطلح الإيثار وضده أكثر من اللفظة الصريحة نفسها ليدلل من خلال ذلك على أهمية العمل والتطبيق لا على التنظير والحديث العابر المجرد.
- العمل الخير من خلال تطبيق الإيثار واجتناب الاستئثار هو ما يؤدي بالنهوض بالفرد والمجتمع والأمة.

التوصية

بناء على ما توصلنا إليه من نتائج يمكن لنا أن نوصي الباحثين والأكاديميين بأن تكون هنالك دراسات معمقة تعتمد المنهج الاستقرائي التام لبحث التطبيقات القرآنية في القصة القرآنية لمصطلح الإيثار.

قائمة المصادر والمراجع

١. اطفيش، محمد بن يوسف بن محمد، **هميان الزاد، ليوم المعاد**، نسخة مصنفة ومدققة من موقع التفاسير.

٢. الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (بيروت: مكتبة صيدا، د.ط، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م).

٣. رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير المنار**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م).

٤. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين (الكويت: دار الهداية، د.ط، د.ت).

٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت: د.ط،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

٦. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار المكتب العلمية، ط١، ١٤١٧-١٩٩٦م).

٧. سيد قطب، إبراهيم بن حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط٢٢، ١٩٩٤م).

٨. الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت).

٩. الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).

١٠. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ط،١٩٩٧م).

١١. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠ه/١٩٩٩م).

١٢. الفيروزآبادي، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦-٢٠٠٥م).

١٣. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).

١٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الطيبة ١٣٢٢-٢٠٠٢).

١٥. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: د. مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

١٦. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ه).

١٧. مناهج جامعة المدينة العالمية، التفسير الموضوعي، نسخة الإلكترونية في المكتبة الشاملة.

المواقع الالكترونية:

- موقع النابلسي للتفسير.

alhudagroup-tr.com

- المرجع موقع الدرر السنية (بتصرف) https://www.dorar.net/akhlaq
- موقع إسلام ويب www.islamweb.net
- موقع الألوكة www.alukah.net

الهوامش:

[1] أبو الحسين أحمد بن زكريا، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠ه/١٩٩٩م)، ج١، ص ٥٣

[2] محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ه)، مادة أثر، ج ٢، ص ٢٦.

[3] أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار المكتب العلمية، ط١، ١٤١٧-١٩٩٦م)، ج١، ص٥٩-٦٠(بتصرف).

[4] مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦-٢٠٠٥م)، ج١، ص٣٤٢.

[5] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين (الكويت: دار الهداية، د.ط، د.ت)، ج١٠، ص٢١-٢٢.

[6] الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (بيروت: مكتبة صيدا، د.ط، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م)، ص١٦ -١٧

[7] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، ج١٨، ص٢٦.

[8] انظر: موقع إسلام ويب، موضوع: الإيثار (بتصرف)
www.islamweb.net

[9] المصدر نفسه.

[10] الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص١٦ -١٧، بتصرف.

[11] انظر موقع موسوعة النابلسي، في تفسير القرآن الكريم، بتصرف.
رابط الموقع:https://alhudagroup-tr.com

[12] عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: ابن عثيمين، (بيروت: د.ط،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص ٨٧٠.

[13] إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الطيبة ١٣٢٢-٢٠٠٢)، ج٥، ص٦٣.

[14] إبراهيم بن حسين الشاذلي، المعروف (بسيد قطب)، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط٢٢، ١٩٩٤م)، ج١، ص٢٠١.

[15] محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، ج ٣، ص ١٤٨٩.

[١٦] محمد بن يوسف بن محمد اطفيش، **هميان الزاد، ليوم المعاد**، نسخة مصنفة ومدققة من موقع التفاسير، ج١٤، ص٧١ (بتصرف).

[١٧] سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع نفسه، ج٧، ص ٤١٥.

[١٨] محمد متولي الشعراوي، **تفسير الشعراوي**، (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، د.ت)، ج١١، ص٦٨٩٥.

[١٩] ابن عاشور، التحرير والتنوير، المرجع نفسه، م١٦، ص٢٦٦.

[٢٠] انظر: موقع الألوكة، الموضوع: خلق الإيثار والمشاهد الواقعية(بتصرف).
www.alukah.net

[٢١] المرجع موقع الدرر السنية (بتصرف) https://www.dorar.net/akhlaq

[٢٢] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٨، ص٤٢-٤٣

[٢٣] المرجع موقع الدرر السنية (بتصرف) https://www.dorar.net/akhlaq

أثر الإيمان في القيم الأخلاقية

د. السعدي كحلول
جامعة وهران ٠١، الجزائر
Saadi.kahloul@gmail.com

مقدمة:

تحتل القيم الأخلاقية دورا هاما في توجيه سلوك الفرد والجماعة، فهي تقوده إلى إصدار الأحكام على الممارسات العملية التي يقوم بها، وهي الأساس السليم لبناء تربوي متميز، كما أنها تسهم في تشكيل الكيان النفسي للفرد.

كما تُعد القيم إحدى الركائز الإسلامية لضمان فعالية النشاط الإنساني؛ حيث تعمل على أن تكون المسؤولية بين الفرد والمجتمع تبادلية تضامنية متوازنة، تحفظ للجماعة مصلحتها وقوة تماسكها، وللفرد تماسُكه وحريته، وفي ضوء القيم الإسلامية يعيش الفرد في إطار نفسي فكري، يستمد منه دائمًا أنماطًا سلوكية سليمة.

فالقيم والأخلاقيات الحميدة ضرورة اجتماعية وهي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات، فهي تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات، وتحفَظ للمجتمع تماسكه، وتحدِّد أهدافه ومُثُلَه العليا ومبادئه الثابتة لممارسة حياة اجتماعية سليمة، كما تعطي الأفراد إمكانية تحقيق ما هو مطلوب منهم في إطار الرسالة الإسلامية.

ومدارك الأخلاق فكرية علمية، وفطرية وجدانية، وإيمانية؛ تدعو إلى الأخذ بها القاعدة الإيمانية في الإسلام؛ فهي التي تدفع المؤمنين بها إلى أن يتحلوا بالفضائل الخلقية، وأن يتخلوا عن الرذائل الخلقية، وأن يلتزموا في حياتهم كل سلوك خلقي تدعو إليه مكارم الأخلاق، وتَعِد على ذلك بالظفر برضوان الله واغتنام الأجر العظيم عنده، وتحذّر من مغبّة ممارسة الرذائل الخلقية المحضورة، وممارسة ظواهرها في السلوك، وتنذر بسخط الله وبالعقاب الأليم عنده، وكما رتّبت على الإلزام الأخلاقي هذا الجزاء الأخروي، فإنها أيضا ربطته بتحقق المصالح الدنيوية للفرد والجماعة.

والقيم الأخلاقية هي روح الإسلام؛ فقد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي لتحقيق غاية أخلاقية، ونظامه التشريعي هو صورة مجسّمة لهذه الروح الأخلاقية، ذلك أن الظاهرة الأخلاقية سلوك إنساني ناشئ عن

غرائز وانفعالات وإرادات داخلية يرتبط أثرها بالمجتمع ويقوم عليها نظام سلوكي اجتماعي واقتصادي يضبط سير المجتمع، ومن ثمّ قسّم الباحثون الأخلاق عدة تقسيمات بمختلف الاعتبارات تندرج في هذا المعنى، فهي باعتبار متعلّقها تنقسم إلى أخلاق مع الله ومع الناس ومع النفس ومع سائر المخلوقات، وهذه ترتبط بها حقوق وأحكام، وعلى هذا فلا دين بلا أخلاق ولا أخلاق بلا دين، وفي الحديث النبوي:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

فالنظرية الأخلاقية في الإسلام تمثّل التصوّر الإسلامي عن علاقة الإنسان بالله وبالوجود، وتجيب عن أسس سلوك الإنسان ومعاييره.

ومصدر الإلزام الأخلاقي في الإسلام هو الإيمان بالله ربا وبمحمد نبيا ووجوب طاعتهما بما جاء من أوامر ونواهي وإرشادات في الكتاب والسنة، وتحقيق مقاصد الشارع فيها، والذي غايته من التكاليف سعادة الدارين. هذا الإلزام الأخلاقي الإيماني يترتب عليه المسؤولية الأخلاقية فردية كانت أو اجتماعية؛ والتي بدورها يترتب عليها الجزاء الأخلاقي عاجلا كان أو آجلا، هذه الأركان الثلاثة هي المركبة للنظرية الأخلاقية في المنظور الإسلامي.

وقد زاحم هذه النظرة الإسلامية للقيم الأخلاقية نظريات فكرية وفلسفية أخرى في مفهوم الأخلاق ومصدرها وغايتها.

فمن قائل أن مصدر الإلزام الأخلاقي هو الجماعة، ومن قائل أنه العقل، ومن قائل أنه الدين، ومن قائل أنه الوجدان أو الحاسة الخلقية، ومن قائل أنه دافع المنفعة، ومن قائل أنه قوة الضغط الاجتماعي وقوة الجذب الإنسانية المستمدة من العون الإلهي.

ويذهب فريق من الماديّين إلى نسبية الأخلاق وعدم ثباتها، وأنه ليس لها مقاييس ولا حقائق مطلقة ثابتة، بل تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، فهي مفاهيم اعتبارية تتواضع عليها الأمم والشعوب، وهو رأي يؤدي إلى تمرد الأجيال على جميع الضوابط الأخلاقية التي تمثّل في الأمم قوى ترابطها وتماسكها، وعناصر ارتقائها الإنساني.

وأما من جهة الغائية؛ فمنهم من يرى أن الفضيلة الخلقية ينبغي أن تكون مجردة عن المصلحة الذاتية، وكل مصلحة لا يقصد بها الخير لأجل الخير تعتبر عنده قدحا في القيم، ومنهم من يرى أن ثمرة الالتزام الأخلاقي هو الشعور بالسعادة الذاتية، وأن السعادة المنشودة لا تأتي من خارج النفس الإنسانية، في حين أنكر آخرون الغائية للقيم الخلقية، ورأوا أن السعادة إنما تجلبها اللذات المادية؛ فدعوا إلى إطلاق العنان للأهواء والشهوات، والأنانيات الفردية، فهدموا بذلك الأبنية الأخلاقية السائدة في المجتمعات البشرية.

ومن هنا جاءت إشكالية هذا البحث لبيان حقيقة هذا الآراء من منظور الشريعة الإسلامية حول فلسفة الأخلاق، من خلال التساؤلات التالية:

ما حقيقة القيم الأخلاقية في المنظور الإسلامي؟ وهل الأخلاق قيم نسبية أم ثابتة؟ وما علاقة الإيمان الشرعي بالقيم الأخلاقية؟ وما أثره على النظرية الأخلاقية والسلوك الفردي والجماعي؟

للإجابة على هذه الإشكالية وتحقيق مقاصد هذا البحث؛ عقدّت المطالب الآتية:

المطلب الأول: النظرية الأخلاقية في المنظور الإسلامي

المطلب الثاني: أثر الإيمان على الإلزام الأخلاقي

المطلب الثالث: أثر الإيمان على المسؤولية الأخلاقية

المطلب الرابع: الإيمان والجزاء الأخلاقي

وهذه الورقة البحثية أتقدم بها إلى المؤتمر العلمي الدولي الثالث الذي بعنوان" القيم الإسلامية ودورها في رقي المجتمع الإنساني" التي تنظمه كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة البصرة؛ متمنيا لمؤطّريه كل التوفيق والسداد.

المطلب الأول: النظرية الأخلاقية في المنظور الإسلامي

١.حقيقة الأخلاق في الإسلام

١.١ مفهوم الأخلاق:

يعرّف الشريف الجرجاني الخُلُق أنه هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسْرٍ من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً.

وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة؛ لأن مَن يَصْدر منه بَذْل المال على الندور بحالةٍ عارضة، لا يقال خلقه السخاء، ما لم يَثْبتْ ذلك في نفسه، وكذلك من تكلّفَ السكوت عند الغضب بجهدٍ أو رويّة لا يقال: خُلُقه الحلم.

وليس الخُلق عبارة عن الفعل؛ فرب شخص خلقه السخاء، ولا يَبْذل: إما لفقْد المال، أو لمانع. وربما يكون خُلقه البخل، وهو يَبذل لباعثٍ أو رياء".(١)

وعرّفه ابن مسكويه أنه:" حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وأو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكا

مفرطا من أدنى شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرّب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا"[٢].

ومفهوم الأخلاق عند ابن تيمية مرتبط بمفهوم الإيمان، وما ينبثق عنه حيث إنه يقوم على عدة عناصر هي:

– الإيمان بالله وحده خالقا، ورازقا بيده الملك (توحيد الربوبية) .

– معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة تقوم على أنه وحده– سبحانه– المستحق للعبادة (توحيد الألوهية) .

– حبّ الله سبحانه وتعالى حبّا يستولي على مشاعر الإنسان، بحيث لا يكون ثمة محبوب مراد سواه سبحانه.

– وهذا الحب، يسلتزم أن يتجه الإنسان المسلم نحو هدف واحد هو تحقيق رضا الله سبحانه، والالتزام بتحقيق هذا الرضا في كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة.

– وهذا الاتجاه يستلزم من الإنسان سموّا عن الأنانية وعن الأهواء، وعن المآرب الدّنيا، الأمر الذي يتيح له تحقيق الرؤية الموضوعية والمباشرة لحقائق الأشياء، أو الاقتراب منها، وهذه شروط جوهرية في الحكم الخلقي.

– وعندما تتحقق الرؤية المباشرة والموضوعية للأشياء والحقائق، يكون السلوك والعمل خلقا من الدرجة الأولى.

– وعندما يكون العمل خلقا من الدرجة الأولى، نكون ماضين في طريق تحقيق، أو بلوغ الكمال الإنساني[٣].

وقد اقتفى ابن القيم أثر شيخه ابن تيمية في الربط بين الإيمان والأخلاق وأشار إلى أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قد جمع بين تقوى الله وحسن الخلق، وفسّر ذلك بقوله «لأنّ تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته».[٤]

ففي التصور الإسلامي للأخلاق لدى ابن تيمية وابن القيم نرى الارتباط الوثيق بين مفهوم الأخلاق، ومفهوم الإيمان الذي حدّده الإسلام، وما ينبثق عنه من نظام في العبادة، يكمن في التصور الخلقي الصحيح، ففي الإيمان وطرائقه، وآفاقه تستطيع النفس الإنسانية أن تجد حاجتها المادية والروحية معا، وليس ثمة طريق يبلغ بالإنسان إلى كماله المنشود، وصلاحه المرجو، وبالتالي سعادته المأمولة، غير طريق الإيمان.

وأما مفهوم الأخلاق لدى الفلاسفة فتابع في مقوماته للاتجاهات التي يدين بها هؤلاء الفلاسفة، فكل يعرف الأخلاق ويحدد معناها وخصائصها وفقًا للاتجاه الفلسفي الذي يعتنقه، وهناك اتجاهات فلسفية متعددة ومختلفة حول الأخلاق، مثل: الاتجاه الاجتماعي والمثالي والتجريبي والواقعي والعقلي والحدسي والنفعي، وغير ذلك، والذي يهمنا هو الاتجاه الإسلامي بينها، وهو الذي نقرره في هذا المطلب.

ولنشر باختصار إلى أهم هذه الاتجاهات؛ فالاتجاه العقلي المثالي يرى أن علم الأخلاق علم معياري لا وضعي يدرس السلوك من حيث ما ينبغي أن يكون عليه وفقا للمثل العليا التي يؤمن بها المجتمع على أنها فوق موضوعاته، وقد تمثّل هذا الاتجاه في أضيق صوره، أو ذروة مثاليته لدى الفيلسوف الألماني "كانط".

ومن أهم خصائص الأخلاق في هذا الاتجاه أنها عامة وليست جزئية، ضرورية وليست عرضية، واضحة بذاتها لا تقبل برهانا ولا تقبل شكا ولا جدلا ولا تحمل تناقضا(٥).

وعكسه الاتجاه الاجتماعي الوضعي الذي يراه علما وضعيا واقعيا يدرس سلوك الإنسان مرتبطا بزمانه ومكانه، وليس علما معياريا مثاليا.

وأهم صفات أو خصائص الأخلاق عند "دور كايم" الواجب أو الخير من حيث إنه نظام وقاعدة للسلوك الاجتماعي، ومن حيث إنه يضع للسلوك الإنساني غاية خيِّرة ويجذب إرادة الناس إلى عمل الخيرات، وهذه الواجبات وضعها المجتمع لتحقيق الخير لنفسه (٦).

وأما الاتجاه النفعي فهو ينطلق من أن الطبيعة الإنسانية طبيعة أنانية تعمل لمصلحة الذات، وقد اخترع المبادئ الأخلاقية متخذها وسيلة لتحقيق منفعته، ولهذا يرى أن الأخلاق توضع وسيلة لتحقيق المنفعة سواء كانت فردية أو جماعية، وليست طبيعة في الإنسان.(٧)

وإذا تجاوزنا التفصيل في هذه الاتجاهات إلى البحث عن طبيعة الأخلاق فإننا نجدها تتعلق بالسلوك الإنساني والذي يقصد به عمل الإنسان الإرادي المتجه نحو غاية معينة مقصودة، تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو روحية أو فكرية.

وهذا السلوك إما أن يكون خِلقيا: وهو ما كان نابعا عن صفة نفسية قابلة للمدح أو الذم كإعطاء الفقير، والإنفاق في وجوه الخير حال كونه نابعا عن جود وكرم، وكذلك الإقدام دفاعا عن الحق، وإزهاقا للباطل حال كونه نابعا عن الشجاعة، فهذه صفات حميدة لأنها من فضائل الأخلاق، فآثارها تابعة لها في الحكم.

وإما أن يكون سلوكا إراديا غير خلقي وهو ما كان استجابة لغريزة جسدية كالأكل المباح عن جوع، والشرب المباح عن ظمأ، شريطة أن يكون على قدر الحاجة بلا زيادة ولا نقصان، وإلا أصبح شرها مذموما عند الزيادة، أما عند النقص فيكون محمودا إذا كان نابعا عن قناعة مع نية صالحة لأنها من الفضائل.

من خلال العرض السابق يتبين لنا أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

الأول: الأخلاق الفطرية

وقد دلت أحاديث كثيرة على أن من الأخلاق ما هو فطري، يتفاضل به الناس في أصل تكوينهم الفطري، ومن ذلك:ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».(٨)

وهذا الحديث دليل على فروق الهبات الفطرية الخلقية، وفيه يثبت الرسول –صلى الله عليه وسلم – أن خيار الناس في التكوين الفطري هم أكرمهم خلقا، وهذا التكوين الخلقي يرافق الإنسان ويصاحبه على جميع أحواله. وقوله صلى الله عليه وسلم للمنذر بن عازر: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة، فقال يا رسول الله كان بي أم حدثا؟ قال: (بل قديم) فقال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما».(٩)

الثاني: الأخلاق المكتسبة

فكما أن هناك أخلاق فطرية، كذلك بإمكان أي إنسان أن يكتسب بعض الفضائل والأخلاق، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والقيم، والناس في ذلك متفاوتون بمدى سبقهم وارتقائهم في سلم الفضائل كما أن كل إنسان عاقل يستطيع بما وهبه الله من استعداد عام أن يتعلم نسبة من العلوم، والفنون وأن يكتسب مقدارا ما من أي مهارة عملية من المهارات.

وتفاوت الاستعداد والطبائع لا ينافي وجود استعداد عام صالح لاكتساب مقدار من الصفات الخلقية، وفي حدود هذا الاستعداد العام، وردت التكاليف الشرعية الربانية العامة، ثم ترتقي من بعده مسؤوليات الأفراد بحسب ما وهب الله كلا منهم من فطر، وبحسب ما وهب كلا منهم من استعدادات خاصة. ووفق هذا الأساس، وضع الإسلام قواعد التربية على الأخلاق الفاضلة.

٢.١. مصدر الأخلاق

للفلاسفة ثلاثة اتجاهات عامة في مصدر الأخلاق:

الاتجاه الأول: يرى أن منبع الأخلاق هو طبيعة الإنسان نفسه سواء أكانت هذه النشأة عن طبيعته الغريزية أم عقله أم حدس ضميره، وهذا هو اتجاه الحدسيين والعقليين.

والاتجاه الثاني: يرى أن الأخلاق نشأت عن تجربة الإنسان أو أن تجربة الإنسان في الحياة هي منبع الأخلاق، إذ إن الإنسان قد اهتدى إلى قوانين الأخلاق بعد تجارب طويلة في الحياة كما اهتدى إلى المعارف الأخرى بالطريقة نفسها، وهذا هو اتجاه التجريبيين.(١٠)

والاتجاه الثالث: يرى أن مصدر الأخلاق الوحي فإن الله أراد أن يكون نظام حياة الناس على هذا النحو ثم أوحى به إلى رسل البشر وطلب من الناس تطبيقه في الحياة، وهذا هو اتجاه المتدينين بصفة عامة.

أما رأي الإسلام في هذا الموضوع فإن قيم الأخلاق وقوانينها بصورة كلية موحاة من قبل الخالق إلى الإنسان منذ أن بدأ الإنسان الأول حياته فوق هذا الكوكب، وتتابعت الرسالات الإلهية إلى الناس عن طريق الرسل جيلا بعد جيل يتسع نطاقها ومحتواها كلما زادت رقعة العلاقات الاجتماعية وزاد نضج العقلية الإنسانية حتى اكتملت صورة النظام الأخلاقي برسالة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء، وكانت الوصايا الهامة التي نادى بها كل رسول تمثل دستور النظام الأخلاقي {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}[الشورى: ١٣].

ولهذا نجد أن الأخلاق تعرّف من المنظور الإسلامي بأنها مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.(١١)

والأصل الذي يستقي منه المسلمون الأخلاق من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، قال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء: ٩]. وقال سبحانه: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ [الأعراف: ٣٣]. ونظائر هذه الآيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وكلها من مصادر الأخلاق.

والرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من تخلق بأخلاق القرآن الكريم وألزم نفسه بآداب القرآن، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((كان خلق الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن)) (١٢). قال الحافظ ابن كثير: (ومعنى هذا أنه قد ألزم نفسه ألا يفعل إلا ما أمره به القرآن، ولا يترك إلا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خلقاً له وسجية، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين).(١٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)) (١٤). قال إبراهيم الحربي: ينبغي للرجل إذا سمع شيئاً من آداب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتمسك به (١٥).

فالقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام هي التي تحدد بصفة عامة إرادة الله فيما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان في هذه الحياة سواء كان هذا السلوك متعلقا بصلته مع الغير أو بالنفس، وهذه المبادئ متمثلة في القرآن والسنة بصورة قانونية أو تشريعية، وعلى هذا الأساس يعد كلاهما معيارا وضعيا واحدا، ولقد وضع

الله هذا المعيار أمام الإنسان ليكون منارا لطريق السعادة يميز به بين الخير والشر في السلوك وبين الحق والباطل في الرأي والهدى من الضلال، والنور من الظلام في هذه الحياة {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ}[المائدة: ١٥]، {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[إبراهيم: ١]، وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله"(١٦).

فالإسلام زود الإنسان بمعايير أخلاقية يستطيع بها تقويم سلوكه وحركاته ومعرفة ما إذا كان هذا السلوك أخلاقيا أم لا.

٣.١. مجالات الأخلاق

قد أشرنا سابقا إلى أن هناك اتجاهات فلسفية مختلفة في مفهوم الأخلاق، كما بيّنا الرؤية الإسلامية في ذلك، وهكذا تختلف مجالات الأخلاق باختلاف مفهومها في الاتجاهات السابقة.

فالاتجاه المادي في الأخلاق وغايتها يهتم بالسلوك الذي يحقق منافع مادية ينبغي استخدامها بالطريقة التي تحقق اللذة أو السعادة حسب وجهة نظره في فهمها، والاتجاه الروحي يهتم بالسلوك الذي يحقق مكاسب معنوية، ويطهر النفس من النوازع الشريرة، والاتجاه العقلي يهتم بالسلوك الذي يحقق مكاسب عقلية من كشف الحقائق وتنظيم السلوك والحياة وفقا لهذه الحقائق.

فمجال الاتجاه الأول هو: الطبيعة المادية، ومجال الاتجاه الثاني هو: الجانب النفسي والروحي في الطبيعة الإنسانية، ومجال الاتجاه الثالث هو: الحقائق كما تتكشف للعقل أو كما تتراءى له.

وإذن فالشيء الذي يوجه السلوك في الاتجاه الأول هو: المنافع، وفي الثاني هو: الدوافع الروحية، وفي الثالث هو: متطلبات الطبيعة المدركة في الإنسان أو القوة العاقلة.(١٧)

أما مجالات الأخلاق في الإسلام فهو مجال الحياة كلها؛ لأن الأخلاق إذا كانت نمطا للعمل وللسلوك في الحياة فإن عمل الإنسان لمساعدة الآخرين أخلاق، وعمله لكسب قوته وقوت من يعوله أخلاق، وإيمانه بالله وعبادته له أخلاق؛ لأنه بر، بل لا يتحقق البر دون الإيمان والعبادة، والبر هو الأخلاق، والأخلاق هي البر، والأعمال العلمية سواء كانت للتكامل الذاتي أو لخدمة الحياة الإنسانية –أخلاق–، ثم إن معاملة الإنسان للكائنات الحية الأخرى بالرفق أخلاق، وإيذاءه لها ليس بأخلاق، كذلك تحمله أعباء الحياة والصبر على ما يصيبه من المصائب فيها أخلاق أيضا.

فموضوع الأخلاق في الإسلام هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد.

يقول ابن قيم الجوزية: "الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"[١٨].

فكل سلوك إنساني يحقق الخير والبر للذات الفاعلة أو لغيرها يعد أخلاقا، طالما كانت الذات الفاعلة تريد بسلوكها هذا عمل الخير لوجه الله قبل كل شيء، ولم يكتف الإسلام بإضفاء الصفة الأخلاقية على نوع السلوك ذي الطابع النفعي والضروري للحياة فحسب، بل أضفى تلك الصفة على كل سلوك ولو لم يتسم بصفة النفع أو الضرورة؛ لأن الأخلاق في نظر الإسلام لا تحمل معنى النفع فحسب، بل تحمل إلى جانب ذلك المعنى التحسيني والجمالي والإرادة والخيرة، ولهذا نرى الإسلام يأمر بالأدب في المأكل والمشرب والملبس والمجلس والمشي والتحدث ومعاشرة الناس.[١٩]

ولم يفرض الإسلام المبادئ الأخلاقية على سلوك الإنسان الظاهري فقط، بل فرضها أيضا على السلوك الباطني؛ الذي يعتبر انعكاسا على السلوك الظاهري، ولهذا كانت الأخلاق الإسلامية مركزة على الحياة الباطنة في الدرجة الأولى؛ لأنها إذا صلحت واستقامت صلحت الأخرى واستقامت، وصلاح هذه وتلك واستقامتها هما الطريق إلى السعادة الإنسانية، ولهذا قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" [٢٠]، ويجمع بين الأمرين قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}[الأعراف: ٣٣].

ومن أهم المبادئ الأخلاقية المتصلة بدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها مبدأ العدالة ومفهوم العدالة في الإسلام هو إعطاء كل ذي حق حقه، وفي نظر الإسلام أن لله على الإنسان حقوقا، كما أن لنفسه ولغيره عليه حقوقا، مصداق ذلك ما جاء في الحديث: "إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فاعطِ كل ذي حق حقه".[٢١]

وتبعا لذلك قرر الإسلام الحقوق على الإنسان لغيره، ولقد حدد الرسول أهم حقوق الإنسان التي يجب مراعاتها وهي حق المال والعرض والكرامة الإنسانية فقال: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله، التقوى ها هنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم".[٢٢]

ثم إن الإسلام لم يكتفِ بتقرير الحقوق والواجبات نحو الغير بل دعا إلى تجاوز حدود الواجبات في المعاملة الخيّرة، واعتبر كل عمل وكل إحسان إلى الغير صدقة حتى التبسم في وجوه الآخرين.

ومن هنا يتبين لنا بوضوح أن الأخلاق الإسلامية تحاول إخضاع كل سلوك، ما ظهر منه وما بطن لروح الأخلاق التي جاء بها، وهي تستهدف من وراء ذلك صلاح الإنسان وسعادته في هذه الحياة، وإذا كان الأمر كذلك فإن مجال الأخلاق هو هذه الحياة كلها من حيث هي موضوع الأخلاق وغايتها معا.

٢. النظام الإسلامي للأخلاق

لقد أقام الإسلام صرح الأخلاق على أسس لا غنى عنها، وقد كان الأساس الميتافيزيقي والاعتقادي ضروريا للأخلاق؛ لأنه يوجّه الإنسان إلى طريق الحق في التفكير وطريق الخير في السلوك؛ ولأنه يعد أقوى إلزام للإنسان باتباع هذا الطريق أو ذاك.

اهتم القرآن الكريم في مرحلته المكية ببناء الإيمان في نفوس الناس، والدعوة إليه بكافة الوسائل، وذلك بلفت النظر إلى خلق الله، والتأمل فيه، للاستدلال على الخالق- عز وجل- والإيمان به، والتصديق بما أنزله على رسوله.

وقد عرضت الآيات الواردة في هذا المجال: سنة الله في الأسباب والمسببات، سنة الله في جزاء من اتبع هداه، سنة الله في حال الإعراض عنه، سنة الله في التدافع بين الحق والباطل، سنة الله في الابتلاء والفتنة، سنة الله في الظلم والظالمين، سنة الله في الترف والمترفين، سنة الله في الطغاة والطغيان، سنة الله في بطر النعمة وتغييرها، سنة الله في الذنوب والسيئات، سنة الله في الاستدراج. وغير ذلك من سنن عرضها القرآن في قصصه أو في آيات منفصلة، بهدف تعريف الناس بكيفية السلوك الصحيح في الحياة، حتى لا يقع الإنسان في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة.

إنها الدعوة الكاملة إلى الإيمان الكامل الصحيح، وقد يصاحب بيان ذلك في الآيات ذكر الجنة والنار، والثواب والعقاب، ليحرك في النفس عاطفة الخوف والإحساس بالأمن، وهو في ذلك يريد أن يحرك في الإنسان الإحساس بالأمان النفسي والشعور بالحماية الإلهية في ظل الإيمان، وفي الوقت نفسه يعطيه الثقة بنفسه، وبأنه مكرم ومؤهل لحمل أمانة الوجود، وحمل أمانة التكليف.

فهي تستثير في الإنسان أقصى طاقاته الإنسانية لتسمو بها وتضعها على الطريق السوي السليم المنشود من الإيمان [٢٣] . وتحويل الإنسان من التبعية الذليلة في كل شيء من جنبات حياته للطواغيت الكفرة والفجرة، إلى آفاق العزة والكرامة وتحقيق الإنسانية الكريمة وذلك ببث روح القوة والتخلص من العجز والاتكالية{وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[آل عمران: ١٣٩] .

وقد صحح القرآن علاقة الإنسان بما حوله بأن جعلها علاقة تعاطف وتعارف، فلا عبودية لها ولا تأليه، ولا استهانة ولا إنكار، وقد ربى القرآن الإنسان على حضور واع، واتخذ في هذا السبيل طرقا مختلفة لعملية التصحيح هذه، وهي لازمة لتكوين قيم صحيحة سليمة، وكان أول ما قام به هو تصحيح علاقة الإنسان بالله الخالق الراعي لخلقه المعتنى بهم، الرحيم، المبدع، التواب. وهو الواحد؛ غرس في نفس المسلم التوحيد، الذي

دفع الإنسان إلى حب الخير وفعله، وتجنب الشر وكراهيته، وبالتالي كانت العلاقة بين الإنسان والله طريق الإنسان إلى الكمال، وكانت طريقا إلى امتلاء قلب الإنسان بالولاء والانتماء إلى الله وحده، ومنهجه الذي إذا تمسك به الإنسان أصبح إنسانا فاضلا يسارع إلى فعل الخيرات، ويبتعد عن فعل الشر، وبالتالي يتصف الإنسان بمكارم الأخلاق، ويتشبه بأخلاق الله تعالى من حيث الاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص، ويصبح مجتمعه كله ذا أخلاق دينية، تسوده مكارم الأخلاق.

وكان ذلك منطلقا لتصحيح كافة العلاقات الأخرى بما حول الإنسان ومن حوله، وما دام الإنسان قد آمن موحدا وتولدت في نفسه حالة العبودية الكاملة لله وحده، فإن ذلك ينعكس على علاقاته بالأشياء حوله، وعلى كافة مكونات حياته؛ ذلك أن الإيمان الصحيح هو أكبر القيم الخلقية الدافعة للإنسان في مجرى الحياة الصحيح الموصل للسعادة.

ومن هنا تنبع مجموعة من القيم الخلقية الفذة النابعة من توجيه التوحيد، كحالة نفسية، وضرورية للتعايش مع الكون والعالم ومصادقة قوى الطبيعة، ودراستها وفهمها، واكتشاف أسرارها لتضفي قيمة عليا على العلم والبحث العلمي بالمعنى الواسع للكلمة.

ثم هو لا يذوب في الطبيعة المادية ولا يعاديها، لكنه لا بد أن ينفصل عنها إلى عالم التوحيد المطلق والمجرد، فالطبيعة ليست مقصودة لذاتها، وهي ليست ثابتة، بل هي متغيرة ومتقلبة، ومن حق المسلم أن يتجاوزها بعد أن يكتشف فيها لغة التسبيح لله. وفي هذا الذي أقره الإسلام ووجه إليه تحقيق سام لإنسانية الإنسان، لأن الإنسان بهذا يتحرر من عبودية أي شيء سوى الله تعالى، ويتخلص من قلقه المرضي؛ لأن المنهج الإسلامي يضع الإنسان حيث يجب أن يوضع، مخلوقا ذا رسالة سامية في هذه الحياة [٢٤].

وصحح القرآن علاقة الإنسان مع نفسه ثم مع من حوله من الناس، وذلك بعد أن ضبط حركته بقيم خلقية معينة تجاه الخالق والأشياء، والآيات المدنية تأتي لبناء الإرادة الإنسانية وتكوين القيم السليمة لعلاقات الإنسان بنفسه، وبالإنسان في مجتمعه، وللجماعة كلها بعد أن قام البناء الإيماني في نفس المسلم.

وكثيرة هي تلك القيم الفاسدة التي كانت موجودة عند العرب وفي العالم، واستطاع الإسلام بتوجيهاته أن يقضي عليها، ويحولها إلى قيم إيجابية صحيحة على أساس من الإيمان الصحيح الخالي من الشوائب.

وقد اهتم القرآن كثيرا بتوضيح الانحرافات الخلقية التي يمكن أن توجد في المجتمع المسلم، فاهتم بإيضاح حقيقة النفاق وعدّها انحرافا نفسيا يسهل الوقوع فيه؛ لأن الإنسان المسلم- تحت الظروف المستبدة- قد يعيش حالة مزيفة، إنه يصبح ضد نفسه أحيانا، ويحبس حركتها الحرة في التنقل من حالة إلى حالة، ويوقف تيارها

الداخلي وهذا مرض نفسي، يجمد حركة الإنسان، ويحرمه من الحركة الحية، ويصيبه بالخواء والزيف والخداع. [٢٥] .

ومن هذا المنطلق حارب البخل والجبن في نفس الإنسان، وحارب التواكل الذي يحيل الإنسان إلى طفل لا يستنفر ذاته، وإنما يعتمد على الآخرين في حل مشكلاته، وفي حربه تلك يجعل المسلم يجابه الواقع ويتحمل المسئولية، ويبتعد عن كل شيء يصادر تلك المسئولية [٢٦] .

وأتم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بناء القيم الخلقية في النفوس المسلمة، وكانت طريقته في ذلك أبدع ما تكون الطريقة، وأساليبه أشهر ما تكون وأعظم، في ضربه المثل الأعلى والقدوة الصالحة من ذاته، في نفسه، وفي مجالسه، وتوجيهاته، وأفعاله، وأقواله، وباستخدام كافة الطرق لاستثارة إمكانيات الإنسان من أجل تمثل القيم الخلقية.

ولا عجب أن نجد في أثناء حياته صلّى الله عليه وسلّم وبعدها مجتمعا إسلاميا ملتزما، وفردا مسلما ملتزما توجهه قيم خلقية صحيحة في كافة نواحي سلوكه المختلفة. ونجد الأفراد في المجتمع الإسلامي أصحاء أزكياء مبدعين ملتزمين بالإسلام.[٢٧]

وقد قرر الإسلام للإنسانية حقوقا بصورة لا نجد لها مثيلا في أي نظام من النظم الحالية فهو أولا أعطى قيمة للفرد أو قرر له قيمة إنسانية كما أعطى له حرية لممارسة حقوقه الطبيعية فردا إنسانيا في إطار الأخلاق ثم جعله مسئولا عن تصرفاته أمام الله وأمام ضميره ومجتمعه.

وكذلك أعطى قيمة للمجتمع وقرر حقوقا له بناء على تلك القيمة ثم أقام التنسيق بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع بحيث لا يطغى أحدهما على حق الآخر. وبذلك لم يجعل الفرد مجرد وسيلة في يد المجتمع أو آلة تقاس قيمتها بقيمة إنتاجها. كما فعلت بعض النظم الاجتماعية.

ومن جانب آخر لم يجعل المجتمع مجرد وسيلة في يد الأفراد ولم يعطِ الفرد حرية كاملة بحيث يمكن أن يستغل بها المجتمع لصالحه الخاص بل جعل لكل منهما شخصية مستقلة لها كرامتها وحقوقها ثم ربط بين كرامة الفرد وكرامة المجتمع وبين حقوقهما بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر استقلالا كاملا بل يجد الفرد مصلحته في المجتمع كما يجد المجتمع مصلحته في أفراده وكرامته في كرامتهم. وبناء على هذا فقد رسم الإسلام الأخلاق للفرد والمجتمع وأقام التنسيق بين الأخلاقية الفردية والأخلاقية الاجتماعية.

ثم إنه لم يعتبر هذا النظام الأخلاقي مجرد فرض أي نظام مفروض عليه من الخارج لا يتفق مع استعدادته الفطرية كما ذهب إلى ذلك بعض المفكرين الاجتماعيين أو الأخلاقيين، بل اعتبر أنه نظام طبيعي يتلاءم مع استعدادات الفرد الطبيعية وميوله الفطرية وأنه نظام لا بديل له للحياة الإنسانية الكريمة.[٢٨]

والأخلاق في نظر الإسلام هي جمع شامل في منظور متكامل بين مصدرها وطبيعتها ومغزاها الاجتماعي وغايتها.

ويتميز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين:

الأول: أنه ذو طابع إلهي، بمعنى أنه مراد الله سبحانه وتعالى، إذ أنه يجب أن يتبع الإنسان في هذه الحياة رغبة الله في خلقه، ولذلك جاء الوحي بصورة هذا النظام.

الثاني: أنه ذو طابع إنساني أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية. وهذا النظام هو نظام العمل من أجل الحياة الخيرية، وهو طراز السلوك وطريقة التعامل مع النفس والله والمجتمع.

فالأخلاق في نظر الإسلام نظام إلهي إنساني معا يجمع بين نظام اعتقادي معيارا للتمييز بين الحق والباطل في النظر، ونظام حياة معيارا للتمييز بين الخير والشر في السلوك.

وهو نظام يتكامل فيه الجانب النظري مع الجانب العملي منه، وهو ليس جزء من النظام الإسلامي العام بل هو جوهر الإسلام ولبه وروحه السارية في جميع نواحيه: إذ النظام الإسلامي –على وجه العموم –مبني على مبادئه الخلقية في الأساس، بل إن الأخلاق هي جوهر الرسالات السماوية على الإطلاق فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٢٩]، فالغرض من بعثته –صلى الله عليه وسلم – هو إتمام الأخلاق، والعمل على تقويمها، وإشاعة مكارمها، بل الهدف من كل الرسالات هدف أخلاقي، والدين نفسه هو حسن الخلق، وكانت عائشة تفهم هذا المعنى من الدين الإسلامي، ولهذا فهي عندما سئلت عن أخلاق النبي قالت: "كان خلقه القرآن"[٣٠]، وقال الرسول: "ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن" [٣١]، وعندما سئل الرسول أي الإسلام أفضل قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده "[٣٢]، وقال ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[القلم: ٤]: على دين عظيم[٣٣]، ولأن الدين عبارة عن واجبات نحو الله تعالى ونحو الإنسان نفسه وغيره، وواجباته نحو المخلوقات الحية الأخرى، وقد سمى البعض الأخلاق بأنها علم الواجب أي: أنها علم يعرّف الإنسان الواجبات كما يجب أن يفعلها.

ولما للأخلاق من أهمية نجدها في جانب العقيدة حيث يربط الله سبحانه وتعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم –بين الإيمان وحسن الخلق، ففي الحديث لما «سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أفضل ؟ قال صلى الله عليه وسلم: (أحسنهم خلقا) »[٣٤]، ثم إن الإسلام عدّ الإيمان برا، فقال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}[البقرة: ١٧٧]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «البر حسن الخلق»[٣٥]، والبر صفة للعمل الأخلاقي أو هو اسم جامع لأنواع الخير.

وقد بين الرسول أن من لم يتخلق بالأخلاق الحسنة لا يقبل الله منه الإيمان والدين، فقال: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" (٣٦).

وكما نجد الصلة بين الأخلاق والإيمان، نجدها كذلك بين الأخلاق والعبادة إذ إن العبادة روح أخلاقية في جوهرها لأنها أداء للواجبات الإلهية. ففي الصلاة قال تعالى: {إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}[العنكبوت: ٤٥]، وبيَّن الرسول أن من لم يتخلق لا يقبل الله منه الصوم، فقال: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" (٣٧)، وقال تعالى في الحج: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ}[البقرة: ١٩٧]، وقال أيضا في الأضحية: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ}[الحج: ٣٧]، وقال في الزكاة: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}[التوبة: ١٠٣]، وقد ذكر للرسول مرة أن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار" (٣٨).

ونجدها في المعاملات –وهي الشق الثاني من الشريعة الإسلامية بصورة أكثر وضوحا. منها قول الرسول: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما حرم الله"، وفي رواية "والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه" متفق عليه(٣٩)، وقال الرسول أيضا: "من غشنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا" (٤٠).

وهكذا نرى أن الإسلام قد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي، لتحقيق غاية أخلاقية، الأمر الذي يؤكد أن الأخلاق هي روح الإسلام، وأن النظام التشريعي الإسلامي هو كيان مجسد لهذه الروح الأخلاقية.

٣. الفلسفة الأخلاقية في الإسلام

إن أساس النظرية الأخلاقية في الإسلام وركنها الأصيل هو الإيمان، ويعتبر البعد الغيبي المؤسس لأركانها الفلسفية، والتي يمكن أن نجملها في ثلاثة أركان أساسية وهي: الإلزام، والمسؤولية، والجزاء، وهذه الثلاث مرتبطة فيما بينها ويؤدي كل واحد منها للآخر، ذلك أنه لا مسؤولية إلا بإلزام والتزام، ولا جزاء إلا بمسؤولية على الأفعال، وسيأتي تفصيل كل ركن في محله من المطالب الآتية.

١.٣ الأخلاق والممارسة الإيمانية

إن الأخلاق في الإسلام لا تقوم على نظريات مذهبية، ولا مصالح فردية، ولا عوامل بيئية تتبدل وتتلون تبعا لها، وإنما هي فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها، فليس الأخلاق فضائل منفصلة،

وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة، عقيدته أخلاق، وشريعته أخلاق، لا يخرق المسلم إحداها إلا أحدث خرقا في إيمانه.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن» وسئل صلى الله عليه وسلم: «أيكذب المؤمن؟ قال: (لا) ثم تلا قوله تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}[النحل: ١٠٥] »[٤١]، فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية، وكلما كان الإيمان قويا أثمر خلقا قويا.

فالأخلاق في نظر الإسلام تبنى على الأساس الغيبي والاعتقادي، وهو الإيمان بوجود رب خالق لهذا الكون والإنسان يأمر وينهى ويطاع، وأرسل له رسلا تعرّفه نفسه، وتعرّفه طريق الخير والشر، والحق والباطل، ونصب له الدلائل الفطرية والعقلية والحسية على كل ذلك، وأن له مصيرا وجزاء على أعماله في حياة أخرى إما نعيم أو جحيم، فالأولى يكافأ بها من اتبع الحق وفعل الخير واجتنب الشر والمحرمات في هذه الدنيا، وأدى الحقوق عليه، والثانية يجازى بها من اتبع الباطل وفعل الشر وضيّع الحقوق الواجبة عليه؛ فالنعيم لمن استقام في هذه الحياة والجحيم لمن انحرف فيها، قال تعالى:{ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)}[الملك: ١-٢].

وهذا الأساس بهذا المفهوم في غاية الأهمية في الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، ذلك أنه يعتبر السند الذي يعتمد عليه في إقامة النظام الخلقي وفي عملية الالتزام به، فبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق قدسيتها وعظم تأثيرها في الإنسان، ولا يمكن أن تطبق الأخلاق تطبيقا عمليا دقيقا في السر والعلن إلا إذا اتخذ هذا الأساس في قلوب البشر مكانا، وآمنوا به إيمانا صادقا، يقول "فرويل" هنا: "إن الإيمان يجعل الإنسان يعيش ساكنا قويا في كل الأحوال وظروف هذه الحياة، وعن طريق التعليم الديني يمكن أن يعرف الإنسان واجباته والقيام بأدائها"[٤٢].

فالإيمان الغيبي يضفي على القوانين الأخلاقية قداسة تسمو بها على أن تكون مجرد نظام وضعي يحدد علاقة الناس فيما بينهم لتحقيق مصلحة فردية أو اجتماعية لرغبات الأفراد أو المجتمعات، بل هي التزام ديني نابع عن قناعة ذاتية ورقابة إلهية، ومن ثم تكون لها سلطة تتحكم بها في حياة الإنسان وتصرفاته في السر والعلن، وتأثيرا من الناحية الإيجابية او السلبية نتيجة تطبيقها أو عدم تطبيقها، فيكون أثر التطبيق الإحساس بالسرور والانشراح في أعماق النفس الإنسانية، ويكون أثر عدم تطبيقها الإحساس بالوخز والضيق والكآبة، وذلك بصرف النظر عن ملاحظة الناس لهذه الأفعال أو تلك؛ لأن ذلك الإحساس بالقدسية يجعل من نفسه رقيبا داخليا على تصرفات الإنسان، ولا يرتبط ذلك التطبيق للقوانين الأخلاقية بالمنفعة أو بالمظهر الاجتماعي

فحسب شأن القوانين الوضعية، بل يتربط إلى جانب ذلك بظاهرة أعمق من ذلك وهي الإحساس بالواجب وبراحة الضمير. (٤٣)

ولقد اعترف الدكتور ألكسيس كارل بهذه الحقيقة، وبيَّن أن العقيدة تضفي على الأخلاق فعالية لا توجد في الأخلاق المدنية، فيقول: "فالفكرة المجردة لا تصبح عاملا فعالا إلا إذا تضمنت عنصرا دينيا، وهذا هو السبب في أن الأخلاق الدينية أقوى من الأخلاق المدنية إلى حد تستحيل معه المقارنة، ولذلك لا يتحمس الإنسان في الخضوع لقواعد السلوك القائم على المنطق إلا إذا نظر إلى قوانين الحياة على أنها أوامر منزلة من الذات الإلهية"(٤٤)، ويرى "باستا لوتزي" أن حياة الإنسان الأدبية ونموه في الفضيلة يتوقف على إحياء الإيمان بالله في فؤاده"(٤٥)، ويرى "أفلاطون" أن الإنسان بغير الإيمان بالله يضل في الحياة(٤٦).

وبقدر تدعيم الأخلاق بالعقيدة وتأسيسها عليها تقوم الأخلاق على أرض صلبة، وبقدر تنمية الإيمان في نفوس الأجيال بالعقيدة والأخلاق معا نستطيع تقوية دافع الالتزام بالقيم الأخلاقية، والتضحية من أجلها، وتكون النتيجة عكس ذلك إذا أهملنا هذا التدعيم والتنمية.

٢.٣. دوام الأخلاق وثباتها

الأخلاق في الإسلام ليست لونا من الترف يمكن الاستغناء عنه عند اختلاف البيئة، وليست ثوبا يرتديه الإنسان لموقف ثم ينزعه متى يشاء، بل إنها ثوابت شأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب لا تتغير بتغير الزمان لأنها الفطرة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[الروم: ٣٠].

وقد ذهب فريق من الماديين بأن الأخلاق أمور اعتبارية نسبية لا ثبات لها، تتواضع عليها الأمم والشعوب، وليس لها ثبات في حقيقتها، وليس لمقاييسها انضباط، فهي تختلف باختلاف الأمم والأزمان والأماكن.

والملاحظ على هذا المذهب أن مرجع الخطأ فيه إلى إدخال ما ليس من أفراد الأخلاق تحت عنوان الأخلاق، وتعميم حكمهم على هذه الأفراد الدخيلة، وجعله شاملاً لجميع أفراد الأخلاق الحقيقية، حيث اعتمد على مفاهيم بعض الناس للأخلاق والتي تجعل من التقاليد والعادات والأحكام الوضعية معيارا للسلوك الإنساني وسلطة عليه لابد أن يتغيّر بتغيّرها، ويخضع لمفاهيمها ولو كان مخالفا لمبادئه الفكرية أو الدينية.

ومن تبصّر بالأصول العامة للأخلاق في المفاهيم الإسلامية، وتبصّر بأن الأخلاق الإسلامية مقترنة بالوصايا والأوامر والنواهي الربانية، وتبصّر بأن هذه الوصايا والأوامر والنواهي محفوفة بقانون الجزاء الإلهي بالثواب العقاب، فإنه لابد أن يظهر له بجلاء أن الأخلاق الإسلامية هي حقائق في ذاتها، وهي ثابتة مادام

نظام الكون ونظام الحياة ونظام الخير والشر أموراً مستمرة ثابتة، وهي ضمن المفاهيم الإسلامية الصحيحة غير قابلة للتغير ولا للتبدل من شعب إلى شعب، ولا من زمان إلى زمان.

أما الأمة الإسلامية فهي أمة واحدة، وهي لا تتواضع فيما بينها على مفاهيم تخالف المفاهيم التي بينها الإسلام، والتي أوضحها في شرائعه ووصاياه.

وإذا رجعنا إلى مفردات الأخلاق الإسلامية وجدنا أن كل واحدة منها – ضمن شروطها وقيودها وضوابطها – ذات حقيقة ثابتة، وهي غير قابلة في المنطق السليم للتحول من حسن إلى قبيح، أو من قبيح إلى حسن. إن حسنها حسن في كل زمان، وقبيحها قبيح في كل زمان، ولا يؤثر على حقيقتها أن تتواضع بعض الأمم على تقبيح الحسن منها، أو تحسين القبيح، تأثراً بالأهواء، أو بالشهوات، أو بالتقاليد العمياء.

المطلب الثاني: أثر الإيمان على الإلزام الأخلاقي

١.مفهوم الإلزام الأخلاقي وأهميته

لما كان من أهم خصائص الأخلاق القويمة مدى ما فيها من قوة تدفع الناس إلى العمل بها كان الإلزام إذن من أهم الأسس التي يقوم عليها صرح بناء الأخلاق.

فإذا كان الأمر كذلك فلا بد من وجود إلزام والتزام في العمل الأخلاقي، ودرجة الالتزام مبنية على درجة الإلزام من حيث القوة والضعف ومن ثم من حيث التمسك بالمبادئ الأخلاقية وعدم التمسك بها.

وإذا كنا قد قررنا فيما سبق مبدأ الحرية الأخلاقية في النظرية الإسلامية، فإن تفضيل السلوك الأخلاقي على السلوك غير الأخلاقي هو الالتزام الأخلاقي، وكما يكون الالتزام عن دافع خارجي يكون أيضاً عن دافع داخلي.

٢.مصادر الإلزام الخلقي:

انقسمت المذاهب الفلسفية والفكرية في مصدر الإلزام الأخلاقي إلى اتجاهين رئيسيين:

الأول: يرجع سلطة الإلزام إلى مصادر خارجية، ويختلف أنصار هذا الاتجاه في مصدر هذه السلطة: فمنهم من يرى أنه الجماعة أمثال: "أوجست كونت" و "دوركايم" و "ليفي بريل" ومن ذهب مذهبهم، ومنهم من يرى أنه الدين كما يراها رجال اللاهوت أمثال "أمبروز" و "القديس أوغسطين" و "توما الأكويني"[٤٧].

والاتجاه الثاني يعيدها إلى ذات الإنسان، وأنصار هذا الاتجاه يختلفون أيضاً، فمنهم من يرى أنها العقل أمثال "صمويل كلارك" و "ولاستون" ومن ذهب مذهبهما، ومنهم من يرى أنها الوجدان أو الحاسة الخلقية أمثال "هاتشيسون" و "آدم سميث" و "جان جاك روسو"، ومنهم من يرى أنها دافع المنفعة فالإنسان بطبيعته يسعى

إلى ما يلذه ويتجنب ما يؤلمه، وقد وجد الإنسان عن طريق التجربة أنها تحقق له السعادة وتبعده عن التعاسة، ولهذا فالدافع الأساسي بالمنفعة الذي يتكون عنده عن طريق التجربة(٤٨).

وقد استكمل القرآن طرق الإلزام وأنواعها، وسلط الوازعات على عقل المؤمن ثم على قلبه وضميره، ونفسه وغرائزه، وطباعه وحسده، فانتزع الدواء من مكمن الداء، وشمل بهذا الإلزام الكبائر والصغائر، والأخلاق والآداب، وجعل الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع، وجعل المجتمع رقيبا على الفرد، ولا يكتفي الإسلام بعامل واحد للإلزام بل يستخدم عوامل متعددة ويمكن إرجاعها إلى مصدرين أساسيين: مصدر خارجي وآخر داخلي.

١.٢. المصادر الخارجية:

ونقصد بها المصادر الإلزامية الخارجة عن الذات الإنسانية وهي:

١.الوحي الديني: خلق الله الإنسان ووضع النظام الأخلاقي وهو الذي يعلم الظاهر والباطن والسر والعلن {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}[الأعلى: ٧]، وهو يراقب الناس في سلوكهم وأعمالهم {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}[الفجر: ١٤]، وأنه يسجل كل شيء {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس: ١٢]، {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[آل عمران: ٧٦]، {فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ}[الأعراف: ٨٥]، {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ}[النحل: ١٠٥].

فالدين يدل الإنسان على الخير، والأخلاق الحميدة، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[الجمعة:٢].

ويلزمه بها بمقتضى الإيمان وأركانه مكوّناته، ولهذا سلكت التربية الإسلامية في الإلزام بهذا الوازع مسلك الترغيب والترهيب؛ فهو يرهّب بانتقام الله في الدنيا من العاصي الظالم قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}[إبراهيم:٧]، ويرغّب بما عنده سبحانه وتعالى. وقال تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون}[السجدة:١٧]، وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[الأعراف:٩٦].

٢. الإلزام الجماعي:

جعل الإسلام سلطة الجماعة ملزمة في الدرجة الثانية وبناء على ذلك اعتبر المجتمع مسئولاً عن انحراف الأفراد؛ لأن فساد بعض الأفراد قد يؤدي إلى فساد المجتمع كله يوماً ما، ولهذا قال تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}[الأنفال: ٢٥]؛ ولهذا أمر الجماعة بعقاب المنحرفين {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا

كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ}[النور: ٢]، وبالإضافة إلى العقوبة السابقة أمر بإسقاط قيمتهم الأدبية فلا تقبل شهادتهم ولا يوثق بكلامهم {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ}[النور: ٤].

ولهذا قرر مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واعتبر القيام بذلك من عزائم الأمور {يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}[لقمان: ١٧]، وجعل الجماعة المسلمة كلها مسؤولة أمام هذه الشعيرة إحداها بالاختيار والأخرى بالامتثال؛ فقال:{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران: ١٠٤]، وربط خيرية هذه الأمة بمدى التزامها وتطبيقها لهذه الشعيرة الإصلاحية الداعية إلى الخلق والفضيلة؛ فقال:{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}[آل عمران: ١١٠].

٣. الإلزام بوازع السلطان: إن بعض الناس لا ينفع معهم وازع العقل، ولا وازع الترغيب والترهيب، فكان لا بد من وازع أعظم في نفوسهم هو وازع السلطان، وهو العقوبات التي فرضتها الشريعة، وفوض أمرها إلى الحاكم.

يقول الله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[المائدة:٣٨]، ويقول تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}[النور:٢]، فاجتماع الوازعات كلها في الإسلام استكمال لطرق الإلزام لكل من سول له شيطان الهرب من أمر الطاعة والالتزام.

٢.٢. المصادر الداخلية:

وهي ما كان نابع عن النفس الإنسانية وهي:

١.العقل: فهو الذي يرشد الإنسان إلى الأخلاق الحميدة السليمة واجتناب الرذائل وقد ذكر القرآن الكريم البراهين العقلية، والحكمة في كثير من العبادات والمعاملات، من ذلك قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[المائدة:٩٠]، {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ}[المائدة:٩١]، وقوله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[البقرة:٤٤].

وما سمي العقل عقلا إلا أنه يمنع الإنسان من الإقدام على المساوئ والقبائح، ويلزمه المحاسن والفضائل، يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله:" وحياة العقل: هي صحة الإدراك، وقوة الفهم وجودته، وتحقق الانتفاع بالشيء أو التضرر به، وهو نور يخص الله به من يشاء من خلقه، وبحسب تفاوت الناس في قوة ذلك النور وضعفه، ووجوده وعدمه، يقع تفاوت أذهانهم وأفهامهم وإدراكاتهم، ونسبته إلى القلب كنسبة النور الباصر إلى العين".(٤٩)

٢. الضمير الخلقي:

ومن مصادر الإلزام في رأي الإسلام الضمير الخلقي؛ لأن الإسلام فيه حاسة أخلاقية يميز بها ما هو حسن وجميل من سلوك مما هو قبيح وضار، ومن ثم تطمئن النفس إلى السلوك الجميل وتقشعر من السلوك القبيح، ومن ثم يدفعه إلى الالتزام بالأول والابتعاد عن الثاني مصداق ذلك قول الرسول: "البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس" (٥٠)، وقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}[ق: ٣٧]، {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}[الزمر: ٢٣].

٣. الدافع النفعي:

يعتد الإسلام بالدوافع النفعية عاملاً من عوامل الإلزام والالتزام بالقيم الأخلاقية؛ لأن الإنسان بطبيعته يحب الخير والنفع لنفسه والبد منه لحاجته الأساسية إليه، ومن هنا يشوق الناس إلى الأعمال الصالحات ويعدهم بالمكافآت الجزيلة عليها في الدنيا والآخرة وينذر المسيئين من عاقبة سيئاتهم {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ}[الجاثية: ٢١]، {فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[الحج: ٥٠]، {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً}[النور: ٥٥]، وهكذا نجد كثيراً من النصوص التي تستميل القلوب وتدفعها إلى الأخلاق الطيبة.

٣. خصائص الالزام الأخلاقي في الإسلام

يمتاز الإلزام الأخلاقي في الإسلام بخصائص هامة لا توجد بمثل هذا الوضوح في الفلسفات الأخلاقية الأخرى وهي:

١.٣. الإلزام بقدر الاستطاعة:

إن الإسلام قد راعى استطاعة الإنسان في إلزامه بالقوانين الأخلاقية، ولهذا لم يكلفه فوق طاقته {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}[البقرة:٢٨٦]، {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم}[التغابن:١٦]، وهذا المبدأ كما تقتضيه الأخلاق السليمة تقتضيه كذلك العدالة الإلهية، إذ لا يمكن أن تكون الأخلاق صالحة للتطبيق إلا بهذا الشرط.

٢.٣. سهولة التطبيق:

وليست الأخلاق الإسلامية متوافقة مع قدرات الناس واستطاعتهم فحسب بل إنها أسهل مما يطيقونه {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ}[البقرة: ١٨٤]، {رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ}[البقرة: ٢٨٦].

نرى من هاتين الآيتين أن الله لم يعف عباده فقط مما لا طاقة لهم به بل مما يطيقونه بشق الأنفس؛ ذلك أن الحرج والضيق مرفوع في الشريعة الإسلامية، بل قصدها التيسير المفضي للحياة السعيدة، قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}، وهذا التيسير والرحمة مناسب لدوام هذا النظام مسايرا للحياة حتى لا يستنزف تطبيقه طاقة الإنسان كلها، مما يمنح قيمه الخلقية الصلاحية لكل زمان ومكان.

٣.٣. مراعاة الحالات الاستثنائية:

تظهر هذه المراعاة في تخفيف الإسلام عن المكلفين بعض التكاليف أو إعفائهم منها في بعض الظروف والحالات المحرجة الطارئة؛ كتخفيف الصلاة عن المسافر في الصلاة والإفطار في رمضان ثم قضاؤه متى تيسر له ذلك، وبأداء الصلاة على الراحلة، وأعفى العجزة والضعفاء من الجهاد، ورخّص للمضطر إباحة المحظور، وغيرها.

كما نجده أيضا قد رخّص في بعض ما ينافي الخلق في أصله لما يترتب على ارتكابه من مصلحة عامة أو درء مفسدة أشد؛ كالكذب في المعاملة في بعض الحالات الضرورية، إذا كان ذلك يؤدي إلى الخير العام أو ينقذ نفس الإنسان البريء من الإهدار، فقد روي عن الرسول أنه قال: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً" (٥١).

وقال الرسول –صلى الله عليه وسلم: "الكذب كله على ابن آدم إلا في ثلاث خصال: رجل كَذَبَ على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب فإن الحرب خدعة، ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما"(٥٢).

إن مراعاة الإسلام لهذه الأمور تدل على مرونة التشريع الإسلامي وتضفي عليه صفة صلاحيته لكل الناس في مختلف الظروف والحالات وفي مختلف الأزمنة والأمكنة.

وهذه الاستثناءات لا تخرم النظام الأخلاقي بل تخدمه؛ ولذا نجد الشاطبي يقول:" إن العزيمة مصلحة كلية عالمية والرخصة مصلحة شخصية جزئية وقتية، ولا ينخرم نظام في العالم بانخرام المصلحة الجزئية".(٥٣)

وإذا ألقينا نظرة عابرة على الاتجاهات الأخلاقية في هذه النقطة بالذات وجدنا فيها اتجاهين: أولهما لا يبيح الاستثناء في القاعدة الأخلاقية على أي حال ولو أدى التمسك بالأخلاق إلى هلاك إنسان بريء وهو اتجاه "كانط" المثالي، وثانيهما يعتبر الأهداف والغايات هي الأساس وإنها تبرر الوسيلة فكل وسيلة تحققها تعد عملا أخلاقيا وهو الاتجاه النفعي في الأخلاق بصفة عامة، والاتجاه الشيوعي بصفة خاصة(٥٤).

٤.٣. قوة الإلزام:

بيّنا فيما سبق مصادر الإلزام الأخلاقي في الإسلام، هذه العناصر مجتمعة تشكل أقوى سلطة إلزامية في الأخلاق الإسلامية، زيادة أن الإسلام قد ضاعف هذه القوة بما وعد به من الجزاء الجزيل للتمسك بالقيم الأخلاقية والعقاب الشديد للمنحرف والمستهتر، ثم إنه وجَّه الإنسان بصورة مستمرة نحو التسامي بإثارة الدوافع والاستعدادات المغروسة في الطبيعة البشرية لتتغلب العناصر الإنسانية الطيبة على الغرائز الحيوانية الجامحة.

وبذلك يكون الإسلام قد اعتمد في إلزامه الأخلاقي على جميع العناصر التي يمكن أن تكون عامل إلزام بصورة من الصور بخلاف المذاهب الأخلاقية الأخرى، فإن كل مذهب منها اعتمد على عنصر أو عنصرين فقط مثل النفع والشرف وما إلى ذلك.

المطلب الثالث: أثر الإيمان على المسؤولية الأخلاقية

هناك علاقة وطيدة بين الإلزام والمسؤولية، فمدى المسئولية يتحدد بمدى الإلزام والالتزام، ذلك أن الإلزام والالتزام يسبقان المسئولية من حيث الوجود، والمسئولية مبنية عليهما معاً.

١.مفهوم المسؤولية الأخلاقية وأسسها

المقصود بالمسؤولية الأخلاقية هو تحمل الإنسان نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة.

ونعني بالمسؤولية الشخصية: إن الإنسان مسؤول عما يصدر منه عن نفسه إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشراً، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ [فصلت: ٤٦]، ويقول سبحانه: كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ [الطور: ٢١]، ويقول تعالى: وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا

يَكْسِبْهُ عَلَى نَفْسِهِ [النساء: ١١١]، ويقول تعالى: السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً [الإسراء: ٢٦].

ونعني بالمسؤولية العامة (الجماعية): تلك المسؤولية التي تراعي الصالح العام للناس، فلا يكون الرجل إمعة متكاسلاً، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا))[٥٥]، بل يكون آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ساعيا في إصلاح غيره ومجتمعه داعيا إلى الفضيلة ناهيا عن الرذيلة؛ يقول النبي: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهذا أضعف الإيمان)) [٥٦]، وقال: ((إن الناس إذا رأوا منكراً، ولا يغيرونه، أوشك الله أن يعمهم بعقابه)) [٥٧].

وفي إطار هذه المسئولية الاجتماعية التي ترتب على الإنسان واجبات عديدة نحو مجتمعه وأسرته، بل ذاته، فإن له أيضا حقوقا لابد أن ينالها مثل حقه في الحياة والتملك، كل ذلك أي تلك الحقوق وما يقابلها من الواجبات يتم من خلال التوجه إلى مرضاة الله تعالى، وبهذا فقط ينشرح صدر الإنسان وتطمئن نفسه، ويتجاوب مع أهله وأصدقائه مشاركا لهم في أفراحهم، ومعينا لهم في وقت الشدة، ويتلقى منهم ما يسر خاطره، وقد جعل الإسلام هذه المشاعر النبيلة وتلك المشاركة الوجدانية الحقة ضمن عناصر الإيمان، يقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».[٥٨]

وتؤكد الآيات ومعها الأحاديث النبوية مسئولية الإنسان الفرد في بناء المجتمع المسلم، وتؤكد أن الفرد عضو في كيان أكبر، هو المجتمع الإسلامي الذي يقوم على الإيمان والعدل والمساواة والأخوة والتحرك الواعي تجاه أهداف الجماعة الإسلامية.

هذه المعطيات الأساسية تعتبر المبادىء التي تم بناء الفرد المسلم عليها، وهي المنطلقات الأساسية للتكليف السليم، وهي أساس التربية الخلقية السليمة باعتبار أن الأخلاق الإسلامية تحتل المكان البارز في حياة المسلمين، ولأن قواعد الأخلاق الإسلامية تتميز عن غيرها لاقترانها دائما بأمر التكليف حيث نرى اقتران أمر التكليف في كثير من آيات القرآن الكريم بالأمر بالفضائل الخلقية، كالبر والتعاون والمودة والأمانة وأمثالها.[٥٩]

أما الأساس الذي تقوم عليه المسئولية فهو أهلية الشخص المسئول للقيام بالمسئوليات التي يتحملها ويلتزم بها سواء كان بإلزام أم بالتزام: وهذا يقتضي توافر الشروط الآتية في الشخص المسئول وهي: أن يكون واعياً لطبيعة ذاته ولسلوكه وأهدافه ونتائج تصرفاته مما يعود على نفسه أو على غيره من نفع أو ضرر إن عاجلاً

أو آجلاً، وأن تكون له حرية الإرادة والاختيار والتصرف فيما يختاره، وأن يكون مستطيعاً للقيام بمسئولياته.(٦٠)

وهذه الشروط تتوفر في الكائن الإنساني بعد أن بينا في الموضوعات السابقة وجود الوعي والعقل وحرية الإرادة والاختيار، والاستطاعة لتنفيذ الاختيارات فيه.

ومما يدل أيضا على تحمل الإنسان للمسؤولية الأخلاقية قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}[الأحزاب: ٧٢]، والأمانة هنا هي أمانة التكاليف، والأخلاق كلها تكاليف من الصدق في الأقوال والعمل الصالح والتي هي السلوك كله، وأن يكون كل ذلك بروح الطاعة لله وعلى أنه مكلف بها من قبله تعالى.

وكل فرد تتوافر فيه شروط المسئولية مسؤول عن سلوكه في إطار مجاله الشخصي وفي إطار مجاله الوظيفي، ولهذا قال الرسول –صلى الله عليه وسلم: "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راعٍ ومسئول عن رعيته والرجل راعٍ على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته" (٦١)، ولقد حدد الرسول عما يسأل عنه الإنسان فقال: "لا تزال قدما ابن آدم يوم القيامة عند ربه حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم".(٦٢)

٢. مجالات المسؤولية الأخلاقية ومراتبها

تعتبر الحياة كلها ميدان المسؤولية، سواء كانت المسؤولية فردية أو اجتماعية، فالمسؤولية الفردية تتمثل في مسؤولية الإرادة والقصد والتصميم، فالإنسان مسؤول عن عزمه وإن لم يفعل، قال تعالى:{وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ}[البقرة: ٢٨٤]، ولا يدخل في هذا حديث النفس من الخطرات والوساوس بل هو معفو عنه.

ونرى هنا أن الإسلام يختلف في نظرته إلى المسئولية عن كثير من المذاهب الأخلاقية وعن نظرة القوانين الوضعية ذلك أن نظرة هذه المذاهب والقوانين لا تجعل مجال الإرادة الداخلية ما لم تنفذ في العمل الخارجي مجال المسئولية إطلاقاً، كما تختلف عن نظرة بعض الأديان السابقة على الإسلام التي كانت تعتبر الإنسان مسئولا عما تتحدث به نفسه.

والجانب الثاني للمسؤولية الفردية هو المجال الظاهري للمسئولية فهو السلوك المادي المحسوس سواء أكان كاملاً أو فعلا بشرط أن يكون ناتجاً عن قصد واختيار {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا

عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ}[المائدة: ٨٩]، وفي آية أخرى: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ}[البقرة: ٢٢٥]]، وقال الرسول –صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" (٦٣).

وبناء على ذلك فلا يكون الإنسان مسؤولا عن سلوكه الناتج عن إكراه واضطرار، {وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[النور:٣٣]، {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ}[البقرة: ١٧٣]، وكذلك السلوك الناتج عن الخطأ والنسيان {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا}[البقرة: ٢٨٦]، ويدخل في هذا المجال أيضاً سلوك النائم والمجنون والصبي فقد قال الرسول –صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر" (٦٤). وفي رواية أخرى: "وعن الصبي حتى يحتلم".

أما القسم الثاني من المسؤولية وهو المسؤولية عن سلوك الغير؛ إذا نظرنا إلى الاتجاهات الأخلاقية والقانونية في هذه المسألة وجدنا اتجاهين بارزين أحدهما: اتجاه فردي يرى أن الفرد ليس مسؤولاً إلا عن سلوكه الخاص، وثانيهما اتجاه جماعي يرى مسؤولية الجماعة عن سلوك الأفراد ومسئولية الفرد عن سلوك غيره.(٦٥)

وأما عن وجهة نظر الإسلام فإنا نجد نصوصاً تقرر المسئولية الفردية بصورة مطلقة كأن الفرد مسئول عن نفسه فقط، فقال تعالى: {وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[الأنعام: ١٦٤]،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[المائدة: ١٠٥]، وفي المقابل نجد أيضاً نصوصا تقرر مسئولية الفرد عن سلوك غيره، من هذه النصوص قوله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال: ٢٥]، {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}[لقمان: ١٧]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم –بعد ما تلا قوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[المائدة: ٧٨]: "كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم" (٦٦)،وقال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٦٧).

ويجمع بين هذه النصوص أن المسؤولية بحسب جزائها على أقسام؛ منها ما يعاقب عليه المسؤول في الدنيا فقط، وذلك إذا ترك مقاومة الفساد لا رغبة في انتشاره ولكن لضعفه او عجزه، فيصيبه ما أصاب العامة.

ومنها ما يعاقب عليه المسؤول في الدنيا والآخرة، وذلك إذا توانى عن مقاومة الفساد لإرادته الفساد، أو لم يكن مريدا لكنه توانى لكسله او عدم اهتمامه.

ومنها ما تعتبر مسؤولية فردية من جهة ومسئولية غيرية من جهة أخرى وهي المسؤولية الناتجة عن إضلال الإنسان غيره بآرائه وتوجيهاته، فيتحمل تبعة إضلاله، والآخر يتحمل تبعة اتباعه الضلال وفعله الجرائم، ومن هنا قال تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ}[النحل: ٢٥].

وتحمل الإنسان مسؤولية سلوك الغير في هذا الإطار ليس فيها أي غرابة في التفكير الأخلاقي؛ ذلك أن الإنسان ليس مسئولا فقط عن فعل الشر، بل هو مسؤول أيضاً عن دفع الشر؛ لأن هدف الأخلاق تحقيق السعادة، والسعادة لا تتحقق إلا بإنقاذ الإنسان من الشر أولا ثم تحقيق الخيرات له ثانياً، وإنقاذ الإنسان من الشر لا يتم إلا بالكف عن الشر ودفع الشر، ولذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ الهامة للغاية في التفكير الأخلاقي في الإسلام.(٦٨)

وأما مراتب المسؤولية فهي ليس على درجة واحدة لا من حيث النفع والضرر، ولا من حيث ما يثير في النفوس من تقبل واشمئزاز، ولا من حيث الموضوعات التي تتعلق بها أو التي تترتب عليها من خير أو شر على مر الزمان.

ولهذا نجد الإسلام قسّم الأعمال الأخلاقية بحسب المسئوليات، فقسّم الواجبات إلى واجب عيني وكفائي ومندوب، وقسّم المنهيات إلى كبائر وصغائر وإلى محرم ومكروه، فقال تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}[النساء: ٣١]

ومسؤولية الإنسان ليست قاصرة على المسئولية الدنيوية من حيث المكافأة والجزاء بل إن المسئولية الأساسية هي المسئولية الأخروية التي ينال فيها نتيجة مسئوليته بصورة عادلة.

المطلب الرابع: الإيمان والجزاء الأخلاقي

إذا كانت المسؤولية هي نتيجة طبيعية للإلزام، فإن الجزاء نتيجة طبيعية لها، والجزاء من حيث إنه أساس أخلاقي له أهمية للأركان الأخرى، بل إن أهميته مزدوجة فهو مهم باعتباره دافعاً إلى التمسك بالقيم الأخلاقية، وهو مهم أن العدالة تقتضيه؛ لأنها تفرق بين إنسان يبني وآخر يهدم، بين إنسان يخدم الناس وآخر يقتل الناس، فالجزاء يقتضي العدالة والعدالة تقتضي الجزاء وهما يجعلان للأخلاق معنى وقيمة، وبدونهما تفقد الأخلاق معناها فتصبح أمراً لا قيمة له.(٦٩)

إن الإسلام ربط الأخلاق بالجزاء ربطا لا انفصام له، سواء كان هذا الجزاء عاجلا أو آجلا، فالجزاء نتيجة تنتجها الأخلاق كما تنتج الشجرة الثمرة.

ربط الإسلام مصير الإنسان من حيث السعادة والشقاوة في الحياة الدنيا والآخرة بالعمل الأخلاقي، فنتيجة الأخلاق الحسنة السعادة في الحياتين ونتيجة الأخلاق السيئة الشقاوة والتعاسة في الدارين معا.

وربط الأخلاق بالجزاء أمر ضروري؛ لأنه يزيد قيمة الأخلاق كما تزيد قيمة الشجرة ثمرتها.

وبذلك اختلفت الأخلاق الإسلامية عن الأخلاق الكانطية التي لا تربط الأخلاق بالجزاء والمكافأة، والأخلاق من غير جزاء ومكافأة جافة لا طعم فيها أو قليلة الفائدة وناقصة القيمة.

كما تميزت الأخلاق الإسلامية عن الأخلاق النفعية أيضا إذ إن هذه الأخيرة ربطت الأخلاق بالمنافع المادية الدنيوية وجعلتها وسيلة لها فحسب.

١.ضرورية القيم الأخلاقية في الإسلام

إن قيمة الأخلاق في الاتجاه الإسلامي قيمة عظيمة تجمع بين قيم السماء والأرض ولهذا فقد اهتم الإسلام كل الاهتمام بالأخلاق، ويدعو الناس إليها دائما؛ لأن سعادة المرء مرهونة بها في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى أيضا.

والأخلاق تكتسب قيمتها في نظر الإسلام من أربعة روافد:

الأول: القيمة الإلهية باعتبارها وحيا إلهيا وإرادة إلهية وكل ما يوافق إرادة الله يكون له قيمة وقداسة عند المؤمن.

الثاني: القيمة الإنسانية: لأن الإنسان له قيمة والأخلاق من الناحية العملية فعل إنساني ولأن إرادة الإنسان وغايته تلعبان دورا هاما في قيمة الفعل الأخلاقي بل تعتبران روح السلوك الأخلاقي.

الثالث: القيمة المادية: لأن الأخلاق مهما كانت بعيدة عن المادة من حيث المصدر والغاية فإنها متصلة بالمادة ويترتب عليها جزاء مادي ومعنوي ولقد وعد الله المتمسكين بالمبادئ الأخلاقية بالجزاء المادي عاجلا أو آجلا.

الرابع: القيمة النظرية: فالحق والباطل قيمتان، الأول خير والثاني شر. والأول علم، والثاني جهل. والأخلاق هدفها الخير أو جلب الخير، ولهذا فإن مبادئها مبنية على الحق وعلى العلم وتدعو إلى الحق وإلى العلم وتنهى عن الباطل والجهل، ثم إن الأخلاق سلوك جميل والجمال له قيمة في نظر الإنسان.(٧٠)

إن لمحاسن الأخلاق في الإسلام مكانةٌ فريدة لم تكن في دين من الأديان، أو منهج من المناهج، وقد بلغ بها الإسلام من المكانة أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن مِن خياركم أحسنَكم أخلاقاً" (٧١) وقال أيضاً: "إنّ مِن أحبِّكم إليّ أحسنَكم أخلاقاً" (٧٢) وقال أيضاً: "اتّقوا النار ولو بِشِقّ تَمْرَة، فإن لم تجد، فبكلمة طيِّبة"(٧٣)

ولقد أهتم الإسلام بالأخلاق لأنها أمر لا بد منه لدوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحيتين المادية والمعنوية، فالإنسان –دائما –بحاجة ماسة إلى نظام خلقي يحقق حاجته الاجتماعية، ويحول دون ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها عليه وعلى غيره.

والمجتمع الإنساني في عمومه لا يتكون دون وجود هذا البناء المعياري، وهو بالإجمال أفكار تنطوي على صورة الحياة الاجتماعية، وتتضمن الملاحظات التي تتعلق بها، ويحمل البناء الخطوط الأساسية لتلك الحياة وتطورها.(٧٤)

وتعتبر الأخلاق صورة المجتمع، لأنها الضابط والمعيار والموقف الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، أو القواعد الأساسية الممنوحة من الله للإنسان لتنظيم حياته، وهي تنتظم فيما يسمى بالبناء الخلقي أو النظام الخلقي الذي يعكس أهداف المجتمع، ومصادر تكوينه وطبيعة بنائه.

إن الإسلام يدرك تمام الإدراك ماذا يحدث لو أهملت المبادئ الأخلاقية في المجتمع، وساد فيه الخيانة والغش، والكذب والسرقة، وسفك الدماء، والتعدي على الحرمات والحقوق بكل أنواعها، وتلاشت المعاني الإنسانية في علاقات الناس، فلا محبة ولا مودة، ولا نزاهة ولا تعاون، ولا تراحم ولا إخلاص. إنه بلا شك سيكون المجتمع جحيما لا يطاق، ولا يمكن للحياة أن تدوم فيه، لأن الإنسان بطبعه محتاج إلى الغير، وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والأنانية والانتقام.

فالأخلاق أمر لا غنى عنه؛ لأنها شرط في دوام الحياة الاجتماعية وتقدمها من الناحية المادية والمعنوية، وهما أساسا تقدم الحضارة، وهي ضرورية أيضا لتحقيق السعادة للإنسان، وهذا أمر شديد الوضوح في الإسلام.

٢. أنواع الجزاء الأخلاقي في الإسلام

الجزاء الأخلاقي أنواع: منها الجزاء الإلهي والوجداني والطبيعي والاجتماعي، وهذه الأنواع بينها بعض الصلات المشتركة.

أما الجزاء الإلهي فهو أصل هذه الأنواع؛ وينقسم بحسب النوع إلى ثواب وعقاب فالثواب في حالة الاستقامة والعقاب في حالة الانحراف، وينقسم بحسب الوقت إلى دنيوي وأخروي، وبحسب درجة المسئولية إلى قلة وكثرة، وإلى قطعي وغير قطعي.

وهذا الجزاء الإلهي في الدنيا له عدة جوانب، منه المادي، ومنه تأييد الله ونصرته، ومنه الهداية والرشاد.

والجزاء الأخروي إنما هو الجنة للصالحين، وفيها نعيم مقيم وخلود دائم، والنار للعصاة والمفسدين والفجار خالدين فيها أبدا، ثم هناك الرضوان على المؤمنين وعدم الرضوان على الكفار والفاسدين.

إن الجزاء الأخلاقي الثوابي يتمثل في الحسنة والسيئة أي في كسب القيمة أو خسارتها{ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}[المطففين:٧]، {كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ}[المطففين:١٨].(٧٥)

كما تعتبر الحدود من الجزاءات التي حددها الشرع بدقة وصرامة، وهي من حقوق الله تعالى، ولا تسقط بالعفو ولا بالصلح، وهذه تتعلق بالجرائم التالية: الزنا، السرقة، القذف، شرب الخمر، البغي، قطع الطريق، الردة.

وكذا التعزيرات وهي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لا حد فيها. ويتعلق بالتعزير حقان: حق الله وحق العباد، وما كان حق العباد فيه غالبا فيجوز قبول العفو فيه، وما كان حق الله فيه أغلب فبرغم عفو المتضرر فإن التعزير واجب.

وهنا تتنوع العقوبة الموقعة على المجرم من تأنيب، إلى تعنيف أمام العامة إلى السجن، إلى الجلد، ومن حق القاضي أن يتغاضى عن بعض الأخطاء القليلة حين تقع من إنسان ذي خلق. وقد روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود»(٧٦).

وأما الجزاء الوجداني فهو تلك الحركة الشعورية التي نحس بها في أعماق قلوبنا بالفرح أو التأنيب بعد كل فعل مباشرة نعتقد أنه فعل حسن أو قبيح.

هذا الشعور أو الإحساس المتحرك الذي يجيش في نفوسنا يختلف درجة من فرد إلى آخر بحسب الاستعداد الفطري أو الوراثي والتربية الأخلاقية وصفاء الضمير ونظافته وإيمانه بموافقة ذلك العمل لإرادة الله أو مخالفته لها.

ولعل هذا هو المعنى الذي أشار إليه الرسول عندما عرَّف البر والإثم فقال: "البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس"(٧٧)، وفي رواية أخرى: "البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس"، وفي رواية ثالثة: "البر ما انشرح له صدرك والإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك الناس" (٧٨).

فالوجدان أو الضمير يعتبر محكمة عدل مباشرة لا تحتاج إلى شاهد ولا قاضٍ يخبرك بخيرية الفعل أو شريته قبل الفعل ويجزيك بالسرور إن كان فعلا حسنا، وبالوخز والألم إن كان شرا والذي تصاحبه التوبة التي تعيد تثبيت القانون المنتهك.

إن قيمة هذا الجزاء أكثر تأثيرا من قيمة الجزاء المادي؛ لأن هذا الأخير وقتي، أما الأول فهو مصيب مستمر؛ ولهذا قال علماء علم النفس: إن المجرمين تحت عقاب مستمر وإن نجوا من العقاب القانوني أو انتهوا منه.(٧٩)

وأما الجزاء الطبيعي فإن الخارج على النظام الخلقي سينال جزاءه من الطبيعة نفسها، وهي من سنن الله الكونية، مثل: الإصابة بالأمراض بسبب مخالفة القوانين الأخلاقية كالإصابة بالأمراض السرية بسبب ارتكاب جريمة الزنا، والأمراض التي تصيب بسبب مخالفة قانون النظافة أو تناول المسكرات.

وقد يرجع الجزاء إلى قوانين الطبيعة الاجتماعية فمخالفة قانون الصدق يؤدي إلى زوال الثقة بالأشخاص والتعامل الاجتماعي، وزوال الثقة هذا يؤدي إلى انعدام الاطمئنان في الحياة الاجتماعية ولا خير في حياة بدون اطمئنان، كذلك الأمر لو تعدى الناس قانون حرمة النفس الإنسانية وتفشت جريمة القتل، فالأمر لا يؤدي هنا إلى زوال الحياة المطمئنة فحسب بل يؤدي إلى زوال الحياة بزوال الناس.

وهكذا نجد أن زوال الأخلاق يؤدي بوجه عام إلى زوال الحياة وأكبر جزاء على مخالفة الأخلاق هو انعدام هذه الحياة من تلك الوجوه.

ويكون الأمر على خلاف ذلك متى روعيت القوانين الأخلاقية، فالطبيعة المتمثلة في السنن الإلهية الكونية تجازي الناس عند ذلك بالحياة السعيدة التي يسودها الاطمئنان والرخاء والمحبة؛ لأن قوانين الأخلاق عموما هي قوانين الحياة التي تضفي عليها الصفة الإلزامية والقداسة، فالأخلاق تأمر بالجدية في العمل والإخلاص، وتجنب الاصطدام بقوانين الطبيعة واحترام حقوق الناس الطبيعية والعمل من أجل خدمة الإنسانية وهي كلها قوام الحياة السعيدة الدائمة.(٨٠)

أما الجزاء الاجتماعي؛ فمنه الجزاء المادي وهو ما يقرره المجتمع من عقاب للمنحرف ومكافأة للمستقيم الصالح، وقد قرر الإسلام عقوبات مختلفة بحسب الجرائم المرتكبة، وأعطى حق تنفيذ العقوبة للمجتمع منها عقوبة الزنا والسرقة وقطع الطريق، وذلك حتى لا يتمادى غيره فيعم ذلك المجتمع ثم يصعب علاجه، ويكون سببا لهلاكه.

ومنه الجزاء الأدبي وهو عدم الاعتداد بشخصية الفاسق وعدم الثقة به، ولهذا لا تقبل شهادته {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ}[النور: ٤]، وهذا أمر صعب على النفس الإنسانية وخاصة على الذين يتمتعون بالإحساس الأدبي الرفيع وبالمكانة الاجتماعية. وليس هذا قاصرا على الشهادة بل يشمل تولي الوظائف وإسناد المهام إليه أيضا.

وبمقابل إسقاط القيمة الأدبية للفاسقين أمر الإسلام برفع القيمة الأدبية للصالحين ورفع درجاتهم بحسب درجة أخلاقهم، فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم: "أنزلوا الناس منازلهم" (٨١)، وقال: "إن الهدى الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة" (٨٢)، ثم دعا الإسلام إلى مصاحبة ذوي الأخلاق الحسنة ومجانبة ذوي الأخلاق السيئة فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم: "إنما مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة" (٨٣).

إن الإسلام أكثر الجزاءات الأخلاقية لدفع الناس بالقوة إلى الالتزام بالقيم الأخلاقية وذلك يدل على اهتمام الإسلام بتلك القيم في بناء الفرد والمجتمع والأمة.

٣.الأخلاق مناط الثواب والعقاب

لقد جاءت الشريعة الغراء بالتحذير من الأخلاق السيئة والدعوة والترغيب إلى الاخلاق الحسنة ورتبت عليها جزاء دنيويا وأخرويا.

ومن حث الشارع على محاسن الأخلاق أن ربطها بطاعة الله ومحبته وطاعة رسوله ومحبته أيضا، وأنها من موجبات دخول الجنة، وأنها دليل كمال الدين، وأنها أثقل شيء في الميزان، وأنها عبادة يبلغ بها العبد درجات الصائم القائم، وأن صاحب الخلق من خيار الناس، وأنها من خير أعمال الإنسان، وأنها سبب تأييد الله ونصره.

وفي المقابل جاءت النصوص من الكتاب والسنة بالترهيب من الأخلاق السيئة، والنهي عنها، والتحذير منها، وذم العاملين بها.

ولقد جاءت دعوته صلى الله عليه وسلم إلى فضائل الأخلاق سامية زاكية، فقد روي عن أسامة بن شريك قال: «كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله تعالى؟ قال: (أحسنهم خلقا) » وحسن الخلق من أكثر الوسائل وأفضلها إيصالا للمرء للفوز بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والظفر بقربه يوم القيامة حيث يقول: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا».

هنا نجد الإسلام يختلف في نظريته الأخلاقية بالنسبة إلى الله عن بعض الفلاسفة مثل "كانط" الذي يرى عدم وجود هذا النوع من الأخلاقية؛ لأن الأخلاق في نظره واجبة، والواجب يقتضي سبق حق وليس للإنسان حق سابق على الله(٨٤).

فإذا كانت الأخلاق ضرورة في نظر المذاهب والفلسفات الأخرى فهي في نظر الإسلام أكثر ضرورة وأهمية، ولهذا فقد جعلها مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فهو يعاقب الناس بالهلاك في الدنيا لفساد أخلاقهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا}[يونس:١٣]، وقال تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[هود:١١٧]ـ وقال تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[البقرة:٢٠٥]، ويكافئ الأبرار الصالحين بالجنة ويعاقب الفجار والأشرار بالنار يوم القيامة {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ}[الانفطار: ١٣-١٤]، وقد قرن الله تعالى بر الوالدين والشكر لهما بالشكر له وبعبادته فقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[لقمان: ١٤]، وعد عقوق الوالدين من أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأكبر الكبائر"، قالوا: نعم، قال: "الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقتل النفس".(٨٥)

ولا يقتصر جزاء الله على الآخرة بل يكون في الدنيا أيضا وإن كان الأول هو الجزاء الكامل القطعي، أما الأخير فإنه قد يكون مكافأة للمحسنين: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[الأعراف:٩٦]، {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}[النحل: ٩٧]، {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم}[الفتح: ١٨]، وقد يكون عقابا للمسيء {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً}[نوح: ٢٥]، {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ}[القصص: ٧٦-٨١]، {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[النمل: ٥٢].

لذا جاء الإسلام بأسس ومعايير يتحتم علينا السير وفقا لها وهي ليست أسسا ومعايير وضعية، وإنما وحي يوحى على هيئة أوامر ونواه ومباحات ومحظورات فمن أطاع الله أثابه ومن عصاه عاقبه.

٤.غاية الأخلاق وأثرها على الفرد والمجتمع

إذا ألقينا نظرة عامة على الاتجاهات الفلسفية المختلفة فيما يتصل بغاية الأخلاق وجدنا فيها اتجاهين عامين: يرى أحدهما أن للأخلاق غاية، وهو اتجاه معظم الأخلاقيين، ويرى ثانيهما أن ليست للأخلاق غاية، وهو الاتجاه الذي ذهب إليه كانط.(٨٦)

وأساس الخلاف يرجع إلى أنه إذا كان هناك غاية للأخلاق فمعنى ذلك أنها وسيلة، وأنها تتغير وتتبدل وليست ثابتة، ومن جهة أخرى فالادعاء بأن الأخلاق وسيلة يؤدي إلى تجريدها من كل قدسية، وهذا يؤدي بدوره إلى عدم الإلزام والالتزام اللائقين بها.

وإذا كانت للأخلاق غاية بناء على رأي الاتجاه الأول فما هذه الغاية؟ يقولون: إن الغاية من الأخلاق هي السعادة، وأما الاتجاه الثاني فيرى أنه وإن لم يكن للأخلاق غاية فإنها تؤدي إلى حال من السعادة بطبيعتها.

ثم يختلفون في تحديد هذه السعادة من حيث ماهيتها ومن حيث الطريق المؤدي إليها ومن حيث زمانها ومكانها، وقد أدى هذا الاختلاف إلى الاختلاف في تنظيم الحياة الأخلاقية ومجالات العمل الأخلاقي.

فالاتجاه الروحي الصوفي يرى أن الروح حقيقة الإنسان وجوهره، وأما الجسم فما هو إلا أداة تستعملها الروح، ولهذا فحقيقة سعادة الإنسان سعادة روحية وهي لا تتم إلا بالاهتمام بها وتحقيق متطلباتها وتطهيرها وتزكيتها من العلائق المادية والنوازع الشريرة، وبذلك تصبح مالكة الجسم تسيره حسب مشيئتها وتتحرر من قيود الجسم وأغلاله ومتطلباته.(٨٧)

أما الاتجاه العقلي فيرى أن السعادة هي الشعور الغالب بالسرور الدائم في جميع الظروف، وهذا الشعور يأتي نتيجة إخضاع السلوك لحكم العقل واتباع قوانينه والتمسك بالفضائل التي يأمر بها، وقد ذهب إلى هذا الاتجاه أرسطو والرواقيون في العصور القديمة، وابن مسكويه والفارابي وغيره من المسلمين، و"ديكارت" و"كانت" في العصور الحديثة، وإذا كان هناك فارق بين هؤلاء فإنما هو في الدرجة لا في النوع.(٨٨)

وأما الاتجاه المادي فيرى أن السعادة هي التي يشعر بها الإنسان نتيجة إشباع دوافعه الطبيعية وغرائزه الحسية.

وإذا انتقلنا من هذه الاتجاهات الوضعية، إلى الاتجاه الإسلامي الرباني وجدنا أن الغاية من نظامه الأخلاقي هو تحقيق السعادة للإنسان في الدارين، وحقيقة السعادة في هذه الحياة هي الشعور والإحساس الدائم للمرء بالبهجة والأريحية والطمأنينة نتيجة إحساسه بخيرية الذات وخيرية الحياة وخيرية المصير.

فخيرية الذات بصحة عقيدته وصالح عمله، وبهما خيرية حياته، والتي يستلزم منها خيرية مصيره؛ قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢].

فالإسلام بنظامه الأخلاقي التشريعي يورث للإنسان أمنه الداخلي والخارجي، أما أمنه الداخلي؛ فالعقيدة الصحيحة المبرهنة والتي تعطي إجابات عن التساؤلات الكبرى المحيّرة تورث طمأنينة في القلب وراحة وسعادة، ولهذا قال إبراهيم:{ليطمئن قلبي}[البقرة:٢٦٠]، كما تورث حلاوة الإيمان، ولهذا قال الرسول: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"(٨٩).

كما حث الشارع على كل عمل صالح خلقي لما يورثه أيضا من طمأنينة وسعادة، كما قال تعالى:" {أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[الرعد: ٢٨].

ثم إن ربط الإنسان مصيره بالسعادة له دور كبير في إحساسه بالسعادة في مختلف الظروف مهما تكبد في سبيلها من عناء ومشقة؛ لأن السعادة أمل الإنسان دائما، إن عاجلا أو آجلا، وهذا الأمل هو الذي يبعث في نفس الإنسان الاطمئنان والرضا، لذا قال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي}[الفجر: ٢٧-٣٠]، تلك هي السعادة الحقيقية الأبدية {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} ، وذلك هو الفوز الأكبر، والمصير السعيد لسعي الإنسان، كما قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة: ٧٢].

ونتيجة الاطمئنان إلى رعاية الله ونصره فلا يصيب هذه النفوس خوف ولا فزع عند المصائب والشدائد، بل لهم كل بشرى وطمأنينة في الحياة الدنيا والآخرة؛ قال تعالى:{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) }[يونس: ٦٢-٦٤].

ولأجل تحقيق هذا الأمن الخارجي فإن النظام الأخلاقي الذي وضعه الإسلام يكفل للفرد الأمن الخارجي، ذلك أن هذا النظام أوجب احترام الفرد في حريته وممارسة حقوقه الطبيعية، وحرم القتل والغصب والسرقة والاعتداء على الأعراض، وإلى جانب هذا دعا الناس إلى التبشير بالخير والنهي عن التشاؤم فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم–: "بشروا ولا تنفروا" (٩٠)، وقال أيضا: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني من الفأل الصالح الكلمة الطيبة" (٩١)، وقال "سوء الخلق شؤم" (٩٢).

وذلك ليعيش الناس في ضياء من التفاؤل بخير الحياة، كما أمر بالتعاون والتراحم واحترام مشاعر الناس وإحساساتهم الأدبية ليجد الناس الاستقرار والطمأنينة والأمن في معاملاتهم وفي حياتهم، ثم لم يكتفِ بوضع النظام بل أقام حكومة لتنفيذ هذا النظام وجعل الحكام مسئولين عن ذلك. (٩٣)

من هذا كله نرى أن الإسلام قد حدد للإنسان عقيدة سليمة وغاية سعيدة، ثم حدد له نمطا سلوكيا في الحياة تتسق فيه العقيدة مع الغاية، وينسجم مع قوانين الحياة والدوافع الأساسية للطبيعة البشرية، ويقرر الإسلام أن من يسير في هذه الحياة وفقا لهذا النمط السلوكي الذي حدده هذا الدين سوف يسعد في هذه الحياة أيضا، قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً}[النور:٥٥]، وقال:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: ٩٧]، وقال:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}[الليل:٥-٧] ، وقال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}[الطلاق: ٢٦٣]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من سعادة المرء حسن الخلق، ومن شقاوته سوء الخلق"(٩٤).

إن الإسلام يستهدف من نظامه الأخلاقي تحقيق السعادة في الآخرة أكثر مما يستهدفها في الدنيا، ثم إن السعادة التي استهدفها أو أرادها لا تقتصر على جانب واحد، بل تشمل الجانب الروحي والعقلي والنفسي والحسي معا.

ثم إن الأخلاق في نظر الإسلام، وإن كانت ترمي إلى تحقيق السعادة للإنسان فإن هذا الهدف هدف الأخلاق لا هدف الذات الفاعلة، فإن هذه الذات ينبغي ألا ينحصر في تحقيق المرء السعادة لنفسه أو لغيره وإنما ينبغي أن يكون هدفه الأول هو الله وحده، إنه يجب أن يقوم بالأعمال الأخلاقية؛ لأنه مأمور بها من قبل خالقه، وأن يقصد بها وجهه لا وجه أحد ولا وجه السعادة أو تحقيق السعادة، هذا القصد الخالص لوجه الله من السلوك في هذه الحياة هو العبادة الخالصة التي جعلها الله الغاية من خلق الإنسان مصداق ذلك قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ}[الرعد: ٢٢]، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].(٩٥)

وهكذا نجد أن الأخلاق الإسلامية تدفع بطبيعتها إلى الكمال والتكامل في البناء الاجتماعي الذي يقوم على توطيد العلاقات الإنسانية بين الناس على أساس الإيمان والإخلاص، ثم إلى التكامل في ميدان العمل

والصناعة والمعرفة، وكلا التكاملين ضرورة لا بد منها لإيجاد حياة إنسانية سعيدة، من أجل ذلك كله كان الإسلام ضياء ونورا يضيء أمام الإنسان ويهديه إلى طريق السعادة، وصدق الله العظيم إذ يقول: {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الأعراف: ١٥٧].

الخاتمة:

بعد هذه الجولة العلمية في علم الأخلاق الإسلامية أسجّل في خاتمة هذا البحث أهم نتائجه في النقاط التالية:

١. تحتل القيم الأخلاقية دورا هاما في توجيه سلوك الفرد والجماعة، فهي تقوده إلى إصدار الأحكام على الممارسات العملية التي يقوم بها، وهي الأساس السليم لبناء تربوي متميز، كما أنها تسهم في تشكيل الكيان النفسي للفرد، وهي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات، فهي تقي المجتمع من الأنانية المفرطة والنزعات، وتحفَظ للمجتمع تماسكه، وتحدِّد أهدافه ومُثُلَه العليا ومبادئه الثابتة لممارسة حياة اجتماعية سليمة، كما تعطي الأفراد إمكانية تحقيق ما هو مطلوب منهم في إطار الرسالة الإسلامية.

٢. القيم الأخلاقية هي روح الإسلام؛ فقد ارتبطت جوانبه برباط أخلاقي لتحقيق غاية أخلاقية، ونظامه التشريعي هو صورة مجسّمة لهذه الروح الأخلاقية.

ومصدر الإلزام الأخلاقي في الإسلام هو الإيمان بالله ربا وبمحمد نبيا ووجوب طاعتهما بما جاء من أوامر ونواهي وإرشادات في الكتاب والسنة، وتحقيق مقاصد الشارع فيها، والذي غايته من التكاليف سعادة الدارين.

٣. يرتبط مفهوم الأخلاق بمفهوم الإيمان ارتباطا وثيقا، ولذا يعتبر الوحي الإلهي مصدر الأخلاق؛ ومن ثَمّ عُرّفت الأخلاق في المنظور الإسلامي بأنها مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.

ولذا كانت مجالات الأخلاق في الإسلام مجال الحياة كلها؛ لأن الأخلاق نمطٌ للعمل وللسلوك في الحياة، فموضوع الأخلاق في الإسلام كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد.

٤. لقد أقام الإسلام صرح الأخلاق على أسس لا غنى عنها، وقد كان الأساس الميتافيزيقي والاعتقادي ضروريا للأخلاق؛ لأنه يوجّه الإنسان إلى طريق الحق في التفكير وطريق الخير في السلوك؛ ولأنه يعد أقوى إلزام للإنسان باتباع هذا الطريق أو ذاك.

فالأخلاق في نظر الإسلام نظام إلهي إنساني معا يجمع بين نظام اعتقادي معيارا للتمييز بين الحق والباطل في النظر، ونظام حياة معيارا للتمييز بين الخير والشر في السلوك.

٥. إن أساس النظرية الأخلاقية في الإسلام وركنها الأصيل هو الإيمان، ويعتبر البعد الغيبي المؤسس لأركانها الفلسفية، والتي يمكن أن نجملها في ثلاثة أركان أساسية وهي: الإلزام، والمسؤولية، والجزاء، وهذه الثلاث مرتبطة فيما بينها ويؤدي كل واحد منها للآخر، ذلك أنه لا مسؤولية إلا بإلزام والتزام، ولا جزاء إلا بمسؤولية على الأفعال.

٦. لقد استكمل الإسلام طرق الإلزام الأخلاقي وأنواعها، وسلط الوازعات على عقل المؤمن ثم على قلبه وضميره، ونفسه وغرائزه، وطباعه وحسده، فانتزع الدواء من مكمن الداء، وشمل بهذا الإلزام الكبائر والصغائر، والأخلاق والآداب، وجعل الفرد رقيبا على نفسه وعلى المجتمع، وجعل المجتمع رقيبا على الفرد، ولا يكتفي الإسلام بعامل واحد للإلزام بل يستخدم عوامل متعددة ويمكن إرجاعها إلى مصدرين أساسيين: مصدر خارجي وآخر داخلي، أما المصدر الخارجي؛ فالوحي الديني، والإلزام الجماعي، وبوازع السلكان، وأما الداخلي؛ فالعقل، والضمير الخلقي، والدافع النفعي.

٧. يمتاز الإلزام الأخلاقي في الإسلام بخصائص هامة لا توجد بمثل هذا الوضوح في الفلسفات الأخلاقية الأخرى وهي: الإلزام بقدر الاستطاعة، وسهولة التطبيق، ومراعاة الحالات الاستثنائية، وقوة الإلزام.

٨. المقصود بالمسؤولية الأخلاقية هو تحمل الإنسان نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة، فالإنسان مسؤول عما يصدر منه عن نفسه إن كان خيراً فخيراً، وإن كان شراً فشراً.

وتؤكد الآيات ومعها الأحاديث النبوية مسئولية الإنسان الفرد في بناء المجتمع المسلم، وتؤكد أن الفرد عضو في كيان أكبر، هو المجتمع الإسلامي الذي يقوم على الإيمان والعدل والمساواة والأخوة والتحرك الواعي تجاه أهداف الجماعة الإسلامية.

٩. إذا كانت المسؤولية هي نتيجة طبيعية للإلزام، فإن الجزاء نتيجة طبيعية لها، والجزاء من حيث إنه أساس أخلاقي له أهمية للأركان الأخرى، بل إن أهميته مزدوجة فهو مهم باعتباره دافعاً إلى التمسك بالقيم الأخلاقية، وهو مهم أن العدالة تقتضيه.

ولذا ربط الإسلام الأخلاق بالجزاء ربطا لا انفصام له، سواء كان هذا الجزاء عاجلا أو آجلا، فالجزاء نتيجة تنتجها الأخلاق كما تنتج الشجرة الثمرة.

حيث ربط الإسلام مصير الإنسان من حيث السعادة والشقاوة في الحياة الدنيا والآخرة بالعمل الأخلاقي، فنتيجة الأخلاق الحسنة السعادة في الحياتين ونتيجة الأخلاق السيئة الشقاوة والتعاسة في الدارين معا، وربط الأخلاق بالجزاء أمر ضروري؛ لأنه يزيد قيمة الأخلاق كما تزيد قيمة الشجرة ثمرتها.

١٠. إن الإسلام أكثر الجزاءات الأخلاقية لدفع الناس بالقوة إلى الالتزام بالقيم الأخلاقية وذلك يدل على اهتمام الإسلام بتلك القيم في بناء الفرد والمجتمع والأمة.

ومن هذه الجزاءات؛ الجزاء الإلهي والوجداني والطبيعي والاجتماعي، وهذه الأنواع بينها بعض الصلات المشتركة.

أما الجزاء الإلهي فهو أصل هذه الأنواع؛ وينقسم بحسب النوع إلى ثواب وعقاب فالثواب في حالة الاستقامة والعقاب في حالة الانحراف، وينقسم بحسب الوقت إلى دنيوي وأخروي، وبحسب درجة المسئولية إلى قلة وكثرة، وإلى قطعي وغير قطعي.

١١. إن غاية الإسلام من نظامه الأخلاقي هو تحقيق السعادة للإنسان في الدارين، وحقيقة السعادة في هذه الحياة هي الشعور والإحساس الدائم للمرء بالبهجة والأريحية والطمأنينة نتيجة إحساسه بخيرية الذات وخيرية الحياة وخيرية المصير.

١٢. من هذا كله نرى أن الإسلام قد حدد للإنسان عقيدة سليمة وغاية سعيدة، ثم حدد له نمطا سلوكيا في الحياة تتسق فيه العقيدة مع الغاية، وينسجم مع قوانين الحياة والدوافع الأساسية للطبيعة البشرية، ويقرر الإسلام أن من يسير في هذه الحياة وفقا لهذا النمط السلوكي الذي حدده هذا الدين سوف يسعد في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى.

وهكذا نجد أن الأخلاق الإسلامية تدفع بطبيعتها إلى الكمال والتكامل في البناء الاجتماعي الذي يقوم على توطيد العلاقات الإنسانية بين الناس على أساس الإيمان والإخلاص، ثم إلى التكامل في ميدان العمل والصناعة والمعرفة، وكلا التكاملين ضرورة لا بد منها لإيجاد حياة إنسانية سعيدة، من أجل ذلك كله كان الإسلام ضياء ونورا يضيء أمام الإنسان ويهديه إلى طريق السعادة.

ولأجل هذه الأهمية العظمى للقيم الخلقية سواء في الدين الإسلامي أو واقع الأمة الإسلامية بل والإنسانية جمعاء فإننا نوصي بالاهتمام بالتربية الخلقية انطلاقا من الأسرة التي تعتبر المدرسة الأولى التي تربى في عشها كل طفل وباعتبار أن النقص التربوي الأسري قد لا يمكن تعويضه فيما بعد، ثم المدرسة التي هي

مكان التعليم الأكاديمي، والتلقين القيمي، ثم الإعلام لما له من تأثير على نفوس المجتمع سوء بالسلب أو الإيجاب، وأن تكون برامجهم خلقية هادفة تزرع في المشاهد الأخلاق النبيلة والسامية.

كما لا يفوتني أن أوصي مراكز البحث والملتقيات العلمية إلى مزيد اهتمام بالنظرية الأخلاقية الإسلامية وإبرازها للمثقفين والعامة وبيان مزيتها وتفوقها على باقي النظريات الخلقية الفلسفية من خلال البحوث والملتقيات التخصصية.

قائمة المصادر والمراجع

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ترتيب: علي بن بلبان الفارسي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م.
- الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ليفي بريل، ترجمة. محمود قاسم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، التربية الأخلاقية، إميل دور كهايم، ترجمة الدكتور سيد محمد بدوي، مكتبة مصر، القاهرة.
- الإنسان ومجتمعه، محمد نور ، القاهرة، ١٩٨٤.
- تأملات في سلوك الإنسان، أليكسيس كارل، ترجمة: محمد القصاص، مكتبة مصر، القاهرة.
- التربية الأخلاقية، أبادير حكيم، مطبعة اليقضة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- التربية الأخلاقية، إميل درو كايم، ترجمة السيد محمد بدوي، مكتبة مصر، القاهرة.
- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط١.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري؛ مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض.
- دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٨م.
- السلوك الخلقي الاجتماعي في الإسلام مصطفى المراغي، العدد ٦٩، سلسلة دراسات في الإسلام، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر- محمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٩٧٥ م.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- العقيدة الإسلامية والأيدولوجيات المعاصرة، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، لقاهرة، الطبعة١، ١٩٧٦ م.
- علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣.
- الفصول في سيرة الرسول، إسماعيل ين كثير، مؤسسة علوم القرآن، ط٣.
- الفلسفة الخلقية، توفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٧٣.
- القيم الأخلاقية، عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق.
- كلمات في مبادئ الأخلاق، محمد عبد الله دراز، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.
- مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦.
- المذاهب الأخلاقية، عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، ط ٢، ١٩٦٣م.
- مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.
- المسئولية والجزاء ، عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م.

- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كرسون، ترجمة د. عبد الحليم محمود وغيره، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.
- مقدمة كتاب السياسة لأرسطو، ترجمة: أحمد لطفي السيد.
- منبع الأخلاق والدين، هنري برجسون، ترجمة سامي الدروبي، دار الفكر العربي، ١٩٦٣م.
- الموافقات في أصول الأحكام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.
- الموطأ، مالك بن أنس، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ميزان العمل، أبو حامد الغزالي، مكتبة صبيح وأولاده، القاهرة، ١٩٦٣م.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤.
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبد الله عفيفي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط ١، ١٩٨٨ م.
- الوسطية العربية، الكتاب الأول، المذهب، عبد الحميد إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة٣، ١٩٩٠ م.

الهوامش:

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، (ص١٠١). قال ابن منظور: (الخُلُقُ بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية). لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه، (١٠/ ٨٦).

(٢) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، (ص٤١).

(٣) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبد الله عفيفي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط ١، ١٩٨٨ م، (ص ٥٨-٥٩).

(٤) الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، (ص٥٤).

(٥) انظر: الفلسفة الخلقية، توفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، (ص٧٤).

(٦) التربية الأخلاقية، إميل درو كايم، ترجمة السيد محمد بدوي، مكتبة مصر، القاهرة، (ص ١١٧).

(٧) مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٣م، (ص ٤١ وما بعدها)، المذاهب الأخلاقية، عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، ط ٢، ١٩٦٣م، (٢/٣٧٨-٣٨٩).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى{ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} (٤/١٤٩، رقم: ٣٣٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس(٤/١٩٥٨، رقم: ٢٥٢٦)

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله (١/٤٨، رقم: ١٨).

(١٠) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كرسون، ترجمة د. عبد الحليم محمود وغيره، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٢م، (ص٦، ١٩، ٥٣)، منبع الأخلاق والدين، هنري برجسون، ترجمة سامي الدروبي، دار الفكر العربي، ١٩٦٣م، الفلسفة الخلقية، توفيق الطويل، مصدر سابق، (ص١٦٨).

(١١) انظر: التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجين، رسالة دكتوراه منشورة، ط ١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧، (ص٧٥).

(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل (٥١٢/١، رقم: ٧٤٦).

(١٣) الفصول في سيرة الرسول، إسماعيل بن كثير، مؤسسة علوم القرآن، ط٣، (ص٢٦٤).

(١٤) أخرجه أحمد في مسنده(٥١٢/١٤، رقم: ٨٩٥٢)، والبخاري في الأدب المفرد(ص١٤٣، رقم:٢٧٣)، والحاكم في مستدركه(٢/ ٦٧٠، رقم: ٤٢٢١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض، (١/ ١٤٢).

(١٦) أخرجه مالك في موطئه بلاغا: كتاب القدر؛ باب النهي عن القول بالقدر(٨٨٩/٢، رقم: ٣)، والحاكم في مستدركه(١٧١/١، رقم: ٣١٨)، وقال: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة واحتج مسلم بأبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم، وقال ابن عبد البر في التمهيد(٣٣١/٢٤):" وهذا أيضا محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد، وروي في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث...".

(١٧) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣، (ص٨٥).

(١٨) مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٦، (٢٩٤/٢).

(١٩) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، مصدر سابق(ص٨٦).

(٢٠) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه(٢٠/١، ٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات(١٢١٩/٣، ١٥٩٩).

(٢١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (٣٨/٣، ١٩٦٨)، ومسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر (٨١٣/٢، ١١٥٩).

(٢٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم (١٩٨٦/٤، ٢٥٦٤)، والبخاري مختصرا: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (١٩/٨، ٦٠٦٤).

(٢٣) اقرأ الآيات: ١٠ من سورة لقمان، ٥٣ من سورة طه، ٧ من سورة الشعراء والواقعة.

(٢٤) انظر: العقيدة الإسلامية والأيدولوجيات المعاصرة، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، لقاهرة، الطبعة١، ١٩٧٦ م، (ص ١٤٣).

(٢٥): الوسطية العربية، الكتاب الأول، المذهب، عبد الحميد إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة٣، ١٩٩٠ م، (ص ١٥٧).

(٢٦) المرجع نفسه(ص ١٥٧، ١٥٩)، واقرأ: [الإسراء: ٩٣- ٩٥].

(٢٧) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤، (١٣٢/١).

(٢٨) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص٣٨٧).

(٢٩) سبق تخريجه.

(٣٠) سبق تخريجه.

(٣١) أخرجه أبو داود في سنه: كتاب الأدب؛ باب في حسن الخلق(١٧٧/٧، ٤٧٩٩) بإسناد صحيح.

(٣٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان؛ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده(١١/١، ١٠)، ومسلم: كتاب الإيمان؛ باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (٦٥/١، ٤١).

(٣٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري؛ مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، (٥٢٩/٢٣).

(٣٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: أبواب الزهد؛ باب ذكر الموت والاستعداد له (٣٢٧/٥، رقم: ٤٢٥٩). وهو حديث حسن.

(٣٥) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والأدب؛ باب تفسير البر والإثم(١٩٨٠/٤، ٢٥٥٣) عن النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٣٦) أخرجه أحمد في مسنده(٣٧٥/١٩، ١٢٣٨٢). وهو حديث حسن.

(٣٧) أخرجه البخاري: كتاب الصوم؛ باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم(٢٦/٣، ١٩٠٣).

(٣٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه: كتاب الحظر والإباحة؛ ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك الوقيعة في المسلمين (٧٧/١٣، ٥٧٦٤). وصححه.

(٣٩) سبق تخريجه.

(٤٠) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان؛ باب قول النبي من غشنا فليس منا(٩٩/١، ١٠١)، والبخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي من حمل علينا السلاح فليس منا (٤٩/٩، ٧٠٧٠) دون الجملة الأولى.

(٤١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب؛ باب النهبى بغير إذن صاحبه (١٣٦/٣، ٢٤٧٥).

(٤٢) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص١٢٦).

(٤٣) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص١٢٧-١٢٨).

(٤٤) تأملات في سلوك الإنسان، أليكسيس كارل، ترجمة: محمد القصاص، مكتبة مصر، القاهرة، (ص ١٤٠).

(٤٥) التربية الأخلاقية، أبادير حكيم، مطبعة اليقضة، القاهرة، ٢٠٠٧م، (ص ١١٨-١١٩).

(٤٦) مقدمة كتاب السياسة لأرسطو، ترجمة: أحمد لطفي السيد، (ص٢٠).

(٤٧) انظر: الفلسفة الخلقية، توفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م، الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ليفي بريل، ترجمة. محمود قاسم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، التربية الأخلاقية، إميل دور كهايم، ترجمة الدكتور سيد محمد بدوي، مكتبة مصر، القاهرة.

(٤٨)الفلسفة الخلقية، توفيق الطويل، مصدر سابق(ص١٥٨، ١٩٢).

(٤٩) مدارج السالكين، ابن القيم، مصدر سابق (١/ ٤٤٦).

(٥٠) أخرجه أحمد في مسنده(٥٢٧/٢٩، ١٨٠٠١)، عن وابصة بن معبد-رضي الله عنه-، وإسناده ضعيف، وهناك احاديث أخرى بمعناه في المسند، (١٧٩/٢٩، ١٧٦٣١) عن النواس بن سمعان، (٤٩٧/٣٦، ٢٢١٦٦) عن أبي أمامة.

(٥١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه (٢٠١١/٤، ٢٦٠٥).

(٥٢) أخرجه أحمد في مسنده(٥٥٠/٤٥، ٢٧٥٧٠)، والترمذي: أبواب البر والصلة؛٥٤ باب ما جاء في إصلاح ذات البين (٣٣١/٤، ١٩٣٩) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٥٣) الموافقات في أصول الأحكام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م، (٤٩٨/١).

(٥٤) انظر: المذاهب الأخلاقية، عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، ط ٢، ١٩٦٣م، (١٩/٢).

(٥٥) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب البر والصلة؛ باب ما جاء في الإحسان والعفو (٣٦٤/٤، ٢٠٠٧) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٥٦) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان؛ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (٦٩/١، ٤٩).

(٥٧) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الملاحم؛ باب الأمر والنهي (٣٩٣/٦، ٤٣٣٨)، والترمذي: كتاب أبواب الفتن؛ باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر (٤٦٧/٤، ٢١٦٨)، وقال: وفي الباب عن عائشة، وأم سلمة، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن عمر، وحذيفة.

(٥٨) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان؛ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١٢/١، ١٣)، ومسلم: كتاب الإيمان (٦٧/١، ٤٤).

(٥٩) السلوك الخلقي الاجتماعي في الإسلام مصطفى المراغي، العدد ٦٩، سلسلة دراسات في الإسلام، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (ص ١٤).

(٦٠) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص٢٥٢).

(٦١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٥/٢، ٨٩٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (١٤٥٩/٣، ١٨٢٩).

(٦٢) أخرجه الترمذي: أبواب صفة القيامة؛ باب في القيامة(٦١٢/٤، ٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح

(٦٣) أخرجه البخاري: كتاب الوحي؛ باب كيف بدء الوحي(٦/١، ١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قول النبي: إنما الأعمال بالنية، (١٥١٥/٣، ١٩٠٧).

(٦٤) أخرجه أبو داود: كتاب الحدود؛ باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا، (٤٥١/٦، ٤٣٩٨). وإسناده صحيح.

(٦٥) المسئولية والجزاء ، عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م.(ص ٦١).

(٦٦) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، (٣٩١/٦، ٤٣٣٦)، والترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة (٢٥٢/٥، ٣٠٤٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٦٧) سبق تخريجه.

(٦٨) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص٢٦٦).

(٦٩) انظر: المصدر نفسه(ص٢٦٨).

(٧٠) المصدر نفسه(ص٣٨٥).

(٧١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم،(١٨٩/٤، ٣٥٥٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم (١٨١٠/٤، ٢٣٢١).

(٧٢) أخرجه البخاري، في فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن مسعود(٢٨/٥) معلقا.

(٧٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب طيب الكلام(١١/٨، ٦٠٢٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة(٧٠٤/٢، ١٠١٦).

(٧٤) الإنسان ومجتمعه، محمد نور ، القاهرة، ١٩٨٤،(ص ٢٦- ٢٧).

(٧٥) دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٨م، (ص ٢٦١).

(٧٦) أخرجه أبو داود: كتاب الحدود؛ باب العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان (٤٢٨/٦، ٤٣٧٥) من حديث عائشة، وإسناده جيد.

(٧٧) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم (١٩٨٠/٤، ٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان.

(٧٨) أخرجه أحمد في مسنده(٥٢٧/٢٩، ١٨٠٠١) بإسناد ضعيف.

(٧٩) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص٢٨١).

(٨٠) انظر: المصدر نفسه(ص٢٨٥).

(٨١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، (٢١٠/٧، ٤٨٤٢). وهو حديث حسن.

(٨٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في الوقار، (١٥٥/٧، ٤٧٧٦). وهو حسن لغيره.

(٨٣) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، (٩٦/٧، ٥٥٣٤)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء (٢٠٢٦/٤، ٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٨٤) كلمات في مبادئ الأخلاق، محمد عبد الله دراز، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٥٣م، (ص٢٧).

(٨٥) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (٩٢/١، ٨٨). من حديث أنس بن مالك.

(٨٦) انظر: القيم الأخلاقية، عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، (ص ٩٥).

(٨٧) انظر: ميزان العمل، أبو حامد الغزالي، مكتبة صبيح وأولاده، القاهرة، ١٩٦٣م، (ص٢٣).

(٨٨) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣، (ص٦٢).

(٨٩) أخرجه البخاري: كتاب الإكراه؛ باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٢٠/٩، ٦٩٤١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦/١، ٤٣) من حديث أنس بن مالك.

(٩٠) أخرجه البخاري: كتاب العلم؛ باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (٢٥/١، ٦٩)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (١٣٥٨/٣، ١٧٣٢) عن أبي موسى الاشعري.

(٩١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب الفأل(١٣٥/٧، ٥٧٥٦)، مسلم: كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (١٧٤٦/٤، ٢٢٢٤) عن أنس.

(٩٢) أخرجه أحمد في مسنده(٤٨٧/25، ١٦٠٧٩). وإسناده ضعيف.

(٩٣) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص٧٠).

(٩٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: باب حسن الخلق(٣٩١/١٠، ٧٦٧٩) عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-.

(٩٥) انظر: علم الأخلاق الإسلامية، مصدر سابق(ص٨٤).

الترابط والتكامل بين العقيدة والقيم الأخلاقية في الإسلام

أ.د. عدنان علي كرموش الفرّاجي
الجامعة العراقية – كلية التربية

خلاصة البحث

ارتبطت القيم الأخلاقية بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً متلازماً ، وبينهما تكامل لا ينفك ، والقيم الأخلاقية الإسلامية نظامٌ متكونٌ من المبادئ والمعاني السامية، المُستنبطة من الكتاب والسنّة، الموافقة للفطرة البشريّة، المكتسبة من الفَهْم الدقيق للدِّين الإسلاميّ، والتي تضبط سلوكيات التعامل بين الناس، للوصول بالفرد والمجتمع لسعادة الدُّنيا والآخرة .

وإنما تقف العقيدة الإسلامية بالضد من الأخلاق والقيم الذميمة ، كالرياء ، والكذب ، والخيانة ، واتباع الهوى ، والإلحاد ، وانتهاك الحرمات ، والحقد ، والضلال والعدوان ، والغلو ، والفسوق ، والنميمة ، والوهن... الخ . لأن نفس الإنسان المؤمن العاقل تأبي كل خُلق دنيء.

إن واقع المسلمين اليوم يشهد الكثير من التحديات في المجال الأخلاقي والسلوكي ، ولذا فالحاجة ماسة جداً اليوم أكثر مما مضي لعودة صادقة إلى الإيمان الذي ينعكس إيجاباً في سلوك الإنسان المسلم .

الكلمات المفتاحية : الترابط . التكامل . القيم . الأخلاق . العقيدة . المجتمع .

Research summary

Ethical values are closely related to the Islamic faith, and there is an inseparable complement between them. life and hereafter

Rather, the Islamic belief stands in opposition to reprehensible morals and values, such as hypocrisy, lying, treachery, following one’s own desires, atheism, transgression of sanctities, hatred, misguidance, aggression, exaggeration, immorality, gossip, and weakness...etc. Because the soul of the believer and sane person rejects all despicable manners

. The reality of Muslims today is witnessing many challenges in the ethical and behavioral field, and therefore the need is very urgent today more than ever for a sincere return to faith, which is positively reflected in the behavior of the Muslim person.

Keywords: interconnection. integration. Value. Moral. creed. the society.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد ومن والاه ، وبعد :

فمن دواعي السرور أن اتقدم ببحثي هذا **الموسوم (الترابط والتكامل بين العقيدة والقيم الأخلاقية في الإسلام)** إلى المؤتمر العلمي الدولي المدمج الثالث الذي يقيمه قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة البصرة تحت شعار : (تفعيل القيم الإسلامية نحو بناء المجتمع الصالح) ، للمدة من ٢٠-٢٠٢٢/٥/٢١ .

أهمية البحث وسبب اختياره : جاء الإسلام شاملاً لكل ما يتعلق بالكون والحياة والإنسان ، وارتبطت فيه العقيدة الإيمانية مع القيم والأخلاق كونها الواقع العملي-التطبيقي في الحياة الإنسانية . ولقد عاش المسلمون في عهودهم الزاهرة وهم لا يفرقون بين النظرية والتطبيق ، وبين العقيدة والأخلاق .

هدف البحث : يهدف البحث إلى بيان الترابط والتكامل بين العقيدة الإسلامية ، والقيم الأخلاقية والسلوكية التي جاء بها هذا الدين الحنيف . لإبراز جدلية العلاقة الإيجابية التي أراد الإسلام تحقيقها في ضوء الأوامر والنواهي في الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

فرضية البحث : إن واقع المسلمين اليوم يشهد الكثير من التحديات في المجال الأخلاقي والسلوكي ، ولذا فالحاجة ماسة جداً اليوم أكثر مما مضي لعودة صادقة إلى الإيمان الذي ينعكس إيجاباً في سلوك الإنسان المسلم . ولذا كان اختيار عنوان البحث أعلاه منسجماً مع الهدف الذي أُعدّ من أجله .

منهج البحث : يعتمد البحث المنهج الموضوعي – الوصفي ، فالأساس فيه هو الوقوف على النصوص القرآنية والحديثية والشواهد الأخرى التي تتعلق بموضوع الترابط بين العقيدة والقيم الأخلاقية في الإسلام ، ومن ثم توصيفها وتوظيفها لصالح الهدف المُراد الوصول إليه من البحث .

خطة ونطاق البحث : ضم البحث هذه المقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول : تناول التعريف بمفردات البحث ، وتحديد مفهومها .

والمبحث الثاني : تضمن الحديث عن الترابط والتكامل بين العقيدة والقيم الأخلاقية المحمودة وأثر ذلك في بناء المجتمع الصالح .

وأما المبحث الثالث : فقد خُصص للحديث عن موقف العقيدة الإسلامية من الأخلاق المذمومة وأثر ذلك في تقويم السلوك الإنساني .

وختاماً نتوجه بالشكر والعرفان إلى القائمين على هذا المؤتمر ، سائلين الله تعالى أن يأخذ بأيديهم لخدمة المسيرة التربوية المنشودة لجامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية .

المبحث الأول : في التعريف بمفردات البحث ، وتحديد مفهومها

١- **الترابط :** الترابط في اللغة ؛ الشدّ والثبات ، قال الأزهري : " (ربط) الراء والباء والطاء أصل واحد يدل على شد وثبات. من ذلك ربطت الشيء أربطه ربطا؛ والذي يشد به رباط . ومن الباب الرباط: ملازمة ثغر العدو، كأنهم قد ربطوا هناك فثبتوا به ولازموه . ورجل رابط الجأش، أي شديد القلب والنفس " [١] . فهو الملازمة والمواظبة على الأمر .

وفي الاصطلاح : لا يبعد المعنى الاصطلاحي للترابط عن المعنى اللغوي كثيراً ، فهو التوافق بين شيئين كارتباط العلم بالعمل ، وارتباط الجزاء بالشرط ، وارتباط الأسباب بالمسببات ، فهو اللزوم والاعتماد فيقال عن الاعتقاد-مثلاً- أنه :" ارتباط القلب بما انطوى عليه ولزمه " [٢] .

٢- **التكامل :** في اللغة ؛ " أكملتُ الشيءَ أَي أَجْمَلْتُهُ وأَتْمَمْتُهُ. والكمالُ: التَّمَامُ الَّذِي يُجَزَّأ مِنْهُ أَجْزاؤُهُ. وقَالَ الله تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (الْمَائِدَة:٣)... أَي أكملتُ لكُمْ فَرق مَا تَحتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي دِينكم، وَذَلِكَ جائزٌ، فأَمَّا أَن يكون دِينُ اللَّهِ فِي وقْتٍ من الأوقاتِ غيرَ كاملٍ فَلَا "[٣] .... والتَكميلُ والإكْمالُ: الإتْمامُ. واسْتَكْمَلَهُ: اسْتَتَمَّهُ " [٤].

وفي الاصطلاح : التكامل والكمال لا يبعد عن معناه اللغوي ، ولكن يمكن القول أنه إذا أطلق فيراد به الأساليب والوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق الفاعلية الخيّرة والقدرة على العطاء [٥] .

وعُرّف التكامل بأنه " الملائم النابع من تمام الصفات والتناسب والتناسق، في أجزاء الشيء وعناصره وخصائصه ووظيفته التي يجب أن تتسم بعدم النقص " [٦].

٣- **القيم :** جاء في اللغة من أن القوامُ وهو : الشيء الحسن والنظام ؛ ف " قوامُ الرجل قامَتُهُ وحسن طوله... وقوام الأمر بالكسر: نظامه وعِماده ... يقال: فلانٌ قِوامُ أهل بيته وقِيامُ أهل بيته، وهو الذى يقيم شأنهم... وقِوامُ الأمر أيضا: ملاكه الذى يقوم به " [٧].

والقيمة في الاصطلاح : " حكمٌ يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي اقتضاها الشرع ، محدّدا المرغوب فيه والمرغوب عنه " [٨].

فالقيم جمع قيمةٌ، وهي مأخوذةٌ من التقويم وإزالة الاعوجاج، ويُراد بها المُثل والمبادئ الاجتماعية السامية .

٤- **الأخلاق** : في اللغة ؛ " الخُلُقُ بضم اللام وسكونها هو الدِّين والطبْع والسجية وحقيقته أَنه لِصورة الإِنسان الباطنة وهي نفْسه وأَوصافها ومعانيها المختصةُ بِها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأَوصافها ومعانيها ولهما أَوصاف حسَنة وقبيحة والثوابُ والعقاب يتعلّقان بأَوصاف الصورة الباطنة أَكثر مما يتعلقان بأَوصاف الصورة الظاهرة ولهذا تكرّرت الأَحاديث في مَدح حُسن الخلق في غير موضع كقوله : " مِن أَكثر ما يُدخل الناسَ الجنَّةَ تقوى الله وحُسْنُ الخلق" [٩]، وقولِه : " أَكملُ المؤْمنين إِيماناً أَحْسنُهم خلُقاً " [١٠] ..." [١١].

- وفي الاصطلاح : يعرف الماوردي[١٢] الأخلاق بأنها : " غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار " .

والأخلاق في الإسلام ؛ هي: ما ينظّم السلوك الإنسانيّ من مبادئ وقواعد مُحدّدةٍ عن طريق الوحي، بغاية تحقيق الغاية من وجود الإنسان على الوجه الأمثل [١٣].

و" الأخلاق لا تقوم إلا على أساس من عقيدة، تضع الموازين، وتقرر القيم، كما تقرر السلطة التي تستند إليها هذه الموازين والقيم، والجزاء الذي تملكه هذه السلطة، وتوقعه على الملتزمين والمخالفين. وإنه قبل تقرير هذه العقيدة، وتحديد هذه السلطة تظل القيم كلها متأرجحة وتظل الأخلاق التي تقوم عليها متأرجحة كذلك، بلا ضابط، وبلا سلطان، وبلا جزاء! " [١٤].

أما القيم الأخلاقيّة – حاصل جمع المصطلحين – فهي : نظامٌ متكونٌ من المبادئ والمعاني السامية، المُستنبطة من الكتاب والسنّة، الموافقة للفطرة البشريّة، المكتسبة من الفَهْم الدقيق للدِّين الإسلاميّ، والتي تضبط سلوكيات التعامل بين الناس، للوصول بالفرد والمجتمع لسعادة الدُّنيا والآخرة [١٥].

الارتباط بين العقيدة والقيم الأخلاقية :

القيم في الإسلام " تقوم على أساس الإيمان بالله تعالى كحقيقة مطلقة والتسليم بأحكامه التي هي في واقع أمرها قيم ربانية روحية لها تطبيقاتها المادية في الحياة ، تستهدف صالح الفرد والمجتمع على حد سواء " ... والقيم الأخلاقية الإسلامية لا تصدر عن " مصلحة مؤقتة أو منفعة ذاتية، فقد جعل الإسلام الإنسان هو الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق، وهذه الأخلاق تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان بمراعاة طبيعته ، وقدراته ، وما سخر له في السموات والأرض، وبما أنزل عليه من كتب وما أرسل إليه من رسل، وبذا تتحقق كرامة الإنسان ويتهيأ بها للعمل الصالح المحكوم بسياج العقيدة الصحيحة " [١٦].

المبحث الثاني : الترابط والتكامل بين العقيدة والقيم الأخلاقية المحمودة وأثر ذلك في بناء المجتمع الصالح

لقد أكد شرعنا الحنيف على ارتباط العقيدة الإسلامية بمكارم الأخلاق ، وعدّها متلازمة لا يمكن لاحدهما أن ينفك عن الآخر . فإذا وقع في احدهما خلل أو مخالفة انعكس على الآخر . ولذلك جاء في الحديث النبوي الشريف ما يربط بين الإيمان والخُلق الحَسن ، يقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام : " أكمَل المؤمنينَ إيماناً أَحسَنُهُم خُلُقاً " (١٧).

ففي هذا الحديث الشريف دلالة " على أن حسن الخلق إيمان وعدمه نقصان إيمان وأن المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم فبعضهم أكمل إيمانا من بعض . ومن ثم كان المصطفى صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا لكونه أكملهم إيمانا " (١٨) .

وفي حديث آخر يقول صلوات الله وسلامه عليه : " مَا مِنْ شَيْءٌ يُوضَعُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ " (١٩) . فالسلوك ثمرة لما يحمله الإنسان من معتقد، وما يدين به من دين ..

وللارتباط بين العقيدة والقيم الأخلاقية المحمودة أمثلة كثيرة في الهدي النبوي ، فقد ربط نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين الإيمان وبين : حسن الجوار، وإكرام الضيف ، والصمت عن فضول الكلام ؛ فقال في ذلك : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " (٢٠) .

والأخلاق والقيم التي نراها أكثر ارتباطاً بالعقيدة الإسلامية ، ولها آثارها على الفرد والمجتمع ؛ كثيرة ، منها : الإخلاص ، الاعتبار ، الاستقامة ، الأمانة ، الإنابة ، البشارة ، التأني ، التعاون ، التقوى ، الجود ، حسن الظن ، الحكمة ، الرجاء ، الرفق ، الزهد ، السكينة ، الشكر ، الشفقة ، الصبر ، الصلاح ، الصفح ، الضراعة والتضرع ، الطمأنينة ، العدل والمساواة ، العزم والعزيمة ، القناعة ، قوة الإرادة ، كظم الغيظ ، مجاهدة النفس ، المراقبة ، المواساة ، النزاهة ، الورع ، اليقظة ، اليقين ، وغيرها .

وسنقف عند بعضٍ من هذه القيم الأخلاقية المحمودة المرتبطة والمتكاملة مع العقيدة الإسلامية بما يسمح به مجال البحث ؛ لتكون شاهدةً على ما نريد أن نصل إليه من هدف البحث ، وكالآتي :

١- **الإخلاص** : من الأخلاق المحمودة المرتبطة بالعقيدة الإسلامية ، ويُقصد به : " تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، وكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصا " (٢١).

وقال الجرجانيّ [٢٢] : الإخلاص: " ألّا تطلب لعملك شاهدا غير الله تعالى ... فهو ستر بين العبد وبين الله تعالى " .

ورد الإخلاص في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥] . وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّـهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّـهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...﴾ [الزمر: ٢-٣] . وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ . [البينة: ٥] . وَقَالَ عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

وفي الحديث النبوي الشريف ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى " [٢٣] . وقال عليه الصلاة والسلام : " إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ " [٢٤] . وَلِلتِرْمِذِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: " ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ " [٢٥] .

فهذه النصوص وغيرها تُشير إلى أهمية الإخلاص ، وأنه قيمة أخلاقية محمودة ، لكونه الأساس الذي يُبنى عليه قبول الأعمال عند الله تعالى .

فحقيقة الإخلاص إذاً ؛ تصفية للعمل والقول والعبادة ممّا يشوبها من رياء ومراءاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي: طرح العمل وعدم رؤيته، فضلا عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التّوفيق في العمل المخلص على أنّه جود من الله تعالى، ثمّ إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصا لوجه الله تعالى [٢٦].

أما آثار الإخلاص على الفرد والمجتمع : فالإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال. والإخلاص يرفع منزلة الإنسان والمجتمع في الدّنيا والآخرة. ويحرّر العبد من عبوديّة غير الله. ويقوّي العلاقات الاجتماعيّة وينصر الله به الأمّة ، يحقّق الطّمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسّعادة. يقوّي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهه الشّدائد. وبه يتم حصول كمال الأمن والاهتداء في الدّنيا والآخرة [٢٧].

٢- **الاستقامة** : الاستقامة ضد الطغيان، وهو مجاوزة الحد في كل شيء [٢٨]. وقيل: الاسْتِقَامَة أي على الطَّاعَة، وَقيل: هُوَ ترك الشِّرك [٢٩].

وقد ورد ذكر خُلق الاستقامة في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا ﴾ [فصلت:٣٠] وقال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [الشورى: ١٥] .

وفي الحديث النبوي الشريف ؛ عن أبي عمرو (رضي الله عنه) قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال – صلى الله عليه وسلم –: " قل آمنت بالله ثم استقم " (٣٠).

لقد جعل الإسلام للاستقامة أهمية ومكانة عظيمة ، فالمسلم الذي يواظب على صلاته يردد طلب الاستقامة في كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة في اليوم والليلة بقراءة قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصِّرَاط الْمُسْتَقِيم ﴾ [الْفَاتِحَة : ٦] ، " فمن استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة " (٣١).

لذا ينبغي أن " يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه " (٣٢).

وفي واقع الفرد والمجتمع ، يمكننا القول : إن " من أخص خصائص الاستقامة أنها تبعث في روح المؤمن إحساس العزة من غير كبر ، وعلو الهمة من غير بطر ، وروح الثقة في غير اغترار ، وشعورا بالأمان والاطمئنان من غير تواكل " (٣٣) .

٣- الإيثار : في اللغة ؛ آثره : أكرمه . ورجل أثير: مكين مكرم ، والجمع أثراء والأنثى أثيرة . وآثره عليه: فضله. وفي التنزيل: ﴿ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ يوسف: ٩١ . وأثر أن يفعل كذا أثرا وأثر وآثر، كله: فضل وقدم. وآثرت فلانا على نفسي: من الإيثار... وفلان أثير عند فلان وذو أثرة إذا كان خاصا. ويقال: قد أخذه بلا أثرة وبلا إثرة وبلا استئثار أي لم يستأثر على غيره ولم يأخذ الأجود " (٣٤).

والإيثار في الاصطلاح : " أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه ، وهو النهاية في الأخوة " (٣٥).

وقد أثنى الله تعالى على الأنصار خيراً، وذكرهم في كتابه الكريم لما كان لهم من مكرمة إيثار إخوانهم المهاجرين على أنفسهم، دون انتظار لجزاء إلا من الله تعالى، قال عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩] .

وفي السنة النبوية من الأمثلة القيمة لهذا الخُلق النبيل ، فقد أورد البخاري أن الأنصار قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ ، قَالَ: " لَا "، فَقَالُوا يَكْفُونَنَا الْمَئُونَةَ وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا " (٣٦).

وأما تأثير هذه القيمة الأخلاقية العظيمة في واقع الفرد والمجتمع ، فيمكنا القول بأن الإيثار " أعلى مَثَل للإيمان، يتحقق به المؤمن القوي، الواثق بما عند ربه من الجزاء الحسن، فهو مظهر القوة، وجوهر العزيمة، فالمؤمن لا يضعف أمام نزعات نفسه، ولا يهون أمام مطامع الحياة الفانية؛ أملاً في الفوز بما عند الله، وما عند الله خير وأبقى، إن الإيثار دليل على القوة؛ قوة الروح التي تعلو على حاجات النفس وتطلعاتها، فتعانق عالم السماء بقناعتها وقوتها، إنه معنى حافز على العطاء، ومَعِين فيَّاض بالثقة بما عند رب العالمين، إن الذين يؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، هم الفائزون المفلحون، والأمثلة التي تدل على الذين آثروا على أنفسهم رغبة فيما عند الله كثيرةٌ جدًّا، ولكن نضرب بعضًا منها؛ لتكون لنا حافزًا على المضي في طريق هؤلاء " (٣٧).

٤- **الخوف من الله وخشيته :** الخوف والخشية من الله تعالى من الأخلاق والقيم المترادفة لفظاً ، المرتبطة بالعقيدة الإسلامية ولها غاية واحدة جامعة ، فضلاً عن آثارها الطيبة المباركة على الفرد والمجتمع .

فالخوف لغة : الفزع ؛ يقال : " خافه يخافه خوفا وخيفة ومخافة... وقوم خوّف.. وخوفته إذا جعلته بحالة يخافه الناس... وفي التنزيل العزيز: ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ آل عمران : ١٧٥. أي يجعلكم تخافون أولياءه ." (٣٨).

وفي الاصطلاح الخوف هو : " اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف... وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره... " (٣٩).

وأما الخشية : فهي : " انجماع وانقباض وسكون، والخوف حركة، والخشية أخصُّ من الخوف " (٤٠) . وهي تعني الخوف أيضاً ؛ ف " يراد بها خوف الله عز وجل خوفا يشوبه تعظيم ويقترن به إجلال " (٤١).

وقد ترادف ذكر الخوف والخشية من الله تعالى في كتابه العزيز بصفتهما المحمودة ، فمرة اقترن الخوف بالرجاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء:] ٥٧. وقد وعد الله الخائفين بالجنة فقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وفي الحديث النبوي الشريف ؛عن أنس رضي الله عنه قَالَ : " دَخَلَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ ، فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ " ، قَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ عليه الصلاة والسلام : " لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ " (٤٢).

إن خشية الله تعالى من أجلِّ أعمال القلوب التي تقوم عليها العبادة، فهي من العبادات القلبية التي تُعين المؤمن على مراقبة الله في الخلوة، والخشية في حال الغيبة عن الناس أعلى مراتب المراقبة لله، وكلما كان العبد أكثر علمًا ومعرفةً بالله عز وجل، اشتدَّت خشيته من الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، فمن آمَن بقدرة الله وقوته، وأنه شديد ذو انتقام، وأنه خلَق الجنة والنار، أورثه ذلك خوفًا وخشيةً منه، والاستعداد للقاء من يخافه ويخشاه" (٤٣) .

إن المُتمعن في هذه القيم الأخلاقية التي وقفنا عندها كونها (نماذج) للقيم الإسلامية التي حثنا عليها ديننا الحنيف ، وأمرنا أن نلتزم بها ، يمكننا أن نقول وبفخر أنه إذا تم تفعيلها في واقع الفرد والمجتمع المسلم ، فسوف يُصبح (الفرد والمجتمع) قدوة ومثلاً أعلى للمجتمعات البشرية جمعاء ...

المبحث الثالث : موقف العقيدة الإسلامية من الأخلاق المذمومة وأثر ذلك في تقويم السلوك الإنساني .

النفس الإنسانية جُبلت على طبيعتي الخير والشر ، وقد أعطى الله تعالى الإنسان العقل ليكون حاكماً على النفس ، فمن آتاه الله تعالى عقلاً وتمييزاً وإرادة خيّرة تمكن من توجيه نفسه نحو قيم الخير، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ الشمس: ٧-١٠ .

ولذلك ذهب الإمام الغزالي رحمه الله (٤٤) إلى القول : " الأخلاق الرذيلة مفتاح كل شر بل هي الشر كله لنفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم ... فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما أنه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن " .

وإنما تقف العقيدة الإسلامية بالضد من هذه الأخلاق والقيم الذميمة ، كالرياء والكذب والخيانة والغيبة والنميمة ... الخ . بل نفس الإنسان المؤمن العاقل تأبي كل خُلق دنيء ، يقول ابن القيم (٤٥) : " فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها، وأفضلها، وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار؛ فالنفوس العلية لا ترضى بالظلم، ولا بالفواحش، ولا بالسرقة ولا بالخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجل، والنفوس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك" .

والصفات والقيم الأخلاقية المذمومة التي تتعارض مع عقيدتنا الإسلامية ، ويأباها شرعنا الشريف كثيرة منها: **اتباع الهوى ، الإرهاب ، الإفك ، الإلحاد ، انتهاك الحرمات ، البغض ، البهتان ، الجحود ، الحسد ،**

الحقد ، الخداع ، السفاهة ، الشماتة ، شهادة الزور ، الضلال ، الطيش ، العدوان ، الغرور ، الغضب ، الغفلة ، الغلو ، الفسوق ، القسوة ، القنوط ، الكذب ، النميمة ، الوهن ، اليأس ... وغيرها .

وسنقف عند بعضٍ منها بما يسمح به مجال البحث ؛ وكالآتي :

١- **اتباع الهوى :** الهوى من السقوط والانحدار ، قال الراغب الاصفهاني [٤٦] : " سمّي بذلك لأنّه يهوي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية وفى الآخرة إلى الهاوية " . وهوى النّفس: إرادتها، وقيل محبّة الإنسان الشّيء وغلبته على قلبه، قال تعالى : ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ (النازعات/ ٤٠) ، معناه : نهاها عن شهواتها وما تدعو إليه من معاصي الله- عزّ وجلّ- "[٤٧] .

واتباع الهوى أمر مذموم ، وخُلق سيء ، وقد قال فيه الحكماء ما يعكس فيه هذه الخاصية ، فعن سيدنا علي بن أبي طالب أنه قال : أخاف عليكم اثنين : اتباع الهوى وطول الأمل. فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة " [٤٨]. ويقول الماوردي [٤٩] : " وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد؛ لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكا، ومدخل الشر مسلوكا. قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: الهوى إله يعبد من دون الله. ثم تلا : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾ [الجاثية: ٢٣] " .

٢- **الإلحاد :** في اللغة ؛ الإلْحاد: هو المَيْل والعُدول عن الشيء . والمُلْحِدُ: العادِلُ عَن الحَقِّ، المُدْخِلُ فِيهِ مَا ليسَ فِيهِ، قدْ أَلْحَدَ فِي الدِّين ولحَد .. و (يَلْحَدُون) أَي يميلون. الأزهري ، وفِي قَوْله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾ (الحَجّ: ٢٥) قَالَ الزَّجَاجُ : الإِلْحَادُ فِيهِ الشِّرْكُ بِاللَّه، وَقيل: كلُّ ظالمٍ فِيهِ مُلْحِدٌ " [٥٠].

وفي الاصطلاح : هو " إنكار وجود ربّ خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبّر أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحداثه بإرادته وقدرته. واعتبار الكون أو مادّته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها، واعتبار ظاهرة الحياة وما تستتبع من شعور وفكر حتى قمّتها عند الإنسان، من أثر التطور الذاتي في المادة " [٥١] . ويعود في أصله إلى الفلسفة اليونانية القديمة .

وفي الحديث النبوي الشريف : " أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ " [٥٢].

موقف الإسلام من الإلحاد : إن " الإلحاد" خطر على البشرية كلها، وليس خطرا على "الجماعة الإسلامية" وحدها ؛ ومن هنا كان موقف الإسلام منه عدم المهادنة ! وليست دعوة الإسلام إلى عدم مهادنة الإلحاد ميلا منه إلى الحرب في ذاتها، وإلا ما دعا إلى السلام وحرص عليه بادئ ذي بدئ كمبدأ عام من مبادئه وإلا ما

ألزم المسلمين أيضا بالبقاء في حدود تصرف المعتدي، ولا يتجاوزون هذه الحدود بحال عند ردهم أي اعتداء عليهم " [٥٣] .

ومما يؤسف له أن البعض يصور الإلحاد على أنه تطور وتقدم ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، ف " الإلحاد ليس تطوراً، بل هو ترديد لكفر الصغار من جهلة القرون الأولى، من ألوف السنين وقفت قبيلة عاد من رسولها موقفاً كأنما لخصت فيه كل ما يقال في هذا العصر على ألسنة الشطار، من دعاة الإلحاد ، قال تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ* هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٥، ٣٦]

إن التحلل من قيود الدين ليس تجديداً ولا ابتكاراً بل هو خضوع للغرائز الدنيا التي أنامت ألوف الخلعاء والخبثاء من عشرات القرون وجعلتهم يحيون وفق شهواتهم وحدها! فأي ارتقاء في هذا المسلك الرخيص؟!"[٥٤] .

إن سبب ظهور موجة الإلحاد الحديث بقوة يعود إلى غضون القرن التاسع عشر للميلاد ، فقد كانت نزعات الإلحاد تغلب على العقل الغربي، وبدا كأن العلم الطبيعي يتجه بالناس وجهة مادية تتنكر للدين وتضيق بتعاليمه، ولما كان الغربيون سادة الدنيا وقتئذ فقد صبغوا الفكر العالمي تقريباً بهذه الصبغة الداكنة.." [٥٥].

وللأسف فقد تغلغلت هذه الأفكار في المجتمعات العربية والإسلامية فعلينا أن نشمر عن ساعد الجدّ للوقوف بوجهها حماية لقيم مجتمعنا .

٣- **الحقد** : في اللغةَ: الضِغْن والغِلُّ ، وهو إمساك العداوة في القلب، والتربص لفرصتها، وَيُقَال: رجل حَقودٌ. ومَعْدِن حاقِدٌ إذا لم يُنل شَيْئا. والجَمْع أحْقَادٌ " [٥٦] .

وفي الاصطلاح : إضمار الشر إلى وقت إمكان الفرصة ، قال الجرجاني[٥٧] : هو " سوء الظنّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة " .

وقد ورد ذكر الحقد في القرآن الكريم كصفة مذمومة ، في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ * وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥] . وقد عبر القرآن الكريم عن الحقد بمض القلب ، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغانَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٩] .

وفي السنة النبوية ورد تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الحقد ، فعن جابر رضي الله عنه قال: تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فمن مستغفر فيغفر له، ومن تائب فيتاب عليه، ويردّ أهل الضغائن بضغائنهم حتّى يتوبوا" . قال المنذريّ: الضغائن: هي الأحقاد » (٥٨).

وقد وقف الإسلام بالضد من هذه القيمة المنحرفة عن الفطرة ..إذ " الحقد هو المصدر الدفين لكثير من الرذائل الّتي رهّب منها الإسلام، فالافتراء على الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد (الحقد) ، وقد عدّها الإسلام من أقبح الزور، أمّا الغيبة فهي متنفّس حقد مكظوم، وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء، ومن لوازم الحقد سوء الظنّ وتتبّع العورات، واللمز، وتعيير الناس بعاهاتهم، أو خصائصهم البدنيّة أو النفسيّة، وقد كره الإسلام ذلك كلّه كراهية شديدة "(٥٩) .

وأما آثار الحقد السلبية وخطورته على الفرد والمجتمع يمكننا القول : " إنّ جمهور الحاقدين تغلي مراجل الحقد في أنفسهم، لأنّهم ينظرون إلى الدنيا فيجدون ما تمنّوه لأنفسهم قد فاتهم، وامتلأت به أكفّ أخرى، وهذه هي الطامّة الّتي لا تدع لهم قرارا، وهم بذلك يكونون خلفاء إبليس– الّذي رأى أنّ الحظوة الّتي كان يتشهّاها قد ذهبت إلى آدم– فآلى ألّا يترك أحدا يستمتع بها بعدما حرمها، وهذا الغليان الشيطانيّ هو الّذي يضطرم في نفوس الحاقدين ويفسد قلوبهم " (٦٠) .

٤– **الفسوق** : في اللغة من الفسق ؛ وهو الخروج عن طريق الحقّ ، يقال : فسق فلان: خرج عن حجر الشّرع ، وذلك من قولهم: فسق الرّطب، إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر. والفسق يقع بالقليل من الذّنوب، وبالكثير، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشّرع، وأقرّ به ثمّ أخلّ بجميع أحكامه، أو ببعضه (٦١) . وفي الاصطلاح : الفسوق؛ هو عدم العمل بأحكام الشّريعة مع الإقرار بالشّهادتين والاعتقاد بالوحدانيّة (أي الإيمان القلبيّ) (٦٢).

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الفسوق بصفته المذمومة ، قال تعالى : ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات : ١١].

إن دعوات الفسوق والفجور ظهرت في المجتمعات الغربية ، وكانت على أشدها في العصر الحديث مستغلة دعوات الحرية والمساواة ، ومسخرة المرأة لهذا الغرض ، ثم غزت هذه الأفكار والقيم المنحرفة مجتمعاتنا بسبب السيطرة الاستعمارية الغربية للعديد من البلدان العربية والإسلامية.

إن دعوى الحرية المطلقة للمرأة في الغرب كان له أثر كبير في تفكك الأسرة وتمزقها وأدى بدوره إلى مزيد من الإشباع الجنسي المحرم، وكان من أثر هذا العمل المزدوج للمرأة أنه تحولت العلاقات الأسرية في

المنزل إلى مجرد علاقات بين عضوين في مؤسسة لا أكثر وأقل . وزاد من تفكك الأسرة وانهيارها العامل الاقتصادي الذي دفعها إلى التطلع إلى مستوى من الرفاهية وتحقيق الكماليات دون اعتبار للقيم أو الأخلاق أو المثل العليا اللهم إلا في بعض الأسر القليلة ، وإنما تقاس الأسرة عندهم بما تملك من أجهزة وأثاث وأرصدة وأدوات تقنية. أما نحن في بلادنا العربية والإسلامية فيمنعنا ديننا الحنيف من امتهان المرأة ، ويأمرنا بالمحافظة على نضارتها وعلى طهارتها وعلى صيانتها من كل سوء، وهي في منهج هذا الدين من أهم أركان المجتمع [٦٣] .

إن ما يوصف –في أوربا– " بالحضارة هو في الواقع ليس بحضارة ؛... ويشهد لذلك تخبط أهل تلك البلاد في أمور حياتهم، وظهور الفسوق في مجتمعاتهم، وأنهم يأتون المنكر في نواديهم " [٦٤].

ومما يؤسف له أن هذا الغزو الثقافي الغربي الوافد إلى بلادنا العربية والإسلامية ، قد تسبب في أزمة اجتماعية لا تخفى على ذي لُب حتى أصبح الشخص الملتزم بالقيم والأخلاق " يشكو من فشو الفسوق وكشف العورات واختلاط البنين والبنات " [٦٥].

إن ما عرضناه من نماذج من القيم التي ذمّها الإسلام وحذرنا منها ، حريٌّ بنا أن نعمل جاهدين للوقوف بوجهها بشتى السبل ، ونأمل أن يكون لجامعاتنا ، ومؤسساتنا العلمية دور رائد في التصدي للقيم المنحرفة (بكل أشكالها) والتي إن تُركت على حالها ، فستقوض قيم وأخلاق مجتمعنا ، وسنندم على تقصيرنا ... ولات ساعة مندم .

الخاتمة

بعد أن وفقنا الله تعالى لإنجاز هذا البحث المتواضع ، أود أن أقف عند بعض الاستنتاجات المتعلقة به وكالآتي :

١- العقيدة الإيمانية ارتبطت مع القيم والأخلاق كارتباط العلم بالعمل ، وارتباط الجزاء بالشرط ، وارتباط الأسباب بالمسببات ، فبينهما ملازمة ومواظبة ؛ لما في ذلك من الأثر في الواقع العملي–التطبيقي في الحياة الإنسانية .

٢- إن التصرفات والسلوكيات الإنسانية تنتابها عوامل سلبية بحكم خضوع الإنسان للغرائز والشهوات ، لذا فجاءت القيم الأخلاقية الإسلامية لكي تُنظّم السلوك الإنسانيّ وفق مبادئ وقواعد مُحدّدةٍ كونها تستمد مصدريتها عن طريق الوحي، وبالتالي تتحقق غاية وجود الإنسان الأمثل .

٣- الأخلاق والقيم التي نراها أكثر ارتباطاً بالعقيدة الإسلامية ، ولها آثارها على الفرد والمجتمع ؛ كثيرة ، منها : الإخلاص ، الاعتبار ، الاستقامة ، الأمانة ، الإنابة ، البشارة ، التأني ، التعاون ، التقوى ، الجود ، حسن الظن ، الحكمة ، الرجاء ، الرفق ، الزهد ، السكينة ، الشكر ، الشفقة ، الصبر ، الصلاح ، الضراعة والتضرع ، الطمأنينة ، العدل والمساواة ، القناعة ، قوة الإرادة ، كظم الغيظ ، مجاهدة النفس ، المراقبة ، المواساة ، النزاهة ، الورع ، اليقظة ، اليقين ، وغيرها . فعلى الإنسان أن يتحلى بهذه القيم الإسلامية لتحقيق بناء المجتمع الصالح .

٤- وإنما تقف العقيدة الإسلامية بالضد من هذه الأخلاق والقيم الذميمة ، كالرياء والكذب والخيانة والغيبة والنميمة ... الخ . بل نفس الإنسان المؤمن العاقل تأبي كل خُلق دنيء .

٥- والصفات والقيم الأخلاقية المذمومة التي تتعارض مع عقيدتنا الإسلامية ، ويأباها شرعنا الشريف كثيرة منها : اتباع الهوى ، الإرهاب ، الإفك ، الإلحاد ، انتهاك الحرمات ، البغض ، البهتان ، الجحود ، الحسد ، الحقد ، الخداع ، السفاهة ، الشماتة ، شهادة الزور ، الضلال ، الطيش ، العدوان ، الغرور ، الغضب ، الغفلة ، الغلو ، الفسوق ، القسوة ، القنوط ، الكذب ، النميمة ، الوهن ، اليأس ... وغيرها.. فعلينا أن ننبه على خطورتها حتى لا تؤثر على صلاح الفرد والمجتمع .

المصادر والمراجع

١- ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، **الفوائد** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

٢- ابن القيم : .... **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي– بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦م .

٣- ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت: ٣٩٥هـ) ، **مقاييس اللغة** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٤- ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) **السنن** ، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط٢، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

٥- ابن منظور : محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ) **لسان العرب** ، دار صادر – بيروت ، ط٣ – ١٤١٤هـ . و : ط دار المعارف – القاهرة بلا. ت .

٦- أبو داود : سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) **السنن** ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، بلا .ت .

٧- أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) : **المسند** ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

٨- الأزهري : أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي (ت: ٣٧٠هـ) ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١، ٢٠٠١م .

٩- إسحاق بن عبد الله السعدي : **دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه** ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، الطبعة: الأولى، ٢٠١٣ م .

١٠- البخاري : محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦ه) ، **الجامع الصحيح** ، تحقيق : محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة – عن النسخة السلطانية – ط١ ، ١٤٢٢ه .

١١- البعلي : أبو عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي الفتح (ت: ٧٠٩هـ) ، **المطلع على ألفاظ المقنع** ، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين الخطيب ، مكتبة السوادي للتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٣م

١٢- البهي : د. محمد (ت: ١٤٠٢ه) : **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي** ، مكتبة وهبه ، ط١٠ ، بلا . ت.

١٣- الجرجاني : علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت : ٨١٦هـ) ، **التعريفات** ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، ص١٤ .

١٤- الجغب : د. زينب بسيوني ، **العقيدة الإسلامية ودورها في تعزيز منظومة القيم الاجتماعية** ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – الاسكندرية – جامعة الأزهر ، القاهرة ، المجلد ٣٥ ، العدد ٢ ، ٢٠١٨م .

١٥- جون ديوي : **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني** ، ترجمة وتقديم د. محمد لبيب النجيحي ، المركز القومي للترجمة –وزارة الثقافة المصرية ، ٢٠١٥م .

١٦- الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت : ٣٩٣هـ) ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤، ١٩٨٧ م .

١٧- سيد قطب : **معالم في الطريق** ، دار الشروق للنشر ، مصر – ط١ ، ١٩٧٣م .

١٨- الشحات : د. السيد حسن أحمد : **الصراع القيمي لدى الشباب من منظور التربية الإسلامية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٨ه .

١٩- صالح بن عبد الله وآخرون : **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم** ، دار الوسيلة ، جدة ، ط٤ ، ١٤٢٥م .

٢٠- الطنطاوي : علي بن مصطفى (ت: ١٤٢٠هـ) **ذكريات** ، دار المنارة ، جدة – ط٥، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

٢١- طه الليل، مقال بعنوان" **مقومات الكمال ودلالات الجمال في الفكر العربي الإسلامي** " منشور على موقع : diwanalarab.com بتاريخ : ٢٧ نيسان (أبريل) ٢٠١٣ .

٢٢- الغزالي : د. محمد (ت : ١٤١٦هـ) ، **خلق المسلم** ، دار نهضة مصر ، القاهرة .بلا . ت.

٢٣- الغزالي ... : **قذائف الحق** ، دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م

٢٤- الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) ، **إحياء علوم الدين** ، دار المعرفة – بيروت ، بلا . ت .

٢٥- الماوردي : علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠ه) : **تسهيل النظر وتعجيل الظفر** ، تحقيق د. محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨٣م .

٢٦- محمد منير مرسي : **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية** ، عالم الكتب ، مصر، ٢٠٠٥م .

٢٧- المرسي : كمال الدين عبد الغني ، **من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي** ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

٢٨- مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، **الجامع الصحيح** ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت بلا . ت .

٢٩- المناوي : زين الدين محمد بن علي الحدادي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ط١، ١٣٥٦ه .

٣٠- المناوي : ..... ، **التوقيف على مهمات التعاريف** ، ط١ ، عالم الكتب- القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٣١- المنذري : عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦ه) **الترغيب والترهيب** ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ ه .

٣٢- الميداني : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ) ، **كواشف زيوف** ، دار القلم، دمشق ، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٣٣- النسائي : أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ) ، **السنن** ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، ط٢، ١٩٨٦م .

الهوامش:

(١) ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ) ، **مقاييس اللغة** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ٤٧٨/٢ .

(٢) البعلي : أبو عبد الله ، شمس الدين محمد بن أبي الفتح (ت: ٧٠٩هـ) ، المطلع على ألفاظ المقنع ، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين الخطيب ، مكتبة السوادي ، ط١ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م ، ص٤٩٩ .

(٣) الأزهري : أبو منصور، محمد بن أحمد الهروي (ت: ٣٧٠هـ) ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١، ٢٠٠١م ، ١٤٧/١٠ .

(٤) الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت : ٣٩٣هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤، ١٩٨٧ م ،١٨١٣/٥ .

(٥) إسحاق بن عبد الله السعدي : دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م ، ٩٥١/٢ .

(٦) طه الليل، مقال بعنوان" مقومات الكمال ودلالات الجمال في الفكر العربي الإسلامي " منشور على موقع : diwanalarab.com بتاريخ : ٢٧ نيسان (أبريل) ٢٠١٣ .

(٧) الجوهري ، الصحاح ، ٢٠١٧/٥ . ابن منظور : محمد بن مكرم (ت: ٧١١هـ) ، لسان العرب ، دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ ، ٥٠٣/١٢ .

(٨) الشحات : د. السيد حسن أحمد ، الصراع القيمي لدى الشباب من منظور التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٨ه ، ص٥٧.

(٩) الترمذي : محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، رقم الحديث: ١١٦٢.

(١٠) أبو داود : سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، بلا .ت . ، رقم الحديث: ٤٦٨٢.

(١١) ابن منظور : لسان العرب ، ط دار المعارف – القاهرة ، ١٢٤٥/٢.

(١٢) علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠ه) : تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، تحقيق د. محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨٣م ، ص ٥ .

(١٣) ينظر : جون ديوي : الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ، ترجمة وتقديم د. محمد لبيب النجيحي ، المركز القومي للترجمة –وزارة الثقافة المصرية ، ٢٠١٥م ، ص١١٦ .

(١٤) سيد قطب ، معالم في الطريق ، دار الشروق ، مصر – ط١ ، ١٩٧٣م ، ص٢٩ .

(١٥) محمد منير مرسي ، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب ، مصر، ٢٠٠٥م ، ص ١٥٩. بتصرّف.

(١٦) الجغب : د. زينب بسيوني ، العقيدة الإسلامية ودورها في تعزيز منظومة القيم الاجتماعية ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – الاسكندرية – جامعة الأزهر ، القاهرة ، المجلد ٣٥ ، العدد ٢ ، ٢٠١٨ ، ص ٣٥٧٤ بتصرف

(١٧) سبق تخريجه : ص٥ .

(١٨) المناوي : زين الدين محمد بن علي الفاروقي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ط١، ١٣٥٦ه ، ٢/٩٧-١٤٤١ .

(١٩) الترمذي ، رقم الحديث : ٢٠٠٣ ، أبو داود ، برقم: ٤٧٩٩ .

(٢٠) البخاري ، محمد بن اسماعيل (ت٢٥٦ه) ، الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة – عن النسخة السلطانية – ط١ ، ١٤٢٢ه ، ٨/١١، برقم : ٦٠١٨ ، ٦١٣٦ .

(٢١) المناوي : . . . ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ط١ ، عالم الكتب– القاهرة ، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م ، ص٤٣ .

(٢٢) علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت : ٨١٦هـ) ، التعريفات ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م ، ص١٤ .

(٢٣) مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، الجامع الصحيح ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي– بيروت ، بلا . ت . برقم: ١٩٠٧، الترمذي : ١٦٤٧.

(٢٤) مسلم : ٣٤ – ٢٥٦٤ . أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): المسند ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، ١٣/٢٢٧ ، برقم: ٧٨٢٧ .

(٢٥) ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ) السنن ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – البابي الحلبي ، بلا.ت. ١/٨٤ ، برقم :٢٣٠ .

(٢٦) صالح بن عبد الله وآخرون : نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، دار الوسيلة ، جدة ، ط٤ ،١٤٢٥ه ،١٢٧/٢ . (سيشار إليه لاحقاً : نضرة النعيم) .

(٢٧) المصدر نفسه ، ١٤٠/٢ .

(٢٨) ياسر عبد الرحمن : موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، ١/٦٤ .

(٢٩) الأزهري ،تهذيب اللغة ، ٩/٢٦٧ .

(٣٠) أحمد : ١٥٤٥٤ . مسلم : ٦٢ – ٣٨ . ابن ماجة : ٣٩٧٢ .

(٣١) الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة – بيروت ، بلا . ت . ٣/٦٣ .

(٣٢) المصدر نفسه ، ٣/٦٤ .

(٣٣) المصدر نفسه ، المقدمة ، ص٥٥ .

(٣٤) ابن منظور : لسان العرب ، ٤/٧ .

(٣٥) الجرجاني ، التعريفات ، ص٤٠ .

(٣٦) البخاري ، برقم : ٣٥٧١ : . ويُنظر : النسائي : أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ) ، السنن ، ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، ط٢، ١٩٨٦ ، ٨٣٢١.

(٣٧) إبراهيم مصطفى أحمد : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، مقال منشور على موقع : alukah.net ، تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٦/١٥ م .

(٣٨) ابن منظور ، لسان العرب ، ٩٩/٩ .

(٣٩) ابن القيم : محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ، مدارج السالكين تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي– بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٦م،٥٠٨/١ .

(٤٠) المصدر نفسه ، ١ /٥٠٨.

(٤١) نضرة النعيم ، ٣١/١ .

(٤٢) الترمذي : ٩٨٣ ، ابن ماجة :٤٢٦١ .

(٤٣) مهجة ثابت محمد حكمي ، الخشية من الله وآثارها ، مقال منشور على موقع : alukah.net ، تاريخ الإضافة : ٢٠١٩/٩/٣م .

(٤٤) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ٦١/٣ .

(٤٥) ابن القيم ، **الفوائد** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ، ص١٧٧ .

(٤٦) أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت٥٠٢ه) ، **المفردات غريب القرآن**، تحقيق : محمد سيّد كيلاني ، ط دار المعرفة – بيروت ، بلا. ت. ص٥٤٨ .

(٤٧) الجوهري ، الصحاح ، ٥٣٧/٦ .

(٤٨) الماوردي .... ، أدب الدنيا والدين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٦م

(٤٩) المصدر نفسه ، ص٢٩ .

(٥٠) الأزهري ، تهذيب اللغة ٢٤٣/٤.

(٥١) الميداني : عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ) ، كواشف زيوف ، دار القلم، دمشق ، ط٢، ١٤١٢ هـ – ١٩٩١ م ، ص٤٣٣ .

(٥٢) البخاري :٦٤٨٨ .أحمد:٦٩٣٣.

(٥٣) محمد البهي (ت: ١٤٠٢ه) : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، مكتبة وهبه ، ط١٠ ، بلا . ت. ، ص٢٠٤ .

(٥٤) محمد الغزالي السقا (ت : ١٤١٦هـ) ، قذائف الحق ، دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١ م ، ص٢٢١ .

(٥٥)محمد الغزالي السقا ، قذائف الحق ، ص٢٢١ .

(٥٦) الأزهري ، تهذيب اللغة ٢١/٤ . ٥٣/٨ . الجوهري ، الصحاح ، ٤٦٦/٢ .

(٥٧) التعريفات ، ص٩١ .

(٥٨) المنذري : عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦ه) الترغيب والترهيب ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ ه ، ١/ ٤٥٩ .

(٥٩) نضرة النعيم ، ٤٤٣٣/١٠.

(٦٠) الغزالي .. ، خلق المسلم ، دار نهضة مصر ، القاهرة .بلا . ت. ص٩٠ وما بعدها . نضرة النعيم ، ٤٤٣٣/١٠ .

(٦١) الراغب ، المفردات ، ٣٨٠

(٦٢) نضرة النعيم ، ٥٢٦٢/١١ .

(٦٣) المرسي : كمال الدين عبد الغني ، من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م ، ص ٢٢٨ .

(٦٤)المصدر نفسه ، ص٢٠٦ .

(٦٥) الطنطاوي : علي بن مصطفى (ت: ١٤٢٠هـ)، ذكريات ، دار المنارة ، جدة – ط٥، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، ٨٣/٦.

القيم الأخلاقية في القرآن ودورها في رقي الأسرة والمجتمع

د. إدريس محمود
جامعة محمد الأول وجدة المغرب

جامعة البصرة
مكتب العميد
عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

تعالج هذه الورقة موضوع (القيم الأخلاقية في القرآن ودورها في رقي الأسرة والمجتمع) وذلك من خلال تحليل القيم الأخلاقية في القرآن الكريم، وبيان أهميتها.

كما أشارت الورقة إلى أن القيم الأخلاقية في القرآن الكريم، هي من أهم الركائز التي تقوم وتبنى عليها الأسر والأمم والمجتمعات.

وأوضحت الورقة أن القرآن الكريم هو روح هذه القيم وعينها، ومنه تستقي الأسرة المسلمة هذه القيم الأخلاقية لتربية أبنائها؛ كما تسهم في حفظ الأسرة والمجتمع معا من جميع الانحرافات وخاصة النفسية والاجتماعية.

وأبرزت الورقة أن بين القيم الأخلاقية في القرآن الكريم والإنسان المسلم، صلة قوية وعلاقة وطيدة، كالعلاقة بين الروح والجسد، "الحي والميت" والأرض والماء، والنور والظلام.

وختمت الورقة بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، كما تم تسطير التوصيات.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، القيم، الخلق، الارتقاء، الأسرة، المجتمع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، وبعد:

تعد القيم الأخلاقية في القرآن الكريم من أهم الركائز التي تقوم وتبنى عليها الأسر والأمم والمجتمعات، وتتعلق هذه القيم بالأخلاق والمبادئ التي تجعل الأسرة والمجتمع يرقيان إلى أقوى الأسر والمجتمعات، فبها تنتشر المحبة وتعم الأخوة ويقوى التماسك والترابط فيما بينهم، كما أنها تعد النقطة المركزية للعلاقات الاجتماعية داخل الواقع الاجتماعي، ولابد أن تتجسد في ممارسة تربوية ظاهرة في سلوكات الفرد والأسرة

والمجتمع، قولا وفعلا وعملا؛ لأن هذه القيم الأخلاقية أقرّها الوحي من خلال القرآن الكريم والسُنّة النبوية الشريفة، تهدف إلى ضبط وتنظيم سلوك الأسرة مع باقي أفراد المُجتمع في مختلف الظّروف والأماكن، وتزرع في نفس صاحبها اللبنة الأساسية للرقي والنجاح؛ لذلك يجب على كل مسلم الإحاطة بما جاء من القيم الأخلاقية في القرآن الكريم والتحلي بها، فهي جوهر وروح الرسائل السماوية، وهي مسؤولية الجميع، كما أمر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".[1] فالآباء مسؤولون عن التربية الأخلاقية لأطفالهم لأن هذا واجبهم الأخلاقي في المقام الأول، ثم يأتي دور المؤسسات التعليمية والمجتمع، بحيث يصبح كل طفل في الأسرة فردا من أفراد المجتمع، يتمتع بأخلاق فاضلة في المستقبل، فالأسرة والمجتمع والجامعات والأماكن الرياضة كل بمكانه مسؤول عن تعليم القيم الأخلاقية للآخرين.

ولهذا فإن القرآن الكريم هو روح هذه القيم وعينها، ومنه تستقي الأسر المسلمة تلك القيم التي تعلمها لأبنائها، حيث أعطى الأسرة قدرًا كبيرًا من العناية والاهتمام، واعتبرها نواة المجتمع وقاعدته المحورية، وحث على بر الوالدين والإحسان إليهما واحترامها، وكذلك أمر الأبوين بالإحسان إلى الأبناء وتربيتهم على الأخلاق والقيم الدينية السمحة.

ولذلكم فإن للقيم الأخلاقية في القرآن الكريم آثارا بالغة في المجتمع، فإذا استطعنا أن نغرس القيم الأخلاقية في أفراد أمتنا الإسلامية فردا وأسرة ومجتمعا، يصبح مجتمعنا راقيا خاليا من الفوضى والفتن والمفاسد الكثيرة، فيعود إلى فطرته الأصلية التي فطر الناس عليها، فيصير مجتمعا ربانيا، معياره التقوى، فالكل يتقي الله عز وجل في السر والعلانية، فلا يبقى أي فساد في المجتمع الرباني.

ومن أجل هذا جاءت هذه الورقة البحثية لتسهم بدورها ولو بجزء يسير في هذا المؤتمر العلمي الدولي الثالث، تحت عنوان: "القيم الإسلامية ودورها في رقي المجتمع الإنساني" الذي أعلن عن الاستكتاب والمشاركة فيها أطر قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، التابعة لجامعة البصرة، مشكورين على هذه المبادرة الطيبة. فجاءت لتجيب عن الأسئلة المطروحة الآتية:

ما المقصود بالقيم الأخلاقية في القرآن؟

كيف تسهم هذه القيم بدورها في رقي الأسرة والمجتمع؟

إلى أي حد يصل تعلق الأسرة والمجتمع بالقيم الأخلاقية في القرآن؟

ما هو السر في تأثير القيم الأخلاقية في القرآن على رقي الفرد والأسرة والمجتمع؟

وتختم الورقة بالنتائج والتوصيات.

المحور الأول: مفهوم القيم الأخلاقية في القرآن، ودورها في رقي الأسرة والمجتمع

أولا: القيم لغة:

لغة: جمع قيمة، وهو مصدر من الفعل الرباعي: قيم يقيم تقييما، أي الشيء الغالي والثمين، كما يقال: "قوم الشيء تقويما فهو قويم، أي مستقيم"[٢] استقام الأمر واعتدل واستوى، ومن ذلك قوله تعالى: **{لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم}**.[٣] أي الثابت غير المتغير. والمقصود بالدين القيم عند علماء التفسير، هو الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله لنا دينا.

ثانيا: اصطلاحا:

أما اصطلاحا، فالملاحظ أن هذا المصطلح "القيم" يختلف من عالم لآخر ومن مرجعية لأخرى، فالمصطلح واحد؛ لكنه يختلف مفهومه حسب المرجعيات المحددة له، فالمصطلح في المفهوم الإسلامي ليس هو المصطلح في مفهوم المرجعيات الأخرى، كالرأسمالية والليبرالية والفلسفية والماركسية؛ فمفهوم "القيم" هو مصطلح واحد، إلا أنه يختلف في كل مرجعية من هذه المرجعيات، فكل مرجعية تنظر إليه من زاويتها الخاصة.

والذي يهم من مفهوم القيم في الجانب الاصطلاحي، هي المقاربة التربوية للمصطلح باعتباره المحور الأساسي لتنمية الإنسان داخل المحيط الذي يعيش فيه ويتعايش مع أفراده فيتأثر ويؤثر سلبا وإيجابا، لكنه في كل فن من الفنون إلا وتجد له فرسانه وحراسه الذين يحرسونه من كل التأثيرات السيئة الوافدة عليه، ومن هنا نجد علماء التربية والاجتماع قد أسهموا اسهاما كبيرا في إعطاء مفهوم متنوع لمصطلح القيم، ومن ذلك قولهم: "القيم مجموعة المبادئ والقواعد والمثل العليا. أو هي مجموعة الصفات الأخلاقية التي يتميز فيها البشر وتقوم الحياة الاجتماعية عليها ويتم التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال. أو هي مجموعة الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به أعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية".[٤]

وقولهم، القيم هي: "صفات إنسانية إيجابية راقية مضبوطة بالشريعة الإسلامية، تؤدي بالمسلم الذي يتعلمها إلى السلوكات الإيجابية في المواقف المختلفة التي يتفاعل فيها مع دينه ومجتمعه وأسرته ومحيطه المحلي والإقليمي والعالمي، وتصبح هذه القيم تربوية كلما أدت إلى النمو السوي لسلوك المتعلم، وكلما اكتسب بفضل غرسها في ذاته مزيدا من القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الخير والشر، وبين القبيح والجميل".[٥]

أما الدكتور عرسان فقال: "القيم هي: محكات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة فيها أو من حيث قبحها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة معينة ما بين هذين الحدين، وتعمل القيم بوعي أو بدون وعي كجزء من المؤثرات التربوية والاجتماعية في سلوك الإنسان والقرارات التي يتخذها والمنجزات التي ينجزها".(٦)

ثالثا: الأخلاق لغة:

والأخلاق لغة: جمع خلق، والخلق: بضم الخاء المعجمة وإسكان اللام وضمها: "السجية، والطبع، والمروءة، والدين".(٧)

قال ابن فارس: "خلق: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء. وقال: "ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدر عليه".(٨)

وقال الراغب الأصفهاني: "الخلق (بالفتح) والخلق (بالضم) في الأصل واحد، لكن الخلق "بالضم" يقال في القوى المدركة بالبصيرة، والخلق "بالفتح" يقال في الهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر".(٩)

رابعا: اصطلاحا:

قال الغزالي: "فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية".(١٠)

وقال الجاحظ: "إن الخلق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضية ... كالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة".(١١)

وقال الماوردي: "الأخلاق غرائز كامنة، تظهر بالاختبار، وتقهر بالاضطرار".(١٢)

قال حاجي خليفة عن ابن صدر الدين الشروان المتوفى سنة: ١٠٣٦ه، هو: "علم بالفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها وبالرذائل وكيفية توقيها لتتخلى عنها".(١٣)

وقال الجرجاني: "الخلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة، سميت الهيئة: خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقا سيئا، وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور بحالة عارضة لا يقال: خلقه السخاء، ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من

تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال: خلقه الحلم، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء، ولا يبذل، إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل، لباعث أو رياء".(١٤)

إن حديثنا في القيم عن ضرورة إيلاء أهمية أكبر للقيم الإسلامية السمحة، هو لفت نظر إلى الفراغ الذي طالما عانت منه الأسرة المسلمة لما قصرت في إدماج القيم في كثير من الأمور الدنيوية وخاصة التي تتيح فرصة كبيرة لإبراز القيم في الأمرين معا دنيويا وأخرويا، والتي يهدف الإسلام إلى غرسها في نفوس الأمة معا فردا وأسرة ومجتمعا.

والقيم في الإسلام هي القيم التي استمدت من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة باعتبارهما مصدري الاستقاء في الإسلام، مثلما استمدت منهما العقيدة الإسلامية وباقي أحكام التشريع الإسلامي.

ولهذا فإن الإسلام يقيم بناءه على نظرية تضافر القيم وتوازنها، لأن القيمة الواحدة لا تكفي في ضبط تحركات المجتمع حتى لا يطغى توجه فرقة معينة على غيرها، فقيمة العدل مثلا مقترنة بقيمة المسؤولية عموما، وبالمسؤولية عن حفظ المجتمع وسلامته تحديدا.

ولا تستمد أي قيمة مشروعيتها إلا إذا قمنا بربطها بالكتاب والسنة، لأن ما هو ديني إنما يعبر عن مراد الله من الإنسان، وليس معبرا عن مراد الإنسان من الإنسان.

وبالإمكان تحديد جملة من القيم التي أصبح الواقع الاجتماعي يستدعي مزيد اهتمام الأسرة والمجتمع بها، ومن تلكم القيم: العدل، والصبر، والأمانة، والصدق، والرحمة، والعفو، والتسامح، والتواضع، والحياء، والتعاون، والتعارف، والتآلف...ونأخذ قيمتي العدل والتسامح على سبيل المثال لا الحصر؛ لأن المجال لا يتسع لذكر كل القيم هنا.

أولا: قيمة العدل:

فقيمة العدل: هي قيمة عليا، والعدل نظام الحياة سواء داخل الأسرة خاصة، والمجتمع عامة، ولا صلاح لشيء بدونه، وهو من أسماء الله عز وجل وصفة من صفاته التي أمر الله عباده بالإتيان بها، قال تعالى: **{إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتائي ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون}**.(١٥)

والعدل ميزان خالص لا تميل كفته بالود أو الخصومة، ولا يؤثر في نصاعته ميل إلى قرابة أو صحبة.

والله عز وجل أنزل شريعته لتطبق أحكامها على الجميع، على الغني والفقير، والذكر والأنثى، والقوي والضعيف، حاكما كان أو محكوما، تطبق عليهم أحكامه على السواء، وهذا ما أشار إليه صاحب كتاب

"المجتمع الإسلامي في ظل العدالة" فقال: "وإذا ارتفع العدل بين الناس صار الناس أصنافا وطبقات، ونبت الحقد في صدورهم، ونمت الكراهية في نفوسهم، فأدى ذلك إلى إهلاكهم جميعا".(١٦)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها".(١٧)

ثانيا: قيمة التسامح:

إن قيمة التسامح هي واحدة من بين المشكلات الكبيرة التي تواجهنا اليوم؛ لقلة فهم ثقافة التسامح وتجنب الغير ومقاطعته، خوفا من مواجهته سياسيا أو عقديا، والإسلام يدعو إلى ثقافة التسامح والتلاحم والتفاعل والتراحم والتعاون، وينهى عن التنافر والتآمر والتباعد والتطرف والتشدد، والشريعة الإسلامية بعيدة كل البعد عن هذا كله، بل قد تميز منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن الكريم عليه بالتسامح والتوسط والاعتدال، ودفع المشقة والحرج عن الناس زمانا ومكانا، وهذا ما جعل هذا الدين ينتشر في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يزال ينمو بقوته ومرونته، وسيظل هكذا في المجتمعات والأسر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما ما يتعلق بتطبيق هذه القيم الأخلاقية في المجتمع، فإنه لا بد أن يتصف بجملة منها، ويلتزم بها، والالتزام بهذه القيم الأخلاقية تجعل عمله عملا تطبيقيا ممتدا في الآفاق وفي النفوس، وتغرس من خلاله في حياة الأفراد والجماعات، وأن يترفع في عمله عن كل ما يشوب هذه القيم الأخلاقية مراعاة للشرع الحنيف، ولا يمكن اتخاذ الأمور الدنيوية ذريعة إلى إهمالها وإلى إخلاء الحياة الاجتماعية منها، كما يمكن له أن يستحضر ما للدين من قدرة وقوة على تخليق الحياة الاجتماعية عن طريق غرس الأخلاق في النفوس، وما يعد به من جزاءات دنيوية وأخروية.

وإن أي محاولة للفصل في أمر الأسرة والمجتمع بين الدين والأخلاق ليست إلا محاولة رديئة سيئة، تعطي لنا كل الأمراض المزمنة التي تعاني منها المجتمعات، وهذا ما يجب وينبغي أن تعتقده الأسرة ويعتقده المجتمع الإسلامي؛ لأنه لا نجاة ولا فلاح لنا إلا بالتمسك بدين الإسلام الذي رضيه الله لنا دينا وارتضاه منا تدينا، فنعض عليه بالنواجذ، ونجعله محور شؤوننا وحياتنا بأكملها، وكل من حاربه وأراد به شرا فلن يفلح أبدا في الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين؛ لأن الذي تولى حفظه ونصره هو الله رب العالمين، فله الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير.

ولهذا فإنه يتعين على الأسرة أن تسير على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تتخلق بالخلق الحسن الذي وصانا به عليه السلام، حين تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فأمة

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي خير أمة أخرجت للناس، وأن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أفضل هذه الأمة، رضوان الله عليهم جميعا، فبقاء هذه الأمة على الخيرية مرهون ببقاء قيمها الأخلاقية، فإن ذهب أخلاقها ذهبت خيريتها.

والهدف الأسمى من بعثة الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو إحياء القيم، إحياء مكارم الأخلاق، كما جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".[١٨]

المحور الثاني: كيف تسهم هذه القيم بدورها في رقي الأسرة والمجتمع؟

تسهم القيم الأخلاقية في القرآن الكريم في حفظ الأسرة والمجتمع من الانحراف النفسي والاجتماعي، حتى لا يعود الإنسان عبدا لهواه، وضبط التصرفات لتحقيق حياة آمنة مطمئنة، فيمتثل الأوامر ويجتنب النواهي؛ لأن هذه القيم الأخلاقية هي ميزان العدل للفرد مع الغير.

كما تسهم هذه القيم الأخلاقية في بناء مجتمع يسعى أفراده للتطور والتقدم في جميع المجالات: الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وتسهم في تقدم الحضارات الإنسانية، فضلا عن الألفة وقوة الروابط بين الأسرة والفرد والمجتمع.

تعد القيم الأخلاقية العنصر الأساسي في تكوين أفراد مثاليين، وأسر متماسكة سليمة، ومجتمعات راقية، ولذلكم فإن القيم الأخلاقية في القرآن الكريم تقوم بدور أساسي في رقي المجتمعات وتهذيبها، وإعدادها إعدادا فاضلا، علما أن القيم الأخلاقية هي صمام الأمان بالنسبة للأسرة والمجتمع من الانهيار والانحلال الخلقي، فتزيد من قوة المجتمع ومناعته.

تحقق الرقي والانضباط والتوازن في حياة الأسر والمجتمعات باعتبارها المحرك الأساسي للتفاعل والتعاون فيما بينهم، لتعزيز الروابط للأخوة الإيمانية وتحقيق الأهداف الجماعية.

تعد القيم الأخلاقية في القرآن الكريم المعيار الذي يمكن أن نقيس به مدى تطور الأسرة والمجتمع وتقدمهما، ولهذا ينبغي على جميع الأفراد على حد سواء، التزام بمكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام وجاء النبي صلى الله عليه وسلم لإتمامها.

تساعد الفرد على تحمل المسؤولية تجاه خالقه ونفسه وأسرته ومجتمعه وحياته، ليكون قادرا على التمعن في قضايا الحياة التي تهمه، وتؤدي إلى الإحسان بالرضى.

تقي المجتمع من النزاعات والأنانية المفرطة، فتحفظ له تماسكه وتحدد له أهدافه ومثله العليا، وتحقق له ما هو مطلوب منه في إطار الرسالة الإسلامية.

أنها تساعد الأسرة والمجتمع على مواجهة المستجدات والمتغيرات التي تحدث في عالمهم بتحديدها الاختيارات الصحيحة التي تخرجهم منها فتسهل عليهم حياتهم، وتحفظ استقرارهم وكيانهم في إطار منسجم موحد.

فالقيم الأخلاقية في القرآن الكريم هي الركيزة الأساسية التي من المفترض أن ينشأ عليها الأفراد داخل الأسرة والمجتمع، وهي الأساس في تكوين أفراد يتمتعون بالرقي والفضائل والأخلاق، ولا يقبلون بالصفات الذميمة؛ لأن القيم الأخلاقية هي التي تقوم الإنسان وتجعل تصرفاته راقية ليس فيها أي شيء يشوبها، وهي التي تجعل من المجتمع مجتمعا راقيا نحو الخير والسعادة، فيصير مجتمعا فاضلا، كما أن غياب هذه القيم مؤذن بسقوط الأسرة والمجتمع إلى الحضيض.

ومن أهم أسباب رقي الأسرة والمجتمع، هو التمسك الحقيقي بالأخلاق الفاضلة، سواء على المستوى الفردي أو الأسري أو الاجتماعي، فهي النقطة الأساسية في تهذيب السلوك الإنساني وتنظيم العلاقات والتعاون والتماسك والترابط في المجتمع، أفرادا وأسرا.

فما أحوجنا اليوم إلى أن نتمسك بهذه القيم الأخلاقية ونعتز بها، لنستظل بها في وافر المحبة والمودة والإخاء، وننير بها طريقنا نحو الرقي في درجات العلا في الحياة وبعد الممات.

المحور الثالث: إلى أي حد يصل تعلق الأسرة والمجتمع بالقيم الأخلاقية في القرآن؟

أولا: الأسرة: فالأسرة هي المدرسة الأولى في التربية وتلقين الناشئة مبادئ القيم الأخلاقية، وللوالدين أثر كبير في تنشئة أولادهم التنشئة الصالحة على القيم الإسلامية الصحيحة منذ نعومة أظفارهم، كما يقع عليها" العبء الأكبر في تربية الطفل وتنمية جميع جوانب شخصيته، الجسدية، والوجدانية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، وبفضل الله ثم بفضل الجو الأسري المستقر، تتولد لدى الطفل العواطف المتزنة تجاه نفسه، وتجاه جميع الأحياء من حوله ويصبح مهيأً لاستقبال الحياة، والعمل فيها بنجاح".(١٩)

فالتربية على القيم الأخلاقية هي واجب الأسرة تجاه الأبناء، فمهمتها الأولى هي تخريج جيل ملازم للقرآن الكريم داخلها وفي مجتمعها، جيل يكون القرآن الكريم خلقه، والقرآن الكريم هو سلوك ومنهاج حياة، فهو الحياة السعيدة التي لا يعرفها إلا من ذاقها، حياة يسعد فيها الإنسان، حياة ترتقي بالإنسان ليحيى حياة طيبة، بدعوة من ملك الملوك سبحانه وتعالى، الذي سيجد عنده ما يريد، قال تعالى: **{يأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}**(٢٠) فالآية الكريمة تبين لنا هذه الدعوة الربانية من الله عز وجل إلى عباده المؤمنين للحياة السعيدة على منهجه.

فكل مولود يولد على الفطرة، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه..."[٢١] والقرآن الكريم ينسجم مع هذه الفطرة ويتماشى معها، وكلما لزم الإنسان القرآن والتصق به عاد إلى فطرته التي فطره الله عليها ولم يخرج عنها أبدا، وبذلك يحيي فيه بواعث البر والخير، فهو حبل الله المتين "إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا"[٢٢]

ثانيا: إن المدرسة هي الأم والأسرة الثانية للطفل؛ لأنه يقضي فيها ساعات طوية، يعيش فيها مع أساتذته وزملائه، ويتلقى فيها القيم الأخلاقية والمعارف والخبرات والمهارات المختلفة، ولذلك فإنه لا بد من العناية بجميع هذه الأمور التي تشكل المنهج بمفهومه المعاصر.

لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماما بليغا وأولاها عناية خاصة، لأنها هي المؤسسة الأولى المسؤولة عن صلاح الأمة والمجتمع، لهذا نجد الشارع الحكيم، أحاطها بسياج منيع وميثاق غليظ محكوم بحبل رباني من الفطرة والمودة والرحمة، إضافة إلى النصيب الوافر التي حظيت به من الذكر الحكيم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

فصلاح الأسرة يؤدي إلى إنشاء مجتمع صالح يكثر فيه الإنتاج والفعالية والتعاون والتكافل وحفظ الحقوق وتحقيق جميع الحاجيات، فيحصل الصلاح أولا بالصلاح الفردي، إذ الافراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه.

المحور الرابع: السر في تأثير القيم الأخلاقية في القرآن على رقي الفرد والأسرة والمجتمع:

إن للقرآن الكريم سرا لطيفا وأثرا عظيما على حافظه وقارئه ومستمعه، وهو الذي يسمو بالنفس الإنسانية ويرتقي بها، كما يجعل الفرد منشرح الصدر متفائلا بالخير والفلاح.

ومن أسرار هذا القرآن على الفرد والأسرة والمجتمع، أنه يصل إلى أعماق القلوب فيغمرها بالسعادة والطمأنينة، وهو سر السعادة ومصدرها الحقيقي، في الدنيا والآخرة، وبه يستمر المرء في درب الحياة ويستقيم.

ومن أسراه كذلك، أنه يضيء لصاحبه الطريق في الحياة كلها، لكن بشرط الإخلاص والالتزام بالأخلاق والقيم القرآنية، فيورث لصاحبه الإجلال والتقدير والهيبة.

قال تعالى: **{قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم}.**[٢٣]

روى البيهقي في سننه عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من إجلال الله عز وجل إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط".(٢٤)

لقد أنار الله عز وجل كوكب الأرض بنوره من خلال القرآن الكريم، والذي ترك أثره على جميع سكانه فردا وأسرة ومجتمعا.

وهذا مما لا شك فيه فهو فضل من الله تعالى على الإنسان، فالقرآن يكمن فيه علاج الروح، ويهب العلاجات الشافية للذين تعرضوا لاهتزازات نفسية حادة، ووقعوا ضحية اليأس، فهو يبث فيهم الأمل في انبثاق حياة جديدة، ولذلك فإن في نفسِ الإنسان طاقات لا تفتحُ إلاّ عندما يكون المرء في قراءة تدبريّة للقرآن.(٢٥)

وسوف نسوق بعض النماذج مما صح من الأخبار أن هذا القرآن أثر فيهم بمجرد سماعهم له، وخير دليل ممن تأثر بالقرآن وأثر على نفسه، سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه في قصة إسلامه، وقصة إسلام أبي ذر وأخيه أنيس، وقصة إسلام جبير بن مطعم رضي الله عنهم جميعا.

كما نقلت لنا كتب التاريخ والسير، نماذج كثيرة من تأثير القرآن في نفوس الكافرين، ومنهم: أبو سفيان وأبو جهل من صناديد قريش وزعمائهم، وقصة عتبة بن ربيعة، وغيرهم كثير ممن أثر فيهم القرآن بمجرد سماعهم له، ولم يتمكوا من السيطرة على نفوسهم، إلا أنهم استحبوا العمى على الهدى.

وهذا التأثير هو الذي جعل الوليد بن المغيرة ينطق في وجه أبي جهل بكلمات يعبر له فيها بأحقية هذا القرآن وببلاغته حيث قال: "والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى".(٢٦)

هذه إضاءات مختصرة عن سر القرآن وأثره على الأسرة فردا ومجتمعا، أحسبها مفيدة لمحب القرآن وحفظته ومستمعه وقارئه وللمسلمين جميعا.

إن هذا القرآن الكريم، هو شرفنا وفخرنا وعزنا وفيه خيرنا وطريق نصرنا ورقينا، قال تعالى: **{وَإِنَّهُ لذكر لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـــأَلُونَ}**.(٢٧)

روى الإمام أحمد في مسنده عن سعد بن هشام بن عامر، قال: أتيت عائشة، فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: "كان خلقه القرآن".(٢٨) وقد زكاه ربه وخاطبه بقوله: **{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**.(٢٩)

الخاتمة: النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

إن القرآن الكريم هو كتاب هداية ورحمة، وهو شفاء لما في الصدور، وهو النور الذي يستضاء به.

إن القرآن الكريم هو روح هذه القيم وعينها، ومنه تستقي الأسر المسلمة تلك القيم التي تعلمها لأبنائها.

إن القرآن الكريم هو دستور حياتنا وغذاء لأرواحنا، ونور لأبصارنا وجلاء لأحزاننا، كما أنه معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

"إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات"

إن القيم الأخلاقية في القرآن الكريم هي ترياق الأسرة والمجتمع ودوائهما.

إن هذا القرآن يضيء لصاحبه الطريق من أجل الارتقاء في الحياة، وبه نرتقي معا فردا وأسرة ومجتمعا في أعلى الدرجات في الجنة بعد الممات.

ثانيا: التوصيات:

١) يوصي الباحث بكثرة إقامة المؤتمرات والندوات الدولية والوطنية في مجال القيم الأخلاقية في القرآن الكريم وتأثيرها على الأسرة والفرد والمجتمع.

٢) إعادة النظر في تخصصات الجامعات العربية والإسلامية، وإعطاء أهمية كبيرة لتخصص القرآن الكريم وعلومه.

٣) إعادة فتح الدور لتحفيظ القرآن الكريم في المدن والقرى، وتشجيع الناشئة على حفظه من أجل الارتقاء بالأسرة والفرد والمجتمع.

٤) إنشاء مجلات محكمة في الجامعات العربية والإسلامية في مجال القيم الأخلاقية في القرآن الكريم وتنزيلها على أرض الواقع من الأساتذة الأجلاء المتخصصين في المجال.

٥) إنشاء دورات تكوينية ومسابقات دولية ووطنية حول القيم الأخلاقية في القرآن الكريم من أجل تحفيز الطلاب.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت٥٠٥ه)، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى:١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.
- الارتقاء في درجات تلقي معاني القرآن، لعبد الباقي يوسف، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م.
- الإسلام والصحة النفسية والجسدية للأنام، فايق محمد غنايم، دار المأمون للنشر والتوزيع.
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، للماوردي، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية – بيروت، بدون طبعة.
- التعريفات، للشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨٢٦ه)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥/١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.
- تهذيب الأخلاق، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى: ١٤١٠ه ١٩٨٩ه.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، الطبعة الأولى: ١٤٢٨ه ٢٠٠٧م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥/١٩٨٥.
- السنن الكبرى. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (ت ٢٥٦ه)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة: ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى، تاريخ النشر: ١٩٤١م.
- كونوا ربانيين، عائد بن عبد الله القرني، دار ابن حزم.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ.
- المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها: عائشة عبد الرحمن الجلال (١٤١٢)، ط ١، جدة، دار المجتمع.
- المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، د/ صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة: ١٩٧٦م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

الهوامش:

(١) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (ت ٢٥٦ه)، كتاب الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه"، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج ١ ص: ٣١١.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤هـ، ج ١٢ ص: ٥٠٤.

(٣) سورة الروم، جزء من الآية: ٢٩.

(٤) الإسلام والصحة النفسية والجسدية للأنام، فايق محمد غنايم، دار المأمون للنشر والتوزيع، ص: ١٥٩.

(٥) كونوا ربانيين، عائد بن عبد الله القرني، دار ابن حزم، ص:١١.

(٦) فلسفة التربية الإسلامية، دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، الدكتور ماجد عرسان الكيلاني، دار القلم، ص: ٤٢٧.

(٧) القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة: ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م، ص: ٨٨١.

(٨) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ج ٢ ص: ٢١٤.

(٩) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق: د/ أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، الطبعة الأولى: ١٤٢٨ه ٢٠٠٧م ص: ٩٦.

(١٠) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، (ت٥٠٥ه)، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى:١٤٢٦ه/٢٠٠٥م، ج ٣ ص: ٦٣.

(١١) تهذيب الأخلاق، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى: ١٤١٠ه ١٩٨٩ه، ص: ١٢.

(١٢) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، للماوردي، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية – بيروت، بدون طبعة، ص: ٥.

(١٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، الناشر: مكتبة المثنى، تاريخ النشر: ١٩٤١م، ج ١ ص: ١. بحثت عن كتاب: الفوائد ... لصدر الدين الشروان، فلم أجده واكتفيت في النقل بالواسطة.

(١٤) التعريفات، للشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي (ت٨٢٦ه)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥/١٤٢٦ه/٢٠٠٥م، ص: ٧٣.

(١٥) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(١٦) المجتمع الإسلامي في ظل العدالة، د/ صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، الطبعة الثالثة: ١٩٧٦م، ص: ١٨.

(١٧) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب "حديث الغار" رقم الحديث: (٣٤٧٥)، ج ٢ ص: ٤١٠.

(١٨) السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، كتاب: جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز من الأحرار العاقلين المسلمين، باب: "بيان مكارم الأخلاق" رقم الحديث: (٢٠٧٨٢)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، ج ١٠ ص: ٣٢٣.

(١٩) المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها: عائشة عبد الرحمن الجلال (١٤١٢)، ط ١، جدة، دار المجتمع، ص: ١٥٢.

(٢٠) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب: "ما قيل في أولاد المشركين" رقم الحديث: (١٣٨٥)، ج ١ ص: ٣٣٧.

(٢٢) الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار – بيروت، عمان، الطبعة الأولى: ١٤٠٥/١٩٨٥، ج ٢ ص:٢٠٩.

(٢٣) سبق تخريجها.

(٢٤) السنن الكبرى، للبيهقي، كتاب: جماع أبواب الرعاة، باب: "النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين" رقم الحديث:(١٦٦٥٨)، ج ٨ ص: ٢٨٢.

(٢٥) الارتقاء في درجات تلقي معاني القرآن، لعبد الباقي يوسف، الطبعة الأولى: ٢٠١٤م، ص: ١٤٣. بتصرف قليل.

(٢٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ، ج ١٥ ص: ١٣٧.

(٢٧) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، كتاب: مسند النساء، باب: "مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها" رقم الحديث: (٢٤٦٠١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ج ٤١ ص: ١٤٨.

(٢٩) سورة القلم، الآية: ٤.

القيم والأخلاق بين الرؤية الغربية والرؤية الإسلامية وأثرها في المجتمع

د. ايمان فرطاس
جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة الجزائر

د. بشير بوساحة
جامعة حمة لخضر الوادي الجزائر

ملخص البحث:

تقوم منظومة القيم والأخلاق اليوم في العالم الغربي، على نظرة للوجود (إما المثالية أو المادية). ما كوّن النظرية المثالية لمنظومة القيم والأخلاق في مقابلها منظومة أخرى تقوم على النظرة الواقعية المادية. وهذه الأخيرة أصبحت لها الغلبة، وهي ترى بأن الأخلاق تتحدد انطلاقا من الواقع وعالم الأشياء والمصلحة المادية الآنية، حيث يمكن تجريبها والتماسها في واقع موضوعي، خارج الذات البشرية. وكان لهذا التوجه الكثير من الآثار السلبية.

أما في الفكر الإسلامي فمنظومة القيم والأخلاق تقوم على أساس رؤية كونية توحيدية مصدرها الوحي السماوي. الا أن المجتمعات الإسلامية اليوم ونظرا للانفتاح الإعلامي الرهيب والغزو الفكري، تأثرت بمنظومة القيم والأخلاق الغربية ونظرتها المادية. ما ألحق بها الآثار السلبية التي تتخبط فيها المجتمعات الغربية من فساد على جميع المستويات، وتشويش فكري والاضطراب النفسي وفقدان معنى الحياة وتفاهة الغايات، وانتشار للفوضى والعبث.

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر الرؤية الكونية على منظومة القيم والأخلاق. وتحديد معالم كل من الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية لمنظومة القيم، وآثار كل رؤية في المجتمع الإنساني، من خلال: التعريف بعلم القيم والأخلاق وتحديد معالم الرؤية الكونية التوحيدية ومعالم لرؤية الكونية الوضعية المادية، ثمّ بيان أسس منظومة القيم والأخلاق في العالم الغربي وآثارها. وإبراز أسس منظومة القيم والأخلاق في الفكر الإسلامي وآثارها.

الكلمات المفتاحية: المنظومة القيمية، الرؤية الغربية، الرؤية الإسلامية، رقي المجتمع.

المقدمة:

تقوم منظومة القيم والأخلاق اليوم في العالم الغربي، على نظرة وضعية للوجود (إما المثالية أو المادية). ما كوّن النظرية المثالية لمنظومة القيم والأخلاق في مقابلها منظومة أخرى تقوم على النظرة المادية. وهذه الأخيرة أصبحت لها الغلبة، وهي ترى بأن الأخلاق تتحدد انطلاقا من الواقع وعالم الأشياء والمصلحة المادية الآنية، حيث يمكن تجريبها والتماسها في واقع موضوعي، خارج الذات البشرية. وكان لهذا التوجه الكثير من الآثار السلبية.

أما في الفكر الإسلامي فمنظومة القيم والأخلاق تقوم على أساس رؤية كونية توحيدية مصدرها الوحي السماوي. إلا أن المجتمعات الإسلامية اليوم ونظرا للانفتاح الإعلامي الرهيب والغزو الفكري، تأثرت بمنظومة القيم والأخلاق الغربية ونظرتها المادية. ما ألحق بها الآثار السلبية التي تتخبط فيها المجتمعات الغربية من فساد على جميع المستويات، وتشويش فكري واضطراب نفسي وفقدان معنى الحياة وتفاهة الغايات، وانتشار الفوضى والعبث.

فما هو أثر الرؤية الكونية على منظومة القيم والأخلاق. وما هي معالم كل من الرؤية الإسلامية والرؤية الغربية لمنظومة القيم، وآثار كل رؤية في المجتمع الإنساني، وما هي أسس وخصائص منظومة القيم والأخلاق في العالم الغربي وما هي آثارها. و ما هي أسس وخصائص منظومة القيم والأخلاق في الفكر الإسلامي وما هي آثارها؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات نتبع المنهج التحليلي، من خلال مطالب هذه الدراسة.

المطلب الأول: مفهوم القيم

أ- **في اللغة:** جمع قيمة وأصلها من مادة (ق و م) تدل على الاستقامة والعزم، وقيل للثمن قيمة لأنه يقوم مقام الشيء المثمن، كما تحمل معنى الثبات والدوام، قال صاحب القاموس: فلان ماله قيمة إذا لم يدم على شيء .

ب- **في الاصطلاح** : اختلفت تعريفات الباحثين لمعنى القيم كل بحسب توجهه وتخصصه ففي الفكر الغربي:

- يذهب جان بول رزفيبر في كتابه فلسفة القيم الى أن القيمة في الفكر المعاصر هي كل ما له شأن في التصور وفي الفعل لدى الأفراد والجماعات[1].

– ويعرفها أوتول بقوله: عبارة عن تنظيمات لأحكام تفضيلية عقلية انفعالية، صريحة أو ضمنية، معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني. فهي تتكون من ثلاثة أبعاد: بُعد معرفي يحتوي على المعلومات والمعارف التي كونها الفرد حول موضوع معين. وبعد وجداني، ويتمثل في الشحنة الانفعالية، وتكون شدتها حسب قوة القيمة. وبعد ثالث نزوعي، يتمثل في الأسلوب الذي يَجب أن يسلكه الفرد تجاه موضوع معين[٢].

أما في الفكر الاسلامي فاختلفت تعاريفهم فمنها ما هو مأخوذ من التصور الغربي للقيم، ومنها المستمد من الرؤية الاسلامية.

- فقد عرفها السيد بأنّها معايير تتصل بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية، ويقيم منها موازين يبرز بها أفعاله ويتخذها هاديا ومرشدا وتنتشر هذه القيم في حياة الأفراد وتحدد لكل فرد حلفاءه وأعداءه[٣].
- وعرفها طهطاوي بأنها: مجموعة من المبادئ، والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس ويتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم[٤]
- أمّا الجلاد فيعتبرها بأنها: مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية، والوجدانية والسلوكية الراسخة؛ يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل، ويعتقد بها اعتقادا جازما؛ تشكل لديه منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو القبح، وبالقبول أو الرد، ويصدر عنها سلوك منتظم يتسم بالثبات والتكرار والاعتزاز[٥].
- وعرفها أبو العينين بأنها: "مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والانسان والإله، كما صورها الاسلام، تتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتلائم مع قدراته وإمكانياته، وتتجسد من خلال الاتجاهات أو الاهتمامات أو السلوك اللفظي أو العلمي بصورة مباشرة وغير مباشرة"[٦].
- ويرى الرويلي بأنّها: مجموعة الأصول الأخلاقية التي تهدف لتحقيق البناء الشامل المتكامل لشخصية الفرد على النحو الأمثل، ويظهر أثرها في تعاملاته[٧].

فالقيم في المفهوم الاسلامي ترتبط بالفرد وتنعكس على المجتمع، وتعد معايير توزن بها الأمور، تنبع من تصوره للكون والحياة كما أسسها الاسلام.

المطلب الثاني: القيم والأخلاق في الرؤية الغربية وأثرها في المجتمع

تظهر علاقة الرؤية الغربية المادية بمنظومة القيم والأخلاق في الغرب وأثر ذلك في المجتمع، فيما ذكره عبد الوهاب المسيري عن المرجعية المادية للفلسفات الغربية المادية، التي ترسم صورة للإنسان، إما باعتباره شخصية صراعية دموية قادر على خرق كل الحدود، وعلى إعلاء إرادته وتوظيف قوانين الحركة لحسابه. أو باعتباره شخصية قادرة على التكيف مع الواقع والخضوع لقوانين الحركة. وهذه الصورة مستقطبة وغير حقيقية[٨]:

أ) فالصورة الأولى تفشل في رصد تلك الجوانب النبيلة في الإنسان، مثل مقدرته على التضحية بنفسه من أجل وطنه، أو من أجل أبيه أو أمه، ومقدرته على ضبط نفسه من أجل مُثُل عُليا.

ب) الصورة الثانية تؤكد أن الإنسان غير قادر على الثورة والتجاوز. وبالفعل يلاحظ في العصر الحديث هيمنة نُظم سياسية تسيطر عليها رؤى تكنوقراطية محافظة. ومع هذا لم تنجح المادية تماما في قمع الإنسان وتسويته بالأمر الواقع. فالإنسان لا يزال غير راض وقلقا، وإن لم يُعبر قلقه عن نفسه من خلال الثورة الناضجة، فقد عبر عنه بأشكال مرضية (كالانتحار، الإجرام، المخدرات...).

والمادية تفشل في تفسير إصرار الإنسان على أن يَجد معنى في الكون ومركزا له. وحينما لا يجد الانسان معنى له فإنه لا يستمر في الإنتاج المادي مثل الحيوان الأعجم، وإنما يتفسخ ويُصبح عدميا ويتعاطى المخدرات وينتحر ويرتكب الجرائم دون سبب مادي واضح. وقضية المعنى تزداد حدة مع تزايد إشباع الجانب المادي في الإنسان، فكأن إنسانية الإنسان لصيقة بشيء آخر غير مادي. والبحث عن المعنى قد عبر عن نفسه على هيئة فنون وعقائد.[٩]

لقد أدى الفكر المادي ونظرياته التي رُوج لها على أنها علمية وتقدمية إلى تأثير فاضح، لَمَّا تم تغلغل هذا الفكر ونظرياته في مناهج التعليم ووسائل الإعلام والثقافة. ووصلت الانحرافات إلى تصورات منحرفة عن الذات الإلهية، على ضوء مدار التعطيل والتأويل الفلسفي. وانحرافات في تصور الكون وعلاقة الله به إيجادا وتدبيرا. وكذلك انحرافات في تصور الإنسان وعلاقاته بغيره من الناس، أفرادا وجماعات. وقد برز بعد الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م حُب للمادة وللسيطرة والغلبة. ومع التفسير المادي للتاريخ شاع بين الناس أن تاريخ البشر كله وعوامل اضطرابه واستقراره وسعادته وشقائه، مرتبطة بلقمة العيش، لأن الإنتاج المادي هو المتحكم في مشاعر الإنسان وأحاسيسه وقيمه وأخلاقه. فالقيم المادية متغيرة باستمرار، والعفة والعدل والحق والخير والشرف والفضيلة، كلها قيم متغيرة في التفسير المادي للتاريخ. وما يكون اليوم حق وعدل قد

يكون غدا ظلما وبغيا. والتدين قد يكون فضيلة في الطور الإقطاعي، ثم يصبح في الطور الصناعي جمودا ورجعية، بل يكون الإلحاد هو الفضيلة. ومع التفسير الجنسي الذي قال به فرويد، تم تبرير أخلاق الإنسان وتقاليده وسلوكياته واعتقاداته، على أنه تُسيرها وتحكمها اللذة الجنسية. أما التفسير الجسماني الذي بدأه وليم جيمس، فقد جعل مشاعر الإنسان وقيمه وأفكاره، مرتبطة بالأنشطة العضوية لجسم الإنسان، وخاصة الغدد الهرمونية. وبذلك أُهملت بقية ملكات الإنسان وجوانبه الروحية والوجدانية. [١٠]

لقد أسست النهضة الغربية لرؤية كونية مادية وضعية، جعلت الانسان هو المحور وقطب الرحى، فأنزلت الانسان منزلة الاله المتحكم والمسيطر. واعتبرت أن الدنيا دار للمتعة وأنها أقصى ما في هذا الوجود، بعد أن وصل رواد النهضة وفلاسفة التنوير في الغرب إلى إلغاء الآخرة من الساحة العلمية وأصبحت تعتبر من الاساطير والخرافات، ومن ثم الغاء الاهتمام بالغاية الفعلية من الخلق، وبدأ التخلي التدريجي عن الرؤية الكونية الدينية في العالم الغربي، وبدأ التفكير العقلاني والنقدي يحل محل التفسيرات التقليدية القائمة على أساس ديني في شتى المجالات. وهي مقولات التفكير البشري البعيد عن الوحي السماوي، قال تعالى أنهم يقولون **﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين﴾ المؤمنون ٣٧**، وبذلك ألغيت المعايير الأخروية بالنظر إلى الدنيا، واستحدثت معايير وفهم خاص بالدنيا منفصل عن العالم المستقبلي الأخروي. فينتج عنه غفلة النفس من ناحيتين: الأولى على المستوى الزمني، أي الاستغراق الواقعي في الشؤون الدنيوية. والغفلة الثانية تتمثل في سيطرة الحسابات العقلية المباشرة على ميكانيزمات التفكير وتشبث العادات الفكرية المباشرة والمادية بآليات الادراك والتأمل واتخاذ القرارات. فتصبح أهداف الانسان القريبة وغاياته البعيدة مرتبطة بمنظوره الدنيوي المختزل. وهي اختزالية لأنها تهتم بالجسد وتهمل الروح، أو تصرف قضايا الروح في الجانب الوجداني والعاطفي. ما يؤدي إلى بناء حياة ليس للروح فيها مكان. ينصب التركيز فيها على الحاجات الجسدية والنفسية الذاتية والمطالب الدنيوية المعاشية، مع اغفال كلي للحاجات الفطرية والروحية وعلى رأسها الاتصال بأصل وجودها وخالقها قال تعالى: **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾الحجر: ٢٩**، فالرؤية المادية وضعية تلغي المعايير والضوابط الدينية في الحياة، فينتج عن كل ذلك شعور الانسان بأن حياته لا معنى لها وأنها مليئة بالعبث والاضطرابات. وكل ذلك يجعل الانسان هجينا يعيش انفصام في داخله، واضطرابا في واقعه المعاش وحياته اليومية.

هذه الرؤية كان لها أثرها على العالم الغربي من غياب للغايات الكبرى والمعنى في الحياة والعبثية. كل ذلك جعل أبراهام ماسلو يعتبر أن النظرة التي ذهبت في العالم الغربي إلى الفصل التام بين العلم والدين، أدت إلى

حصر مفهوم العلم في التكنولوجيا ومجردا من الأخلاق وقواعد الأدب الإنساني، يستعمله الصالح والشرير لأي هدف، خير أو خبيث. وفي المقابل انعزل الدين عن العلوم والمعارف إلى درجت معاداة المعرفة العلمية، وأصبحت القداسة محصورة في الكهنوت، وتحول الدين إلى طقوس لا علاقة لها بحياة الناس ومعيشتها اليومية. لذلك يرى ضرورة إعادة تعريف كل من العلم والدين على أساس التكامل فكل منهما يحتاج إلى الآخر، فالفصل بينهما يجعل كل واحد منهما غير قابل للحياة. لقد أصبح الدين عاجز عن محاربة الشر، بل استحال دعما له، لأن الواقع انفصل عن المثل العليا، وأصبحت السماء منفصلة عن الأرض وأصبح الترقي البشري أمر مستحيلا في الدنيا ولا يتحقق الا باعتزالها. وأصبح العلم يتعامل مع الوجود المادي الملموس فقط، ولا يتعامل مع غايات الحياة وأهدافها ومقاصدها الرفيعة ومنفصل عن القيم الإنسانية. وأصبح العلم سلعة يمكن لأي شخص أن يشتريها لأي غرض، وأصبح العلماء مرتزقة يتكسبون بالعلم في أي مكان. وقد كان ماسلو يخشى أن يتم فصل قضايا الفضائل والقواعد الأخلاقية والقيم الروحية في اختصاص جديد لعلوم الإنسانيات، الذين يرفضون الدعوى القديمة للديانات القائمة، لأنها تحتكر القول في قضايا العقيدة والأخلاق. فمثل هذا الفصل وذلك الانشقاق يؤدي إلى انتاج علم كسيح ودين كسيح وحقائق كسيحة وقيما كسيحة. وأكد أنه: "لا يمكن انتزاع القيم الروحية والمعاني الأخلاقية من ميدان المعرفة الإنسانية والبحث والتجربة. كما لا يمكن أن نترك القيم للخزن في مخازن الكنيسة. وإذا كان العلم بمفهومه الحاضر لا يريد هذه الوظيفة ولا يقدر على حملها، فلا بد من تطوير مفهوم علم أوسع، علم مزود بقوى ووسائل أكبر، علم يستطيع دراسة القيم ويعرف كيف يغرسها في الإنسان. ومثل هذا العلم سيتضمن ــ وقد تضمن من قبل ــ كثيرا مما يسمى بالعلوم الدينية، ومن المسلم به أن مثل هذا العلم الواسع المعنى لا بد وأن يشمل ضمن اهتماماته كل ما يحتوي عليه الدين وما يمكن ملاحظته".[١١]

والعلم المستقل المفتقر إلى القيم يدفع بالإنسان المتجرد من الدين، إلى العمل لحساب قيم مدمرة. ولذلك يقول لويس دي برولي (وهو من أعلام الفيزياء المعاصرة): "إن الاكتشافات العلمية والتطبيقية الممكنة لها، ليست في ذاتها خيرة أو شريرة، وسوف تكون إرادة الجنس البشري هي التي تقرر طابع هذه التطبيقات إن خيرا أو شرا". ويقول الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون: " يتطلب جسدنا المتوسع زيادة في الروح (...) والآن ففي هذا الجسد الذي اتسع فوق ما ينبغي بقيت الروح كما كانت أضأل من أن تملأه، وأضعف من أن تُرشده. أضف إلى هذا أن الجسد المتضخم ينتظر إضافة في النفس. وأن الآلة تتطلب تصوفا. إن الإنسانية تئن، تكاد تسحقها أثقال التقدم الذي صنعته، وهي لا تعلم حق العلم أن مستقبلها يتوقف عليها نفسها، وأنه منوط بها قبل كل شيء أن تحزم أمرها، إذا كانت تريد أن تواصل الحياة". ويشير دي برولي إلى الخطر الذي يتهدد العلم

نفسه نتيجة هذه السلبية في القيم، فيقول: "لكي تظل الدول مسيطرة على أسرار معينة ومتحكمة في تقنيات بذاتها، سوف يقودها ذلك دون أدنى شك إلى أن تعنى بالبحث العلمي أكثر من ذي قبل، وتخضعه للتنظيم والتفتيش اللذين لم يتعود عليهما (...) ونحن العلماء لا نبتكر إلا إذا تحررت عقولنا واستراحت ضمائرنا، فإذا لم يتوافر لنا هذان الشرطان نتيجة الشكوك ألا يعوق ذلك رجل العلم كليا أو جزئيا في عمله؟ إذا خضع البحث العلمي إلى قيود خارجية (...) ألا يُسئ إليه ذلك إساءة قاتلة في الصميم، ألا تعاني من ذلك حياة العقل نفسه (...) ؟!". وفي ظل هذه الأوضاع يقول فيليب موريس عالم الاجتماع الأمريكي: "العلم، أكثر ما صنع الإنسان تدميرا وتخريبا". وذلك عندما يعمل مستقلا عن مصادر القيم الصحيحة. وهذا المعنى نفسه هو الذي جعل فرينر هايزنبرج يُصور خطر العلم الحديث المستقل على مستقبل البشرية إذ يقول(في كتابه المشاكل الفلسفية للعلوم النووية): "ليس الأمر قاصرا على المصادر الجديدة للطاقة التي سيطرت عليها الفيزياء في السنوات الماضية، والتي يمكنها أن تقود إلى خراب لا يمكن تخيله، بل هناك احتمالات جديدة للتدخل في الطبيعة تهددنا في حقول أخرى كثيرة (...) لقد أصبح في مجال البيولوجيا من الممكن إنتاج أمراض معدية صناعيا. هناك ما هو أشد خطرا من ذلك: أن التطور البيولوجي للإنسان قد يوجهه نحو طريق انتخاب معين، وأخيرا فإنه من الممكن التأثير على الحالة الذهنية والروحية للناس، وقد يقودنا ذلك إلى تخريب ذهني رهيب لكتل بشرية ضخمة. إن لدينا الآن الانطباع بأن العلم يخطو على جبهة واسعة يمكن أن يتوقف فيها فناء البشرية أو بقاؤها على عمل عدد قليل من الناس، ولقد نوقشت هذه الموضوعات في الجرائد بشكل صحفي وعاطفي، ولم يعرف الكثير من الناس للآن الخطر الرهيب الذي يتهددهم، نتيجة للتطورات العلمية الحتمية القادمة".[١٢]

والواقع الغربي اليوم عبر عنه المستشرق ليو بولدفياس فقال: "إن الأوربي العادي سواء كان ديمقراطيا أو فاشيا، رأسماليا أو بلشفيا، صانعا أو مفكرا: يَعرف دينا واحد هو التعبد للترقي المادي. أي الاعتقاد بأنه ليس في هذه الحياة هدفا أخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر. أو كما يقول التعبير الدارج: (تحريرها من ظلم الطبيعة). أما هياكل هذه الديانة فهي المصانع العظيمة ودُور السينما، والمختبرات الكيميائية، وباحات الرقص، وأماكن توليد الكهرباء. وأما كهنة هذه الديانة فهم الصيارفة والمهندسون وكواكب السينما، وقادة الصناعات وأبطال الصناعات. والنتيجة التي لا مفر منها في هذه الحالة هي الكدح وبلوغ القوة والمسرة. وذلك بخلق مجموعات متخاصمة مدججة بالسلاح، ومصممة على أن يُفني بعضها بعضا حينما تتصادم مصالحها المتقابلة. أما على الجانب الثقافي فنتيجة ذلك خلق نوع بشري، تنحصر فلسفته الأخلاقية في مسائل الفائدة العملية، ويكون أسمى فارق لديه بين الخير والشر إنما هو التقدم المادي"[١٣].

ويرى عبد الوهاب المسيري أنه ثمة مشكلة أساسية كامنة في المجتمعات العلمانية، التي تستند إلى عقد اجتماعي نابع من الإيمان بحقوق الإنسان الطبيعية، هذا العقد ينص على مساواة كل البشر. ولكن الإطار العام هو المرجعية المادية، الأمر الذي يعني استبعاد أي قيم متجاوزة مطلقة، واستبعاد الإنسان أيضا كقيمة مطلقة. فثمة تسوية كاملة بين الإنسان والأشياء. وتؤدي هذه الرؤية، إلى نسبية أخلاقية يتساوى داخلها الخير بالشر. [١٤]

ويشير المسيري إلى أنه إذا كان ثمة إيمان بالقيم المطلقة في المجتمعات العلمانية، فإن من يُقرر هذه القيم ويحددها في إطار الرؤية الغربية ومرجعيتها المادية، فهي: الأغلبية العددية والعلم الطبيعي الذي يُسوي بين الإنسان والطبيعة. فلا يوجد أي حقيقة مفارقة لواقعنا الأرضي وصيرورتنا الزمنية. أي أن القيم المطلقة مثل الكرامة والعزة، تسقط في صيرورة الأغلبية العددية والعلم الطبيعي. وهنا تظهر الإشكاليات المختلفة. فماذا يحدث لو قررت الأغلبية الاستغناء تماما عن مفهوم الطبيعة البشرية الجوهرية المتميزة عن الطبيعة المفارق لها؟ وماذا لو قررت الأغلبية، متسلحة بالرؤية العلمية المادية الطبيعية، ضرورة إبادة المرضى الذين لا يُرجى شفاؤهم؟ فمن حق أي مجتمع يدور في إطار هذه الرؤية، أن يقرر أي قرار طبيعي مادي دون العودة إلى أي مرجعية إنسانية مفارقة. بل من حقهم استئصال جزء من الجسد يراه صاحب هذا الجسد ضارا، بما في ذلك أعضاء الأقليات غير المرغوب فيه. فهذا أمر طبيعي مادي لا يمكن الوقوف ضده، إلا بالعودة إلى مرجعية متجاوزة ومنظومة قيمية مطلقة، تؤكد القيمة المطلقة للإنسان. وماذا لو أن الأغلبية، انطلاقا من إيمانهم بأن الإنسان كائن يتساوى مع كل الكائنات الأخرى، قرروا التخلي عن قيم إنسانية، مثل القيم الاشتراكية كالعدالة ومركزية الإنسان، وآثروا الاستغراق في قيم طبيعية مادية مثل الإنتاج والاستهلاك، باعتبارها أمورا ألذ وأظرف وأكثر طبيعية وأكثر مادية ومعقولية، كما حدث في الاتحاد السوفيتي حين سقطت المنظومة الاشتراكية؟. وتُصبح الأمور أكثر إشكالية، على صعيد العلاقات الدولية، لو قررت دولة مثلا غزو الدول الشعبية الأخرى، فما الأساس الأخلاقي لمحاولة وقفها عن عدائها، مع غياب المرجعية الإنسانية المشتركة المتجاوزة؟. ومع المادية التي لا علاقة لها بأي مرجعية إنسانية أو ربانية، هل من حق الجماعة الدولية إيقاف أي دولة قررت التوسع في إنتاج السلع المرتبطة بإباحية الأطفال؟ وما هو هرم القيم الذي يجعلنا نفترض أسبقية قيمة أخلاقية إنسانية مطلقة غير طبيعية، كالوقوف ضد غزو الشعوب والإباحية، على قيمة طبيعية مادية خالصة مثل الإنتاجية والربح؟. [١٥]

ويرى المسيري أن أهم أسباب ذلك الانحراف هو أن العقل الغربي أصبح عقل أداتي مع غياب العقل النقدي، وقد ميز بينهما مفكروا مدرسة فرانكفورت، فبينوا وحشية العقل الأداتي، الذي هو ترجمة للمصطلح

الإنجليزي (Instrumental Reason) ويُقال له أيضاً العقل الذاتي أو التقني أو الشكلي. وهو على علاقة بمصطلحات مثل العقلانية التكنولوجية أو التكنوقراطية، ويقف على الطرف النقيض من العقل النقدي أو الموضوعي. والعقل الأداتي هو العقل الذي يلتزم، على المستوى الشكلي، بالإجراءات دون هدف أو غاية. وهو عقل يوظف الوسائل في خدمة الغايات دون تساؤل عن مضمون هذه الغايات، هل هي إنسانية أم معادية للإنسان؟. وهو على المستوى الفعلي، عقل يحدد غاياته وأولوياته وحركته انطلاقاً من نموذج عملي مادي، بهدف السيطرة على الطبيعة والإنسان. وفي محاولة تفسير هيمنة العقل الأداتي على المجتمعات الغربية الحديثة، يرى أعضاء مدرسة فرانكفورت أن أحد أهم أسباب ظهوره، هو آليات التبادل المجردة في المجتمع الرأسمالي. فتبادل السلع يعني تساوي الأشياء المتبادلة، فما يهم في السلعة ليس قيمتها الاستعمالية المتعينة وإنما ثمنها المجرد. والأيدولوجيا النابعة من هذا التبادل المجرد هي أيدولوجيا أصبح الواقع فيها كله مادةً لا سمات لها. ولم تشكل المجتمعات التي كانت اشتراكية أي بديل، فهي الأخرى سيطر عليها العقل الأداتي متمثلاً في التكنوقراطيات الحاكمة [١٦]

المطلب الثالث: القيم والأخلاق في الرؤية الكونية الاسلامية

يعد اصطلاح القيم مفهوما حديثا في استعماله، لكنّه قديم في العناية به والتأصيل له عند المسلمين، فلقد اهتموا بالكتابة في الأخلاق وأسسها وأثارها، كما أنها تتمايز عن القيم في المفهوم الغربي، لأنها نابعة في أساسها من الرؤية الاسلامية الكونية، التي تختلف في مصادرها وخصائصها ومتصورها عن الرؤية الغربية، ومن خلال تعاريف القيم من طرف الباحثين المسلمين لا يظهر ذلك التناقض والتشعب والاختلاف في تحديد مفاهيمها ومبادئها. لأنّها واضحة بسيطة تختلف فيها العبارات فقط.

الفرع الأول: مصادر القيم الاسلامية

ترتكز المنظومة القيمية في الرؤية الاسلامية على مرجعية ثابتة وهي نفسها مصدر الشريعة الاسلامية وهي الوحي الرباني من قرآن كريم وسنة نبوية وإجماع المسلمين، والقياس.

أ- **القرآن الكريم** : إنّ القرآن كتاب هداية للبشر جاء فيه تفصيل كليات القيم وبعض جزئياتها، وجاءت آياته تدعو إلى القيم السامية كالحرية والكرامة والعدل، وعرض دواخل النفس وشهواتها، وأوصى بتهذيبها وتأديبها، وضبط سلوك الانسان في محيطه عبر مجالات عدة فاهتم بالقيم الايمانية والتعبدية التي تزكي النفس وتوجه سلوك الفرد، والقيم الأسرية والاجتماعية التي تنشر المودة والرحمة والعدل

في المجتمع، والقيم الفكرية والعلمية التي تحث على طلب العلم والتفكر في الكون وآثار الامم السابقة،...

ب- **السنة النبوية:** تعد السنة النبوية بيانا وتفصيلا لما جاء في القرآن الكريم، وقد اشتملت على الكثير من الأحاديث والمواقف التي تحض على القيم وتغرسها في النفس وتنمي جانب الوعي بها. وكان الرسول ﷺ قرآنا يمشي على الأرض، لذا أمر الله تعالى عباده بالاقتداء بالرسول ﷺ .

الاجماع يعد الاجماع من مصادر بناء القيم في الرؤية الاسلامية، لأن من أدواره حسم القول في المسائل المتجددة من الناحية الأخلاقية، وفي عالم متغير ومتطور، تستحدث قيمه زمانيا وجب تفعيل هذا المصدر لقياس مصداقية هذه القيم الجديدة مع المنظومة القيمية العامة للاسلام. **قال تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ النحل: ٤٣**، وتكمن عصمة الاجماع في "الرجوع الى الوثائق القرآنية والنبوية الصحيحة، ودراستها دراسة ناضجة، وبناء عليها يؤسس مفكرونا ما يصدرون من أحكام" [١٧]. **قال رسول الله ﷺ: "لا تجتمع أمتي على ضلالة".**

ت- **القياس:** تعتمد الشريعة الاسلامية على القياس لتحقيق الخلاف فيما لم يرد فيه نص، وكذلك في تحديد القيم الجزئية، وتستند الرؤية الاسلامية إلى القياس لتحليل القيم المستحدثة، وتقدير ما فيه مراعاة لمقاصد الشرع ومصالح الانسان.

الفرع الثاني: خصائص القيم في الرؤية الاسلامية

تمتاز الأخلاق الإسلامية بمنظومة من الخصائص العظيمة التي تعكس روح الإسلام وجماله وجاذبيته ، وإليك بيان جملة من هذه الخصائص .

١. **ربانية المصدر:** إن الأساس العميق الذي تقوم عليه منظومة القيم في الفكر الاسلامي ترتكز أساسا على الوحي الرباني، سواء القرآن الكريم أو السنة النبوية فهي ربانية في مصدرها، وغاياتها ومنهجها، لأنّها من عند الله وهدفها رضا الله ، ما يجعلها خالية من التناقض والغموض، وتتشرّبها النفوس لأن مصدرها خالق النفس وعالم بأحوالها، وهي سهلة بسيطة تنبع منها باقي الخصائص.

٢. **الكمال والتكامل:** ما دامت المنظومة القيمية في الاسلام مصدها رباني فهي متكاملة تراعي مصالح العباد، وتنشئ منظومة قيمية متجانسة كل خلق يبنى على خلق آخر، ويرسخ آخر، كل ذلك في إطار معرفي وعقائدي وأخلاقي واضح، هذا التكامل يمنحها صفة الاتحاد

والانسجام، ويبعدها عن التناقض والتجزأ، وهو ما يجعلها صالحة لتقود البشرية إلى التقدم والازدهار والقيام بالوظيفة المنوطة بها. وقد بعث النبي ﷺ ليصل بهذه المنظومة الى الكمال ويجسدها على أرض الواقع، قال رسول الله ﷺ: "**انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"، لذلك حفل القرآن الكريم والسنة النبوية بما يكشف كوامن النفس ويعري دواخلها، وينفر من الأخلاق السيئة التي تضفي إلى هدم القيم ببيان أسبابها وآثارها المتعددة، لينتشر الوعي ويبتعد الناس عنها.

والتكامل أيضا يعني أن يحسّن الانسان ظاهره وباطنه، لأن الله عليم بذات الصدور، فالقيم الاسلامية يجب أن تنبع من داخل الانسان لتنعكس في خارجه، فصدق النية واخلاص الالتزام يثاب عليه الانسان حتى وإن لم يستطع التطبيق، وهو جوهر مهم يغيب في الرؤية الغربية التي تتمسك بالظاهر فقط.

٣. **الشمول:** تعد القيم الاسلامية شاملة لمختلف مجالات الحياة (الدينية، الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية...)، مهما اختلف الزمان والمكان والحال، لمراعاتها تنوع العادات واختلاف العقول. كما أنها تراعي الانسان من جميع جوانبه النفسية والعقلية والحسية، وقد استمدت شموليتها من شمولية الاسلام الذي يعد نبيه خاتم الأنبياء المبعوث رحمة للعالمين. فقد ضبط الاسلام علاقة الانسان بربه، ومع غيره من الناس، وأسّس لقيم الاختلاف والحوار مع الآخر، ودعا إلى مراعاة باقي المخلوقات في الكون، وتسخيرها وفق نظام معيّن.

٤. **الثبات والمرونة:** تمتاز القيم الاسلامية بالثبات في مبادئها وغاياتها وحدودها، ما يضمن استقرارها ودوام إيجابيتها، والملاحظ أن كل الديانات السماوية دعت إلى نفس القيم ونبذت الصفات السيئة، وإن اختلف أسلوب العرض فيها، فثبات القيم يجعلها حقائق غير قابلة للمساومة أو التغيير خدمة للمصالح، وهي في نفس الوقت تسير بمرونة مع مستجدات العصر تواكب واقعه، دون ميوعة أو ذوبان. بالحفاظ على أصولها، فالثبات يمنحها دقة المعايير، والمرونة تمنحها مواكبة التطور.

٥. **إقناع العقل وإشباع الوجدان** : يولي الاسلام أهمية كبيرة للعقل، فهو مناط التكليف وأداة الفهم والتفكر، كما أشار الى أهمية القلب في الارادة والتوجه، وتختلف طبائع الناس في التأثر عن طريقهما فمنهم العقلي الذي لا تقنعه الا الدلائل والبراهين لتنفض عنه الشك والحيرة والتقليد، ومنهم العاطفي الذي تهزه العواطف والأحاسيس وتحقق السكينة والاطمئنان، وقد

زاوج الاسلام بين هذين الطريقين في بناء القيم والحث عليها لتوافق حالات المخاطبين. ولتضمن الالتزام التام بهذه القيم، والمداومة على العمل بها للاقتناع العقلي بها والاشباع العاطفي لها فيتحقق الجانب النظري والجانب العملي.

المسؤولية والإلزام: إن الانسان في الرؤية الاسلامية مسؤول عن أفكاره وأفعاله، ومكلّف بما أمره الله تعالى حسب طاقته **قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ البقرة ٢٨٦**، وأُعطي حرية الارادة والاختيار، وبيّن الله له طريق الخير والشر عبر ارسال الرسل، وعلى هذا الأساس يكون الحساب والجزاء في الدنيا والآخرة. وهذا ما يوجب عليه مراقبة نفسه ومحاسبتها على التقصير، وحثها على الاحسان وبلوغ الكمال، وتبدأ هذه المسؤولية من نفسه لتعم كل المجتمع، فهو مسؤول أمام الله، بإلزام نفسه بالقيم ونشرها في المجتمع، كل حسب مكانته فيه. وهو ما يسهل فيما بعد أن تصبح هذه القيم قيم مجتمعية يحميها الضمير الجمعي، ويقف في وجه ما يزعزعها أو يخالفها. لذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (بحسب مراتب الانكار) واجبا على المسلم والجماعة المسلمة **قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ ال عمران: ١١٠.**

إن استشعار الانسان لمراقبة الله له في كل حركاته وسكاناته، وأنه محاسب عليها يعزز من التزامه بالقيم الفضلى، كما أن قوة ارتباطه بالله وحبه له هي أكبر عامل في هذا الالتزام، فالسعي لنيل رضاه والخوف من غضبه هدفان جوهريان لحياة الانسان على هذه الأرض. كما ينبع الالتزام من إدراكه بفناء هذه الحياة، وأنها دار عمل للآخرة التي فيها الخلود، وسيجازى على أعماله ثوابا أو عقابا، فالجزاء من مقومات الالتزام بالقيم الاسلامية.

الوسطية: توازن القيم الاسلامية بين متطلبات الجسد والروح والعقل، فلا إفراط ولا تفريط، وهذا هو الطريق الذي تجتمع عنده الفضائل، فلا هي انحلال تام ولا هي رهبانية مغلقة. فلا تطغى عليها المادة ولا تأسرها الروحانية، كما أنّها ليست صفات جمالية بل حقائق مثالية وأفعال إلزامية، تهذب النفوس وتنير طريقها في هذه الحياة.

الفرع الثالث: واقع القيم في المجتمع الاسلامي

لقد كان لالتزام المسلمين بالشريعة الإسلامية وأحكامها وتطبيقهم لتعاليم الاسلام أكبر الأثر على مجتمعاتهم، فأسسوا حضارة باقية شاهدة على تميزهم، وخلّدوا مواقف عظيمة في التاريخ بحسن تعاملهم وإلتزامهم بالقيم المثلى، ومازالت بذور هذه الحضارة فيها إلى يومنا هذا، لكنّها تحتاج إلى إعادة إحياء وعناية لتعود إلى سابق

عهدها. فإذا كان يذكر أن الغرب متقدم أخلاقيا بحرصه على قيم الانضباط، واحترام الوقت، وإتقان العمل، واحترام القانون ومؤسساته... الخ، فإن العالم الإسلامي متقدم أخلاقيا في بعض النواحي المرتبطة بالسلوك الظاهري، كالاحترام المتبادل والتكافل وبر الوالدين... الخ. فيما يبقى جوهر أخلاقه الدينية بمنأى في الغالب عن التطبيق العملي والفهم الحقيقي.

ويرى محمد عمارة أنه قد انتشر التدين الشكلي والمغشوش في المجتمعات الإسلامية، ففي هذا التدين إهمال للقيم الأخلاقية، التي هي المقصد من وراء التشريع والعبادات، وهي الروح الحقيقية لشعائر الإسلام. فالإيمان ليس مجرد النطق بالشهادتين، فشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله هي عنوان هذا الإيمان، مثله مثل الكتاب لا يُغني عنوانه عنه. والإسلام منهاج كامل وشامل للحياة **قال تعالى: ﴿ قل إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾** الأنعام ١٦٢، **وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله"** [١٨]. فالإنسان المسلم ليس كالإنسان المادي سيد الكون، بل هو خليفة الله تعالى الذي هو سيد الكون. ولذلك فإن تصرفات المسلم الفردية والاجتماعية، هي تصرفات الخليفة والنائب والوكيل الملتزم بعقد وعهد الاستخلاف (وهو شريعة الله الذي أرسل الرسل بالمنهاج ليسير الإنسان على هديه في هذه الحياة). والحرية في الإسلام هي حرية مؤطرة بالمنهاج الرباني، فلا يجوز للمسلم أن يُحل الحرام ولا أن يُحرّم الحلال، والعبودية لله هي قمّة التحرّر من كل طواغيت الدنيا وشهواتها، كما قال محمد عبده: "الإنسان عبد لله وحده وسيد لكل شيء بعده". وإذا كانت المصلحة التي تحكم تشريع القوانين في المجتمعات المادية هي المنفعة، حتى أصبحت أروج التجارات تجارة السلاح والدعارة والمخدرات، فإن المصلحة في المجتمع الإسلامي هي المصلحة الشرعية. ولتحديد مضمون المصلحة ومعيارها، لا بد من تزامل الشرع والعقل. وقد قال الرسول(ﷺ) في ذم أداء الطقوس دون معانيها[١٩] **عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم من قيامه السهر"**[٢٠]. **وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا"**[٢١]

ويذهب البعض إلى أن طبيعة العصر تتطلب تغليب المادة على الجوهر. بل يرى بعضهم أن طبيعة الحياة المتسارعة، تفرض على الإنسان نوعا معينا من التعامل. فمنهم من انتهج منهج الفلسفات الغربية التي فضّلت الوصول إلى الغاية بجميع السُبل المتاحة. كالبراغماتية النفعية التي تُحرّض الإنسان على بلوغ غاياته، بغض النظر عن الوسائل المستخدَمة لذلك. مما تولد عنه سلوكات غريبة الأطوار تدفع بالإنسان لتحقيق أهدافه،

بشتى السبل والطرق المتاحة له. وهو نهج أطلق البعض عليه صفة المعاصرة، والتواؤم مع طبيعة الحياة الراهنة. كما انتشر بين المسلمين نوع من السلبية، تجعل البعض يسعى في حياته إلى الفوز بخلاصهم الذاتي، للدخول إلى الجنة والفوز بنعيمها وخيراتها. فكأنه موقف برغماتي أناني، شبيه بالموقف المادي للحياة من حيث الشكل، وربما من حيث المضمون كذلك. من ذلك طريقة تعاملهم مع الجانب العبادي، فهو عندهم لتحصيل الأجر والثواب، دون الالتفات إلى ما فيه من المقاصد الروحية والمعنوية والاجتماعية والدنيوية. فهذه نفس طريقة الماديين، الذين يركزون على اكتناز الثروة والحصول على المتعة والتفوق والقوة. وفي مقابل هؤلاء، نجد آخرين اتجهوا إلى روحانية سلبية، اتخذوها وسيلة للتغطية على قصورهم وفشلهم وإحجامهم عن مواجهة تحديات الحياة الاجتماعية. ويتوارون وراء ستار الانقطاع عن الشؤون الدنيوية، يعزلون أنفسهم عن ركْب المجتمع. فيعيشون حياة محورها ذاتهم وكيانهم الشخصي. وبعض هؤلاء هم كسالى أنانيون، ومنهم من أساء فهم الحياة الروحانية فاعتبرها مجرد الابتعاد عن الشؤون الحياتية اليومية للمجتمع باعتبارها مادية صرفة.

ومع اكتساح الفكر المادي بأشكاله المختلفة للساحة العالمية، ووصوله إلى العالم الإسلامي، أصبح في مجتمعاتنا من يعتبر الإيمان بالله وباقي أركان الإيمان، مسألة شخصية ولا يترتب عليها في الواقع الاجتماعي أمر بارز، وأنه لا علاقة لها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية. أما العبادات فهي مجرد طقوس، ولا فرق بينها وبين عبادات الديانات الأخرى. وظهرت في مجال السياسة برغماتية ووصولية سياسية. وظهر في مجال الثقافي والاجتماعي دعوى الليبرالية السلوكية، مقرونة بتحرير المرأة وحقوق الإنسان. وفي المجال الاقتصادي رضوخ لنظام الربا والرشوة والمعاملات المالية الجشعة والفاسدة على أساس أنه أمر واقع.

في هذا الإطار ينبّه طه عبد الرحمان إلى أن الإشكال عند المسلمين: "أنهم لمّا أرادوا الحداثة، نقلوا واقع الحداثة الغربية، ولم يبحثوا عن روح الحداثة، ظنّا منهم أن التقدّم في عالمنا الإسلامي والعربي، يقتضي اللحاق بالركب الغربي، فوقع هؤلاء في التقليد. في حين تتطلب الحداثة المبادرة والإبداع، فهو سرّ الحداثة. فنقْلُ واقع الحداثة وتقليدها لا يُدخلنا إلى الحداثة. بل إن الحداثة الغربية هي في الأصل حداثات، فالحداثة الألمانية غير الحداثة الانجليزية، والحداثة الفلسفية الفرنسية تختلف عن الحداثة الفلسفية الأنجلوسكسونية. والحداثة اليابانية الصناعية تختلف عن غيرها، وكذلك الحداثة الهندية تختلف عن غيرها. فهناك تشكيلات مختلفة لروح الحداثة وتطبيقات متعددة في العالم[٢٢].

لقد حدد الوحي السماوي للإنسان غايته، وكان هو المرجعية والمصدر للقيم، وقدم له صورة عن الواقع الخارجي للكون (أصله ونشأته وتطوره ونهايته)، والحياة ومعناها، والمجتمع وقوانينه، ودور الإنسان في هذه الدنيا ومسؤوليته فيها، وصلة الله تعالى بالعالم، إلى آخر ما هنالك من موضوعات يتعلق بها الفكر الإنساني. والفكر هو أحد أجهزة الشخصية الإنسانية، التي تتفاعل فيما بينها، وتتبادل التأثير وهي (الفكرة، العاطفة، الإرادة). ففكر الإنسان ليس منفصلاً عن عاطفته وأسلوب حياته النفسية، وإنما هو متصل بها أوثق اتصال، يؤثر فها ويتأثر بها. ومن هنا كان النمو الفكري للطفل البشري، والمجتمع البشري يؤثر باستمرار في طريقة حياته، وفي قيمه الأخلاقية والحضارية، ودرجة انفتاحه النفسي، ونضجه الانفعالي. ومن هنا أيضا كانت أجدر الرسالات السماوية في التأثير بالناس وقيادتهم، هي الرسالة التي تقدم لهم منهجاً كاملاً شاملاً للفكر والأخلاق والسلوك. لأن الإنسان في ظل هذه الرسالة لا يشعر بالانفصال بين فكره وسلوكه، وبين مفاهيمه للحياة وقيمه الأخلاقية، لأن كل جزء من هذه الرسالة يُعزز الجزء الآخر ويُكمّله. ومن هنا ندرك عظمة الدين الإسلامي الذي جاء من أجل بناء الإنسان، حينما بدأ مشروعه الجبار للتغيير بتحرير فكر الإنسان من أوهام الجاهلية. وإعادة بنائه العقلي على أساس من وعي كوني جديد، يقوم على أساس الإيمان بالله، الذي بعث الأنبياء والرسل لهداية الناس. والإيمان بمرحلية هذه الحياة، وعودة الناس إلى الحياة من جديد، ليروا أعمالهم، وما أسهل أن ندرك قيمة هذا الوعي الكوني في شخصية الإنسان المسلم، وأثره العميق في الحياة النفسية لهذا الإنسان. هذا الوعي الذي يبعث ويُنمي الإحساس الأخلاقي بالحياة، ويعمل على خلق المشاعر المتعالية على جزئيات الحياة، وصغائر الأمور. فيُوسع الآفاق ويخلق طمأنينة النفس وهدوء المشاعر والانفعالات. هذا الوعي الذي يُنمي روح التفاؤل بالحياة والانفتاح عليها، ويترك لأهل الإلحاد السأم والتطيّر والقلق.[٢٣]

فالمطلوب إذن كأساس معرفي فلسفي للقيم والأخلاق هي الرؤية الكونية التوحيدية. هذه الرؤية الواقعية التي تعني أن هناك وجود موضوعي للكون خارج ذواتِنا، مُستقل عن إدراك الإنسان وتصوراته. وهو ما ترفضه النظرة المثالية الغربية، والتي تعتبر أنه لا يوجد واقع موضوعي خارج إدراكنا وتصوراتنا، فما لا ندركه فهو غير موجود. في حين ترى الواقعية المادية للرؤية الكونية الغربية أن المادة هي أصل الوجود،

فالرؤية الكونية التوحيدية هي الأساس الأمثل لحل أزمة القيم ومواجهة المادية المعاصرة في الغرب، هذه الازمة التي تسربت مع مخططات العولمة إلى كل مجتمعات العالم، فأصبحت مشكلة إنسانية. والرؤية

التوحيدية يُقدم نظرة متكاملة عن الوجود، تُجيب عن كل تساؤلات الإنسان، وتلبي كل حاجاته المادية والروحية.

ولذلك يقترح طه عبد الرحمان الأخذ بالعقلانية المؤيدة بالوحي لتفعيل القيم وتحقيق المقاصد، وتجاوز أزمة العقلانية الغربية التي انتهت إلى إنكار القيم الروحية. ومن ثم تأسيس حداثة مبدعة غير مقلدة. فالعقلانية المؤيدة يمكنها أن تنقلنا إلى طور أعلى من العقل المجرد، الذي يقف عنده الغرب. ويمكننا عندها استبدال شروط الحداثة الغربية بمقاصد أوسع. فنستبدل نزع القدسية عن الاجتهادات السابقة بمقصد تكريم الإنسان، الذي يرفع القُدسية عن الاجتهادات التي لم تعد صالحة لسلوك الإنسان، ولا خادمة لوجوده. ونستبدل نزع الغيبية بمقصد توسيع العقل ليفهم الغيب. ونستبدل نزع الحكمية بمقصد ترسيخ الأخلاق، فالأخلاق ثمار الأحكام. ومع ذلك يمكن الاستفادة من الآليات الإجرائية للعقلانية الغربية لخدمة المقاصد والقيم الحضارية والإنسانية. [٢٤]

الخاتمة

تسجل مختلف الجهات وكثير من العقلاء في مختلف المجتمعات إشتداد أزمة القيم في عالمنا اليوم، لذلك كثر الحديث والبحث عن أفضل منظومة للقيم والأخلاق لتجاوز هذه الأزمة. وهذا الأمر يتطلب النظر فيما قدمته مختلف الحضارات في هذا المجال وما قدمته رسالات الأنبياء من قيم وأخلاق. خاصة أن موضوع القيم والأخلاق له علاقة وطيدة بالرؤية الكونية فهي الخلفية التي توجّه المجتمعات نحو منظومة معينة من القيم.

فقد انعكست الرؤية الكونية الغربية الوضعية المادية على قيم وأخلاق المجتمعات الغربية، فما يُسجَّل من إيجابيات فيها يؤسَّس في الغالب لخدمة التقدّم والرفاه المادي والآني، وهو ما أدّى إلى أزمة في الجانب الروحي، وغياب للأهداف السامية والمعنى في الحياة بعد حصول التشبّع المادّي. ولذلك فإنّ هناك دراسات غربية أصبحت تنادي بالعودة إلى المصدر الديني للقيم والأخلاق.

وفي المقابل تقوم قيم الإسلام الحضارية على رؤية كونية توحيدية أساسها العقيدة الإسلامية، هذه القيم والأخلاق يتم غرسها انطلاقا من أحكام الشريعة الإسلامية، وما تضمنته من خصائص كالشمولية والربانية والواقعية والمرونة والعالمية غيرها، وهو ما تضمنته رسالة الأنبياء والرسل كافة ، ولذلك فلم تكن تلك القيم والأخلاق خاصة للمسلمين فقط، وإنما هي منفتحة على سائر الأمم والشعوب، ينهلون منها فتقوّم سلوكياتهم

وتعدّل من اتجاهاتهم، فتكون هذه العالمية مدخلا إلى الإسلام عند كثير من الأمم والشعوب والأفراد، وقد أخذ محمد –صلى الله عليه وسلم– بهذه القيم العالمية، وجاء ليتمّمها، فقال ﷺ " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق".

فالقيم الإسلامية تضمن حضورها واستمراريتها من صلاحية مصدرها السماوية وما ورد فيه من عقيدة وشريعة وقيم وأخلاق أثبتت صلاحيتها لكل زمان ومكان. وذلك ما تتجه إليه كثير من الطروحات وإن لم تربط ذلك بالإسلام. هذه القيم الإسلامية الحضارية تدفع الفرد لتحسين إدراكه ومعتقداته لتتضح الرؤيا الكونية أمامه؛ فتساعده على فهم العالم من حوله وتوسع إطاره المرجعي في فهم حياته وعلاقاته. وتقدم له قيم مستقرة ومستمرة؛ حيث لن تصبح القيمة قيمة إلا إذا كانت راسخة في نفس الإنسان، وإذا تكرر حدوثها في سلوكه، وأصبحت سجية وجبلة لا تفارقه. ما يوجب على المسلمين تقديم منظومة القيم والأخلاق الإسلامية الحضارية من خلال دراسات علمية في مستوى التحدي العالمي لأزمة القيم والأخلاق. مع ضرورة الاستفادة مما وصل إليه الغرب من خلال القيم التي حققت له الرقي المادي والفعالية في مختلف جوانب الحياة.

المصادر والمراجع

١. أبراهام ماسلو، خطر الانشقاق بين العلم والدين، نقلا عن: ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٢. جان بول رزفيبر، فلسفة القيم، تر: عادل العوا، دار عويدات، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٣. حسين معن، نظرات حول الإعداد الروحي، المكتبة الفكرية، بغداد، ١٩٨٤.

٤. خليل مصطفى ابو العينين، القيم الاسلامية والتربية، مكتبة ابراهيم حلمي، المدينة المنورة، ١٩٨٨.

٥. رضوان زيادة وكيفن جيه أوتول، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠.

٦. سعود بن سلمان بن محمد، الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه، أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

٧. سيد أحمد طهطاوي، القيم التربوية في قصص القرآن، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦ م، ط ١.

٨. الطبراني، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: نور الدين الهيثمي، دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ.

٩. طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

١٠. عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٧.

١١. عواد عبد الرحمان الرويلي، أثر القيم على الفرد والمجتمع سورة المومنون نموذجا، مجلة روافد، مج ٤، ٢٠٢٠م.

١٢. فؤاد البهي السيد ،علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، القاهرة، ط ١ ١٩٨٠ م.

١٣. ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم و تعملها تصور نظري و تطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٠ م.

١٤. محمد ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ، تح محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٧٠.

١٥. محمد بن عيسى، الترمذي سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي.

١٦. محمد حلمي عبد الوهاب، القيم الأخلاقية وروح العلم، مقال في جريدة الشرق الأوسط، ع ١١٨٠٢، ٢٢ مارس ٢٠١١.

١٧. محمد عبد الله دراز، دستور الاخلاق في القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠١٧.

١٨. محمد عمارة، التدين الشكلي، مقال في موقع الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، بتاريخ ٢٠١٦/٠١/٢٢.

١٩. يحي هاشم حسن فرغل، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية،ج ٤، مطبعة جامعة الإمارات، ١٩٩٨.

الهوامش:

[١] ــ جان بول رزفيير، فلسفة القيم، تر: عادل العوا، دار عويدات، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص٥ــ ٦.

[٢] ــ رضوان زيادة وكيفن جيه أوتول، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠، ص٢٩.

[٣] فؤاد البهي السيد، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر، القاهرة 1980 م، ط1 ، ص294

[٤] سيد أحمد طهطاوي، القيم التربوية في قصص القرآن، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1996 م، ط1، ص42

[٥] ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعملها تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة، عمان، 2010م، ص23

[٦] خليل مصطفى ابو العينين، القيم الاسلامية والتربية، مكتبة ابراهيم حلمي، المدينة المنورة، ١٩٨٨، ص٣٤-٣٥.

[٧] عواد عبد الرحمان الرويلي، أثر القيم على الفرد والمجتمع سورة المومنون نموذجا، مجلة روافد، مج ٤، ٢٠٢٠م، ص٣٠٨

[٨] ــ عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٧، ص٧٦.

[٩] ــ المرجع السابق، ص٧٧.

[١٠] ــ سعود بن سلمان بن محمد، الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه، أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ص ٤١٧ــ٤١٨.

[١١] ــ أبراهام ماسلو، خطر الانشقاق بين العلم والدين، نقلا عن: ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٥٢ــ٥٦.

[١٢] ــ يحي هاشم حسن فرغل، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية،ج ٤، مطبعة جامعة الإمارات، ١٩٩٨، ص١٨٢ــ١٨٣.

[١٣] ــ يحي هاشم حسن فرغل، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية ج٥، مرجع سابق، ص ٥٨.

[١٤] ــ المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص ١٠٧ــ

[١٥] ــ المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص ١٠٨.

[١٦] ــ المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص ١١٩ــ121.

[١٧] محمد عبد الله دراز، دستور الاخلاق في القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠١٧، ص٥٨.

[١٨] ــ سنن الترمذي، الترمذي ، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي، ، باب استكمال الإيمان زيادته ونقصانه، ج٥، ص١٠، رقم الحديث ٢٦١٤.

[١٩] ــ محمد عمارة، التدين الشكلي، مقال في موقع الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، بتاريخ ٢٠١٦/٠١/٢٢.

[٢٠] ــ صحيح ابن خزيمة، محمد ابن خزيمة، تح محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٧٠، ج٣ ص٢٤٢، رقم الحديث ١٩٩٧.

[٢١] ــ رواه الطبراني في المعجم الكبير، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: نور الدين الهيثمي، دار الفكر العربي، ١٤١٢هـ، باب فيمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء، ج٢، ص٥٣١، رقم الحديث ٣٥٣٧، وقال فيه: وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة ولكنه مدلس.

[٢٢] ــ ينظر: طه عبد الرحمان، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ٨٣ــ٨٥.

[٢٣] ــ حسين معن، نظرات حول الإعداد الروحي، المكتبة الفكرية، بغداد، ١٩٨٤، ص١٠٠ــ١٠١.

[٢٤] ــ طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للتفكير، مرجع سابق، ص ــ٩١.

الجودة وثقافة الإتقان من المنظور الإسلامي

الباحثة: أميمة حمدني محمد حبيبة
جامعة المدينة العالمية/ ماليزيا

ملخص البحث:

يتناول البحث المعاني المختلفة للجودة في ضوء القرآن والسنة وأقوال الصحابة وعلماء المسلمين كما تتناول الدراسة المبادئ والمفاهيم المتعلقة بالجودة (إجادة العمل وإتقانه والمسؤولية والمحاسبية، ثقافة الجودة) وعلاقة معايير الجودة كما وردت في الفكر الغربي بعناصر العملية التعليمية من المنظور الإسلامي ويهدف البحث الى تقديم التأصيل الإسلامي لمفهوم الجودة وشموله لمعايير الجودة بمفهومها الحديث.

وقد استخدمت الباحثة عدة مناهج وهي: المنهج الاستنباطي والمنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن **وقد توصلت الباحثة من خلال البحث إلى** أن تعبير الجودة ليس تعبيراً جديداً في ثقافتنا العربية الإسلامية، فالجودة مبدأ إسلامي أصيل، لأن إتقان العمل وإجادته من المبادئ التي أرسى دعائمها القرآن الكريم وحثت عليها السنة النبوية المطهرة، ومفهوم الجودة حاضرٌ في كل تعاليم الإسلام بكل مضامينه وهو يمثل قيمة إسلامية وقد ارتبط مصطلح الجودة في الإسلام بمفردات ومفاهيم أخرى تتجاوز مفهوم الجودة الذي ركز الفكر الغربي مثل الإتقان والإحسان والإحكام والمهارة والسداد كما تتضمن كافة المبادئ والمفاهيم المتعلقة بالجودة (إجادة العمل وإتقانه والمسؤولية والمحاسبية، ثقافة الجودة) كما أن معايير جودة عناصر العملية التعليمية من المنظور الإسلامي لا تختلف عن معايير الجودة كما وردت في الفكر الغربي مما يؤكد بالدليل القاطع على السبق للنظرية التربوية الإسلامية في تحقيق منظومة الجودة كاملة

كلمات مفتاحية : الجودة– الجودة التعليمية – معايير الجودة– الاعتماد التربوي

ABSTRACT

The research deals with the different meanings of quality in the light of the Qur'an and sunnah and the words of the Sahaba and Muslim scholars, as well as the study deals with principles and concepts related to quality (mastery of work, responsibility and accounting, culture of quality) and the relationship of quality standards as stated in Western thought with the elements of the educational process from the Islamic perspective the goal of research is to provide Islamic rooting of the concept of quality and comprehensiveness of quality standards in its modern sense.

The researcher has used several approaches: the inference method, the analytical descriptive approach and the comparative approach The researcher concluded through research that the expression of quality is not a new expression in our Arab-Islamic culture, quality is an authentic Islamic principle, because mastery of the work and its mastery are principles established by the Holy Quran and urged by the Prophet's Year of purity, and the concept of quality is present in all the teachings of Islam in all its contents and represents islamic value and the term quality in Islam has been associated with other vocabularies and concepts that go beyond the concept of quality that focused Western thought such as mastery, charity, judgment, skill and payment as it includes all Principles and concepts related to quality (mastery of work, mastery, responsibility and accounting, quality culture) and the standards of quality elements of the educational process from the Islamic perspective are no different from the standards of quality as stated in Western thought, which confirms the conclusive evidence of the forerunner of Islamic educational theory in achieving the full quality system

Keywords:

Quality - Educational Quality - Quality Standards - Educational Accreditation.

التمهيد

مفهوم الجودة حاضرٌ في كل تعاليم الإسلام بكل مضامينه وهو يمثل قيمة إسلامية وقد ارتبط مصطلح الجودة في الإسلام بمفردات ومفاهيم أخرى تتجاوز مفهوم الجودة الذي ركز الفكر الغربي فالجودة ليست تعبيراً جديداً في ثقافتنا العربية الإسلامية، وخير دليل على ذلك ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم تؤكد ذلك قال تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (١) وكذلك قال تعالى في محكم تنزيله (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا.) (٢) وتعتبر الجودة مبدأ إسلامي أصيل، لأن إتقان العمل وإجادته من المبادئ التي أرسى دعائمها القرآن الكريم وحثت عليها السنة النبوية المطهرة قال صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه).(٣)

وسوف يتناول البحث المعاني المختلفة للجودة فى ضوء القرآن والسنة وأقوال الصحابة وعلماء المسلمين كما تتناول الدراسة المبادئ والمفاهيم المتعلقة بالجودة (إجادة العمل وإتقانه والمسؤولية والمحاسبية، ثقافة الجودة) وعلاقة معايير الجودة كما وردت فى الفكر الغربي بعناصر العملية التعليمية من المنظور الإسلامي .

مشكلة الدراسة: تركز مراكز الجودة و برامج التنمية المهنية وبرامج إعداد المعلمين والدورات التربوية على النظريات التربوية الحديثة التي قدمها رواد الفكر الغربي دون الإشارة إلى ما تضمنه القرآن والسنة من

معاني تفوق مفهوم الجودة والربط بين تطبيقها وبين الثواب من الله فى الدنيا والآخرة كما قدمت الآيات والأحاديث نماذج من طرق التدريس والوسائل التعليمية تحقق معايير الجودة وتخلق مناخا تعليميا جيدا.

ولذا فان الباحثة قد استشعرت هذا القصور فحاولت من خلال الدراسة المصحوبة بالتحليل والنقد والمقارنة شرح وتوضيح النظرية التربوية الإسلامية وتوضيح العلاقة بينها وبين معايير الجودة فى التعليم .

أسئلة البحث

- إلى أي مدى يضمن القرآن والسنة معنى الجودة ومبادئها ؟
- ما معايير جودة التعليم من منظور التربية الإسلامية؟
- ما مدى التوافق بين الأساليب التعليمة في القرآن والسنة ومعايير الجودة ؟

أهداف البحث:إن هذا البحث يهدف إلى محاولة إيجاد إجابات لهذه الأسئلة التي وردت في أسئلة البحث، وما يجد من أسئلة أخرى عند البحث،كما تهدف الباحثة من خلال الدراسة إلى التأصيل الإسلامي لمفهوم الجودة من وشموله لمعايير الجودة بمفهومها الحديث،والتأكيد على السبق لمنهجية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فى الحث على الإجادة والاتقان

أهمية البحث: تتمثل أهمية هذا البحث من الناحية النظرية في:

- إثراء الفكر التربوي الإسلامي من خلال تقديم تأصيل لمفهوم الجودة ومعايير الجودة التعليمية نابع من الكتاب والسنة ، لأن النظريات التربوية التى نعتمد عليها في جامعاتنا هي نتاج فكر غربي وثقافة غربية.
- العمل على تأصيل الدراسات التربوية الحديثة ضمن إطار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فالمتأمل في مناهج التربية وكتب التربية في العالم الإسلامي يجد أن معظمها تمثل الفكر الغربي، مما له الأثر الكبير على الشخصية الإسلامية
- توضيح مدى التوافق بين النظرية التربوية الإسلامية وبين معايير الجودة بمفهومها الحديث.

وتتمثل أهمية هذا البحث من الناحية التطبيقية في:

قد يساعد هذا البحث أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية ومراكز التدريب على استخدام المفاهيم والتعبيرات الإسلامية في تعليم طلاب كليات التربية وكذلك في برامج التنمية المهنية للمعلمين بدلا من الاقتصار على دراسة رواد الفكر الغربي والنظريات الحديثة.

يساعد هذا البحث على نشر مفاهيم الإتقان والتميز والمهارة والتنافس لتحسين الأداء (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (٤) وربطها بالثواب والأجر في الدنيا والآخرة وهى معاني إسلامية أشمل من مفهوم الجودة وتضمين هذه القيم لبرامجنا التربوية ومناهجنا التعليمية. هذا التأصيل الإسلامي لمعايير الجودة الاسلامية فى التعليم يشعر المعلم المسلم بالاعتزاز بدينة وقرآنه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

منهج البحث: استخدمت الباحثة عدة مناهج وهى: المنهج الاستنباطي والمنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن

مصطلحات الدراسة :

– **الجودة التعليمية:** عرف أحمد إبراهيم (**أحمد، أحمد إبراهيم ٢٠٠٣**):الجودة في التعليم بأنها " عملية بنائية تهدف إلى تحسين المنتج النهائي(٥).

–**معايير الجودة:** المعايير: هي موجهات أو خطوط مرشدة مصاغة فى عبارات متفق عليها من قبل مجموعه من الخبراء المتخصصين تعبر عن المستوى النوعي الذي يجب أن تكون عليه جميع مكونات العملية التعليمية من قيادة وتوكيد جودة ومشاركة مجتمعية وطلاب ومعلمين ومناهج ومناخ تربوي وموارد بشرية ومادية (٦)

–**الإعتماد التربوي:** يرى (Kenneth.1989.132) أن الإعتماد التربوي هو إعطاء تقييم للمؤسسة مما يترتب عليه إعطاء حكم بأهلية وكفاءة هذه المؤسسة (٧).

الفصل الأول :المطلب الأول :مفهوم الجودة من المنظور الإسلامي

– لم ترد الجودة بلفظها في القرآن والسنة وإنما ورد معناها بمسميات أخرى منها لفظ الإتقان قال تعالى(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨)

وقال تعالى (صُنْعَ اللهِ الّذِي أَتْقَنَ كُلّ شَيْءٍ) (٩) وفى الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت :قال رسول الله إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)(١٠)، وورد لفظ الإحسان فى قوله تعالى(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(١١) وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)(١٢)

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلّ شيء، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذّبْحَ، وَلْيُحِدّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ. (١٣)، وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ص(إن الله يحب للعامل إذا عمل أن يحسن)(١٤)وفى الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)(١٥) والإحسان

هو القيام بأمر ما على نحو أفضل من المفروض، كما يتضمن الإحسان معنى التمام والإكمال وفعل الشيء الجيد وإتقان العمل وإخلاصه لله عز وجل، وبذلك تكون الجودة مظهراً من مظاهر الإحسان وثمرة من ثماره. والإحسان في العمل ذو شقين أقصى درجات المهارة والإتقان فيه والثاني التوجه بالعمل لله عز وجل[١٦] الإحسان هو إحكام العمل وإتقانه ومقابلة الخير بأكثر منه والشر بأقل منه [١٧].

– وورد لفظ الإحكام في قوله تعالى (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [١٨] وفى الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب إذا عمل العبد عملا أن يحكمه)[١٩] والإحكام هو إتقان الأمور [٢٠].

–كما أن مفهوم الجودة حاضرٌ في كل تعاليم الإسلام وهو يمثل قيمة إسلامية وقد حث القرآن الكريم على الالتزام بها في كافة الأعمال التى يقوم بها الإنسان قال تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[٢١]

– والمهارة تعبر عن إجادة الفعل وقد حس الرسول صلى الله عليه وسلم على الوصول لدرجة المهارة في أداء العمل عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة)[٢٢] فالمهارة أو التميز هي حالة من التفوق وامتلاك الفرد المقوم الأساسي لجودة معينة وحصوله على درجات نادرة[٢٣].

–و السداد في أداء الفعل يعبر عن دقة الأداء وإجادته وقد ورد لفظ سددوا فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة تبلغوا)[٢٤] والسداد هو الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد ولفظ السداد مأخوذ من إصابة السهم وهو يتطلب الإتقان والمهارة[٢٥]، ويرغب الله عز وجل عباده بالسعي إلى الأفضل والأرقى في شئون الحياة كما يحث على ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " إن الله تعالى كريم يحب الكرم جواد يحب الجود، يحب معالي الأمور ويكره سفا سفها) [٢٦] ويعيب الله عز وجل على من يترك معالي الأمور وأحسنها ويرضى بالأدنى فيقول تعالى (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) [٢٧]

–ويوجب الإسلام على العامل أن يخلص النية في العمل ويتقنه وينصح فيه خشية من الله تعالى، لأنه يراقبه وحتى يكون العمل متقناً من وجهة النظر الإسلامية، ينبغي أن يتم على أكمل وجه دون إهمال أو تقصير أو

تفريط[٢٨].ويعد الإتقان مظهراً من مظاهر الإخلاص في العمل وهو لا يقتصر في الإسلام على عمل دون آخر، بل هو مطلوب في كل عمل من أعمال الدين والدنيا ([٢٩])

-ومن هنا نجد أن الدين الإسلامي قد أصل لفكر الجودة وثقافة الإتقان والإحسان وإحكام العمل والوصول إلى المهارة في الأداء والمسلم مطالب في جميع أعماله دينية ودنيوية بالإتقان في العمل وإجادته وأداءه على أفضل وجه كما أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان قدوة حسنة في إتقان العمل وقد حث أصحابه على الإحسان والإتقان في العمل وجودته.

المطلب الثاني: مبادئ الجودة من المنظور الإسلامي: إذا أمعنا النظر في مفاهيم الجودة ومتطلباتها نجد أنها جزء قليل مما تضمنه الدين الإسلامي من مبادئ خاصة بإتقان العمل وإجادته فنجد مبدأ المسؤولية، الرقابة، المحاسبية، التنظيم، المتابعة، العمل الجماعي وغيرها من المبادئ قد تضمنتها آيات القران والأحاديث النبوية.

المسؤولية: أكد القران الكريم على مسؤولية كل فرد عن أفعاله وأقواله قال تعالى (كل امرئ بما كسب رهين)[٣٠] كما أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسؤولية الفردية والجماعية عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ).[٣١].

حيث تتسع دائرة الشعور بالمسؤولية لدى المسلم من الدائرة الفردية الخاصة بتكميل نفسه وفلاحها إلى الدائرة الأسرية إلى دائرة المجتمع، إلى دائرة الأمة ويتناسب شعوره بالمسؤولية تناسباً طردياً مع ما أوتي من قوة أو ثروة أو سلطة"، وتطبيق الأفراد لهذا المفهوم من أكبر دعائم نجاح إدارة الجودة الشاملة والذي يتفق في أن الجودة الشاملة مسؤولية جميع العاملين[٣٢].

الرقابة والمحاسبية: أكد القران الكريم على أهمية الرقابة الذاتية قال تعالى(**بل الإنسان على نفسه بصيرة** ولو ألقى معاذيره) [٣٣] وفى الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك)[٣٤] فالرقابة الذاتية وتقويم الفرد لأدائه محورا" هاما" لتطبيق الجودة فلابد أن يستشعر كل فرد مراقبة الله (وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا([٣٥]فيتقى الله في السر والعلن في سائر أعماله وهو ما حثنا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله لابن عباس (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) [٣٦] وقد غرس الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في صحابته الكرام

فحرصوا على مراقبة الله تعالى ومحاسبة أنفسهم وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم) [٣٧] والرقابة الذاتية وحدها لا تكفى بل لابد من متابعة ومحاسبة من ولى الأمر أو القائد وهذا ما فعله سليمان عليه السلام كما ذكر القرآن الكريم وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين [٣٨] فقد حرس سليمان عليه السلام على متابعة العمل وتفقد العاملين فلما علم بغياب الهدد قرر معاقبته على تقصيره.

-وعلى هذا النهج صار الخلفاء الراشدين في متابعة أحوال الرعية وتقويم أداء الولاة في الأمصار الإسلامية وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب أرأيتم إن استعملّت عليكم خير من أعلم، ثم أمرته بالعدل أيبرئ ذلك ذمتي أمام الله؟ " إذا كان سيدنا عمر اختار أصلح إنسان لولاية ما، وأمره بالعدل، يا ترى هل انتهت مسؤوليته؟ " فيقول أصحابه: نعم، استعملت عليهم خيرهم، وأورعهم، وأعلمهم، وأفضلهم، وأمرتهم بالعدل والإنصاف والإحسان، فماذا بقي عليك؟ يقول: كلا، لم تنتهِ مهمتي حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته أم لا؟ ثم يقول أيما عامل لى ظلم أحد وبلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمت، فهو يعتبر نفسه مشارك فى الخطأ لأنة لم يغيره[٣٩].

استغلال القدرات والإمكانات المتاحة وحسن توظيفها وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك من خلال تحديد إمكانات وقدرات كل فرد فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ) [٤٠] وقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على نهجه صلى الله عليه وسلم فقد ورد أن عمر بن الخطاب خطب في الناس بالجابية فقال: (من أراد أن يسأل القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل المال فليأتني فإن الله سبحانه وتعالى جعلني خازناً قاسماً [٤١]

توفير قواعد البيانات: فقد ورد في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي الْعِجْلِ فَلَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاحَ فَلَمَّا عَايَنَ مَا صَنَعُوا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ فَانْكَسَرَتْ) [٤٢] وتقدم السيرة النبوية المطهرة صوراً عدة لهذا المطلب فلم يقدم النبي صلى الله عليه وسلم على أمر حتى يجمع عنه كافة المعلومات فكذلك هو في دعوته، وفي هجرته، وفي غزواته صلى الله عليه وسلم ففي حديث الهجرة أنه استعمل عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه وهو غلام

شاب ثقف لقن ليأتيه بخبر قريش وهو في الغار...يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث التي قضاها صلى الله عليه وسلم في الغار. وفي غزوة بدر خرج بنفسه لتقصي المعلومات عن جيش المشركين وعدده وموقعه وزعماؤه، ويوم الأحزاب أرسل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لاستطلاع حال الأحزاب. فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ قرار، أو يحكم حكماً مبنياً على الظن، أو الوشاية بل يحكم بعد التثبت من الأمر ففي الحديث: (أن الْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَدَعَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَدَخَلْتُ فِيهِ وَأَقْرَرْتُ بِهِ فَدَعَانِي إِلَى الزَّكَاةِ فَأَقْرَرْتُ بِهَا وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْجِعُ إِلَى قَوْمِي فَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ فَمَنْ اسْتَجَابَ لِي جَمَعْتُ زَكَاتَهُ فَيُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَسُولًا لِإِبَّانِ كَذَا وَكَذَا لِيَأْتِيَكَ مَا جَمَعْتُ مِنْ الزَّكَاةِ فَلَمَّا جَمَعَ الْحَارِثُ الزَّكَاةَ مِمَّنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَبَلَغَ الْإِبَّانَ الَّذِي أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُبْعَثَ إِلَيْهِ احْتَبَسَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَلَمْ يَأْتِهِ فَظَنَّ الْحَارِثُ أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ فِيهِ سَخْطَةٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ فَدَعَا بِسَرَوَاتِ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ وَقَّتَ لِي وَقْتًا يُرْسِلُ إِلَيَّ رَسُولَهُ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ الزَّكَاةِ وَلَيْسَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْخُلْفُ وَلَا أَرَى حَبْسَ رَسُولِهِ إِلَّا مِنْ سَخْطَةٍ كَانَتْ فَانْطَلِقُوا فَنَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى الْحَارِثِ لِيَقْبِضَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِمَّا جَمَعَ مِنْ الزَّكَاةِ فَلَمَّا أَنْ سَارَ الْوَلِيدُ حَتَّى بَلَغَ بَعْضَ الطَّرِيقِ فَرِقَ فَرَجَعَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْحَارِثَ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ وَأَرَادَ قَتْلِي فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْبَعْثَ إِلَى الْحَارِثِ فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بِأَصْحَابِهِ إِذْ اسْتَقْبَلَ الْبَعْثَ وَفَصَلَ مِنْ الْمَدِينَةِ لَقِيَهُمْ الْحَارِثُ فَقَالُوا: هَذَا الْحَارِثُ فَلَمَّا غَشِيَهُمْ قَالَ: لَهُمْ إِلَى مَنْ بُعِثْتُمْ قَالُوا: إِلَيْكَ قَالَ: وَلِمَ قَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ بَعَثَ إِلَيْكَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ فَزَعَمَ أَنَّكَ مَنَعْتَهُ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَهُ قَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ بَتَّةً وَلَا أَتَانِي فَلَمَّا دَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنَعْتَ الزَّكَاةَ وَأَرَدْتَ قَتْلَ رَسُولِي) قَالَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُهُ وَلَا أَتَانِي وَمَا أَقْبَلْتُ إِلَّا حِينَ احْتَبَسَ عَلَيَّ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ كَانَتْ سخطه مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ قَالَ: فَنَزَلَتْ آية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (٤٣) (٤٤)

القيادة والحوكمة :أحد مجالات الجودة التى تتطلب وجود قائد على قدر من المسؤولية يسمح بتفويض السلطات بحسن استغلال الطاقات والإمكانات المتاحة وقد تحدث القرآن الكريم عن مواصفات القائد في قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (٤٥)و الآية تأكيد على العلاقات الإنسانية التي ينبغي أن تسود القيادة الجيدة ؛من الرحمة، واللين، والعفو، والتجاوز، والشورى، والعزم، والتوكل. وامتثال لأمر الله كان الرسول صلى الله عليه وسلم خير قائد عرفته البشرية ممثلاً لكل الأخلاق الفاضلة التي تنادي بها إدارة الجودة الشاملة مثل: التواضع، والحلم، والوضوح في التعامل وإعطاء التعليمات، والعفو والتسامح، والصبر، والحزم، والعدل، ومراعاة المصلحة العامة، وإعطاء الحق لأهله، والوفاء بالوعد، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، وإنزال الناس منازلهم

العمل الجماعي وتشكيل فرق العمل وهو مطلب رئيس لإدارة الجودة وقد حث عليه القرآن الكريم في قوله تعالى(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان)كما قدم لنا القرآن من خلال قصة ذو القرنين مثالا" للعمل الجماعي وتشكيل فرق العمل فقد استعان ذو القرنين بمجموعات من قومه ليتعاونوا معه في بناء السور ويبدوا ذلك واضحا من قوله (انفخوا) فكل مجموعه كان لها عمل خاص وهو ما نقوم به في إدارة الجودة بدء من عملية التقويم الذاتي وطوال عمليات الجودة.

المطلب الثالث :الجودة التعليمية

التربية هي عمل إنساني رائع وملح، ينبغي التماس الجودة في أداءه، والجودة في التعليم هي " عملية بنائية تهدف إلى تحسين المنتج النهائي(٤٦)والجودة التعليمية هي مجموعة من الخصائص أو السمات التى تعبر بدقة وشمولية عن جوهر التربية وحالتها بما في ذلك كل أبعادها مدخلات وعمليات ومخرجات وتغذية راجعه وكذلك التفاعلات المتواصلة التى تحقق الأهداف المنشودة والمناسبة للجميع (٤٧) والجودة في التعليم هي كل ما يجعل التعليم متعه وبهجة (٤٨).

الجودة التعليمية تعبر عن قدرة الإدارات التعليمية على أداء أعمالها بالدرجة التى تمكنها من تخريج خريجين يمتلكون مواصفات تلبى احتياجات التنمية في مجتمعهم طبقا لما تم تحديده من أهداف ومواصفات لهؤلاء الخرجين(٤٩).

والتعليم الذي تنشده الأمة اليوم، هو الذي يجمع بين العلم والتكنولوجيا وحرارة الإيمان والاستعداد لحمل وتبليغ رسالة الإسلام، رسالة العدل، الحرية، المساواة، الفضيلة، إنسانية الإنسان، والجودة الشاملة للتعليم، لا بد أن تتضمن هذا كله ويكون هدفها الأصيل من التعليم(٥٠).فالجودة الشاملة في التعليم لها معنيان مترابطان: أحدهما واقعي والآخر حسي. والجودة بمعناها الواقعي تعني التزام المؤسسة التعليمية بانجاز مؤشرات ومعايير حقيقة متعارف عليها مثل: معدلات الترفيع ومعدلات الكفاءة الداخلية الكمية، ومعدلات تكلفة التعليم.

أما المعنى الحسي للجودة فيتركز على مشاعر وأحاسيس متلقي الخدمة التعليمية كالطلاب وأولياء أمورهم، ويعبر عن مدى رضا المستفيد من التعليم بمستوى كفاءة وفعالية الخدمة التعليمية. فعندما يشعر المستفيد أن ما يقدم له من خدمات يناسب توقعاته ويلبي احتياجاته الذاتية، يمكن القول بأن المؤسسة التعليمية قد نجحت في تقديم الخدمة التعليمية بمستوى جودة يناسب التوقعات والمشاعر الحسية لذلك المستفيد، وأن جودة خدماتها قد ارتفعت إلى مستوى توقعاته. وهذا يتطلب من مديري التعليم والمشرفين التربويين ومديري المدارس التأكد من توافق مواصفات الخدمة التعليمية مع توقعات المستفيد المتلقي لها

الجودة تساوى المقاييس المرتفعة مهما اختلفت الفروق بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس والإداريين في التعليم، وتركز الجودة على الأداء بصورة صحيحة من خلال تنمية القدرات الفكرية ذات المستوى الأعلى، وتنمية التفكير الابتكاري والتفكير الناقد لدى الطلاب.

الجودة تعنى التوافق مع الغرض الذي تسعى إلى تحقيقه المؤسسة التعليمية كما تشير إلى عملية تحويلية ترتقي بقدرات الطالب الفكرية إلى مرتبة أعلى، وتنظر إلى المعلم على أنه مسهل للعملية التعليمية، وإلى الطالب على أنه مشارك فعال في التعليم.([٥١])

ولتحقيق الجودة في التعليم، لا بد من تطوير جميع عناصر العملية التعليمية (المعلم، المتعلم، الإدارة المدرسية، المحتوى التعليمي، طرق التدريس، المبنى المدرسي..

وقد أعدت الهيئة القومية للجودة والاعتماد وثيقة خاصة بمعايير الجودة تشمل مختلف المجالات وذلك على موقعها الخاص على شبكة الانترنت: http://naqaae.eg

المطلب الرابع :الجودة التعليمية من المنظور الإسلامي

هدف التربية الإسلامية هو إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة في ضوء المبادئ والقيم وطرق التربية التي جاء بها الإسلام."[٥٢] ولما كان العلم عبادة، فقد لزم إخلاص النية فيه، كشرط للقبول عند الله عز وجل، كما أن الإخلاص باعث على إتقان العمل وتفاني المعلم في أداءه للارتقاء نحو الأفضل [٥٣]وجودة التعليم من المنظور الإسلامي عبارة عن " ترجمة احتياجات وتوقعات المستفيدين من العملية التعليمية إلى مجموعة خصائص محددة تكون أساساً في تصميم الخدمات التعليمية وطريقة أداء العمل من أجل تلبية احتياجات وتوقعات المستفيدين وتحقيق رضي الله عز وجل. (٥٤)." وتحقيق هدف النظام التربوي والتعليمي في الإسلام وهو إيجاد إنسان القرآن والسُنة أخلاقاً وسلوكاً مهما كانت حرفته أو مهنته([٥٥]) ." باستخدام أفضل الوسائل

المطلب الخامس :مقارنة معايير الجودة التعليمية في النظريات الحديثة والنظرية التربوية الإسلامية

قدمت النظرية التربوية الإسلامية منظومة متكاملة تحقق أقصى معايير الجودة في مختلف المجالات ونذكر منها على سبيل المثال

١- جودة طرق التدريس

لابد من توفر عدة معايير في طريقة التدريس بما يحقق جودتها وهذه المعايير هي:

- أن تعمل على تهيئة المتعلمين للدرس وأن تراعى الفروق الفردية بين الطلاب.
- أن تؤكد على استخدام الحواس وأن تعتمد على الحوار.
- أن تهتم بالممارسة والتطبيق العملي وعدم الإغراق في التعليم اللفظي.
- التنوع في الأساليب بما يلائم الموقف التعليمي
- أن تتيح الفرصة للمتعلم لاستخدام أساليب التفكير العلمي
- أن تركز على موضوع الدرس[٥٦].

وقد تطرق علماء التربية المسلمون، في مواضع عديدة من كتاباتهم إلى الحديث عن مواصفات الطريقة الجيدة في التدريس والتي تعد عاملاً أساساً في جودة التحصيل وتحقيق الأهداف التعليمية المنشودة، ويمكن تلخيص هذه المعايير فيما يلي :

١- تأكيدها على استخدام الحواس : أكد إخوان الصفا على أن التعلم يتم مباشرة عن طريق الحواس من خلال المباشرة والإحاطة والمخالطة.([٥٧])

وقد انتقد ابن تيمه الأساليب التعليمية الشائعة في زمانه والتي تقتصر على مجرد الإخبار والتلقين وحث على استعمال القوى السمعية والحسية . ([٥٨])

٢- اعتمادها على الحوار : فحصول الملكة والإتقان، يلزمهما فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، ويتطلب ذلك انتظام المتعلم في الدراسة حتى ترسخ وتنمو قدراته([٥٩])

وأشارت بعض الدراسات الحديثة إلى مزايا الحوار ولخصت آثاره الإيجابية على المتعلم والتي من أبرزها

- احتواؤه على عنصر التشويق وشحذه للذهن وحثه المتعلم على الانتباه وإغراؤه بالمتابعة مما يبعد عنه الملل ويجدد نشاطه .

- تشجيعه على المبادرة الذاتية والمشاركة الفاعلة في الموقف التعليمي.([٦٠])

٣- الاهتمام بالممارسة والتطبيق وعدم الإغراق في التعليم اللفظي :

التلازم بين العلم والعمل هو المبدأ والأساس في تعليمنا الإسلامي وقد عبر(ابن المقفع)عن حالة التفاعل والتكامل بينهما بقوله العلم روح والعمل بدن والعلم أصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولود (٦١)الذي يجهد نفسه في تحصيل المعرفة، ويقف عند حد التحصيل دون التطبيق، فكأنه مثل الذي يزرع شجرة ما، يعجبه منظرها لكن لا يستفيد بثمرها (٦٢)، فالممارسة سبيل التعلم كما الصناعات، فمن أراد تعلّم الكتابة فسبيله أن يتعاطا ما يتعاطاه الكاتب الحاذق وهو التدريب على الخط الحسن حتى يصير له ملكة راسخة (٦٣)، ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن تعليمنا المعاصر، يعتبر أنه لا قيمة لمقدار المعلومات التي يكتسبها الطالب ويقوم بتسميعها ما لم يستطع تطبيقها واستخدامها في المواقف العملية (٦٤)

٤- **تتيح الفرص للمتعلم لاستخدام أساليب المنهج العلمي** : حذر(الجاحظ) من الاتكال على الحفظ دون تعمق وقد دعا إلى الاعتماد على الملاحظة والفحص والاختبار والتجربة (٦٥)وأكَّد(ابن خلدون) على التعلم بالاكتشاف وتفريغ المسائل واستنتاج الأدلة وهذا يزيد طالب العلم تمكناً في قدراته وإيضاحاً للمعاني المقصودة(٦٦).

٥- **التنوع في الأساليب بما يلائم الموقف التعليمي** : فالمعلم لا يحتاج إلى إتقان المادة العلمية وامتلاك ناصيتها فحسب، بل عليه أن يكون عارفاً بأساليب التعلم، متقناً في تنويعها بما يخدم الموقف التعليمي ويساعده على توصيل المعلومات إلى عقول طلابه بكفاءة عالية .(٦٧)وحث(السعدي)المعلم على استخدام ما يستطيع من الأساليب لضرب الأمثال والتصوير لإيصال المسائل إلى أفهام المتعلمين(٦٨)

٦- **اعتمادها على التخطيط المحكم** : فمن الطبيعي أن تخطيط المعلم لدرسه، يجنّب عمله العشوائية، كما يمكنه من تنظيم عناصر الموقف التعليمي ويساعده على مواجهة المواقف التعليمية بروح معنوية عالية فضلاً عن كونه يساعده على تطوير وتحسين العملية التعليمية من خلال تقديم مقترحات جديدة وحث المعلم على التحضير الجيد لدرسه والاجتهاد في جميع المعلومات الشاردة والواردة من مصادر عديدة، فالمعلم لا يلقي درسه إلا بعد التأكد من معرفته وإتقانه (٦٩).

٧- **تركيز المعلم حديثه على موضوع درسه** : وعدم الاستطراد في مواضيع جانبية، تشتت انتباه التلاميذ وتصرفهم عن مقصود الدرس فالمعلم ينبغي ألا يبحث في مقام أو يتكلم على فائدة إلا في موضعها .(٧٠)

٨- **تهيئة المتعلمين للدرس** : ويتم ذلك من خلال :

- الجلوس البارز لجميع الحاضرين وطلاقة الوجه وحسن السلام.(٧١)
- إعطاء المعلم طلابه نبذة أو فكرة عن موضوع الدرس مثيراً دوافعهم ومهيئاً أذهانهم (٧٢).

٩- حسن الإلقاء: ولقد أثبتت نتائج الدراسات التربوية الحديثة، أن الإلقاء الجيد، أكثر فعالية من تقديم التوجيهات المكتوبة، خاصة إذا صاحبه التوضيح والتبسيط، كما أنه وسيلة ناجعة لتنمية الاتجاهات والمثل، وهذا ما لا يتوفر في الصفحة المطبوعة ذات الأثر الضعيف في هذا المجال([٧٣]).

ويؤكد (ابن جماعه) على أن الإلقاء الجيد أكثر فائدة وأتم نفعاً، إذا صاحبه الشرح والتوضيح وحسن التلطف وبذل الجهد من قبل المعلم في تقريب المعنى([٧٤].)

١٠- مراعاة الرفق بالمتعلم وعدم تحميله أكثر من طاقته :

فالطريقة الجيدة في التدريس، تراعي القدرة العقلية والجسدية للمتعلم، فلا يصح للمعلم أن يحمله ما لا يطيق جسده من الجهد والتكليف، حتى لا يسأم وينفر ([٧٥])

جودة طرق التدريس الإسلامية: آيات القران الكريم والسنة النبوية المطهرة تضمنتا في فحواهما منهاجا متكاملا لكافة الآليات والمعايير اللازمة لنجاح وجودة العملية التعليمية فهما مرجع لكافة استراتيجيات التعليم والتعلم يضم العديد من الإستراتيجيات التعليمية (التعلم التعاوني التعلم الذاتي العصف الذهني والتعلم الإبداعي التعلم بالملاحظة الدقيقة تعلم الأقران التعلم من خلال العروض العملية التعلم من خلال الرحلات والزيارات الميدانية أسلوب الإلقاء والمحاضرة) والتي تتحقق فيها جميع شروط جودة طرق التدريس من اعتمادها على إستراتيجيات التعلم النشط التي يكون محورها المتعلم ومناسبتها للموقف التعليمي وتنوعها وإثارتها لتفكير الطلاب....

٢- جودة المحتوى

المحتوى التعليمي هو مجموع الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة التى يمر بها المتعلم ويتفاعل معها ([٧٦])وحتى يؤدى المحتوى دورة بنجاح في العملية التعليمية يجب أن تتوفر فيه المواصفات التالية

-الشمول والتوازن من خلال شموله لكافة المعارف، المهارات، القيم، الاتجاهات في إطار التوازن بين العلوم الدنيوية والأخروية والنظرة المتكاملة والشاملة لكافة جوانب الشخصية ([٧٧])

-أن يكون المحتوى مرتبطا"بالأهداف التى ينشدها الفرد و الأمة وثيق الصلة بحاجات المجتمع

-يراعى قدرات المتعلمين واستعداداتهم منسجما مع الفروق الفردية للمتعلمين

-أن يرتبط المحتوى التعليمي ببيئة المتعلم يساعد المتعلم على اكتشاف بيئته واستثمارها

-أن يراعى المستجدات والمتغيرات والتطورات التى تحدث في المجتمع

-أن يوجه المتعلم لتنويع مصادر التعلم والاعتماد على آليات التعلم الذاتي من خلا ل الاكتشاف، الملاحظة، إثارة تفكير المتعلم، العمل التعاوني، التعلم بالاكتشاف والاستقصاء، توظيف حواس المتعلم

- أن يقدم الخبرات التعليمية بصورة متدرجة وفقا لعلاقات الخبرات بعضها ببعض واستخدام أسلوب التكرار الهادف وإعطاء الأمثلة

-ترتيب المحتوى وفق وحدات متصلة من خلال ربط محتوى كل موضوع مع محتوى الموضوعات الأخرى

جودة المحتوى الإسلامي الهدف العام للتربية من المنظور الإسلامي هو تحقيق سعادة الدارين للفرد وبصورة أكثر تحديداً فهو" تنشئة الإنسان فكرياً وعقلياً وجسدياً وجمالياً وخلقياً وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات اللازمة لنموه السليم طبقاً لأهداف الرسالة الإسلامية ". [٧٨] ولذا فان المحتوى العلمي الإسلامي يتضمن:

١. معرفة مرتبطة بالكون وما فيه من ظواهر وأحداث طبيعية مستمدة من القرآن الكريم.

٢. معرفة تتعلق بالإنسان من حيث علاقته بالكون المحيط به وخصائص نموه في كافة المجالات.([٧٩])

وللمحتوى التعليمي وظائف عديدة من أبرزها:

تحقيق العبودية لله تعالى في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية وهو هدف التربية النهائي وغايتها [٨٠]، إظهار القيم الاجتماعية في شعور الأفراد، إنماء المواهب الفردية، الإعداد الصحيح للفرد للحياة الاجتماعية[٨١]

وتهدف التربية في الإسلام إلى تنمية الجانب الفكري والجانب الاجتماعي والجانب النفسي والجانب الأخلاقي والجانب الروحي والجانب الجسمي[٨٢] والمحتوى التعليم ينبغي أن يتجدد ويتغير ليتناسب مع ظروف العصر حتى يكون مجدياً وقد أوصى بذلك الإمام علي رضي الله عنه بقوله

" علموا أولادكم غير ما علمتم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم كما أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بمتابعة كل جديد ومستحدث والاستفادة من الاكتشافات الجديدة يقول صلى الله عليه وسلم (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها)[٨٣]

وحث (الغزالي)على مراعاة الترتيب في تقديم العلم فيبدأ بالأهم فالمهم ([٨٤])، وأشار الماوردى إلى أهمية التدرج في تقديم المعلومات واعتبر ذلك شرطا أساسيا لإتقان التعلم فالعلوم أوائل تؤدى إلى أواخرها ومداخل تفضى إلى حقائقها ([٨٥])كما طالب ابن خلدون المعلم بعدم الخلط بين المسائل التعليمية الواردة في الكتاب

الواحد ومراعاة الترتيب في عرضها بهدف الانتقال بالمتعلم من مستوى لأخر وحتى لا يصيب المتعلم الملل وربما دفعه ذلك إلى هجر العلم ([٨٦])

٣-جودة الوسائل التعليمية

حدد علماء التربية معايير جودة الوسيلة التعليمية في المواصفات التالية:

- أن يكون محتواها صحيحاً ومعاصراً وخالياً من الأخطاء العلمية والفنية.
- أن يكون محتواها من المادة العلمية معروضاً بصورة سهلة ومنطقية وبمعدل معقول.
- .أن تجذب انتباه المتعلمين للمادة العلمية وأن تكون سهلة الاستخدام وأن يتوافر فيها عنصر الأمان وان تكون فى حالة فيزيقية سليمة...
- أن تعمل على مشاركة الطلاب المتعلمين بصورة ايجابية في الموقف التعليم.

([٨٧])

لو نظرنا إلى الوسائل التعليمية الواردة في الآيات والأحاديث النبوية لوجدنا أنها تحقق تلك المعايير فهي تتناسب مع الموقف التعليمي الذي استخدمت فيه وتتميز بالتنوع وتعمل على إثارة العقل وتحفزه للتفكير وهى في ذات الوقت وسائل آمنه من واقع البيئة المحيطة.

٤-جودة المعلم

لقد اتفقت العديد من الدراسات التربوية على عدد من الخصائص التي يجب توافرها للمعلم وتساعد في تقويمه من قبل طلابه وهي:

مدى احترامه للطلاب بتوجيههم وإرشادهم أكاديمياً، مدى تمكنه من المادة الدراسية التي يقدمها، مدى اهتمامه بتنمية التفكير المنطقي والابتكار لدى طلابه، مدى إتباعه لأسلوب التدريس الشيق لتوصيل المعلومة لطلابه.مدى حماسته للتدريس .مدى تواصله الفعال مع طلابه.مدى بشاشته ومرحه وثقته بنفسه.([٨٨])

وقد أوردت وزارة التربية والتعليم في وثيقتها معايير المعلم في خمسة مجالات هي:

المجال الأول: مجال التخطيط:

المعيار ١: تحديد الاحتياجات التعليمية للتلاميذ بما يحقق الجودة.

المعيار ٢: التخطيط لأهداف كبرى تنشد الجودة وليس لمعلومات تفصيلية .

المعيار ٣: تصميم الأنشطة التعليمية الملائمة بما يحقق الجودة .

المجال الثاني: مجال استراتيجيات التعلم وإدارة الفصل:

المعيار ١: استخدام استراتيجيات تعليمية استجابة لحاجات التلاميذ.

المعيار ٢: تيسير خبرات التعلم الفعال .

المعيار ٣: إشراك التلاميذ في حل المشكلات والتفكير الناقد والإبداعي .

المعيار ٤: توفير مناخ ميسر للعدالة .

المعيار ٥: الاستخدام الفعال لأساليب متنوعة لإثارة دافعية المتعلمين .

المعيار ٦: إدارة وقت التعلم بكفاءة والحد من الوقت الفاقد .

المجال الثالث: مجال المادة العلمية :

المعيار ١: التمكن من بنية المادة العلمية وفهم طبيعتها.

المعيار ٢: التمكن من طرق البحث في المادة العلمية .

المعيار ٣: تمكن المعلم من تكامل مادته العلمية مع المواد الأخرى .

المعيار ٤: القدرة على إنتاج المعرفة .

المجال الرابع: مجال التقويـــــــــــم:

المعيار ١: التقويم الذاتي.

المعيار ٢: تقويم التلاميذ .

المعيار ٣: التغذية الراجعة .

المجال الخامس: مجال مهنية المعلم:

المعيار ١: أخلاقيات المهنة.

المعيار ٢: التنمية المهنية.([٨٩])

جودة المعلم المسلم لقد تناولت آيات القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كافة الممارسات التى تحقق جودة المعلم من خلال مراقبته لله تعالى واستشعار المسؤولية تجاه الأمانة الملقاة على عاتقه واتصافه بالرفق مع طلابه وحسن الخلق وسعة الصدر واستخدامه للإستراتيجيات التعليمية المناسبة والوسائل التى تتناسب مع الموقف التعليمي وتساعد على توصيل المعلومة فالمعلم لا يحتاج إلى إتقان المادة العلمية وامتلاك ناصيتها فحسب، بل عليه أن يكون عارفاً بأساليب التعلم، متقناً في تنويعها بما يخدم الموقف التعليمي ويساعده على توصيل المعلومات إلى عقول طلابه بكفاءة عالية وعليه أن يستخدم ما يستطيع من الأساليب

كضرب الأمثال والتصوير والتحرير لإيصال المسائل إلى أفهام المتعلمين وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم صحابته.

كما تضمن الفكر التربوي الإسلامي العديد من صفات المعلم ومنها التخطيط والإعداد الجيد للدرس، أن يكون المعلم قدوة حسنة لطلابه، أن يقصد بعملة مرضاة الله تعالى، أن يكون حليما واسع الصدر، أن يكون حريصا على مصلحة طلابه، أن يراعى الفروق الفردية بين الطلاب، أن يكون دائم الاطلاع والبحث، أن يرغب طلابه في طلب العلم، أن يعرض بالنصيحة ويبتعد عن التوبيخ والتأنيب، أن يكون متواضعا حسن المظهر يتودد للطلاب ويروح عن نفوسهم يحرص على التغذية الراجعة والمراجعة واختبار الطلاب وامتحانهم وأن يرفع صوته بقدر ما يحتاج الطلاب ويتيح الفرصة للطلاب للأسئلة والاستفسار والمناقشة وأن يكون قادر على ضبط الفصل وهذه الصفات تحقق معايير جودة المعلم وشمول وتكامل الفكر التربوي الإسلامي لكافة عناصر العملية التعليمية

٥-**جودة المتعلم:** وقد أعدت هيئة ضمان الجودة والاعتماد ثلاثة معايير لمجال المتعلم وهى

المعيار الأول: التمكن من البنية المعرفية للمواد الدراسية .

المعيار الثاني: التمكن من المهارات الأساسية.

المعيار الثالث: اكتساب جوانب وجدانية إيجابية.([٩٠])

جودة المتعلم المسلم: المتعلم هو محور العملية التعليمية وقد تضمنت كتابات علماء المسلمين العديد من الآداب التى يجب على طالب العلم أن يلتزم بها حتى يصل إلى حد الإتقان المطلوب وفى مقدمة هذه الآداب أن يخلص النية في طلب العلم وأن يبذل قصارى جهده لتحصيل العلم النافع قال الشافعي رضي الله عنه: حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من العلم والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله تعالى في إدراك علمه نصًا" واستنباطًا والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه. وأن يكون المتعلم مجداً ومواظباً، وحسن الخلق والمعاملة ولديه دافعية عالية تجاه العلم الذي يدرسه وهذا ما يؤكده غالبية علماء التربية المسلمون، يقول الإمام الزر نوجي لا بد لطالب العلم من الجد والمواظبة والملازمة مصداقاً لقوله تعالى" ٱُّٱ خ لم لى لي مج مح مخ مم مى ٍّ"([٩١])، ينبغي على المتعلم أن يتعب نفسه على التحصيل والجد والمواظبة وأن يجتهد في الفهم عن الأستاذ بالتأمل والتفكر وكثرة التكرار([٩٢]) وقال الإمام الغزالي لا بد لطالب العلم من الجد والمثابرة وأورد ما قيل من أن العلم لا يعطيك بعضه حتى يعطيك كله. وقال لا ينال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع ([٩٣])

أن يوقر معلمه ويحترمه وأن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله، قال شعبة: كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبدًا ما يحيا.وأن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسالة أو جواب سؤال منه أو من غيره ولا يظهر معرفته به أو إدراكه له قبل الشيخ، فإن عرض الشيخ عليه ذلك ابتداء والتمسه منه فلا بأس.(٩٤)

إذا كان التجديد حافزاً على تحسين وتجويد العملية التعليمية، فإن الانفتاح على الخبرات النافعة من أبرز مداخله، وقد حثت السنة النبوية المطهرة على تلمّس مواطن الحكمة عند الآخرين والنظر فيما عندهم لتحقيق الفائدة المرجوة " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها(٩٥).

الفصل الثانى :

النتائج :من خلال هذا العرض لمفهوم الجودة نجد أن تعبير الجودة ليس تعبيراً جديداً في ثقافتنا العربية الإسلامية، فالجودة مبدأ إسلامي أصيل، لأن إتقان العمل وإجادته من المبادئ التي أرسى دعائمها القرآن الكريم وحثت عليها السنة النبوية المطهرة، ومفهوم الجودة حاضرٌ في كل تعاليم الإسلام بكل مضامينه وهو يمثل قيمة إسلامية وقد ارتبط مصطلح الجودة في الإسلام بمفردات ومفاهيم أخرى تتجاوز مفهوم الجودة الذي ركز الفكر الغربي مثل الإتقان والإحسان والإحكام والمهارة والسداد كما تتضمن كافة المبادئ والمفاهيم المتعلقة بالجودة (إجادة العمل وإتقانه والمسؤولية والمحاسبية، ثقافة الجودة) كما أن معايير جودة عناصر العملية التعليمية من المنظور الإسلامي لا تختلف عن معايير الجودة كما وردت في الفكر الغربي ولذا نستطيع أن نجزم بالدليل القاطع على السبق للنظرية التربوية الإسلامية في تحقيق منظومة الجودة كاملة

-أوضحت الدراسة أصالة مصطلح الجودة على الرغم من ظهوره في العصر الحديث، فقد تبين أن مصطلح الجودة موجود في القرآن الكريم معنىً وليس لفظًا وقد جاء بمعنى الإتقان والإحسان، كما وجد في السنة النبوية لفظًا ومعنًى وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بإتقان الأعمال وإجادتها، وقد سار على نهجه الصحابة رضي الله عنهم والعلماء المسلمين، بحرصهم على تطبيق الجودة ودعوتهم لذلك كما تضمن الفكر التربوي الإسلامي النابع من آيات القران والأحاديث النبوية كافة المعاني التي تتجاوز مفهوم الجودة الذي ركز عليه الفكر الغربي لتصل إلى معاني أكثر شمولا مثل الإتقان والإحسان والإحكام والمهارة والسداد كما اشتمل الفكر التربوي الإسلامي علي كافة المعاير التي تضمن جودة عناصر العملية التعليمية بما يحقق التميز والريادة ويؤكد على التأصيل الإسلامي للمفاهيم التربوية الحديثة التي برزت في القرن العشرين كمفهوم الجودة فتعبير الجودة ليس تعبيراً جديداً في ثقافتنا العربية الإسلامية، فالجودة مبدأ إسلامي أصيل حاضرٌ في كل تعاليم الإسلام بكل مضامينه وهو يمثل قيمة إسلامية كما تتضمن الفكر التربوي الإسلامي كافة المبادئ

والمفاهيم المتعلقة بالجودة (إجادة العمل وإتقانه والمسؤولية والمحاسبية، ثقافة الجودة، استغلال القدرات والإمكانات وحسن توظيفها، توفير قواعد البيانات، القيادة والحوكمة، العمل الجماعي وتشكيل فرق العمل)

التوصيات :في ضوء النتائج التى توصل إليها هذا البحث فان الباحثة توصى بما يلي:

-الاهتمام بغرس مفاهيم الإتقان والتميز والمهارة وربطها بالثواب والأجر في الدنيا والآخرة (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون)وتضمين هذه القيم لبرامجنا التربوية ومناهجنا التعليمية

-البحث عن آليات لنشر ثقافة الفكر التربوي الإسلامي بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب وذلك من خلال عقد العديد من ورش العمل والدورات التدريبية والمؤتمرات التى تناقش النظرية التربوية بمختلف عناصرها ومدى شمولها لكافة الآليات والمعايير التى تحقق جودة التعليم.

-توفير مكتبة تضم دراسات ومراجع عن كافة عناصر العملية التعليمية من المنظور الإسلامي.

-استخدام المفاهيم والتعبيرات الإسلامية في تعليم طلاب كليات التربية وكذلك في برامج التنمية المهنية للمعلمين بدلا من الاقتصار على دراسة رواد الفكر الغربي والنظريات الحديثة.

-إجراء العديد من الدراسات البحثية التي تتناول المنظومة التعليمية من المنظور الإسلامي بما يقدم ثراء لهذا المجال ويزيد من اعتزاز المعلم بدينه وبنبيه ص.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إبراهيم، محمد عبد الرزاق، **منظومة تكوين المعلم في ضوء معايير الجودة الشاملة**، ط٢، (عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع.٢٠٠٣م).

٣. ابن جماعه الإمام القاضي بدر الدين **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم** تحقيق محمد مهدي العجمي، ط ٣، (بيروت، دار البشائر للطباعة والنشر١٤٣٣ ه٢٠١٢م)

٤. أبو العنين، على خليل، **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**، ط٣، (المدينة المنورة مكتبة إبراهيم الحلبي ١٤٠٨ه)

٥. أحمد أحمد إبراهيم، الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية، د.ط(الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر٢٠٠٣م)

٦. البغوى أبو محمد الحسين بن مسعود **تفسير البغوى**، د.ط(بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٠ ه)

٧. البيلاوي وآخرون، حسن حسين، **الجودة الشاملة في التعليم مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد**، ط١، (عمان دار المسيرة، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٦م)

٨. جان، محمد صالح –**المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس**، ط١، (الطائف، دار الطرفين ١٤١٩ ه)

٩. الخطيب، محمد **مدخل لتطبيق معايير ونظم الجودة في المؤسسات التعليمية** ورقة عمل مقدمة للقاء السنوي الرابع عشر الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، د.ط(د.ن٢٠٠٧م)

١٠. الشافعي أحمد وناس السيد محمد، **ثقافة الجودة في الفكر الإداري التربوي الياباني وإمكانية الاستفادة منه في مصر**، مجلة أبحاث اليرموك، د.ط، (د.م، د.ن، ٢٠٠٣)

١١. عقيلى، عمر وصفى –**مدخل إلى المنهجية المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة** –ط١، (عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، د.ت)

١٢. غزاوى، عبد الحكيم **دور الوسائل والتقنيات التربوية الحديثة في تجويد العملية التعليمية**، د.ط (صيدا جامعة الجنان ٢٠٠٧م)

١٣. وهبه، نخلة، **جودة الجودة في التربية**، د .ط (الدار البيضاء مطبعة النجاح الجديدة ٢٠٠٥،)

المراجع الأجنبية

Paulson–D. & Faust ، J. (2006). Active Learning for the College Classroom. Available at: http:/chemistry.calstatela.edu/chem.&Bio chem./active/main.html.

شبكة الانترنت

- مكتب الريادة الحديثة، رائد الجودة ويليان ادوارد ديمنج، ٢٠١٤\١٢\١٦ http://reyadaoffice.com-
- جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، فكر الأستاذ محمد عبد الله السمان في ميزان الإسلام mailto:http://www.qu.edu.qa/ar/sharia/media/dr_basyoni_conf.php
- مركز أبحاثنا للبحث العلمي، موضوع الدراسة الوسائل التعليمية في القرآن والسنة النبوية، الكاتب سراج حسين فتحي، كلية المعلمين http://www.khayma.com/education ،mailto: technology/w3.htm المنورة قسم تقنيات التعليم

الهوامش:

([1])سورة النمل : آية :٨٨

([2])سورة الكهف : آية ٣٠

([3])أ خرجه البيهقى، فى سنن البيهقي الكبرى، د.ج، رقم الحديث(٤٩١٣)

([4])سورة المطففين : آية٢٦

([٥])أحمد، إبراهيم الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية، د.ط، د.ج، ص١٧

([٦]) ج.م.ع، الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد: دليل الاعتماد لمؤسسات التعليم قبل الجامعي، ج١، ص١٥

([٧])Kenneth y.(March\April 1989)New pressures on accreditation journal of Higher Education 60 144،(3)132

([٨]) سورة النمل: آية ٨٨

([٩]) الفيروزآبادى، القاموس المحيط، د.ط، د.ج، ص ١٥٢٧

([١٠])أخرجه البيهقى، فى سنن البيهقي الكبرى، د.ج، رقم الحديث:(٤٩١٣)

([11])سورة النمل : آية ٨٨

([12])سورة البقرة : ١٩٥

([١٣]) أخرجه مسلم، في صحيح مسلم، د.ج، حديث رقم(1955)

([١٤]) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير، د.ج، رقم الحديث (١٥٧٧٨)

([١٥]) أخرجه الترمذي، في السنن، د.ج، حديث رقم (2610)

([١٦])مدكور، على أحمد، الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي ودورها في محتوى المناهج التربوية، د.ط، د.ج، ص٥٧

([17])حجازي، محمد، التفسير الواضح، د.ط، ج١، ص٤٥٩

([18]) سورة هود: آية ١

([19]) أخرجه السيوطي، في جامع الأحاديث، د.ج، حديث رقم (٧١٩٩)

([20]) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، ج١، ص، ٣٩٢

([21]) سورة البقرة: آية ١٧٧

([22]) أخرجه مسلم، في صحيح مسلم، د.ط، د.ج، حديث رقم (798)

([23]) البيلاوى، وآخرون، الجودة الشاملة في التعليم، ط١، د.ج، ص٢١

([24]) أخرجه العسقلاني،، في فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ج، حديث رقم (6098)

النووى، أبو زكريا، شرح النووي على صحيح مسلم، د.ط، ج١١، ص١٦٢ [25])(

([26]) الطبراني، المعجم الكبير، د.ط، ج ٣،، ص٢١٤

([27]) سورة البقرة: آية ٦١

([28]) عبيدات، القيادة التربوية في الإسلام، د.ط، د.ج، ص١١٧

([29]) إبراهيم، مفيدة، القيادة التربوية في الإسلام، د.ط، د.ج، ص٤٠٣

([30])سورة الطور: آية ٢١

([31]) أخرجه البخاري، فيالجامع الصحيح المختصر، د.ج، حديث رقم (٨٥٣)

([32])البيلاوي وآخرون، الجودة الشاملة في التعليم بين مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد، ط١، د.ج، ص١٩٢، ١٩٣

([33])سورة القيامة: آية ١٤

([34]) سبق تخريجه

الأحزاب: آية ٥٢ [35])(

([36]) أخرجه الترمذي، فى السنن، د.ج، (حديث رقم (1987)

([37]) النابلسي، التربية الإسلامية، سبل الوصول وعلامات القبول،

https://soundcloud.com/tadbrr/sets/htyw7etqhcef

mailto:http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=3541&id=150&sid=775&ssid=776&sssid=777

([38])سورة النمل: آية ٢٠

([39]) النابلسي، الخلفاء الراشدين،

http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=1316

([40]) ابن ماجه، فى السنن، د.ج، حديث رقم (١٥٥)

([41])). الهيثمى، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٢، كتاب العلم «باب أخذ كل علم من أهله، ص567

([42]) أخرجه الحاكم، فى المستدرك على الصحيحين، د.ج، حديث رقم (٣٣٧٠)

سورة الحجرات: آية ٦ [43])(

([44]) جامعة أم القرى، بحوث في الجودة، http://uqu.edu.sa/page/ar/35284

([45]) سورة آل عمران: آية ١٥٩

([46]) أحمد، إبراهيم، الجودة الشاملة في الإدارة التعليمية والمدرسية، د.ط، د.ج، ص١٧

(٤٧) البيلاوى وآخرون، الجودة الشاملة في التعليم، ط١، د.ج، ص٢١

(٤٨) الأنصاري، إدارة الجودة الشاملة، د.ط، د.ج، ص٣٣

(٤) الشافعي، احمد وناس، والسيد محمد، ثقافة الجودة في الفكر الإداري التربوي الياباني وإمكانية الاستفادة منه في مصر، د.ط، د.ج، ص٧٩

(٥٠).البيلاوى، مرجع سابق، ص١٨٧

(٥١)http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/157135

(٥٢)، يالجن، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، ط ٢، د.ج، ص٢٠

(٥٣)صالح، معين، الفكر التربوي عند الشوكاني، رسالة ماجستير،، ص٣٠٩

(٥٤) الخطيب، محمد، مدخل لتطبيق معايير ونظم الجودة في المؤسسات التعليمية، ورقة عمل مقدمة للقاء السنوي الرابع عشر الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، ٢٠٠٧، د.ط، د.ج، د.ص

(٣)النقيب، التربية الإسلامية المعاصرة في مواجهة النظام العالمي الجديد، د.ط، د.ج، ص١٧

(٥٦) الجودة إتقان وإحسان، " معايير جودة طرق التدريس "
http://daraltarbiaquality.blogspot.my/2012/11/blog-post_5488.html

(57) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، ج١، ص ٣٩٩-٤٠١

(58) ابن تيمه، أحمد عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ج٩، ص٢٢٧

(59)ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة ص ١٤٦

(60))الزنتانى، عبد الحميد الصير، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص٢٠٥

(61)شمس الدين، عبد الأمير، الفكر التربوي عند ابن المقفع والجاحظ، ص، ١٥٠

(62) الزمخشرى، تفسير الكشاف، ص١٩٨،

(63) الغزالى الإمام أبو حامد ميزان العمل ص٦٦-٦٧

(64) ريان، فكرى حسن، التدريس أهدافه أسسه أساليبه تقويم نتائجه وتطبيقاته، ص٣٣

(65) رجب، مصطفى، مع تراثنا العربي، ص٢٠،

(66) (ابن خلدون المقدمة ص٥٥٥

(١) النحلاوى، عبد الرحمن، الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند التاج السبكى، ص١٧٤

(٦٨)السعدي، عبد الرحمن، تفسير القران الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، ص٦٥١

(69)الزيور، نادر فهمي وآخرون، التعلم والتعليم الصفي، ص١٣٨-١٣٩

(70)ابن جماعه، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص٣٨-٣٩

(71)ابن جماعه، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص٦٨

(72) ابن جماعه، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٣٨

(73)ريان، فكرى حسن، التدريس أهدافه أسسه أساليبه تقويم نتائجه وتطبيقاته، ص٣٣

(74)بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٥١-٥٢، ابن جماعه

(75) ابن جماعه، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٥٤

(٧٦) محمد هاشم، المنهاج التربوي من منظور إسلامي، ٢٠٠٢، ص ٣٢٢

(٧٧) مرسى محمد منير، فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، ص٢٥٢

(٧٨) الجعفري، وآخرون، فلسفة التربية، د.ط، د.ج، ص١١٢

(٧٩) نشوان يعقوب، المنهج التربوي من منظور إسلامي، د، ط، د.ج، ص٢١٢

(٨٠)الباني، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، د.ط، د.ج، ص١٥

(٨١) الأهوانى، التربية في الإسلام القاهرة د.ط، د.ج، ص١٦٢

(٨٢)سلطان،، الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام، د.ط، د.ج، ص٨٧

(٨٣). أخرجه ابن ماجه، في سنن ابن ماجه، ج٢، حديث رقم(١٣٥٩)

(84)الغزالى، أبى حامد، ميزان العمل، د.ط، د.ت، ص٣٤٩

(85)أبو العينين، على خليل، قراءة تربوية في فكر الماوردى، د.ط، د.ج، ص٣٨٣

(86)النجار، إبراهيم الزيبى، الفكر التربوي عند العرب، د.ط، د.ج، ص١٧٨

(٨٧) جامعة أم القرى، معايير اختيار وسائل وتكنولوجيا التعليم
mailto:http://uqu.edu.sa/page/ar/102746

(٨٨)معايير الجودة الشاملة لتقيم المعلم فى مدارس التعليم العام،
http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=19519

(89) الهيئة القومية للجودة والاعتماد، وثيقة المستويات المعيارية للمعلم، مارس ٢٠٠٩م، ص١٤

(٩٠) ١١٢٧\٢٠٠٩ mailto:http://gawda2010.ahlamontada.net/t9، topic)

(91)سورة مريم :آية ١٢

تعليم المتعلم في طريق التعلم، الزرنوجى، برهان الدين، (ص٥٤-٦٣[92])

(93)الغزالى، أبو حامد إحياء علوم الدين ص١٠٧

(٩٤) ابن جماعه، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ط٣، د.ج،، ص٩٠، ١٠٠منقول بتلخيص وتصرف

(٩٥). أخرجه ابن ماجه، في سنن ابن ماجه، ج٢، حديث رقم(١٣٥٩)

التفاؤل في القرآن الكريم ـ دراسة بلاغية في نماذج مختارة

الباحثة: هبة رحيم جمعة الصالحي
جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

ملخص البحث:

تمت دراسة موضوع صور التفاؤل في القرآن الكريم في دلالاتها البلاغية لأهميته البالغة في علاج أبرز المشكلات في العصر الراهن التي قد تدفع بالكثيرين للخروج عن الطريق الحق متبعين ضلال أهوائهم بعد سيطرة اليأس على قلوبهم، لغرض تحقيق عدة أهداف منها (العيش مع القرآن فهماً وتدبراً، تسليط الضوء على آيات التفاؤل وإبراز جمالياتها الفنية، التركيز على دلالات الالفاظ والمعاني المكونة لهذه الصور، تربية الأمة على حسن الظن بالله)، والمنهج المتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، قسم البحث الى مبحثين ، كان غرض الأول منها التعريف بمصطلحات البحث، اما الثاني فيدرس الأساليب البلاغية في لملامح التفاؤل في صور اليأس في موضوعات مختلفة، اما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث في هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: التفاؤل، دراسة بلاغية، صور التفاؤل.

Abstract:

The topic (images of optimism in the Holy Qur'an in its rhetorical connotations) has been studied for its great importance in treating the most prominent problems in the current era that may push many to depart from the true path and follow the error of their desires after despair control their hearts, for the purpose of achieving several goals, including (living with the Qur'an in understanding and contemplation). Highlighting the verses of optimism and highlighting their artistic aesthetics, focusing on the semantics of the words and meanings that make up these images, educating the nation on good faith in God), and the approach followed in this research is the descriptive and analytical approach. The study was divided into two sections, the first of which was intended to introduce the main terms, while the second studies rhetorical methods in images of despair and on various topics. As for the conclusion, it included the most important results that were reached in this topic.

Key Words: Optimism, rhetorical study, and images of optimism.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، أما بعد:

للدراسات القرآنية أهمية بالغة؛ لهذا اخترت دراسة موضوع التفاؤل في القرآن الكريم في دلالاتها البلاغية، نظراً لما له من أهمية كبيرة في علاج اليأس الذي أصبح يسيطر على فئات كثير من المجتمع فإن الدافع الرئيس للدراسة في هذا الموضوع أنه يعالج مشكلة من أهم المشكلات في العصر الراهن، قد تدفع بالكثيرين إلى الخروج عن الطريق الحق متبعين ضلال أهوائهم بعد أن سيطر اليأس على قلوبهم بسبب ضيق العيش مثلاً ووعود الشيطان الكاذبة وجملة الابتلاءات التي تصيب الإنسان في الحياة الدنيا، لذا نحن بحاجة إلى التفاؤل وهذا ما يحثنا عليه ديننا، لذا أردت البحث في هذا الموضوع كون القرآن كتاب التفاؤل الأول الذي فيه العلاج الأمثل للنفس الإنسانية، فعند اليأس حين نلتجئ للقرآن نجد الآيات تلتف حول قلوبنا تنزع منها حزنها وتبث فيها التفاؤل للحياة، فعندما تبتلى يأتي التفاؤل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾البقرة: ١٥٥ - ١٥٧، ومثل هذا في القرآن كثير.

الدراسات السابقة في هذا الموضوع قليلة جداً وخاصة في مجال الدراسات القرآنية من هذه الدراسات: (التفاؤل في القرآن الكريم دراسة تطبيقية)، إعداد: سامي بن عبد العزيز العفيطان بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور الصافي صلاح الصافي.

في بحثنا هذا سنجيب الأسئلة المتعلقة عن البحث منها التساؤل عن وجود ملامح التفاؤل في صور اليأس؟ وما الأساليب البلاغية التي جاءت بها؟، وما مفهوم التفاؤل؟

كما تكمن أهمية البحث من كونه يبحث في كتاب الله عز وجل، لإيصال رسالة إلى الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء إن من كان مع الله كان الله معه، لا يحزنه شيء ولا يشقى؛ فتكون أمتنا أمة متفائلة بعطاء الله محسنة الظن به، متدبرة للقرآن لا يفوتها الالتفات إلى الجمال الفني للجملة القرآنية وطريقة صياغة الألفاظ، معبرة عن ادق المعاني وأجملها بهذه الصور المعجزة.

كما نبتغي من خلال بحثنا تحقيق عدة أهداف منها:

١. العيش مع القرآن فهماً وتدبراً.
٢. تسليط الضوء على الآيات القرآنية الدالة على التفاؤل وإبراز جمالياتها الفنية التي تعطي صورة متناسقة غاية في الجمال والاتقان.

٣. الالتفات إلى جماليات الصور البلاغية وابرازها، والتركيز على دلالات الالفاظ والمعاني المكونة لهذه الصور.

٤. تربية الأمة على حسن الظن بالله والتوكل عليه لننشئ جيلاً متفائلاً بعطاء الله وكرمه، مؤمناً بقدره، يُحسن التوكل على الله تعالى، أخذاً بالأسباب.

إن المنهج المتبع في هذا البحث: وصفي تحليلي، أما مصطلحات البحث: (التفاؤل، دراسة بلاغية).

أما تقسيم البحث فسيضم عدة مباحث (المبحث الأول منها سيدور حول مفهوم التفاؤل في المعيار الحسي والمعنوي الغرض منه التعريف بمصطلحات الدراسة ليتسنى لنا الفهم الصحيح والاستدلال الراجح، ثم يليه المبحث الثاني بعنوان: صور اليأس بملامح تفاؤلية، درست فيه التفاؤل في صور اليأس في موضوعات عدة، مع بينان دلالة معاني الآيات وبلاغتها وكيفية الافادة منها.

فما جاء في هذا البحث فبفضل الله ومنه وكرمه، إن أصبت فإنه بتوفيق ربِ وإن أخطأت فبتقصير مني، ولله الحمد دائماً وأبداً.

المبحث الأول: (مفهوم التفاؤل في المعيار الحسي والمعنوي)

المطلب الأول: معنى التفاؤل في المعيار الحسي

أولاً: معنى التفاؤل لغة: إن الجذر الثلاثي لكملة التفاؤل هو (فأل) بين معنى الفأل كثير من علماء اللغة: قال الفراهيدي:(الفَأْل معروف وقد تفاءلت بكذا وذلك ضد الطِّيرَة)[١]، اما في مقاييس اللغة قال أبو الحسين: (الفاء والألف واللام. الفأل: ما يُتفاءَل به.)[٢]، والجمع فؤول، وقال الجهوري الجمع أفؤل، والفأل فيما يستحب والطيرة فيما يكره، وإن الفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء[٣]، وعبر عنه الفيومي قائلاً:(الْفَأْلُ بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وَيَجُوزُ التَّخْفِيفُ هُوَ أَنْ تَسْمَعَ كَلَامًا حَسَنًا فَتَتَيَمَّنَ بِهِ)[٤]، والاصل في الفأل (الكلمة الحسنة) التي إذا سمعها مريض تأول منها ما يستدل به على برئه من مرضه، وكانت العرب مذهبها واحد في الفأل والطيرة لكن النبي (ﷺ)أثبت الفأل وأستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها[٥]، الفأل هو قولٌ أو فِعْل يُستبشر به، ضدّه شُؤْم: يقال مثلاً "المطر فأل خير، يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ، وقرأ الفأْل: أي تنبّأ بالمستقبل، ولا فأل عليك: دعاء معناه: لا ضير ولا شرَّ عليك.[٦]

يتضح مما تقدم من معانٍ أن التفاؤل مصدر فأل، وهو ما يستبشر به من قول أو فعل.

المطلب الثاني: معنى التفاؤل في المعيار المعنوي:

أولاً: تعريف التفاؤل اصطلاحاً: التفاؤل هو ضد الطيرة أو التشاؤم فعند البحث نجد عدة تعريفات منها:

(أَنَّهُ كَانَ يَتَفَاءَلُ وَلَا يَتَطَيَّر، -أي انه كان يتفاءل ولا يتشاءم-، يُقَالُ: تَفَاءَلْتُ بِكَذَا وتَفَأَّلْتُ عَلَى التَّخْفِيفِ والقَلْب. وَقَدْ أُولِعَ النَّاسُ بتَرك همْزِه تَخْفِيفًا. وإنَّما أحَبَّ الفَأْل، لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا أمَّلُوا فَائِدَةَ اللَّهِ تَعَالَى، ورَجَوْا عائدَتَه عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ)[٧].

(وَكَانَت العربُ مذهبها فِي الفأل والطِّيَرة واحدٌ، فَأَثْبت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم الفالَ وَاسْتَحْسنهُ، وأَبْطَل الطِّيرَة وَنهى عَنْهَا.) [٨]

(وَأَمَّا الْفَأْلُ فَهُوَ مَا يُظَنُّ عِنْدَهُ الْخَيْرُ، مِثْلُ الْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ يَسْمَعُهَا الرَّجُلُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ نَحْوُ يَا فَلَّاحُ يَا مَسْعُودُ وَمِنْهُ تَسْمِيَةُ الْوَلَدِ وَالْغُلَامِ بِالِاسْمِ الْحَسَنِ حَتَّى مَتَى سَمِعَ اسْتَبْشَرَ الْقَلْبُ)[٩].

والآن أتضح لنا معنى التفاؤل والفرق بينه وبين الطيرة إلا أنه ما تقدم من تعريفات ليست بالمعنى الدقيق للتفاؤل اليوم فمن خلال اطلاعي على الموضوع أُعرفُ التفاؤل بأنه (صفة في الإنسان أساسها التوكل على الله وحسن الظن به، تجعله يتوقع الخير ويستبشر بالمستقبل).

ثانياً: الاستعمال القرآني للتفاؤل:

لم يرد لفظ التفاؤل في القرآن الكريم بشكل صريح في الآيات الكريمة ولكن نستدل على معاني التفاؤل من خلال سياق الآيات الكريمة وما تبعثه في نفس القارئ أو المسامع لهذه الآيات من صور إيمانية رائعة تستقر في قلبه وتغير من نظرته للأمور ليتوكل على الله، عاملاً بما أمر موقناً بجزيل العطاء دون ملل أو تعب.

إن الاستبشار بالخير والتوكل على الله تعالى ورجاء عفوه ورزقه ورحمته من صفات المؤمنين فقد أكدَ الله تعالى ونبيه الأكرم على هذه الصفة، كما جاء في الأثر عنه (ﷺ):(حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ:(سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ).[١٠] فقد بين لنا نبينا الأكرم بأن الفأل يكون بالكلمة الحسنة ومن أحسن من الله حديثاً؟ فصور التفاؤل في القرآن جلية واضحة من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

المبحث الثاني: (صور اليأس بملامح تفاؤلية)

ندرس في مبحثنا هذا الآيات القرآنية التي صورت التفاؤل في القرآن الكريم وأساليبها البلاغية كلٍ حسب سياق الآيات والمواضيع التي تعالجها.

المطلب الأول: الأساليب البلاغية لملامح التفاؤل في صورة اليأس عند الأسقام:

من أعظم صور التفاؤل عند الأسقام التي صورها القرآن والتي تمثلت بصبر وتوكل نبي الله أيوب (عليه السلام) عند ما أصابه السقم كما جاء في، قوله:(۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ) الأنبياء: ٨٣-٨٤

هذه الصورة تعطي التفاؤل والأمل بإجابة الدعاء، والشفاء من السقم بعد أن طال المرض وأشتد الألم، فكان اختباراً لأيوب عليه السلام من ربه، فوجده صابراً مؤمناً بقضاء الله وقدره، فتجلت بهذه الصورة القرآنية أروع المعاني وأجمل صور التفاؤل بالله ورحمته بأفضل الأساليب وأبلغها لتؤثر في النفس تأثيراً بالغاً، فتطرق المفسرون واللغوين لهذه الصور وهذه الأساليب ومنهم الطوسي: حين فسر قوله تعالى: كان بمعنى وأذكر يا محمد أيوب إذ نادى ربه حين دعاه ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي نالني من المرض والضعف ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فارحمني[١١]، وكان هذا من اللطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة فذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بما يطلبه من الله،[١٢] بمعنى أن لا أحد أرحم منك، وهذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من بلاء وهو من لطيف الكنايات في طلب الحاجات، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ أي أجبنا دعاءه ونداءه وأزلنا ما به من الأوجاع والأمراض ورجعنا له أمواله التي هلكت وأهله أيضاً رحمة من الله عليه، ليكون موعظة لكلِ عاقلٍ في الصبر والانقطاع إلى الله تعالى عند الابتلاء.[١٣]

نلاحظ مما تقدم في تفسير هذه الصورة كيف إن اساليب البلاغة تجلت واضحة لإظهار معنى ومراد الآيات؛ فكان في أسلوب النداء إظهاراً للضعف وطلباً للاسترحام، كما نجد أسلوب الكناية الرائع في قوله: ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فكذر نفسه بأن الله ارحم الراحمين كناية عن المطلب وهو رفع المرض وإزالة الهم وعودة الأموال والأولاد فكان منه الدعاء ومن الله جزيل الرحمة وجميل الاستجابة والعطاء فكانت الاستجابة مباشرة تعقب الدعاء بعد أن طال الصبر على البلاء.

وضح محمد الصابوني عند بيانه وجوه البلاغة في الآية إنه يوجد طباق الاشتقاق في قوله﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[١٤]، وهذا رأي شخصي من المفسر لم يتطرق له غيره من المفسرين أو علماء البلاغة.

تكرر ذكر هذه القصة مرة أخرى بقالبٍ جديدٍ من الألفاظ وأسلوب أكثر روعة وأكثر تأثيراً وتفصيلاً في قوله تعالى:(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)ص: ٤١ - ٤٣

فقال الله تعالى أذكر يا محمد عبدنا أيوب (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) بلسان الافتقار والاضطرار(أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) فأسند المس إلى الشيطان لأن المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع[١٥]، على عكس ما ورد في الآيات السابقة من إسناد المس إلى الضر،–فأن دلالة اللفظ في الصورة الثانية أكثر دلالة على السقم والتعب والألم الجسدي والنفسي إلا إنه لم يفقد الأمل ولم ييأس من رحمة الله (ارْكُضْ برجْلِكَ) (مقول لقول مقدر معطوف على نادى أى فقلنا له أركض برجلك أي اضرب بها)[١٦]، الأرض فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب.[١٧]

فمما تقدم تصور لنا هذه الصورة القرآنية الحركة والسعي فبعد الدعاء جاءت الاستجابة لهذا الدعاء مقرونة بأمر السعي والحركة للشفاء الذي عبر عنه تعالى بقوله: (ارْكُضْ برجْلِكَ) لتغتسل بهذا الماء فيبرد ألمك ويروى ظمئك ونهب لك أموالك وأولادك وزوجتك ليس كالسابق بل أكثر من ذي قبل، كما جاء في تفسير ابن عاشور: (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ) أي فوهبنا له عوضاً عن أهله، ومعنى قوله:﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي ضعف عدد أهله من بنين وحفدة.[١٨]

(رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) فأن المعنى هنا نفس المعنى الذي جاء في سورة الأنبياء، فما بين الآيتين من تغيير يسير هو مجرد تفنن في التعبير لا يقتضي تفاوتا في البلاغة، وأما ما بينهما من مخالفة في قوله هنا: (وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) وقوله في سورة الأنبياء (وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ)، فإن قوله:(وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) فإن الذكرى التذكير بما خفي أو بما يخفى وأولوا الألباب هم أهل العقول، أي تذكرة لأهل النظر والاستدلال، (وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ) فكانت في ذلك ذكرى العابدين أي الممتثلين أمر الله المجتنبين نهيه، فإن مما أمر به الله الصبر على ما يلحق المرء من ضر لا يستطيع دفعه لكون دفعه خارجاً عن طاقته فختم بخاتمة إن في ذلك رحمة من الله بالعباد وذكر للعابدين.[١٩]

نلاحظ في هذه الآية استهلت بإنشاء طلبي (أسلوب الأمر)، على العكس من الآية الأولى التي بدأت بأسلوب الإخبار.

كما نستنتج بعض طرق العلاج في آيات هذه الصورة:

- إذا ذكرنا بلاء أيوب ومحنته وصبره وطنّا أنفسنا على الصبر على شدائد الدنيا مثل ما فعل أيوب (ع).[٢٠]
- (على الرغم من أن نبي الله أيوب (ع) كان صابراً عندما ذهب ماله وفقد أولاده وأبتلي بمرض شديد لمدة طويلة، فصبر دون أن يتضجر أو يعترض على حكم الله، ولكن ذلك لم يمنعه من الاستغاثة بالله والابتهال إليه، لأن الدعاء والمداومة على ذكر الله والتضرع إليه هو ما يريده الله سبحانه من عباده الصالحين لا سيما في حال البلاء)[٢١].
- (في دعاء أيوب (ع) نلاحظ أدب الدعاء مع الله سبحانه حيث إنه لا يزيد في دعاءه على وصف حاله بأني مسني الضر، أو مسني الشيطان، ووصف الله تعالى بصفته أرحم الراحمين، فلا يدعو بتغيير حاله صبراً على بلائه ولا يقترح على ربه شيئاً تأدباً معه وتوقيراً.)[٢٢]
- إن دعاء أيوب بهذه الثقة، وهذا الأدب والإخلاص، ما كان من الله إلا أن يجيب دعاءه بإزالة من نزل عليه من بلاء وجعله سليماً معافى، فلم يخيب رجاء أيوب (ع) وكذلك لن يخيب رجاء كل مؤمن صبر على حكم الله ودعاه في السراء والضراء. [٢٣]

وبهذا ننهي دراسة الصورة الأولى من صور التفاؤل لننتقل إلى دراسة غيرها من الصور.

بعد ما بينا صورة التفاؤل التي تجلت في آيات القرآن الكريم عند الحديث عن قصة نبي الله يعقوب (ع) نبين الآن صورة أخرى من صور التفاؤل الا وهي قصة نبي الله يونس (عليه السلام)، فمن منا يصبر عند الألم أو الخوف ولكن نبي الله يونس كان صبوراً، وعلى يقين برحمة ربه وبأنه منجيه من الظلمات داخل بحر ومن بطن حوت التقمه، كما حكت الآيات المباركة، في محكم الكتاب العزيز:

(وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) الأنبياء: ٨٧-٨٨.

(وَذَا النُّونِ)، أي وأذكر يا محمد صاحب الحوت فالنون هو الحوت، وصاحبها يونس (عليه السلام)[٢٤]،(إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا)، (-أي انه-برم بقومه طول ما ذكرهم فلم يذّكّروا، وأقاموا على كفرهم، فراغمهم وظنّ أنّ ذلك سائغ، حيث لم يفعله إلّا غضبا للّه وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله؛ وقد كان الأولى به أن يصابر وينتظر الإذن من اللّه-جلّ اسمه-فى مهاجرتهم. فأبتلى ببطن الحوت. ومعنى مغاضبته لقومه: أنّه أغضبهم بمفارقته، لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها.)[٢٥]

(فَظَنَّ أن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ)، أن نقدر، نقدّر، بالتخفيف والتثقيل، ويقدر على البناء للمفعول مخففاً ومثقلاً، وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبته، -ولا بد من تبادر بعض الأسئلة أو الشبهات إلى الذهن، تكون الإجابة عليها بذكر ما روي عن ابن عباس-إنه دخل على معاوية فقال: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا بك. قال: وما هي يا معاوية، فقرأ هذه الآية وقال: أو يظن نبيّ اللّه ألا يقدر عليه؟ قال: هذا من القدر لا من القدرة. والمخفف يصح أن يفسر بالقدرة، على معنى: أن لن نعمل فيه قدرتنا، وأن يكون من باب التمثيل، بمعنى: فكانت حاله ممثلة بحال من ظنّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه، من غير إنتظار لأمر اللّه. ويجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشيطان، ثم يردعه ويرده بالبرهان، كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس إليه في كل وقت)[٢٦]

(فَنَادَىٰ) بعد أن كان ما كان من المساهمة وإلتقام الحوت في (فِي الظُّلُمَاتِ) أي الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل[٢٧]، والنداء توبة صدرت منه عن تقصيره أو عجلته أو خطأ إجتهاده، (أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) و لذلك قال: (إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) مبالغة في اعترافه بظلم نفسه، فأسند إليه فعل الكون الدال على رسوخ الوصف، وجعل الخبر أنه واحد من فريق الظالمين وهو أدل على أرسخية الوصف، أو أنه ظن بحسب الأسباب المعتادة أنه يهاجر من دار قومه، ولم يظن أن اللّه يعوقه عن ذلك إذ لم يسبق إليه وحي من اللّه.و {أَنِّي} مفسرة لفعل نادى.و تقديمه الاعتراف بالتوحيد مع التسبيح كنّى به عن انفراد اللّه تعالى بالتدبير وقدرته على كل شيء.)[٢٨]

(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) (ثم بين-سبحانه-إنه قد أجاب ليونس دعاءه فقال: فَاسْتَجَبْنا لَهُ أي: دعاءه وتضرعه ونَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِ أي: من الحزن الذي كان فيه حين إلتقمه الحوت وصار في بطنه، وقد بين في آية أخرى، إن يونس-عليه السلام-لو لم يسبح اللّه للبث في بطن الحوت إلى يوم البعث. قال تعالى: (فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.)[٢٩]

(وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) (بشارة لكل مؤمن يقتدى بيونس في إخلاصه وصدق توبته، ودعائه لربه، أي: ومثل هذا الإنجاء الذي فعلناه مع عبدنا يونس، ننجي عبادنا المؤمنين من كل غم، متى صدقوا في إيمانهم، وأخلصوا في دعائهم.)[٣٠]

بناء على ما بيناه يتضح بعض أساليب البلاغة التي جاءت في هذه الصورة وهي:

بدأت الصورة بأسلوب الخبر لتخبرنا قصة صاحب الحوت، مع يوجد المجاز العقلي (العلاقة السببية) في قوله (إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ)

كان في أسلوب النداء توبة وندم على ما صدر منه من استعجال ومبالغة في الاعتراف بظلم النفس،

بالإضافة الى الكناية فقد كنى بالتسبيح عن انفراد اللّه تعالى بالتدبير وقدرته على كل شيء.

بعض طرق العلاج بآيات هذه الصورة:

- يستفاد من خلال أحداث هذه القصة إن أصحاب الدعوات عليهم بالصبر و تحمل إنكار الناس وتكذيبهم لدعواتهم، كما لا يجوز اليأس من صلاح النفوس واستجابة القلوب لها فعليهم الاستمرار مستعينين بالله متوكلين عليه فأنه يجيب دعاء المؤمنين في كل مكان حافظا عباده ويرعاهم.

وبهذا نكون قد أنهينا دراسة هذه الصورة من حيث بيان معناها ودراسة بلاغتها.

المطلب الثاني: الأساليب البلاغية لملامح التفاؤل في صور اليأس عند فقد الأبناء.

إن الكتاب العزيز جسد لنا أروع صور الصبر والتضحية والقبول بقضاء الله وقدره، وإن من أصعب الاختبارات التي يختبر الله فيها عبده هو الفقد فكيف إذا كان فقد فلذة الكبد وزينة الحياة الدنيا، ارتأينا أن نتناول بالدراسة هذه الصورة الرائعة من صورة التضحية والصبر المتمثلة بقصة الذبيح،(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)، سورة الصافات) ١٠٣-١٠٥

تتحدث الآيات الكريمة عن قصة نبي الله إبراهيم (ع) مع ابنه إسماعيل (ع)، بين معنى هذه الآيات عدة مفسرون في كتبهم التفسيرية نبين معنى هذه الصورة وأساليبها حسب ما ذكروا فيما يلي:

(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أي أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. "معه" ليست متعلق ببلغ ولا بلسعي بل هي بيان بمعنى أنه بلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي مع أبيه، أني أرى في المنام أني أذبحك ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة،[٣١] فبين ذلك الفخر الرازي بقوله:(قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ)، (والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين، لأن الحال إما حال يقظة وإما حال منام، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق، كان ذلك هو النهاية في بيان كونهم محقين صادقين في كل لأحوال، والله أعلم.)[٣٢] – اي إن نبي الله أراد تنفيذ الرؤيا فشاور ابنه إسماعيل بقوله –،(مَاذَا تَرَىٰ) ، فهي كلمات المالك لأعصابه، المطمئن للأمر الذي يواجهه، الواثق بأنه يؤدي واجبه. وهي في الوقت ذاته كلمات المؤمن، الذي لا يهوله الأمر فيؤديه، في اندفاع وعجلة ليخلص منه وينتهي، ويستريح من ثقله على أعصابه، والأمر شاق ما في ذلك شك فهو لا يطلب إليه أن يرسل بابن إلى معركة، ولا يطلب إليه أن يكلفه أمراً تنتهي به حياته. إنما

يطلب إليه أن يتولى هو بيده. يتولى ماذا؟ يتولى ذبحه، وهو مع هذا يتلقى الأمر هذا التلقي، ويعرض على ابنه هذا العرض؛ ويطلب إليه أن يتروى في أمره، وأن يرى فيه رأيه! إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه. وينتهي. إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر.)،[٣٣] (فأجابه إسماعيل قائلاً: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) أي قال إسماعيل: أمضِ لما أمرك الله من ذبحي، وأفعل ما أوحي إليك، سأصبر على القضاء الإلهي، وأحتسب ذلك عند الله عز وجل.)[٣٤]،

(فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) –أي– أسلما واستسلما بمعنى واحد أي أنقاد وخضع للأمر الإلهي وحذف المتعلق لظهوره من السياق أي أسلما لأمر الله تعالى فاستسلام إبراهيم بالتهيؤ لذبح ابنه، واستسلام إسماعيل (ع) بطاعة الأب فيما بلغه عن ربه، وتله: أي صرعه على الأرض، وهو فعل مشتق من التل وهو الصبرة من التراب، تشبيها لشدة التمكين كانه القاه من يده الى الأرض، أما للجبين فإن الجبين أحد جانبي الجبهة، أي أنه القاه على جانبٍ بحيث يباشر جبينه الأرض من شدة الاتصال،[٣٥] فبعد أن القاه لينحره جاء النداء الإلهي على إبراهيم (ع) فقد أسند النداء لله عزل وجل لأنه الآمر بها، فكان تصديق الرؤيا بتحقيقها واقعيا في الخارج بأن يعمل صورة العمل الذي رآه، إذ حصل بُعدها في الخارج ما يماثل صورة الرؤيا،[٣٦](وَجُمْلَةُ (إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) تَعْلِيلٌ لِجُمْلَةِ(وَنَادَيْنَاهُ) لِأَنَّ نِدَاءَ اللَّهِ إِيَّاهُ تَرْفِيعٌ لِشَأْنِهِ فَكَانَ ذَلِكَ النِّدَاءُ جَزَاءً عَلَى إِحْسَانِهِ).[٣٧]

من خلال ما تقدم نلخص أسلوب البلاغة في هذه الصورة فيما يأتي:

بدأت الصورة بأسلوب الخبر لتخبر عن قصة رجل عظيم كان خليل ربه فلا يصل إلى هذا المقام إلا من أستحقه فأظهر الله تعالى صفاء الخلة من خلال هذا الاختبار.

كما يتبين لنا أسلوب النداء في {يا بني} حيث أستعمل معه الأسلوب اللين الرقيق، كما أستعمل أسلوب التوكيد {إني أرى في المنام أذبحك} لأهمية الخبر الذي سيلقيه على مسامع ابنه فهو واقع ثابت، ويظهر حنان الأب وعطفه في أسلوب الأمر{فأنظر} فالغرض منه المشورة مع علمه بأن ابنه لن يخالف أمر الله.

يتكرر في هذه الصورة أسلوب النداء في {يا أبتِ} ليبادل الأب ابنه العطف والحنان بإظهار البر والاحترام، {أفعل ما تؤمر} أسلوب الأمر هنا للتسليم من قبل أسماعيل لأمر ربه.

يتبين لنا أسلوب التشبيه {ولما تله للجبين} تمثيلاً لشدة الإلقاء على الأرض.

إن في أسلوب النداء الصادر من قبل الله تعالى لنبييه إبراهيم كان لغرض التعظيم لما صدر من قبل نبيه من تنفيذ الرؤيا والنجاح في هذا الاختبار الصعب.

تبين لي مما تقدم من إيضاح ودراسة هذه الصورة التي تجسد صبر وتضحية هذه الشخصية الإسلامية العظيمة، فقد كان صابراً لحكم ربه حين كان عقيماً لأكثر من أربعين سنة وليس له من الذرية من أحد كما

ذكرت الآيات القرآنية، فبعدما جاءته البشرى ورزق من الولد فإذا هو يرى أنه يذبحه وصدق أمر ربه فأتخذه الله خليلاً، وكان فعلاً خليل ربه لا يتعلق قلبه بشيء سوى الله تعالى، كما نلاحظ الأسلوب الجميل بطريقةِ عرض إبراهيم سؤال الذبح على ولده فأخبره إنه يرى ذبحه، وكأنه يسأله الشيء المألوف، بقوله: يا بني فكان النداء لأثبات صلة الرحم بينهما وليثبت في قرارة نفس ابنه بأن الأمر الذي سيطلبه هو أمر الله، فما أن سأل سؤاله فما كان جواب الابن ألا في منتهى الأدب والتواضع مستعملاً أعذب الألفاظ وأقربها لنفس أبيه فقال يا :أبت ليبين أنه مقر بل وأيضا خاضع لأمر الله وإن صلة الأب بابنه لا انقطاع لها. أفعل ما يأمرك الله وإني إن شاء الله ستجدني من الصابرين لأمر ربي المتوكلين عليه، فهذه الصورة وهذا الأدب يعطي عدة معاني وعدة مبادئ وصور لا تسعها الكلمات ولا تكفي لها قوالب الالفاظ فمن منا اليوم يصبر حين يصاب ابنه بأذى إلا ونراه يندب الحظ أو يشكو ما أصابه متذمراً...!

بعض طرق العلاج بآيات تفاؤل هذه الصورة:

- ن الحكمة في هذه القصة أنّ إبراهيم اتخذه اللّه تعالى خليلاً، فلما سأل ربه الولد ووهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبة ولده، فأمر بذبح المحبوب لتظهر صفاء الخلة، فعلى المؤمن أن يخلص في حب ربه يصبر على قضاءه وحكمه.[٣٨]
- (جسد نبي الله إبراهيم (ع) معنى الشجاعة في الموقف الرسالي على خط البطولة الروحية التي استمدت حيويتها وثباتها وصلابتها من الإيمان بالله والانفتاح عليه، والوعي للسر الإلهي الذي يحتوي العباد في العمق الشامل لكل مفردات حياتهم.)[٣٩]
- إن هذا الذي ابتليا به هذين النبيين الكريمين، لهو البلاء الواضح، والاختبار الظاهر، الذي به يتميز قوي الإيمان من ضعيفه، والذي لا يحتمله إلا أصحاب العزائم العالية، والقلوب السليمة، والنفوس المخلصة للّه رب العالمين فعلى المؤمن أن يقتدي بالأنبياء في عزمهم وصبرهم وقوة إيمانهم.[٤٠]

بعدما تناولنا في مطالب البحث الصورة السابقة التي عشنا معها أعظم المفاهيم وبأعذب الأساليب، نأتي لدراسة صورة من أكثر الصور التي تعطي ليس التفاؤل فقط عند موت الابناء بل وحتى العلة من ذلك الفقد، التي تتمثل في قصة نبي الله موسى(ع) مع الخضر حين انطلقا فقتل الغلام كما حكت الآيات الكريمة ذلك، (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) الكهف: ٧٤

فلما أرادا الافتراق أخذ يبين العبد الصالح لسيدنا موسى (عليهما السلام)، ما لم يستطع عليه الصبر؛ فبين له سبب قتل للغلام، (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) الكهف:٨٠-٨١

(فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ)" فانطلقا إشارة للسعي والحركة في طلب العلم تأكيداً على ملازمة العلم للحركة والسعي فلا علم يتحصل دون سعي، بعدها تبين الآيات قيام سيدنا الخضر (ع) بقتل الغلام، وقد تعقب القتل لقاء الغلام.

(" وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا) أستنكر موسى (ع) هذا الفعل سائلاً الخضر(ع) أقتلت نفساً زكية: أي مطهرة من الذنوب، لأنها طاهرة عنده لأنه لم يرها قد أذنبت، أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث، بغير نفس: أي لم تقتل نفساً ليقتص منها،[٤١] وصف هذا الفعل ب النكر فأن النكر هو ما أنكرته العقول ونفرت منه النفوس وهو أبلغ في تقبيح الشيء من الإمر.[٤٢]

(" وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا)(فهذا الغلام الذي لا يبدو في حاضره ومظهره أنه يستحق القتل، قد كشف ستر الغيب عن حقيقته للعبد الصالح، فإذا هو في طبيعته كافر طاغ، تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان، وتزيد على الزمن بروزاً وتحققاً .. فلو عاش لأرهق والديه المؤمنين بكفره وطغيانه، وقادهما بدافع حبهما له أن يتبعاه في طريقه. فأراد اللّه ووجه إرادة عبده الصالح إلى قتل هذا الغلام الذي يحمل طبيعة كافرة طاغية، وأن يبدلهما اللّه خلفاً خيراً منه، وأرحم بوالديه.)[٤٣]

(" فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا) (قال الخضر العالم: فأردنا أن يرزقهما اللّه بدل هذا الولد ولداً خيراً منه ديناً وصلاحاً وطهارةً من الذنوب، وأقرب رحمةً لوالديه، وعطفاً عليهما، وبراً بهما وأكثر شفقة عليهما.)[٤٤]

تبين لنا هذه الصورة أهمية الصبر وإن الله هو العادل فلا يظلم من عباده أحداً، وإن كانت ظروف الحياة صعبة والأقدار في ظاهرها شر لنا إلا أن الخير فيما يكتبه الله على عباده دائماً، فما للعباد إلا أن يصبروا وينتظروا بشارة الله لهم، جزاءً لصبرهم وإيمانهم بقضاء الله.

مما تقدم نلخص أساليب البلاغة في هذه الصورة بالآتي:

بدأت الصورة بالخبر فتخبر عن قصة رائعة فيها من العلم والفائدة الكثير.

كما نجد الإشارة إلى السعي لطلب العلم والحركة في سبيل تحصله في لفظ الانطلاق

كما تضمنت الصورة من وجوه البيان والبديع (الحذف بالإيجاز فقد حذف لفظ كافر من قوله(واما الغلام) لدلالة قوله (" فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ)، بالإضافة الى التغليب (أَبَوَاهُ)المراد باللفظ أبوه وأمه.)[٤٥]

بعض طرق العلاج بآيات تفاؤل هذه الصورة:

- (إن رحلة نبي الله موسى (ع) تؤكد على أهمية العلم فهي تحكي قصة العالم لطلب الازدياد في العلم والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء وإن بعدت أقطارهم كما كان دأب السلف).[٤٦]
- عدم السكوت على الخطأ المتمثل في موقف سيدنا موسى (ع) عندما أستنكر قتل الغلام فهو يرى إن الخضر (ع) فعل شيئاً عظيماً لا يمكن السكوت عنه فلم يكن ناسياً ولا غافلاً، ولكنه كان قاصداً أن ينكر المنكر الذي لا يصبر على وقوعه بالرغم من تذكره لوعده.[٤٧]
- الصبر والتسليم لقضاء الله وقدره، فعند ذكر قصة قتل الغلام فهي كانت من قبيل أهون الشرين وأخف الضررين، وتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى، فهذه الأمور وأن كانت مستنكرة في الظاهر إلا إنها خير في الحقيقة والواقع. [٤٨]
- إن الأبوين الصالحين كانا مثالاً للأيمان الفاعل الذي يريد الله أن يتجسد في الواقع بقوة وصلابة وامتداد، فكانت إرادته أن يجنبهما التجربة القاسية التي يتعرض لها الأبوان عندما يكون لهما ولد منحرف يعيش في دائرة الكفر والضلال، فالمؤمن الراسخ في إيمانه عندما يتعرض لتجربة مشابهة يرى حكمة الله فيها وــإن ما يأتي من الله له فيه الخير والصلاح دائماً.[٤٩]
- (تؤكد هذه القصة على الحكمة الكبرى التي لا يدركها الإنسان غالباً، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، فتترك الأمور في غيب الله الذي يدبر الأمر بحكمته ووفق علمه الشامل الذي يقصر عنه البشر الواقفون وراء الاستار لا يكشف لهم عما وراءها من الأسرار إلا بمقدار.)[٥٠]

المطلب الثالث: الأساليب البلاغية لملامح التفاؤل في صور اليأس عند القنوط من رحمة الله ومغفرته.

كما أسلفنا الذكر إن القرآن الكريم كتاب هداية أهتم بتنظيم الحياة البشرية على جميع الأصعدة للارتقاء بالنفس الإنسانية نحو تكالمها، ومما حرص تعالى على أن يثبته الله تعالى عند عباده عدم القنوط واليأس من رحمته، ووصف من القنوط واليأس بالظلال كما ذكرت الآيات القرآنية، فإنه كما ذم اليأس والقنوط حبذ التفاؤل والأمل لا سيما في رحمة الله ومن الآيات التي بينت ذلك وتجلت فيها صورة التفاؤل، (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) الزمر:٥٣ اي(قُلْ) – يا محمد– (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلوّ فيها.[٥١]

(ۗ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ)أي لا تيأسوا من مغفرته أولاً ولا تفضله ثانياً، ۚ(إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) عفواً لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيبٍ في الجملةِ وبغيره حسب ما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ*} ظاهرة في الإطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى: (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)* المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم، وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلا عن المغفرة وإطلاقها، وتعليله بأن اللّه يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع وتعليله بأن اللّه يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على إنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع–أي التأكيد على غفران جميع الذنوب صغيرها وكبيرها.)[٥٢]

تضمنت هذه الصورة من فنون البلاغة (الالتفات[٥٣] من التكلم إلى الغيبة (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ)والأصل: لا تقنطوا من رحمتي قال علماء البيان: وفي الآية الكريمة (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) من أنواع المعاني والبيان أمور حسان: منها إقباله تعالى على خلقه ونداؤه لهم، ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف، ومنها إضافة الرحمة للفظ الجلالة الجامع لجميع الأسماء والصفات، ومنها الإتيان بالجملة المعرّفة الطرفين المؤكدة بإن وضمير الفصل(إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۚ).)[٥٤]

بعد أن عرضنا بيان الآية من وجهة نظر المفسيرين الذين أتخذ تفسيرهم لوناً لغوياً أمتاز به حتى غلب على تفسيرهم بيان لغة القرآن وبلاغته فأتصفت به، وعرفنا ببعض وجوه البلاغة التي جاءت في الصورة، يتضح لنا جمال الآيات ووقعها على نفس القارئ والسامع وما تتركة من الأثر الجميل، فمهمها بلغت ذنوب العبد إن تاب قبلت التوبة ومحيت الذنوب لأن الله وعد عباده بالرحمة والمغفرة، وكيف لا وهو الغفور الرحيم فإن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له.

نبين الآن آية أُخرى تَعِدُ الذين رأهم الله تارةً متلزمين بأوامرهِ ومجتنبين نواهيه وتارةً أُخرى تزل أقدامهم عن طريق الحق فجتمعت أعمالهم منها الصالح ومنها السيء(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ۗ التوبة:١٠٢

(ۗ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) ذكر المفسرون عدة أقوال حول من هم هؤلاء الآخرون التي نزلت بهم الآية، نذكر منهم قول الفخر الرازي، (فيه قولان: الأول: إنهم قوم من المنافقين. تابوا عن النفاق. والثاني: إنهم قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك، لا للكفر والنفاق، لكن للكسل، ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا، وأحتج القائلون بالقول الأول بأن قوله: و{آخَرُونَ} عطف على قوله:{ ومِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ} والعطف

يوهم التشريك إلا أنه تعالى وفقهم حتى تابوا، فلما ذكر الفريق الأول بالمرود على النفاق والمبالغة فيه. وصف هذه الفرقة بالتوبة والإقلاع عن النفاق.)[٥٥]

(خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا)، (جاء ذكر الشيئين المختلطين بالعطف بالواو على إعتبار إستوائهما في وقوع فعل الخلط عليهما. ويقال: خلط كذا بكذا على إعتبار أحد الشيئين المختلطين متلابسين بالخلط، والتركيبان متساويان في المعنى، ولكن العطف بالواو أوضح وأحسن فهو أفصح.)[٥٦]، فيكون المعنى كما ذكر الطنطاوي(-اي- خلطوا عملهم الصالح وهو جهادهم في سبيل اللّه قبل غزوة تبوك، بعمل سيئ وهو تخلفهم عن الخروج إلى هذه الغزوة.)[٥٧]

(عَسَى اللَّهُ أن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ)، (إن كلمة عسى في القرآن الكريم واجبة محققة كما قال ابن جرير: «وعسى من اللّه واجب» فهو رجاء من يملك إجابة الرجاء سبحانه! والإعتراف بالذنب على هذا النحو، والشعور بوطأته، دليل حياة القلب وحساسيته، ومن ثم فالتوبة مرجوة القبول، والمغفرة مرتقبة من الغفور الرحيم، وقد قبل اللّه توبتهم وغفر لهم)[٥٨]

(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) تعليل لما أفادته من وجوب القبول)[٥٩].

نلاحظ في الآية الكريمة ليس فقط المعاني الرائعة، بل قوالب الالفاظ الجميلة التي أدت هذه المعاني بأفضل شكل فكانت آية في البلاغة والإعجاز، كالطباق في هذه الآية بين سيئاً وصالحاً، وغيرها من فنون البلاغية بعلومها الختلفة، علماً إن هذا لايجري فقط في هذه الآية بل في غيرها من الآيات ولكل آية أسلوب معين يتناسب مع الغرض المراد منها والمعنى المطلوب أداءه بهذه الأساليب.

ومن الآيات التي لا تجعل النفس تقنط أو تيأس من رحمة الله أو مغفرته،قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)

آل عمران:١٣٥-١٣٦

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً)(والذين يحتمل أن يكون موضعه جراً بالعطف على المتقين)[٦٠]، وقيل في الفاحشة إنها كل فعل قُبح في الشرع، وقيل أيضاً الفاحشة تعني الزنا[٦١]، (أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ) فظلم النفس يكون بأقتراف الذنوب،[٦٢] (وقيل أن الفاحشة الكبير وظلم النفس الصغائر).[٦٣]

(ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) (-أي-تذكروا عِقابه أو وعيده أو نهيه، أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه {فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ} فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين على عدم العودة لأقتراف الذنوب) [٦٤]

(وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) (إستفهام إنكارى والمراد بالذنوب جنسها كما فى قولك: فلان يلبس الثياب ويركب الخيل، لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من إستحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى: (إِلَّا اللَّهُ) بدل من الضمير المستكن فى يغفر أى لا يغفر جنس الذنوب أحد إلا اللّه خلا أن دلالة الاستفهام على الانتفاء أقوى وأبلغ لإيذانه بأن كل أحد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع إلى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين أو بين الحال وصاحبها لتقرير الإستغفار والحث عليه والإشعار بالوعد والقبول)[٦٥]

(وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا)(عطف على (فَاسْتَغْفَرُوا) أو حال من فاعله أي لم يقيموا أو غير مقيمين على الذي فعلوه من الذنوب فاحشةً كانت أو ظلماً أو على فعلهم، وأصل الإصرار الشد من الصر، وقيل: الثبات على الشي ويستعمل شرعاً بمعنى الإقامة على القبيح من غير إستغفار ورجوع بالتوبة)[٦٦]

(وَلَمْ يُصِرُّوا) إشارة إلى العلم المثير للإنفعال النفساني. وقد رتّبت هذه الأركان في الآية بحسب شدّة تعلّقها بالمقصود: لأنّ ذكر اللّه يحصل بعد الذنب، فيبعث على التّوبة، ولذلك رتّب الإستغفار عليه بالفاء، وأمّا العلم بأنّه ذنب، فهو حاصل من قبل حصول المعصية، ولو لا حصوله لما كانت الفعلة معصية. فلذلك جيء به بعد الذكر ونفي الإصرار، على أنّ جملة الحال لا تدلّ على ترتيب حصول مضمونها بعد حصول مضمون ما جيء به قبلها في الأخبار والصّفات.)[٦٧]

(أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)، (بعد ان أبان اللّه تعالى بعد وصف المتّقين بالأوصاف السابقة: أن أولئك المتّقين الموصوفين بهذه الصّفات جزاؤهم مغفرة من ربّهم على ذنوبهم، وأمن من العقاب، ولهم ثواب عظيم عند ربّهم في جنّات تجري من تحتها الأنهار، أي من أنواع المشروبات، وهم خالدون فيها أي ماكثون فيها، ونعم هذا الجزاء على تلك الأعمال الصالحة وهو الجنة، فهو تعالى يمدح الجنة، وحقّ له المدح، ففيها النعيم الأبدي المطلق، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[٦٨]

لقد تضمنت هذه الصورة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

(في قوله(وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) استفهام يقصد منه النفي أي: لا يغفر الذنوب إلا الله، وأيضا في قوله(أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ)الإشارة لهم بالبعيد للإشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل، (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)" المخصوص بالمدح محذوف بيكون الكلام بمعنى (ونعم اجر العاملين ذلك).[٦٩]

تبين لنا هذه الصورة إن الله يغفر الذنوب كبيرها وصغيرها، شرط الاستغفار والتوبة من الذنب وعدم الإصرار على الذنب، فليس هذا وحسب بل يجزيهم مغفرة من عنده ويسكنهم جناته، وهذا من بالغ اللطف في العباد.

بعض طرق العلاج بآيات تفاؤل هذه الصور:

- إن للّه تعالى أن يغفر جميع الذنوب الصادرة من المؤمنين، ويعفو عن الكبائر منها أيضا. وهذا متروك لمشيئة اللّه وفضله، فعلى المؤمن إلا ييأس من فضل الله ورحمته.[٧٠]
- (يغفر اللّه تعالى الذنوب بالتوبة من الشرك والكفر والمعاصي، والإنابة والرجوع إلى اللّه بالإخلاص والعمل الصالح، والخضوع له والطاعة لأوامره واجتناب نواهيه.)[٧١]
- إن من رحمة الله ويسر دينه أنه جعل مجرد الاعتراف بالذنب مقدمة للتوبة التي تتحقق إذا اقترن الاعتراف بالندم على ما مضى من الذنب والعزم على تركة مستقبلاً، فقد تاب الله عليهم، لأن التائب عن الذنب كمن لا ذنب له.[٧٢]
- إن من أوسع الأبواب التي يدخل منها الشيطان للنفس الإنسانية، بأنه يوهمه إن له قليل من العمل الصالح، وإن أعماله السيئة والكثيرة لا يمكن غفرانها، لذا فقد جاءت هذه الآيات لتبين أن الله غافر الذنب قابل التوب، وإنه لا يتغلب اليأس على الأمل لأن المؤمن لا ييأس روح الله، فيبقى في خطّ الرحمة والعفو وفي أجواء الأمل، لأن رحمته سبقت غضبه وهو الغفور الرحيم.[٧٣]
- (في هذه الآيات لون من تطمين المؤمن على أغيار نفسه، وعلى أنه عند ما يستجيب مرة لنزغات الشيطان، فهذه لا تخرجه من حظيرة التقوى، لأن اللّه جعل ذلك من أوصاف المتقين. فالفاحشة التي تكون من نزغ الشيطان وذكر العباد للّه بعدها، واستغفارهم مع الإصرار على عدم العودة، لا تخرجهم أبداً عن وصفهم بأنهم متقون.)[٧٤]
- (-نرى إن الله تعالى-قدم المغفرة على الجنة لأن التخلية مقدمة على التحلية فلا يستحق دخول الجنة من لم يتطهر من الذنوب والآثام.) [٧٥]

المطلب الرابع: الأساليب البلاغية لملامح التفاؤل في صور اليأس عند عدم الوفاق الزوجي

إن الدين الإسلامي أولى الأسرة الاهتمام الأكبر لأنها أساس المجتمع إن صلُحت لصلح، فأكد القرآن الكريم على الأسس السليمة لتكوين الأسرة الناجحة وام يغفل عن المشاكل التي تؤدي إلى فشلها، فوضع العلاج الناجح لأي مشكلة تواجهها فهو الخالق العالم بكل خلجات النفس، وما يمر به الزوجين من ضغوطات الحياة، فبين القرآن طرق التعامل السليمة.

الصورة الأولى تتمثل في، قوله(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) النساء: ١٩

(﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، (قال السدي: معناه خالطوهن، وخالقوهن، من العشرة التي هي المصاحبة بما أمركم اللّه به من المصاحبة، بأداء حقوقهن التي أوجبها على الرجال)[٧٦]، (فيحسن معها المقام والعشرة بالإنصاف في المبيت والنّفقة وحسن القول وبشاشة الوجه) [٧٧]

(فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ)(وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة البشرية من غير أن يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الأمور الموجبة لذلك، فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس وأصبروا على معاشرتهن)[٧٨].

(عَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (يفيد إمكان أن تكون المرأة المكروهة سبب خيرات فيقتضي أن لا يتعجّل في الفراق–وقد بينا سابقاً إن عسى من الله واجبة التحقق–، وهذه حكمة عظيمة، إذ قد تكره النفوس ما في عاقبته خير فبعضه يمكن التوصّل إلى معرفة ما فيه من الخير عند غوص الرأي. وبعضه قد علم اللّه أنّ فيه خيرا لكنّه لم يظهر للناس)[٧٩]

إن من فنون البلاغة في هذه الصورة: (الجناس[٨٠] المغاير بين كَرِهْتُمُوهُنَّ وبين تَكْرَهُوا)[٨١]

فهذه الصورة الرائعة التي تعطي التفاؤل والأمل للحفاظ على التماسك الأسري فالأسرة المسلمة حضيت بأجل الأهتمام فحتى مع كراهة النفس جعل الله الخير وليس هذا فقط بل الخير الكثير كأن يرزق بسبب هذه المرأة بكثير من الأولاد الصالحين أو تكون سببا في رزقه والله أعلم.

الآن نبين صورة أخرى للتفاؤل عند عدم الوفاق الزوجي فحين يتدبرها الإنسان حتماً سيعيد النظر في قراراته ونظرته للأمور وكيفية التعامل مع زوجته والتي تتمثل في قوله (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) الممتحنة:٧

(– عسى هنا– فعل مقاربة وهو مستعمل هنا في رجاء المسلمين ذلك من اللّه أو مستعملة في الوعد مجردة عن الرجاء قال في «الكشاف»: كما يقول الملك في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك.)[٨٢]

(﴿أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ (ي ربما أسلم أعداؤكم، وصاروا من أهل دينكم، فتحولت العداوة إلى مودة، والبغضاء إلى محبة، والفرقة والمخالفة إلى ألفة.)[٨٣]

(﴿ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ﴾ (أي مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال* وتسهيل أسباب المودة.)[٨٤]

نلاحظ صيغة المبالغة في آخر الآية(قدير، غفور، رحيم) وهذا كثير في القرآن، فمن بلاغة القرآن إيراد هذه الصيغ مع ما يتناسب معها بحسب سياق الكلام ففي آيات أخرى قد تكون مثلاً القوي العزيز أو العليم الحكيم.[٨٥]

بتأمل هذه الصورة تبين لي إن الدين دين مودة وحب والله قدير على أن يجعل بين المسلمين وأعدائهم المودة فكيف بالرجل وزوجته الذي جعله من آياته الدالة على وجوده أن خلق النفس وخلق منها زوجها وحتى مع حصول الكراهة الله قادرة على أن يجعل بينهم المودة والرحمة ويألف بين قلوبهم.

بعض طرق العلاج بآيات تفاؤل هذع الصور:

- وضع الله أسس الحياة الكريمة للفرد ومن هذه الأسس أسس الحياة الزوجية حيث حظيت الاسرة بالاهتمام الكبير في الدين الإسلامي، فضن حقوف جميع الأفراد فيها وخاصة المرأة بكونها نصف المجتمع والمربي للنصف الثاني، أمر تعالى بمعاشرة النساء بالمعروف وإيفائهن حقوقهن من المهر والنفقة.[٨٦]
- حفظ الله حقوق المرآة في الدين الإسلامي كما لم يحفظها لها أي تشريع بشري آخر، فحفظ لها حقوقها النفسية مراعياً طبيعتها الحساسة والرقيقة علاوة على الحقوق المادية، فنهى الزوج عن العبوس في وجه الزوجة بدون ذنب، أو أن يكون حديثه معها فظاً غليظاً فيجب أن يكون منطلقاً معها في القول اللين.[٨٧]
- (إن الغرض من هذه التشريعات هو تنمية الشخصية الإيمانية على أساس المبادئ والقيم الروحية الإلهية التي تحمي الإنسان من شهواته، وتحمي الآخرين الضعفاء من انحراف قوّته. وهذا هو السبيل القويم الذي يبني، من خلاله الإسلام، أسس الأمن الاجتماعي لدى الحاكم والمحكوم في حركة العلاقات الإنسانية، لأن الرادع الداخلي هو القوة الحقيقية التي يرتكز عليها الرادع الخارجي، فيما يخطط له الإسلام من وسائل الردع المتنوعة في القانون.) [٨٨]

- التأكيد على ضرورة إخضاع العواطف للعقل، فهذه لفتة قرآنية توحي للأزواج بالابتعاد عن الاستسلام للمشاعر السلبية الطارئة تجاه الزوجة التي قد تكون ناشئة عن نظرة سوء أو كلمة حمقاء فليس من الضروري أن تصدق هذه النظرة او تقترب من الواقع، فقد تنطلق البدايات في حركة السلب لتتحرك النهايات في حركة الإيجاب مما يفرض على الإنسان، انتظار العواقب النهائية لمعرفة الأبعاد الواقعية للموضوع.[٨٩]

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الطاعات، وفضله وكرمه تُقبل الطاعات، فأحمده على يسر وأعان ودبر وألان، وإني الآن أضع هذا الجهد البسيط بين أيديكم آملةً أن ينال استحسانكم، فإن أصبت فبتوفيق من ربٍ وإن أخطأت فبتقصير مني.

وبعد فإنه من المفيد في ختام هذه الدراسة، وبعد الغور في غمار التفاسير والخوض في أسرار البلاغة والبيان للقرآن، أن نورد أهم النتائج التي توصلت إليها:

١. للتفاؤل في القرآن الكريم دلالات حسية ومعنوية، علماً أن صور التفاؤل في القرآن كانت بأساليب متنوعة بين التشبيه والاستعارة إلا ان الأسلوب الغالب هو القصص القرآني.
٢. جميع الأخبار القرآنية التي عرضت في البحث حقائق ثابتة لا تحتمل الصدق أو الكذب فهي صادقة دائماً، بخلاف الاخبار التي يتناقلها الناس.
٣. التفاؤل لفظا غير موجود في القرآن إلا انا نستشعر وجوده في اغلب آيات القرآن لاسيما في القصص القرآنية كقصة صبر نبي الله أيوب وقصة إبراهيم عليهما السلام، فنلاحظ حسن الاختيار بعرض الوجه الحسن من القصة لرسم صورة متكاملة تؤثر في القارء أو السامع لهذه القصة، كما تتكرر أحيانا بعض القصص لفظا ومعنى أو تكرار المعنى فقط وهو وجه من وجوه البلاغة ودليل على الإعجاز القرآني.
٤. صورت الآيات صور لليأس بملامح تفاؤلية كصور اليأس عند الأسقام أو عند فقد الأبناء.
٥. يختلف أسلوب الآيات المكونة للصور التي تبث التفاؤل في القرآن، بما يتناسب وحال المخاطب والغرض من الكلام، فنجد التنوع في أساليب النظم وفنون البلاغة المستخدمة من الاستعارة والتشبيه أو الإيجاز والأطناب، ...الخ من فنون البلاغة.

وبهذا نكون قد أنهينا بحثنا سائلين المولى القبول والسداد والتوفيق.

الهوامش:

[١١] العين، ج٨، ص٣٣٦، باب اللام والفاء مادة (ف ل)

[٢] مقاييس اللغة، ج٤، ص٤٣٧، باب اللام والفاء و(و ا ي ء) معهما.

[٣] ينظر: لسان العرب، ج١١، ص٥٣١، فصل الفاء.

[٤] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج٢، ص٤٨٤، مادة "ف ول "

[٥]ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٧، ص١٥٣، مادة "طير".

[٦] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣، ص١٦٦٠، مادة "فأل"

[٧] النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص٤٠٥، مادة "فأل"

[٨] تهذيب اللغة، ج١٣، ص١١، مادة "طيرة".

[٩] أنوار البروق في أنواء الفروق، ج٤، ص١١٤٠.

[١٠] الجامع الصحيح، ج٧، ص١٣٥، مادة "الفأل" رقم ٥٧٧٥.

[١١] ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٢٧١.

[١٢] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣، ص١٣٠.

[١٣] ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، للفضل بن الحسن الطبرسي، ج٧، ص٩٤.

[١٤] صفوة التفاسير، ج٢، ص٢٥٤.

[١٥] ينظر: أنوار التنزيل واسرار التأويل، ج٥، ص٣١.

[١٦] تفسير ابي سعود العمادي، إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، ج٧، ص ٢٢٩.

[١٧] ينظر: المصدر نفسه، ج٧، ص٢٢٩.

[١٨] ينظر: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٦٥.

[١٩] ينظر: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٦٦.

[٢٠] ينظر: صفوة التفاسير، ج٢، ص ٢٤٩.

[٢١] من وحي القرآن، ج١٥، ص٢٥٤.

[٢٢] في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٣٩٢.

[٢٣] ينظر: التفسير الوسيط، ج٩، ٢٤١.

[٢٤] ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، ج٧، ص٤٨٠٠، وينظر: التبيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٢٧٣.

[٢٥] جامع الجوامع، ج٣، ص٢٦.

[٢٦] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٣، ص١٣١-١٣٢.

[٢٧] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٦، ص٨٣.

[٢٨] التحرير والتنوير، ج١٧، ص٩٧.

[٢٩] التفسير الوسيط، ج٩، ص٢٤٥.

[٣٠] المصدر نفسه، ج٩، ص٢٩٤.

[٣١] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص٥٣-٥٤.

[٣٢] مفاتيح الغيب المعروف ب (تفسير الفخر الرازي)، ج٢٦، ص٣٥٥.

[٣٣] في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٩٩٥.

[٣٤] التفسير المنير، ج٢٣، ص١٢٠.

[٣٥] ينظر: التحرير والتنوير، ج٢٣، ص١٥٣.

[٣٦] ينظر: المصدر نفسه، ج٢٣، ص١٥٣.

[٣٧] المصدر السابق، ج٢٣، ص١٥٤.

[٣٨] ينظر: صفوة التفاسير، ج٣، ص٣٦.

[٣٩] من وحي القرآن، ج١٩، ص٢٠٩.

[٤٠] ينظر: التفسير الوسيط، ج١٢، ص١٠٢.

[٤١] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٢، ص٧٣٦.

[٤٢] ينظر: مفاتيح الغيب، ج٢١، ص٤٨٧.

[٤٣] في ظلال القرآن، ج٣، ص٢٢٨١.

[٤٤] التفسير المنير، ج١٦، ص١١.

[٤٥] صفوة التفاسير، ج٢، ص١٨٤.

[٤٦] التفسير المنير، ج١٥، ص٢٩٦.

[٤٧] ينظر: صفوة التفاسير، ج١٥، ص٢٩٦.

[٤٨] ينظر: التفسير المنير، ج١٦، ص١٢.

[٤٩] ينظر: من وحي القرآن، ج١٤، ص٣٧٦.

[٥٠] في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٨٢.

[٥١] . ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج٤، ص١٣٦.

[٥٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٧، ص٢٩٥.

[٥٣] الالتفات عند علماء البلاغة: من محاسن الكلام وبديه، وعرفه أبن المعتز: (بأنه انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة) علم البديع، ص١٤٣.

[٥٤] صفوة التفاسير، ج٣، ص٨٣.

[٥٥] مفاتيح الغيب، ج١٦، ص١٣٢.

[٥٦] التحرير والتنوير، ج١٠، ص١٩٥.

[٥٧] التفسير الوسيط، ج٦، ص٣٩٥.

[٥٨] في ظلال القرآن، ج٣، ص١٧٠٧.

[٥٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٦، ص١٤.

[٦٠] التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٥٩٥.

[٦١] ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية، ج٢، ص١١٢٩.

[٦٢] ينظر: جامع الجوامع، ج١، ص٢٠٥.

[٦٣] درج الدرر في تفسير القرآن، ج١، ص٤٣٦.

[٦٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص٤١٦.

[٦٥] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٢، ص٨٧.

[٦٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢، ص٢٧٦.

[٦٧] التحرير والتنوير، ج٣، ص٢٢٤.

[٦٨] التفسير المنير، ج٤، ص٩٠.

[٦٩] صفوة التفاسير، ج١، ص٢١١.

[٧٠] ينظر: التفسير المنير، ج٢٤، ص٤١.

[٧١] المصدر نفسه، ج٢٤، ص٤١.

[٧٢] ينظر: المصدر السابق، ج١١، ص٢٦.

[٧٣] ينظر: من وحي القرآن، ج١١، ص١٩٩.

[٧٤] تفسير وخواطر القرآن الكريم، ج٣، ص١٧٦١.

[٧٥] صفوة التفاسير، ج١، ص٢١٣.

[٧٦] التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص١٥٠.

[٧٧] درج الدرر في تفسير القرآن، ج٣، ص٤٧٥.

[٧٨] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج٢، ص١٥٧.

[٧٩] التحرير والتنوير، ج٤، ص٧١.

[٨٠] الجناس: (من فنون البديع اللفظية، وهو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى)، علم البديع، ص١٩٦.

[٨١] صفوة التفاسير، ج١، ص٢٤٤.

[٨٢] التحرير والتنوير، ج٢٨، ص١٣٥.

[٨٣] التفسير المنير، ج٢٨، ص١٣٠.

[٨٤] ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، ج٨، ص٢٣٨.

[٨٥] ينظر: صفوة التفاسير، ج٣، ص٣٤٧.

[٨٦] ينظر: التفسير المنير، ج٤، ص٣٠٥.

[٨٧] ينظر: التفسير المنير، ج٤، ص٣٠٥.

[٨٨] من وحي القرآن، ج٧، ص١٦٠.

[٨٩] ينظر: المصدر نفسه، ج٧، ص١٦٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو السعود العمادي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٢. أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي القرافي، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٣. أنوار التنزيل واسرار التأويل المعروف ب (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محب الدين محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني المعروف ب مرتضى الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.
٥. التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد المطاهر بن عاشور التونسي الملقب بابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق، ط٢، ١٩٩٢م.
٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد الطنطاوي، نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
٩. تفسير وخواطر القرآن الكريم، لمحمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، ٢٠٢١/١٢/١١م.
١٠. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن احمد بن الهروي المعروف ب محمد الأزهري، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١١. جامع الجوامع، الفضل بن الحسن الطوسي، مركز إدارة الحوزة العلمية في قم، إيران، ط١، ١٩٩٢م.
١٢. الجامع الصحيح، أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة الجعفي البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
١٣. درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٩م.
١٤. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
١٥. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الفكر، بيروت ط١، ٢٠٠١م.
١٦. علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
١٧. في ظلال القرآن، السيد قطب بن إبراهيم، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٤.
١٨. كتاب العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٧/٤/٥، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي.
١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٦٨٧م.
٢٠. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، الدار المتوسطة، الجمهورية التونسية، ط١، ٢٠٠٥م.

٢١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٣. مفاتيح الغيب او التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م.
٢٤. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، بيروت، تحقيق عبد السلام هارون ٢٠٠٢م.
٢٥. من وحي القرآن، محمد حسين عبد الرؤوف، دار الملاك، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٢٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الجدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم المعروف بابن الاثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٧. الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو طالب محمد حموش بن محمد بن مختار، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، ط١، ٢٠٠٨م.

الأساليب البيانية في تصوير القيم الإنسانية في القران الكريم دراسة تحليلية

م.م. مهند عبد الرزاق عبد القادر
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المقدمة:

تمثل القيم القرآنية اعلى القيم الإنسانية على وجه الأرض ، كيف لا و هي من لدن ((حكيم خبير)) الذي يعلم ما ينفع الانسان و ما يضره ، و يسعد الاسرة و يبعد عنها ما يشقيها ، و ما يصلح المجتمع خلقيا و سلوكيا و تعاملا ، فترتقي بالفرد و تسمو به الى القيم الفاضلة حتى تحقق الأهداف السلوكية و المبادئ الاجتماعية وصولا الى ما يحقق الاستقرار النفسي للإنسان و الرقي المجتمعي للبلدان ، من هذا المنطلق وجدنا ان خير من يمثل هذه القيم الإنسانية هو ما جاء في القران الكريم ضمن دراسة بلاغية تنطلق من الاية القرانية في كل ما تحويه من أساليب بيانية و معاني معجمية كان لها الأثر في توجية الانسان لهذه القيم في تنظيم علاقاته مع الناس بما يحقق سعادته . ومن المواضيع التي اختارها البحث للدراسة (الصبر و الرحمة و الشكر و النشوز و أموال اليتامى) ، اما خطة البحث فتتكون من مبحثين

المبحث الأول (أسلوب الادعاء) في مطلبين ، الأول أسلوب التشبيه ، الثاني أسلوب الاستعارة

المبحث الثاني (أسلوب التداعي) في مطلبين ، الأول أسلوب الكناية ، الثاني أسلوب المجاز

المبحث الأول (اسبوب الادعاء)[١]

المطلب الأول : أسلوب التشبيه :

التشبيه هو : ((عقد مماثلة بين أمرين، أو: أكثر، قصد اشتراكهما في صفة: أو: أكثر، بأداة: لغرض يقصد المتكلم للعلم))[٢] ،و هو فن من فنون علم البيان و أسلوب من اساليبه ، التي تقرب البعيد في عقد مماثلة تصويرية مشاهدة او من خلال اللوازم الفكرية الذهنية ، التي يستحضرها الانسان في عقله ، مما نجده في القران الكريم ، قوله تعالى ((فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩))) [القلم : ٤٨]

نجد من القيم الإنسانية التي تدعوا اليه هذه الاية القرانية هو (الصبر) و المعنى اللغوي له هو (الحبس) ((الصَّبْرُ، وَهُوَ الْحَبْسُ. يُقَالُ: صَبَرْتُ نَفْسِي عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ، أَيْ حَبَسْتُهَا. قَالَ:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً ... تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ ...))[٣] ، اما الأسلوب البلاغي في هذه الاية القرانية هو التشبيه (كصاحب الحوت) اذ كان يونس عليه السلام في بطن الحوت في وسط البحر عندما نادى ربه يستغيث بان ينجيه ، فالصورة بدأت بالامر (فاصبر) ثم نهي (و لا تكن) و بين الامر و النهي تكون الصورة التشبيهية ، فالامر هنا حقيقي ، و قد جاء بفعل امر ، و الفاعل ضمير مستتر تقديره (انت) ، و النهي مسبوق بواو العطف و (تكن) مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية ، يونس عليه السلام و ما مربه من ضيق في بطن الحوت في وسط البحر ، فهذه الظلمات التي مر بها ، جعل يلتجأ للدعاء لان علم علم اليقين لا ينجيه احد الا الله تعالى ،

يقول الرازي : ان في قَوله تَعَالَى: ((وَلا تَكُنْ كَصاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)) فِيهِ مَسْأَلَتَانِ:

((الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْعَامِلُ فِي إِذْ مَعْنَى قَوْلِهِ: كَصاحِبِ الْحُوتِ يُرِيدُ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ حَالَ نِدَائِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ مَكْظُومًا فَكَأَنَّهُ قِيلَ: لَا تَكُنْ مَكْظُومًا.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: صَاحِبُ الْحُوتِ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ نَادَى فِي بَطْنِ الْحُوتِ بِقَوْلِهِ: لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الْأَنْبِيَاءِ: ٨٧] ، وَهُوَ مَكْظُومٌ مَمْلُوءٌ غَيْظًا مِنْ كَظَمَ السِّقَاءَ إِذَا مَلَأَهُ، وَالْمَعْنَى لَا يُوجَدُ مِنْكَ مَا وُجِدَ مِنْهُ مِنَ الضَّجَرِ وَالْمُغَاضَبَةِ، فَتَبْلَى ببلائه ثم قال تعالى: لَوْلا أَنْ تَداركَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَراءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩)))[٤] ، كما تضمنت الاية القرانية الأسلوب الكنائي في (و هو مكظوم) و هو كناية عن (الإمساك) أو (الحبس) أو (الكرب) أو (السكوت) فمن معاني (مكظوم) ،

أولا : الإمساك ((الْكَافُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ الْإِمْسَاكُ وَالْجُمَعُ لِلشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ الْكَظْمُ: اجْتِرَاعُ الْغَيْظِ وَالْإِمْسَاكُ عَنْ إِبْدَائِهِ، وَكَأَنَّهُ يَجْمَعُهُ الْكَاظِمُ فِي جَوْفِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) [آل عمران: ١٣٤] وَالْكُظُومُ: السُّكُوتُ. [وَ] الْكُظُومُ: إِمْسَاكُ الْبَعِيرِ عَنِ الْجِرَّةِ. وَالْكَظَمُ: مَخْرَجُ النَّفَسِ. يُقَالُ أَخَذَ بِكَظَمِهِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ قِيَاسُ مَا ذَكَرْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ كَأَنَّهُ مَنَعَ نَفَسَهُ أَنْ يَخْرُجَ. وَالْكَظَائِمُ: خُرُوقٌ تُحْفَرُ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ مِنْ بِئْرٍ إِلَى بِئْرٍ. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ كِظَامَةً لِإِمْسَاكِهَا الْمَاءَ. وَالْكِظَامَةُ أَيْضًا: الْحَلْقَةُ الَّتِي تَجْمَعُ خُيُوطَ حَدِيدَةِ الْمِيزَانِ؛ وَذَلِكَ مِنَ الْإِمْسَاكِ أَيْضًا. وَالْكِظَامَةُ: سَيْرٌ يُوصَلُ بِوَتَرِ الْقَوْسِ الْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ يُدَارُ بِطَرَفِ السِّيَةِ الْعُلْيَا. وَالْقِيَاسُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَاحِدٌ.))[٥] ،

ثانيا : الحبس ، ((كَظَمَ يَكْظِمُ كَظْمًا: حَبَسَ نَفَسَهُ))[٦]

ثالثا : الكرب ، ((وَرَجُلٌ مَكْظُومٌ وكَظِيمٌ: مَكْرُوبٌ قَدْ أَخذ الغمُّ بكَظَمه. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ*))[٧] ،

رابعا : اخذ بنفسه ، ((وكظمه الغيظ والغمّ: أخذ بنفسه فهو مكظوم وكظيم))[٨] ،

خامسا : السكوت ، ((والكُظُوم: السُّكوت. وَقَوْمٌ كُظَّمٌ أي ساكنون؛ قَالَ الْعَجَّاجُ:

ورَبِّ أَسرابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ ... عنِ اللَّغا، ورَفَثِ التَّكَلُّمِ

وَقَدْ كُظِمَ وكَظَمَ عَلَى غَيْظِهِ يَكْظِمُ كَظْماً، فَهُوَ كَاظِمٌ وكَظِيم: سَكَتَ. وَفُلَانٌ لَا يَكْظِمُ عَلَى جِرَّتِه أَيْ لَا يَسْكُتُ عَلَى مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَتَكَلَّمَ بِهِ؛ وَقَوْلُ زِيَادِ بْنِ عُلْبة الْهُذَلِيِّ:

كَظِيمَ الحَجْلِ واضِحةَ المُحَيَّا، ... عَديلةَ حُسْنِ خَلْقٍ فِي تَمامِ ...))[٩] ،

كما نجد ان من معاني (الصبر) هو الحبس ((صَبَرَه عَنِ الشَّيْءِ يَصْبِرُه صَبْراً حَبَسَه؛ قَالَ الْحُطَيْئَةُ:

قُلْتُ لَهَا أَصْبِرُها جاهِداً: ... وَيْحَك، أَمْثالُ طَرِيفٍ قَلِيلْ

(.....) وأَصل الصَّبْر الحَبْس، وكُلُّ مَنْ حَبَس شَيْئًا فَقَدْ صَبَرَه))[١٠] ،

كذلك نجد من معاني (الكظم) هو الحبس ((كَظَمَ يَكْظِمُ كَظْمًا: حَبَسَ نَفَسَهُ))[١١] ،

فالاية القرانية بدأت بالحبس (الصبر) و أنتهت بالحبس (الكظم) ، و بدأت بالامر ((فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ)) و ختمت بالنهي ((وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ)) ، كما نجد في الاية (٤٨) قد جاء لفظ (مكظوم) و في الاية (٤٩) جاء (لنبذ بالعراء) ، فلفظة (الكظم) تدل على الدخول ، اما لفظة (النبذ) تدل على الخروج ، جاء في تاج العروس معنى (كظم) ((كَظَمَ يَكْظِمُ كَظْمًا: حَبَسَ نَفَسَهُ))[١٢] ، و (نبذ) في مقاييس اللغة ((النُّونُ وَالْبَاءُ وَالذَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى طَرْحٍ وَإِلْقَاءٍ. وَنَبَذْتُ الشَّيْءَ أَنْبِذُهُ نَبْذًا: أَلْقَيْتُهُ مِنْ يَدِي))[١٣] و كذلك (وَهُوَ مَكْظُومٌ) تدل على التضييق ، فضيق على نفسه في عدم اخراج ما في داخله ، اما (لَنُبِذَ) تدل على الطرح و (بِالْعَرَاءِ) تدل على الفضاء الواسع ، فالاية القرانية تصور لنا ان الذي يصبرو ان كان على حق سينال الاجرو الثواب و العطاء من الله تعالى ، قال تعالى : ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [الزمر: ١٠] ، ولا يكون هذا الا بالكظم ، اما الذي لا يستطيع الصبر فسيتعرض للنبذ و الذم ، كذلك هناك تطابق معنوي بين (الصبر) وهو الحبس العام و بين (الكظم) و هو الحبس الخاص ، و تطابق ذهني بين (مكظوم) وهو في البحر و بين (نبذ بالعراء) أي : الصحراء، و كذلك الجناس بين (مكظوم) و بين (مذموم) .

المطلب الثاني : أسلوب الاستعارة و ((هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي (والاستعارة) ليست إلى (تشبيهاً) مختصراً، لكنها أبلغ منه))[١٤] ،

الرحمة من القيم الإنسانية التي دعا اليها القران الكريم وأشاد بها بل امر بالتراحم بين الارحام وبين الناس، و منها الامربالرحمة للوالدين ، و مما نجده في القران الكريم

قَوْلِهِ تَعَالَى : ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا [٢٣] وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)) [الإسراء: ٢٣- ٢٤]

في هذه الاية القرانية التي تبين قيمة عليا من القيم الإنسانية تجاه الوالدين و التي تتمثل في قوله تعالى : ((و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة))، نجد استعارة للذل جناح و نجد ان المفسرين قد تنوعت اساليبهم البيانية حول هذه الاية القرانية ، فمنهم من قال استعارة بليغة او استعارة تمثيلية او استعارة مكنية او استعارة تصريحية او كناية او مجاز ...

- (استعارة بليغة) ، ((والمقصود المبالغة في التواضع، وهذه استعارة بليغة))[١٥] ،

- (استعارة تمثيلية) ، ((فكأنه جعل الجناح عين الذل. أو التركيب استعارة تمثيلية. فيكون مثلا لغاية التواضع. وسر ذكر الجناح وخفضه، تصوير الذل كأنه مشاهد محسوس))[١٦] ،

-(استعارة مكنية) ، ((فهي استعارة مكنية لأن إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أن ثمة جناحا يخفض والمراد ألن لهما جانبك، وتواضع لهما تواضعا يلصقك بالتراب، والجامع بين هذه الاستعارة والحقيقة أن الجناح الحقيقي في أحد جانبي الطائر وان الطائر إذا خفض جناحه وهو الذي به يتقوى وينهض، انحط إلى الأرض وأسف الى الحضيض ولصق بالتراب فالاستعارة مكنية إذ شبهت إلانة الجانب بخفض الجناح بجامع العطف والرقة وهذه أجمل استعارة وأحسنها وكلام العرب جاء عليها.

وذكر الصولي في كتابه أخبار أبي تمام: وعابوا عليه- أي على أبي تمام- قوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

فقالوا ما معنى ماء الملام؟ وهم يقولون: كلام كثير الماء وما أكثر ماء شعر الأخطل، قاله يونس بن حبيب ويقولون: ماء الصبابة وماء الهوى يريدون الدمع. قال ذو الرمة:

أأن ترسمت من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم ...))[١٧] ،

-(استعارة تصريحية) ، ((استعارة تصريحية في المفرد وهو الجناح، والخفض ترشيح. و (الجناح) الجانب كما يقال (جناحا العسكر)....))[١٨]

-(كناية) ، ((وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ. وَقَالَ الْقَفَّالُ فِي تَقْرِيرِهِ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّ الطَّائِرَ إِذَا ضَمَّ فَرْخَهُ إِلَيْهِ لِلتَّرْبِيَةِ خَفَضَ لَهُ جَنَاحَهُ، فَخَفْضُ الْجَنَاحِ كِنَايَةٌ عَنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ وَكَأَنَّهُ قِيلَ لِلْوَلَدِ اكْفُلْ وَالِدَيْكَ بِأَنْ تَضُمَّهُمَا إِلَى نَفْسِكَ كَمَا فَعَلَا ذَلِكَ بِكَ حَالَ صِغَرِكَ. الثَّانِي: أَنَّ الطَّائِرَ إِذَا أَرَادَ الطَّيَرَانَ وَالِارْتِفَاعَ نَشَرَ جَنَاحَهُ، وَإِذَا أَرَادَ تَرْكَ الطَّيَرَانِ وَتَرْكَ الِارْتِفَاعِ خَفَّضَ جَنَاحَهُ فَصَارَ خَفْضُ الْجَنَاحِ كِنَايَةً عَنْ فِعْلِ التَّوَاضُعِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: اسْتِعَارَةٌ أَيِ اقْطَعْهُمَا جَانِبَ الذُّلِّ مِنْكَ وَدَمِّثْ لَهُمَا نَفْسَكَ وَخُلُقَكَ، وَبُولِغَ بِذِكْرِ الذُّلِّ هُنَا وَلَمْ يُذْكَرْ فِي قَوْلِهِ: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ عِظَمِ الْحَقِّ انْتَهَى. وَبِسَبَبِ شَرَفِ الْمَأْمُورِ فَإِنَّهُ لَا يُنَاسِبُ نِسْبَةَ الذُّلِّ إِلَيْهِ.))[١٩] ،

-(مجاز) ، ((وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ [الْإِسْرَاء: ٢٤] . وَيُطْلَقُ الذُّلُّ عَلَى لِينِ الْجَانِبِ وَالتَّوَاضُعِ، وَهُوَ مَجَازٌ))[٢٠] ،

اما معنى (جناح الذل) فمنهم من يرى انه (التواضع) [٢١] ، او (عصاه)[٢٢] ، او (ذليلا رحيما)[٢٣] ، او (الرفق)[٢٤] ، او (لين الجانب و منخفض الجانب)[٢٥] ، او (القوة و الرعاية)[٢٦] ، و لا ما نع من ورود كل هذه المعاني في (جناح الذل) فهي تكمل بعضها الاخر ،

اما الزمخشري فيقول : ((فإن قلت: ما معنى قوله جَناحَ الذُّلِّ؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك كما قال وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ فأضافه إلى الذل أو الذلّ، كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول. والثاني: أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا، كما جعل لبيد للشمال يداً، وللقوّة زماما، مبالغة في التذلل والتواضع لهما مِنَ الرَّحْمَةِ من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما، لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس، ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك))[٢٧] ، نجد ان استعمال النص القراني في هذا التصوير البديع و (اخفض) (جناح) و (الذل) و (الرحمة) ،

فالخفض تدل الى الأسفل ((خَفَضَه يَخْفِضُه خَفْضاً فانْخَفَضَ واخْتَفَضَ. والتَّخْفِيضُ: مَدَكُّ رأْس الْبَعِيرِ إِلى الأَرض؛ قَالَ:

يَكادُ يَسْتَعْصي عَلَى مُخَفِّضِهْ ...))[٢٨] ، و الجناح تدل على الميل (((جَنَحَ) الْجِيمُ وَالنُّونُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ وَالْعُدْوَانِ. وَيُقَالُ جَنَحَ إِلَى كَذَا، أَيْ مَالَ إِلَيْهِ. وَسُمِّيَ الْجَنَاحَانِ جَنَاحَيْنِ لِمَيْلِهِمَا فِي الشِّقَّيْنِ

))[٢٩] ، و الجانب ((وجناح الثوب: جانبه))[٣٠] ، الذل تدل على الانقياد و الأسفل ((ذل: الذُّلُّ مصدر الذَّلُول أي المُنْقاد من الدوابِّ، ذَلَّ يَذِلُّ، ودابَّةٌ ذَلُولٌ: بَيِّنَة الذُّلِّ، ومن كل شيءٍ أيضاً، وذلَّلْتُه تَذليلاً. ويقال للكَرْم إذا ذُلِّيَت عَناقيدُه: قد ذُلِّلَ تَذليلاً. والذُّلُّ: مصدر الذَّليل، ذَلَّ يَذِلُّ وكذلك الذِّلَّةُ. والذُّلْذُل: أسفل القميص والقباء ونحو ذلك))[٣١] ، و الرحمة تدل على العلو و الشمول و الإحاطة من كل الجوانب ، فالالفاظ جاءت متكاملة مع بعضها في التصوير القراني ، و كأن النص القراني يقول لنا كما احتواك والديك و انت جنين و صغيرا و خافا عليك من ان يمسك اذى من كل جانب عليك أيها الانسان ان تحتوي والديك من كل جانب و ترحمها كما رباك صغيرا ، كما نجد ان الامر بالاحسان للوالدين جاء في الاية التي تسبق اية (التصوير القراني) و في هذا الاية القرانية يقول الرازي : ((اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِعِبَادَةِ نَفْسِهِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَبَيَانُ الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْأَمْرِ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ وُجُوهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ لِوُجُودِ الْإِنْسَانِ هُوَ تَخْلِيقُ اللَّهِ تَعَالَى وَإِيجَادُهُ، وَالسَّبَبُ الظَّاهِرِيُّ هُوَ الْأَبَوَانِ، فَأَمَرَ بِتَعْظِيمِ السَّبَبِ الْحَقِيقِيِّ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْأَمْرِ بِتَعْظِيمِ السَّبَبِ الظَّاهِرِيِّ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْمَوْجُودَ إِمَّا قَدِيمٌ وَإِمَّا مُحْدَثٌ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُعَامَلَةُ الْإِنْسَانِ مَعَ الْإِلَهِ الْقَدِيمِ بِالتَّعْظِيمِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَمَعَ الْمُحْدَثِ بِإِظْهَارِ الشَّفَقَةِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ

قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «التَّعْظِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَالشَّفَقَةُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ»

وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِصَرْفِ الشَّفَقَةِ إِلَيْهِ هُوَ الْأَبَوَانِ لِكَثْرَةِ إِنْعَامِهِمَا عَلَى الْإِنْسَانِ فَقَوْلُهُ: وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ إِشَارَةٌ إِلَى التَّعْظِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَوْلُهُ: وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِشَارَةٌ إِلَى الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ الِاشْتِغَالَ بِشُكْرِ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ، ثُمَّ الْمُنْعِمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَقَدْ يَكُونُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مُنْعِمًا عَلَيْكَ، وَشُكْرُهُ أَيْضًا وَاجِبٌ

لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ» .....))[٣٢] ،

فالنص القراني لم يقل (و اخفض لهما جناح الرحمة) او (و اخفض لهما ذل الرحمة) او (و اخفض لهما من الرحمة) ، بل جاء النص متكاملا مترابطا متماسكا منسجما متناسقا فيه كل المعاني التي تدل على بر الوالدين ((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)) .

المبحث الثاني : (أسلوب التداعي)[٣٣]

المطلب الأول أسلوب الكناية

الكناية هو ((لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ؛ كقولك: "فلان طويل النجاد" أي: طويل القامة، و"فلانة نئوم الضحى" أي: مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات؛ وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها؛ فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك))[٣٤] ، و مما نجده في القران الكريم

قوله تعالى : ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)))[لقمان : ١٤]

في هذا النص القراني نجد القيم الإنسانية في حث الانسان في شكر والديه بعد شكر الله تعالى ، لما عاناه في رعاية الأبناء و تربيتهم ، لاسيما الام التي حملت به (حملته امه وهنا على وهن) و هي كناية عن التعب ، لكي يعي الانسان ذلك عندما يكبر فيعاملهم بالاحسان ، فقد تنوع المعنى التفسيري للوهن و تعدد و ان كانت كلها تصب في خدمة الأسلوب الكنائي ، منها :

أولا : ضعف فوق ضعف ، (((وَهْنًا)؛ أي: حالة كونها ذات وهن وضعف بحمله، أو تهن وهنًا {عَلَى وَهْنٍ}؛ أي: تضعف ضعفًا فوق ضعف، فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها؛ أي: حملته وهي في ضعف بتزايد بازدياد ثقل الحمل إلى حين الطلق، ثم مدة النفاس، وقيل: المعنى: إن المرأة ضعيفة الخلقة، ثم يضعفها الحمل، وهذه منة خاصة بالوالدة))[٣٥] ،

ثانيا : شدة بعد شدة ، ينقله البحر المحيط عن ابن عباس[٣٦] ،

ثالثا : مشقة على مشقة ، ((ذكر ما تكابده الأم وتعانيه من المشاق في حمله وفصاله هذه المدة الطويلة تذكيراً بحقها العظيم مفرداً))[٣٧]

رابعا : جهد على جهد ، ينقله الثعلبي عن قتادة[٣٨]

اما المعنى المعجمي للوهن فانها تدور حول (الضعف) : ((وَهَنَ: الوَهْن: الضَّعف فِي الْعَمَلِ والأَمر، وكَذَلِكَ فِي العَظْمِ ونَحْوَهُ. وفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ

؛ جَاءَ فِي تَفْسِيرِهِ ضَعْفاً عَلَى ضَعْفٍ أَي لَزِمَها بِحَمْلِهَا إِيَّاهُ أَنْ تَضْعُف مَرّةً بَعْدَ مرَّة، (.....)

وقَدْ وَهَنَ ووَهِن، بِالْكَسْرِ، يَهِنُ فِيهِمَا أَي ضَعُف، ووَهَنَه هُوَ وأَوْهَنَه؛ قَالَ جَرِيرٌ:

وَهَنَ الفَرَزْدَقَ، يومَ جَرَّدَ سيفَه، ... قَيْنٌ بِهِ حُمَمٌ وآمٍ أَرْبَعُ

. وَقَالَ:

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلًا، ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

ورجُلٌ واهِنٌ فِي الأَمر وَالْعَمَلِ ومَوْهُون فِي العَظْم وَالْبَدَنِ، وَقَدْ وَهَنَ العَظْمُ يَهِنُ وَهْناً وأَوهنَه يُوهِنُه ووَهَّنْتُه تَوْهِيناً. وَفِي حَدِيثِ الطَّوَافِ:

وَقَدْ وَهَنَتْهم حُمَّى يَثْرِب

أَي أَضعفتهم. وَفِي حَدِيثِ

عَلِيٍّ، عَلَيْهِ السلام: وَلَا واهِناً فِي عَزْمٍ

أَي ضَعِيفًا فِي رأْيٍ، وَيُرْوَى بِالْيَاءِ:

وَلَا واهِياً فِي عَزْمٍ.

وَرَجُلٌ واهِنٌ: ضَعِيفٌ لَا بَطْش عِنْدِهِ، والأُنثى واهِنةٌ، وهُنَّ وُهُنٌ؛ قَالَ قَعْنَب بْنُ أُم صَاحِبٍ:

اللَّائماتُ الفَتى فِي عُمْرِهِ سَفَهاً، ... وهُنَّ بَعدُ ضَعيفاتُ القُوَى وُهُنُ

قَالَ: وَقَدْ يَجُوزُ أَن يَكُونَ وُهُن جمع وَهُونٍ))[٣٩] . فالنص القراني يوجه لنا رسالة جميعا بان الام واجهت (الوهن) بكل انواعه (الضعف و المشقة و الجهد .....) و في كل المراحل التي مر بها الانسان ، بدا من النطفة و الجنين و الطفولة و الشباب ، لذلك على كل انسان ان يعي هذه الحقيقة في عظم الوصية القرانية ، في شكر الوالدين الذي جاء مباشرة بعد شكر الله تعالى ، فالشكر بانواعه قولا و فعلا و عملا و برا.

المطلب الثاني : أسلوب المجاز : ((وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه ؛ كاليد إذا استعملت في النعمة؛ لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها. ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى المولي لها ؛ فلا يقال: "اتسعت اليد في البلد"، أو"اقتنيت يدا" كما يقال: "اتسعت النعمة في البلد"، أو "اقتنيت نعمة"، وإنما يقال: "جلت يده عندي، وكثرت أياديه لدي" ونحو ذلك.

ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل: "إن له عليها إصبعا" . أرادوا أن يقولوا: "له عليها أثر حذق" فدلوا عليه بإصبع؛ لأنه ما من حذق في عمل يد إلا وهو مستفاد))[٤٠] ، مما نجده في القران الكريم

قوله تعالى : ((وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨))) [النساء : ١٢٨]

نجد في هذه الاية القرانية التي تدعو الى الإصلاح بين الزوجين ، و هو من القيم الإنسانية التي تدعوا في المحافظة على الاسرة و تماسكها و عدم تفككها و ضياعها ، و الإصلاح يكون اذا حدث (نشوز) بين الزوجين ، و النشوز (مجاز) ، لانه يدل على الارتفاع : ((نشز: النِّشْزُ والنَّشَزُ: المَتْنُ المرتفعُ مِنَ الأَرض، وَهُوَ أَيضاً مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْوَادِي إِلى الأَرض، وَلَيْسَ بِالْغَلِيظِ، وَالْجَمْعُ أَنْشازٌ ونُشُوزٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: جَمْعُ النَّشْزِ نُشُوز، وَجَمْعُ النَّشَزِ أَنْشازٌ ونِشازٌ مِثْلُ جَبَلٍ وأَجْبال وجِبال. والنَّشازُ، بِالْفَتْحِ: كالنَّشَزِ. ونَشَزَ يَنْشُزُ نُشُوزاً: أَشرف عَلَى نَشَزٍ مِنَ الأَرض، وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ وَظَهَرَ))[٤١] ، فالنشوز صفة مذمومة ، عندما نقول هذا الشيء نشاز أي شذ عن ما تعارف عليه الناس من عرف عام ،

اما عند المفسرين : فالنشوز له عدة معاني كلها تصب في خدمة المعنى المجازي ،

أولا : (الترفع و التكبر) ، ((وَالنُّشُوزُ التَّرَفُّعُ وَالْكِبْرُ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا مِنْ سُوءِ الْمُعَامَلَةِ))[٤٢] ،

ثانيا : (ترك مجامعتها) ، ((وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً يعني ترك مجامعتها))[٤٣] ،

ثالثا : (التجافي) ، (({مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً} أي تجافياً عنها وترفّعاً عن صحبتها كراهةً لها ومنعاً لحقوقها))[٤٤]،

رابعا : (العصيان) ، ((نُشُوزاً يعني عصياناً في الأثرة))[٤٥] ،

خامسا : (ان يقول الرجل لزوجته انت كبيرة) ، ((قوله تعالى: وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً قال: قول الرجل لامرأته أنت كبيرة، وإني أريد أن أستبدل بك شابة، فقري على ولدك ولا أقسم لك من نفسي شيئاً ورضيت بذلك))[٤٦] ، فنجد ان كل هذه المعاني قد جمعها لفظ (النشوز)

اما (اعراضا) فنجد المعنى التفسيري عند المفسرين :

أولا : (الميل و الانحراف) ، ((وَالْإِعْرَاضُ: الْمَيْلُ وَالِانْحِرَافُ عَنِ الشَّيْءِ))[٤٧] ،

ثانيا : (قل محادثتها و مؤانستها) ، (({أَوْ إِعْرَاضاً} عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها بسب كبر سن أو دمامة أو سوء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح))[٤٨] ،

ثالثا : (يعرض بوجهه) ، ((إِعْرَاضاً يعني يعرض بوجهه))[٤٩] ،

اما في المعجم اللغوي ، فنجد ان المراد بالاعراض الذي مفرده العرض هو : (الوسط) ،

أولا : ما جاء في معجم العين ((والعُرْض عُرْض الحائط وهو وسطه. وعُرْضُ النهر وسَطُهُ. قال لبيد:

فتوسّطا عرض السري ...

أي وسط النهر. ومن روى: عَرْضَ السرِي يريد سعة الأرض، الذي هو خلاف الطوّل. يقال جرى في عُرض الحديث، ودخل في عُرْض الناس، أي: وسطهم))[٥٠] ،

ثانيا : في مقاييس اللغة (((عَرَضَ) الْعَيْنُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ بِنَاءٌ تَكْثُرُ فُرُوعُهُ، وَهِيَ مَعَ كَثْرَتِهَا تَرْجِعُ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْعَرْضُ الَّذِي يُخَالِفُ الطُّولَ. وَمَنْ حَقَّقَ النَّظَرَ وَدَقَّقَهُ عَلِمَ صِحَّةَ مَا قُلْنَاهُ، وَقَدْ شَرَحْنَا ذَلِكَ شَرْحًا شَافِيًا.

فَالْعَرْضُ: خِلَافُ الطُّولِ. تَقُولُ مِنْهُ: عَرُضَ الشَّيْءُ يَعْرُضُ عِرَضًا، فَهُوَ عَرِيضٌ))[٥١]

ثالثا : تاج العروس ((قَالَ يُونُسُ: ويَقُولُ ناسٌ من العرَبِ: رَأَيْتُهُ فِي عَرْضِ الناسِ، يَعْنُون فِي عُرْض. ويُقَال: جَرَى فِي عُرْضِ الحَدِيثِ. ويُقَالُ فِي عُرْضِ النَّاسِ، كُلُّ ذلِكَ يُوصَفُ بِهِ الوَسَطُ))[٥٢]

فا(لنشوز) يدل على الارتفاع و(الاعراض) يدل على الوسط ، و كأن النص القراني يريد ان يوصل لنا رسالة إنسانية مفادها ، ان المشاكل الاسرية ارتفعت او نزلت و طالت اوعرضت او أصبحت كالاعصار في ارتفاعه و توسعه فلا بد ان يكون الصلح هو المقدم على كل شيء لذا نجد تكرار الصلح ثلاث مرات و تشديد الصاد في (الصلح)[٥٣] و ان الصلح لا يحدث الا من الطرفين ، ((فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)) فالقران الكريم عالج كل شيء يخص الانسان في ادق تفاصيله و خصوصياته . فالاختيار الدقيق للفظتين (نشوز) و (اعراض) في التعبير القراني يوحي للمتلقي بأن الانسان معرض للمشاكل الزوجية سواء طالت او عرضت فانه يستطيع ان يوجد لها مخرجا عن طريق (الصلح) ، كما نجد ان تقديم (النشوز) على (الاعراض) هو للخطورته على الحياة الزوجية، او لقلة وقوعه لذا قدم ، اما (الاعراض) نجد انه اخر اما لانه مقدمة للنشوز او لكثرة وقوعه بين الزوجين لذا اقتضى تأخيره ، فقدم من كان اشد خطورة و اقل وقوعا و اخر من كان اقل خطورة و اكثر انتشارا ، لان النشوز هو مرحلة متقدمة على الاعراض ، نستطيع القول بان كل نشوز هو اعراض و ليس كل اعراض نشوز ، كذلك مجيء (اعراضا) بالجمع يدل بان هذه الاعراض هي تراكمات و مشاكل سابقة بحيث وصل الى مرحلة (النشوز)، فالنص القراني جاء بثلاث مراحل تمر بها المشاكل الزوجية و ان لم يسم المرحلة الثالثة و لكن جاء بها تلميحا (أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) المرحلة الأولى : الاعراض ، المرحلة الثانية : النشوز ، المرحلة الثالثة : الطلاق ، فالنص القراني لم يسم المرحلة الثالثة تصريحا و انما جاء بها تلميحا ، و رب سائل يتسائل لماذا ، و ذلك لان القران الكريم يريد المحافظة على الاسرة المسلمة و يبعدها عن التفكك و الضياع ، لذا جاء في المرحلة الثالثة الصلح و هو ما يريده القران الكريم ، بدل الطلاق و هو ما ابعده

القران الكريم عن السياق ، فالترتيب الذهني للإنسان هو اعراض ثم نشوز ثم طلاق ، اما الترتيب السياقي للقران هواعراض ثم نشوز ثم صلح (أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) ، بل و امر القران الكريم بالاحسان و التقوى (وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)

كذلك نجد استعمال النص القراني (جناح) وهي استعارة للخفة و الرقة و اللين التي تصاحب عملية الإصلاح بدل الشدة و العنف و القسوة ، ((فَنَفْيُ الْجُنَاحِ مِنَ الِاسْتِعَارَةِ التَّمْلِيحِيَّةِ شَبَّهَ حَالَ مَنْ تَرَكَ الصُّلْحَ وَاسْتَمَرَّ عَلَى النُّشُوزِ وَالْإِعْرَاضِ بِحَالِ مَنْ تَرَكَ الصُّلْحَ عَنْ عَمْدٍ لِظَنِّهِ أَنَّ فِي الصُّلْحِ جُنَاحًا. فَالْمُرَادُ الصُّلْحُ بِمَعْنَى إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَالْأَشْهَرُ فِيهِ أَنْ يُقَالَ الْإِصْلَاحُ.

وَالْمَقْصُودُ الْأَمْرُ بِأَسْبَابِ الصُّلْحِ، وَهِيَ: الْإِغْضَاءُ عَنِ الْهَفَوَاتِ، وَمُقَابَلَةُ الْغِلْظَةِ بِاللِّينِ، وَهَذَا أَنْسَبُ وَأَلْيَقُ))[٥٤]، يقول الرازي في قوله تعالى : ((وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)) مَسَائِلُ:

((الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الصُّلْحُ مُفْرَدٌ دَخَلَ فِيهِ حَرْفُ التَّعْرِيفِ، وَالْمُفْرَدُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ حَرْفُ التَّعْرِيفِ هَلْ يُفِيدُ الْعُمُومَ أَمْ لَا؟ (.....) فَنَقُولُ: مِنَ النَّاسِ مَنْ حَمَلَ قَوْلَهُ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ عَلَى الِاسْتِغْرَاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْمَعْهُودِ السَّابِقِ، يَعْنِي الصُّلْحُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ خَيْرٌ مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْأَوَّلُونَ تَمَسَّكُوا بِهِ فِي مَسْأَلَةِ أَنَّ الصُّلْحَ عَلَى الْإِنْكَارِ جَائِزٌ (...) وَأَمَّا نَحْنُ فَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ حَمْلَ هَذَا/ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْهُودِ السَّابِقِ أَوْلَى، فَانْدَفَعَ اسْتِدْلَالُهُمْ وَاللَّه أَعْلَمُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» : هَذِهِ الْجُمْلَةُ اعْتِرَاضٌ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ إِلَّا أَنَّهُ اعْتِرَاضٌ مُؤَكِّدٌ لِلْمَطْلُوبِ فَحَصَلَ الْمَقْصُودُ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ أَوَّلًا قَوْلَهُ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا فَقَوْلُهُ فَلا جُناحَ يُوهِمُ أَنَّهُ رُخْصَةٌ، وَالْغَايَةُ فِيهِ ارْتِفَاعُ الْإِثْمِ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا الصُّلْحَ كَمَا أَنَّهُ لَا جُنَاحَ فِيهِ وَلَا إِثْمَ فَكَذَلِكَ فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ وَمَنْفَعَةٌ كَثِيرَةٌ، فَإِنَّهُمَا إِذَا تَصَالَحَا عَلَى شَيْءٍ ، فَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَفَرَّقَا أَوْ يُقِيمَا عَلَى النُّشُوزِ وَالْإِعْرَاضِ))[٥٥] .

قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً (١٠))) [النساء : ١٠]

في هذا النص القراني الذي يحذر من اكل أموال اليتامى بالباطل و يدعوا في المحافظة على أموالهم ، وهي من القيم القرانية الإنسانية ، نجد قوله تعالى : ((انما ياكلون في بطونهم نارا)) مجاز ، لكن اولا نريد ان نعرف معنى قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً)) ، فمعنى ((ظلما)) :

أولا : المال الموروث : ((الْمَالَ الْمَوْرُوثَ الَّذِي يَحْفَظُهُ الْأَوْلِيَاءُ لِلْيَتَامَى يَشْتَرِكُ فِيهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ خِلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عَدَمِ تَوْرِيثِ النِّسَاءِ، فَهَذَا تَفْصِيلٌ آخَرُ فِي الْمَالِ نَفْسِهِ بَعْدَ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ فِي الْإِعْطَاءِ

وَوَقْتِهِ، وَشَرْطِهِ. وَمَالُ الْيَتَامَى إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْأَغْلَبِ مِنَ الْوَالِدَيْنِ، وَالْأَقْرَبِينَ. فَمَعْنَى الْآيَةِ: إِذَا كَانَ لِلْيَتَامَى مَالٌ مِمَّا تَرَكَهُ لَهَا الْوَالِدَانِ، وَالْأَقْرَبُونَ فَهُمْ فِيهِ عَلَى الْفَرِيضَةِ لَا فَرْقَ فِي شَرِكَةِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ فِيهِ بَيْنَ الْقَلِيلِ، وَالْكَثِيرِ، وَلِهَذَا كَرَّرَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَعَنَى بِقَوْلِهِ: نَصِيبًا مَفْرُوضًا أَنَّهُ حَقٌّ مُعَيَّنٌ مَقْطُوعٌ بِهِ لَا مُحَابَاةَ فِيهِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْقُصَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا.))[٥٦] ،

ثانيا : أولياء السوء و قضاته [٥٧] ،

ثالثا : بغير حق ((قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً يعني بغير حق))[٥٨]

رابعا : من غير موجب شرعي ((يقول الحق جلّ جلاله: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً من غير موجب شرعي))[٥٩] ،

خامسا : على وجه الظلم (((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين أو على وجه الظلم))[٦٠] ،

اما قوله تعالى : ((إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً))

فبعض التفاسير حملته على الحقيقة

و بعض التفاسير حملته على المجاز

أولا : حمله على الحقيقة

((ومعنى يأكلون نارا: ما يجر إلى النار، فكأنه نار في الحقيقة. وروى: أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ، ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه ، فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا. وقرئ (وَسَيَصْلَوْنَ) بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سَعِيراً ناراً من النيران مبهمة الوصف.))[٦١] ، و الظاهر ((مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ، فَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ الرِّشَاءَ الَّتِي هُمْ يَأْكُلُونَهَا تَصِيرُ فِي أَجْوَافِهِمْ نَارًا، فَلَا يُحِسُّونَ بِهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَمَنَعَ تَعَالَى أَنْ يُدْرِكُوا أَنَّهَا نَارٌ، اسْتِدْرَاجًا وَإِمْلَاءً لَهُمْ. وَيَكُونُ فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُ تَجَوُّزٍ، لِأَنَّهُ حَالَةَ الْأَكْلِ لَمْ يَكُنْ نَارًا، إِنَّمَا بَعْدُ صَارَتْ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ حَقِيقَةٌ أَيْضًا))[٦٢] ،

ثانيا : حمله على المجاز ، و هو الذي يهمنا في بحثنا ، و قد تنوعت التفاسير في ذلك :

ا . ما يجر الى النار: ((إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً أي ما يجرّ إلى النار ويؤدّي إليها وَسَيَصْلَوْنَ أي في القيامة سَعِيراً أي نارا مستعرة.))[٦٣] ،

ب. ما يؤدي الى النار ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:" إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً ١٠" [النساء: ١٠]، لِأَنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّيهِمْ إِلَى النَّارِ.))[٦٤] ،

ج . اذا صار الى جهنم ((قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً يعني بغير حق إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً أي حراماً، لأن الحرام يوجب النار، فسماه الله باسمها ويقال: إنه يلقم من النار إذا صار إلى جهنم، فذلك قوله تعالى: إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً.))[٦٥]

د . عاقبته النار ((أي أن عاقبته تؤول إِلَى ذَلِكَ))[٦٦]

ه . سبب لعذاب النار (((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) ظلما أي على سبيل الظلم وهضم الحقوق لا أكلا بالمعروف عند الحاجة إلى ذلك أو تقدير الأجرة العمل، وقوله فى بطونهم: أي ملء بطونهم، وقوله نارا: أي ما هو سبب لعذاب النار))[٦٧] ،

و . يأكلون النار : ((إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً أي: أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار، وقيل: يأكلون النار في جهنم))[٦٨] ،

ي . عاقبته الى نار : ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً [النساء: ١٠] «أي: يأكلون ما عاقبته نار»))[٦٩] ،

كما نجد ان الاختصاص بمجيء البطن دون سائر الأعضاء يلفت الى ان الانسان كل همه بطنه ، و هذه الخصيصة يجتمع بها مع البهائم و الحيوانات ، و ان من اكل مال اليتامى فهو من جنس الحيوانات ، لانه لا يحتكم الى الشريعة و القانون الذي لانجده في الغابات التي يأكل فيها القوي الضعيف ، اما صاحب البحر المحيط يقول ((وَالِاخْتِصَاصَ فِي: بُطُونِهِمْ، خَصَّهَا دُونَ غَيْرِهَا لِأَنَّهَا مَحَلٌّ لِلْمَأْكُولَاتِ. وَالتَّعْرِيضَ فِي: فِي بُطُونِهِمْ، عَرَّضَ بِذِكْرِ البطون لخستهم وَسُقُوطِ هِمَمِهِمْ وَالْعَرَبُ تَذُمُّ بِذَلِكَ قَالَ:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِ ...))[٧٠] اما الطاهر بن عاشور فله رأي اخر في ذكر البطن فيقول : ((وقد ذكر سبحانه إثم ذلك الأكل بقوله: (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ) وهذا تصوير لضرر الأكل عليهم؛ لأنه يكون أكلهم كمن يأكل النار ويضعها في بطنه أي يملأ بطنه بها فهو في ألم دائم حتى يهلك، وكذلك دائما من يأكلون أموال اليتامى لَا يأكلون أكلا هنيئا ولا مريئا، بل هم في وسواس دائم حتى يقضى الله عليهم، وقد رأينا بيوتا خربت لأنها أكلت مال اليتيم. وهذا عقابهم في حاضرهم، أما العقاب الذي ينتظرهم في الآخرة فقال: (وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) أي ستوقد بهم نار شديدة الأوار،))[٧١] ، اما الرازي يرى فوائد في ذكر(في بطونهم) : ((لقائل أن يقول الأكل لا يكون إلا في البطن فما فائدة قوله إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وجوابه أنه كقوله يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ [آل عمران :١٦٧] والقول لا يكون إلا بالفهم وقال وَلَاكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ [الحج :٤٦] والقلب لا يكون إلا في الصدر وقال وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ [الأنعام: ٣٨] والطيران لا يكون إلا بالجناح والغرض من كل ذلك التأكيد والمبالغة

(.....) انه تعالى وإن ذكر الأكل إلا أن المراد منه كل أنواع الاتلافات فان ضرر اليتيم لا يختلف بأن يكون إتلاف ماله بالأكل أو بطريق آخر وإنما ذكر الأكل وأراد به كل التصرفات المتلفة لوجوه أحدها أن عامة مال اليتيم في ذلك الوقت هو الأنعام التي يأكل لحومها ويشرب ألبانها فخرج الكلام على عادتهم وثانيها أنه جرت العادة فيمن أنفق ماله في وجوه مراداته خيرا كانت أو شرا أنه يقال إنه أكل ماله وثالثها أن الأكل هو المعظم فيما يبتغي من التصرفات))[٧٢] ، يقول الطاهر بن عاشور في سورة النساء التي وردت فيها هذه الاية القرانية ((إن الآيات الكريمات من أول السورة في بيان العلاقات الإنسانية، وقد نظم سبحانه وتعالى العلاقات بين بني الإنسان، وعني ببيان حقوق الضعفاء، وهم اليتامى والنساء،))[٧٣] .

الخاتمة

تمثل القيم الإنسانية الركيزة الأساسية في الايات القرانية ، كيف لا وهو التي عالج كل صغيرة و كبيرة ، بل اهتمت بالإنسان قبل ولادته ، و عالجت قضايا تمس الحياة اليومية و وجهت الخطاب الى الفرد و المجتع على حدا سواء ، و كما احتوت الايات القرانية على قيم إنسانية نجد فيها كذلك من الأساليب البيانية البلاغية من ذلك :

في قوله تعالى : ((فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨))) نجد توسط أسلوب التشبيه (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) بين حبسين ، فالحبس الأول (امر بالصبر) في بداية الاية (فَاصْبِرْ) و من معانيه الحبس و(امر بالكظم) في نهاية الاية (وَهُوَ مَكْظُومٌ) و من معانيه الحبس ، و كأن النص القراني يخاطب الانسان اذا اردت الوصول الى الصبر فعليك بالكظم .

في قوله تعالى : ((وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)) نجد في هذه الاية القرانية احتوت على أساليب بيانية منها ، استعارة بليغة و استعارة تمثيلية و استعارة مكنية و استعارة تصريحية و كناية و مجاز ، كما احتوت الاية القرانية على معاني منها الرفعة و العلو و الشمول و الإحاطة من كل جانب ، و الاية توصل رسالة إنسانية مفادها كما احتواك والديك بصغرك احتويهما و خاصة في كبرهما .

في قوله تعالى : ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ)) نجد الكناية عن (ضعف على ضعف) و (مشقة على مشقة) و (جهد على جهد) ، فالنص القراني يوجه لنا رسالة جميعا بان الام واجهت (الوهن) بكل انواعه (الضعف و المشقة و الجهد .....) و في كل المراحل التي مر بها

الانسان ، بدا من النطفة و الجنين و الطفولة و الشباب ، لذلك على كل انسان ان يعي هذه الحقيقة في عظم الوصية القرانية ، في شكر الوالدين الذي جاء مباشرة بعد شكر الله تعالى ، فالشكر بانواعه قولا و فعلا و عملا و برا .

في قوله تعالى : ((وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)) نجد أسلوب المجاز(نشوزا) قد جاء بمعاني متعددة منها الترفع و التكبر و ترك مجامعتها و التجافي و العصيان ، و (اعراضا) بمعاني منها الميل و الانحراف و قل محادثتها و مؤانستها و يعرض بوجهه ، لكن القران الكريم يتدخل في وجود خطر يمس الاسرة المسلمة ، فقد عالج كل شيء يخص الانسان في ادق تفاصيله و خصوصياته . فالاختيار الدقيق للفظتين (نشوز) و (اعراض) في التعبير القراني يوحي للمتلقي بأن الانسان معرض للمشاكل الزوجية سواء طالت او عرضت فانه يستطيع ان يوجد لها مخرجا عن طريق (الصلح) ، كما نجد ان تقديم (النشوز) على (الاعراض) هو للخطورته على الحياة الزوجية، او لقلة وقوعه لذا قدم ، اما (الاعراض) نجد انه اخر اما لانه مقدمة للنشوز او لكثرة وقوعه بين الزوجين لذا اقتضى تأخيره ، فقدم من كان اشد خطورة و اقل وقوعا و اخر من كان اقل خطورة و اكثر انتشارا ، لان النشوز هو مرحلة متقدمة على الاعراض ، نستطيع القول بان كل نشوز هو اعراض و ليس كل اعراض نشوز ، كذلك مجيء (اعراضا) بالجمع يدل بان هذه الاعراض هي تراكمات و مشاكل سابقة بحيث وصل الى مرحلة (النشوز) ، فالنص القراني جاء بثلاث مراحل تمر بها المشاكل الزوجية و ان لم يسم المرحلة الثالثة و لكن جاء بها تلميحا (أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) المرحلة الأولى : الاعراض ، المرحلة الثانية : النشوز ، المرحلة الثالثة : الطلاق ، فالنص القراني لم يسم المرحلة الثالثة تصريحا و انما جاء بها تلميحا ، و رب سائل يتسائل لماذا ، و ذلك لان القران الكريم يريد المحافظة على الاسرة المسلمة و يبعدها عن التفكك و الضياع ، لذا جاء في المرحلة الثالثة الصلح و هو ما يريده القران الكريم ، بدل الطلاق و هو ما ابعده القران الكريم عن السياق ، فالترتيب الذهني للإنسان هو اعراض ثم نشوز ثم طلاق ، اما الترتيب السياقي للقران هواعراض ثم نشوز ثم صلح (أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) ، بل و امر القران الكريم بالاحسان و التقوى (وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) .

في قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً (١٠))) نجد أسلوب المجاز (يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً) فقد تعدد المعنى التفسيري ، منها المال الموروث و أولياء السوء وقضائه و بغير حق و من غير موجب شرعي و على وجه الظلم ، كما نجد ان الاختصاص بمجيء البطن دون سائر الأعضاء يلفت الى ان الانسان كل همه بطنه ، و هذه الخصيصة

يجتمع بها مع البهائم و الحيوانات قال تعالى : ((وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢))) [محمد : ١٢] ، و ان من اكل مال اليتامى فهو من جنس الحيوانات ، لانه لا يحتكم الى الشريعة و القانون الذي ينظم حياة الناس .

مصادر البحث

القران الكريم

- إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) ، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٥ هـ
- أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
- الأساس في التفسير ، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) ، دار السلام – القاهرة ،الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ
- البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ،المحقق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) ، مكتبة الآداب ، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ،دار إحياء التراث العربي – بيروت
- تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ،المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ هـ
- التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ ، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ
- تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل في تفسير القرآن) ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ
- تفسير الثعلبي المسمى (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشورمراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م
- تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير) ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ
- تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني ،الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا ، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م
- تفسير السمرقندي المسمى (بحر العلوم) ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣ هـ) ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق: د. محمود مطرجي
- تفسير القاسمي المسمى (محاسن التأويل) ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ) ، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية، بيروت
- زهرة التفاسير ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ
- اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

الهوامش:

(١) ادعاء ان المشبه هو المشبه به و هذا ما نجده في التشبيه و الاستعارة
(٢) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : ٣ / ٥٣٨
(٣) مقاييس اللغة : ٣/ ٣٢٩
(٤) تفسير الرازي : ٣٠ / ٦١٦ – ٦١٧
(٥) مقاييس اللغة : ٥ / ١٨٤ – ١٨٥
(٦) تاج العروس : ٣٣ / ٣٦٦
(٧) لسان العرب : ١٢ / ٥٢٠ ، ينظر : العين : ٥ / ٣٤٥
(٨) أساس البلاغة : ٢ / ١٣٨
(٩) لسان العرب : ١٢ / ٥٢٠
(١٠) المصدر نفسه : ٤ / ٤٣٨
(١١) تاج العروس : ٣٣ / ٣٦٦
(١٢) تاج العروس : ٣٣ / ٣٦٦
(١٣) مقاييس اللغة : ٥ / ٣٨٠
(١٤) جواهر البلاغة : ٢٥٨
(١٥) اللباب في علوم الكتاب : ١٢ / ٢٥٩
(١٦) تفسير القاسمي : ٤ / ٤٥٤

(١٧) اعراب القران وبيانه : ٥ / ٤١٣ ، ينظر : تفسير القاسمي : ٦ / ٤٥٤

(١٨) تفسير القاسمي : ٦ / ٤٥٤

(١٩) البحر المحيط : ٧ : ٣٧ – ٣٨

(٢٠) التحرير و التنوير : ٦ / ٢٣٧

(٢١) ينظر : الأساس في التفسير : ٦ / ٣٠٦٠ ، التحرير و التوير : ٦ / ٢٣٧ ، اعراب القران و بيانه : ٥ / ٤١٥

(٢٢) ينظر : تفسير الثعلبي : ٧ / ٢٤٩ ، تفسير البغوي : ٦ / ٢٠٧

(٢٣) ينظر : تفسير السمرقندي : ٢ / ٣٠٧

(٢٤) ينظر : تفسير البغوي : ٦ / ٢٠٧

(٢٥) ينظر : تفسير السمرقندي : ٦ / ٤٥٤ ، التحرير و التنوير : ٦ / ٢٣٧

(٢٦) ينظر : زهرة التفاسير : ٨ / ٤٣٦٣

(٢٧) تفسير الكشاف : ٢ / ٦٥٩ ، ينظر : تفسير الرازي (طبعة احياء التراث العربي) : ٢٠ / ٣٢٦ – ٣٢٧

(٢٨) لسان العرب : ٧ / ١٤٥

(٢٩) مقاييس اللغة : ١ / ٤٨٤

(٣٠) العين : ٧ / ٢٣٢

(٣١) المصدر نفسه : ٨ / ١٧٦

(٣٢) تفسير الرازي : ٢٠ / ٣٢١– ٣٢٢

(٣٣) التداعي هو ورود المعاني المتنوعة لدى المتلقي كلها تسهم في خدمة المكون التصويري وهذا ما نجده في الكناية و المجاز

(٣٤) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : ١/ ٥٣

(٣٥) تفسير حدائق الروح : ٢٢ / ٢٤٢ ، ينظر : تفسير البضاوي : ٤ / ٣٤٧ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٥ / ٤٤٥ ، تفسير السمرقندي : ٣ / ٢٣ ، البحر المديد : ٤ / ٣٦٨ ، تفسير البغوي : ٣ / ٥٨٨ ، تفسير النسفي : ٢ / ٧١٤ ، البحر المحيط : ٨ / ٤١٣ ، تفسير الثعلبي : ٢١ / ٢٠٣

(٣٦) ينظر : البحر المحيط في التفسير : ٨ / ٤١٣ ، ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٥٨٨ ، تفسير الثعلبي : ٢١ / ٢٠٣ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٥ / ٤٤٥

(٣٧) تفسير النسفي : ٢ / ٧١٤ ، ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٥٨٨ ، تفسير الزمخشري : ٣ / ٤٩٥ ، اللباب في علوم الكتاب : ١٥ / ٤٤٥ ، التحرير و التنوير : ٢١ / ١٥٨ ، تفسير الثعلبي : ٢١ / ٢٠٤

(٣٨) ينظر تفسير الثعلبي : ٧ / ٣١٣

(٣٩) لسان العرب : ١٣ / ٤٥٣ ، ينظر : تاج العروس : ٣٦ / ٢٦٧ ، مقاييس اللغة : ٦ / ١٤٩

(٤٠) بغية الايضاح : ٣/ ٤٦٢– ٤٦٣

(٤١) لسان العرب : ٥ / ٤١٧ ، ينظر : العين : ٦ / ٢٣٢ أساس البلاغة : ٢ / ٢٧٠ ، تاج العروس : ١٥ / ٣٥٣ ، تهذيب اللغة : ١١ / ٢٠٩

(٤٢) تفسير المنار : ٥ / ٣٦٣ ، ينظر : تفسير المراغي : ٥ / ١٧١

(٤٣) تفسير السمرقندي : ١ / ٣٤٤ ، ينظر تفسير المراغي : ٥ / ١٧١

(٤٤) تفسير ابي السعود : ٢ / ٢٣٩ ، ينظر : تفسير النسفي : ١ / ٤٠١ ، تفسير الزمخشري : ١ / ٥٧١ ، اعراب القران و بيانه : ٢ / ٤٣٠

(٤٥) تفسير السمرقندي : ١ / ٣٤٣

(٤٦) المصدر نفسه : ١ / ٣٤٤

(٤٧) تفسير المنار : ٥ / ٣٦٣

(٤٨) تفسير النسفي : ١ / ٤٠١ ، ينظر : تفسير ابي السعود : ٢ / ٢٣٩ ، تفسير السمرقندي : ١ / ٣٤٤

(٤٩) تفسير السمرقندي : ١ / ٣٤٤

(٥٠) العين : ١ / ٢٧٦

(٥١) مقاييس اللغة : ٤ / ٢٦٩

(٥٢) تاج العروس : ١٨ / ٤٠٠

(٥٣) ينظر : تفسير الرازي : ١١ / ٢٣٥

(٥٤) التحرير و التنوير : ٥ / ٢١٥

(٥٥) تفسير الرازي : ١١ / ٢٣٦

(٥٦) تفسير المنار : ٤ / ٣٢٤ ، ينظر : تفسير القاسمي : ٣ / ٣٦

(٥٧) ينظر : تفسير القاسمي : ٣ : ٣٦ ، تفسير المنار : ٤ /٣٤٢

(٥٨) تفسير السمرقندي : ١ / ٢٨٤

(٥٩) البحر المديد : ١ / ٤٧٠

(٦٠) تفسير البيضاوي : ٢ / ١٥٢

(٦١) تفشير الكشاف : ١ / ٤٧٩

(٦٢) البحر المحيط في التفسير : ٢ / ١٢١ ، ينظر : تفسير الرازي : ٩ / ١٦٢

(٦٣) تفسير القاسمي : ٣ / ٣٦ ، ينظر : تفسير النفسي : ١ / ٣٣٤ ، تفسير البيضاوي : ٢ / ٣٣٤

(٦٤) تفسير القرطبي : ١٢ / ١٥٣ ، ينظر : تفسير الثعلبي : ٣ / ٢٦٣ ، تفسير السمعاني : ١ / ٤٠٠ ، تفسير الراغب الاصفهاني : ٣ / ١١١٩

(٦٥) تفسير السمرقندي : ١ / ٢٨٤ ، ٣٠٩ و ينظر : تفسير الماوردي : ١ / ٤٥٧

(٦٦) تفسير القرطبي : ٢ / ٢٣٥ ، ينظر : تفسير السمرقندي : ١ / ٣٩١ ، تفسير النسفي : ٢ / ٤٧

(٦٧) تفسير المراغي : ٤ / ١٩٣

(٦٨) التسهيل لعلوم التنزيل : ١ / ١٨٠

(٦٩) تفسير السمرقندي : ١ / ٣٩١ ، ينظر : تفسير الثعلبي : ٢ / ٤٧

(٧٠) البحر المحيط : ٣ / ٥٣٢ ، ينظر : اعراب القران و بيانه : ٢ / ١٦٨

(٧١) زهرة التفاسير : ٣ / ١٥٩٨

(٧٢) تفسير الرازي : ٩ / ١٦٣

(٧٣) زهرة التفاسير : ٣ / ١٥٩٠

القيم الاخلاقية بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الاسلامية دراسة تاريخية

م.د. أحمد فرج فليّح
جامعة البصرة/ كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة
قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة

المقدمة

تشكل القيم الأخلاقية دوراً هاماً في صلاح المجتمعات ورقي الأمم والشعوب، لاسيما إذا كانت الأخلاق قائمة على معايير سليمة تخلو من الفساد، الذي بدوره يؤدي إلى إنحلال المجتمعات وتفكك روابطها وسبيلاً لتخلفها، وهذا ما دفعنا للبحث والاستقصاء عن الاخلاق عبر ما كتبه الفلاسفة اليونان ودور الرسالة المحمدية وأهل بيت النبي محمد (عليهم السلام) والمفكرين المسلمين، لوضع قواعد اساسية في بناء الاخلاق الصحية القائمة على العدل والفضيلة

ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع الذي نحاول فيه معرفة فلسفة القيم الأخلاقية في الفكر اليوناني والإسلامي عبر التاريخ، وأن كنا توقفنا عند نماذج هامة في هذا البحث الذي يتبين من خلاله دور كل من المفكرين اليونانيين أفلاطون وأرسطو في فلسفتهم الأخلاقية وتأثر المفكرين المسلمين بهذه الفلسفة، سيما الفارابي وابن مسكويه، إلا أنهم اضافوا عليها ثقافتهم وفق المنظور الإسلامي والسنة النبوية الشريفة وتجاربهم الشخصية.

الكلمات المفتاحية: القيم، الفلسفة، الأخلاق، السعادة

المبحث الأول: مفهوم الاخلاق والقيم لغة واصطلاحاً:

١- تعريف الاخلاق لغة:

ذكر أبو السعادات: "أن الخُلْق والخُلُق: السَّجِيّة. يُقَالُ: خالِص المُؤْمنَ وخالِق الْفَاجِرَ. وَفِي الْحَدِيثِ: لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسن الخُلُق؛ الخُلُقُ، بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُونِهَا: وَهُوَ الدِّين والطبْع وَالسَّجِيَّةُ، وَحَقِيقَتُهُ أَنه لِصورة الإِنسان الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نفْسه وأَوصافها وَمَعَانِيهَا المختصةُ بِها بِمَنْزِلَةِ الخَلْق لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وأَوصافها وَمَعَانِيهَا، ولَهُمَا أَوصاف حسَنة وَقَبِيحَةٌ، والثوابُ وَالْعِقَابُ ممَّا يَتَعَلَّقان بِأَوْصَافِ الصُّورة الْبَاطِنَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَلَّقان بِأَوْصَافِ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، ولِهَذَا تَكَرَّرَتِ الْأَحَادِيثُ فِي مَدْح حُسْن الخُلُق كَقَوْلِهِ أَكثرُ مَا

يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ تَقْوَى اللَّهِ وحُسْنُ الخُلُق، وقَوْلِهِ أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسنُهم خُلُقا وقَوْلِهِ إِنَّ العَبْد لَيُدْرِك بِحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ وقَوْلِهِ بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاق، وَأَحَادِيثَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ كَثِيرَةٌ، وكَذَلِكَ جَاءَ فِي ذَمّ سُوء الْخُلُق أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ "كَانَ خُلُقُه القرآنَ أَيْ كَانَ مُتَمسّكاً بِآدَابِهِ وَأَوَامِرِهِ ونَواهيه وَمَا يَشْتَمل عَلَيْهِ مِنَ المَكارم والمَحاسن والأَلْطاف"[١].

٢-تعريف الاخلاق اصطلاحاً:

الاخلاق هو علم معياري، بمعنى أنه جملة القواعد والأسس التي يعرف بواسطتها الانسان معيار الخير في سلوك ما، أو مدى الفساد والشر المتمثل في سلوك آخر[٢]، أو المقياس الذي تقاس به الخيرية ويميز به بين الأفعال الخيرة والأفعال الشريرة ثابت لا يتغير بتغيير الظروف والأحوال[٣]، أي بمعنى أن هناك قواعد كلية شاملة كل الناس في كل زمان ومكان[٤]، وعلى ضوء ذلك نحدد كيف ينبغي أن نكون، وكيف نتصرف ونتعامل في حياتنا في الوسط الاجتماعي، وكيف يتصرف بعضنا مع البعض الآخر، أو الجماعة الإنسانية بوجه عام[٥].

فالإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع العيش بمفرده في هذه الحياة، فهو بطبيعته اجتماعي يعيش ضمن مجتمع يحتك فيه بالآخرين، وهذا يدل على أن النظام الاجتماعي قد احتفظ بكيانه بطرائق شتى؛ ولا يقلل اختلاف الطرق هذا من ضرورة النظام الاجتماعي، فلا بد من قواعد يرعاها الناس في اجتماعهم بعضهم ببعض، ومن هنا كان إجماع الناس في المجتمع الواحد على اصطناع أخلاق معينة في سلوكهم لا يقل أهمية عن مضمون هذه الأخلاق نفسها[٦]، وهذا ما يدفعنا للقول أن تحديد هذه القيم على ضوء العقل والشرع ثم الالتزام بها وتطبيقها على المستوى العملي، واذا ما التزمنا بالقيم كانت السعادة الفردية والاجتماعية في الدنيا والآخرة، وليصل الإنسان إلى السعادة لا بد أن يلتزم بالقيم الاخلاقية لأنها نظام متكامل يكمل بعضه بعضاً[٧].

٣-تعريف القيم الاخلاقية:

تتصدر القيم الاخلاقية حيزاً مهماً في حياة الإنسان، وبالتالي شغلت مساحة واسعة من بحث المفكرين والمهتمين بالجوانب الإنسانية والاجتماعية عبر التاريخ، ولتحديد مفهوم القيم بالمعنى العام لا بد لنا أن نطرح مجموعة رؤى متعددة منها:

ما عرفه ويليام جيمس "أن القيم مجموعة من المعايير التي يضعها المجتمع ويلزم بها الأفراد وأن الخبرة والممارسة ينبوع القيم"[٨]، ويضيف آخر أن مفهوم القيم يتضمن عناصر متعددة ترتبط بالشعور والعاطفة، وأن القيم ذات تأثير مباشر على سلوك الأفراد وأفعالهم، بل هي في الواقع الدافع وراء كل سلوك[٩]، ويرى

آخر أن القيم انعكاس للأسلوب الذي يفكر به الافراد في ثقافة معينة تجاه منظماتهم، كما أنها هي التي توجه سلوك الأفراد، وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه، أو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يصنعه المجتمع من قواعد(١٠).

ويشير باحث آخر على أنها مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الاسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، إذ تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته تتفق مع امكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة(١١) بينما يرى آخر أن القيم هي حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك(١٢).

فالشرائع السماوية هي رسالة الله للإنسان، وهي تقوم على اساس أن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يتركه سدى، وإنما لغاية محددة معلومة، وبالتالي أرسل له الرسل والأنبياء وأنزل عليهم الكتب والشرائع، التي توضح لهم ما هو مطلوب منهم ليحققوا غايته.

ومن خلال ما تبين اعلاه يمكن استخلاص هذه المفاهيم بأنها تعبر عن المعايير الأخلاقية الإسلامية المنطلقة من المصادر الإسلامية التي توارثها عبر مراجعه الأساسية، الممتدة عبر التاريخ إلى يومنا هذا تسير عليه حياة الفرد والمجتمع، وإذا اتبعها وعمل بها الانسان وصل إلى درجة الكمال.

المبحث الثاني: القيم الاخلاقية في الفكر الفلسفي اليوناني:

جاء الاهتمام بالمسائل الأخلاقية ليس من فراغ بل بسبب ما لحق بالإنسان على مر العصور من حب السيطرة واعلان الحروب والتعالي على كل ما هو إنساني، وعليه جاء الاهتمام بالنظرية الأخلاقية في عمق الحضارات القديمة، سيما اليونانية منها من خلال بعض الفلاسفة والمدارس الأخلاقية في الفكر وكيف كانت نظرتهم؟

يشير مرحبا أن هناك تصورين للأخلاق قديم وحديث، فأما التصور القديم ونعني به الأخلاق عند اليونان فهو مطبوع بطابع السعادة، أي أنَّ أخلاق اليونان إنما هي أخلاق سعادة(١٣)، وهذا يعني أن الأخلاق اليونانية تختلف عن الأخلاق الحديثة اختلافاً جذرياً، سيما بدءاً من كانط(١٤) لان الأخيرة أخلاق واجب، أما الأخلاق اليونانية أخلاق سعادة(١٥).

وهذا يكشف أن هناك تطوراً تاريخياً قد حصل في مفهوم الأخلاق الحديثة إذا ما قابلناه بالأخلاق اليونانية.

علاوة على ذلك وضح مرحبا أن الفرق بين التصور القديم والتصور الحديث إذ قال: "فعلى حين أنَّ قاعدة السلوك عند كانط تقول افعل هذا لأنه واجبك فأنَّ الأخلاق اليونانية تذهب بالقول افعل هذا لأنه يؤدي إلى سعادتك"[١٦]، وسنلاحظ ذلك من خلال آراء فلاسفة اليونان حول الأخلاق.

أولاً: الاخلاق عند افلاطون[١٧]

يقسم أفلاطون (٣٤٨ ق.م) الأخلاق إلى ثلاثة محاور رئيسية: الأول يتجه إلى البحث في الخير الأسمى، أما المحور الثاني فيتجه إلى تحقيق الخير الأسمى في جزئياته عن طريق الفضائل، أما المحور الأخير فيتجه إلى تحقيق الخير في الدولة، وهو ذا طابع سياسي، وهذا يدفعنا إلى التساؤل هل السياسة متصلة بالأخلاق أم منفصلة عند كل من افلاطون وأرسطو؟ وللأجابة على هذه التساؤل لا بد لنا أن نتحدث عن المحاور الثلاثة.

المحور الأول: الخير الأسمى:

أن سقراط (٣٩٩ ق. م)[١٨] فصل قديماً في مسألة الخير عندما ذكر أن الخير هو السعادة، لأنه يعد من الأمور التي تحقق السعادة، وبالتالي الغاية والباعث في الفلسفة السقراطية متلازمان، أو هما شيء واحد، وسار افلاطون بنفس النظرة التي سار عليه سقراط حول الأخلاق وتحقيق السعادة بقوله: "وأخذ كل منا نحن الأثنين في شرح الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان فيها سعيداً والطريقة الموصلة إليها"[١٩]، إلا أن النظرة تغيرت عندما جعل كانط السعادة منفصلة تمام الانفصال عن الدافع الأخلاقي، لأن الدافع الأخلاقي عنده هو الواجب، والواجب لا صلة له بالسعادة، فقد يتأتى عن تحقيق الواجب سعادة، وقد يتأتى عن تحقيقه شقاء، والنتيجة الأخلاقية في كلتا الحالتين واحدة عند كانط، لأن الأخلاق هي تحقيق الواجب، وليست تحقيق السعادة[٢٠]. وهذا يخالف تماماً للفلسفة اليونانية بوجه عام، والتي ربطت بين الغاية والباعث في صفة السعادة.

أما صفة أو ماهية الخير الأسمى عند أفلاطون فهو منسجم إلى ابعد الحدود مع نظريته المتعلقة بالمثل الأعلى هو الله، إذ يلتقي الكائن بالقيمة وفيه تكون الفكرة انموذج الشيء الراهن، والعامل الفاعل في إبداعه وخلقه[٢١]، وبالتالي أن الوجود الحقيقي عند افلاطون هو وجود الصور، فكل ما يتصل بهذا الوجود إذن هو وحده الوجود الحقيقي، أما ما يتعلق بالوجود المحسوس فلن يكون خيراً بالمعنى الصحيح[٢٢].

ومن خلال ما ورد اعلاه تتضح أنواع الخير حسب النظرة الأفلاطونية، فكلما ابتعدت النفس البشرية عن الجسم واتصلت بالصورة كان الإنسان محققاً لدرجة أكبر من الخير، وبالكلام عن الخير، لا ينفصل عن المفاضلة بين الأشياء والأفعال وحتى بين الفضائل نفسها.

المحور الثاني: الفضائل

إن الفضيلة في نظر أفلاطون هي "العمل الحق على أن يكون صادراً عن معرفة صحيحة بقيمة الحق، هذه هي الفضيلة الفلسفية التي تقوم على الروية والتفكير، وعلى فهم المبدأ الذي ينبثق عنه السلوك"(٢٣).

وعلى ما يبدو أن نظرة أفلاطون لا تختلف كثيراً عن نظرة استاذه سقراط الذي كان يضع الفضيلة في العلم وجعلها واحدة لا تتجزأ عنه، لكن من الناحية الظاهرية على الأقل من خلال ما طرحه أفلاطون في هذا المجال، كما نجد هناك نوع من التباين الشكلي من خلال طرح هذه القضية، فالفضيلة وحسب رأي افلاطون تنقسم بحسب اقسام النفس الى ثلاثة اقسام مرتبة ترتيباً عادلاً، لا واحدة مثلما ذهبت إليه فلسفة سقراط، لكن هذا الأمر لا يعد خروجاً على النص السقراطي من طرف تلميذه افلاطون، ما دام أنه وضح هذه النقطة بقوله : "مهما اختلفت الفضائل فهي ليست إلا اسماء لفضيلة واحدة، وعلى هذا فأنه لو كان قال ذلك من بعد بتعدد الفضائل، فأن لديه في آخر الأمر فكرة وحدة الفضائل قائمة باستمرار"(٢٤).

وكما اتضح أن الفضيلة عند أفلاطون أولاً: هو زهد تتساوى فيه بنظر الإنسان الملذات والآلام، فالتخلص منهما هو السبيل إلى السعادة، وحياة الزهد والنسك هذه قد يحياها أناس ليسوا من الحكماء والفلاسفة طيبون، قد طهروا أنفسهم من الانحدار إلى عالم الحس والشهوة، وهؤلاء الحكماء لهم فضل في الحياة أرقى بكثير ممن أخضعوا النفس للبدن، ولكنهم مع ذلك لا يبلغون مكانة الفلاسفة(٢٥).

وثانياً: أن الفضائل تكون بحسب انواع النفس، إذ تكون الفضيلة الأولى مقابلة للقوة الشهوانية، لأن مهمة القوة الشهوية أن تكون في خدمة القوة العاقلة، ألا تندفع تبعاً لهذا، وأن تستعين بالقوة الغضبية من أجل أن تحكم نفسها، فكأن وظيفتها الأساسية أن تضبط نفسها والا تتجاوز الحدود، وأن تخضع لما تقول به القوة العاقلة، أي أن فضيلتها هي العفة أو ضبط النفس، أما القوة الغضبية فمهمتها تلبية الأوامر التي تصدر من القوة العليا، أو القوة العاقلة، وأن تعمل وتقبل على كل المكاره التي يتوجب تحقيقها، وبالتالي تكون فضيلتها الشجاعة، ثم الفضيلة الاخيرة تكون عندما تأتي القوة العليا للتمييز بين انواع الخير وتحقيق الخير الأسمى(٢٦). وبتحقيق الخير الأسمى تحصل فضيلة الحكمة، لكن رغم هذا يجب أن تكون هناك قوة رابعة أخرى تخلق الانسجام والتناغم بين هذه القوى المختلفة المؤلفة للبنية الإنسانية، موازنة بين مقتضيات الانسجام وواجبات

كل قوة من هذه القوى وهي العدالة، وهذه الاخيرة هي فضيلة ضرورية لكل فرد، يجب أن يمتلك كل هذا، لأن شؤونه تسير تبعاً للعدل، فكل جزء من أجزائه يقوم بما هو أهل له[٢٧]ـــ

ويرى أحد الباحثين أن فضيلة العدالة التي نادى بها أفلاطون على الرغم من كونها فضيلة إنسانية فهي فضيلة دينية أيضاً؟، فلا يوجد دين في الأديان السماوية جميعها إلا وأكد على هذه الفضيلة، فلا دين يرضى بالظلم. فالعدالة فيها خير الفرد والمجتمع[٢٨].

وخلاصة القول أن حدوث هذا التناسق في قوى النفس كفيل بأن يحقق لها خيرها الطبيعي ألا وهو السعادة، أي أنها تنبع من باطن النفس ولا يرد عليها من خارج، فالعادل سعيد مهما اشتدت عليه ظروف الحياة، فالغني هو غني النفس البريئة من الشر، المتطلعة إلى الخير، المتثقفة بالعلوم والمعارف، المتشوقة الى الجمال المطلق[٢٩].

المحور الثالث: السياسة

عند النظر في الفكر الأفلاطوني يجد الباحث نفسه امام مشكلة فلسفية حقيقية كان أفلاطون يصبو إليها في الواقع ألا وهي المشكلة السياسية، أي محاولة وضع قاعدة فلسفية ترتكز عليها الدولة سواء ما يتعلق بنظام الحكم أو الشخص الحاكم ذاته وصفاته وخصائصه، ثم كيف يجد السبيل لتحقيق مدينة فاضلة على أرض فاسدة؟

عالج أفلاطون المسائل السياسية متخذاً من الأخلاق منهجاً لتهذيبه، لا سيما أن السياسة في الغالب تستبعد الاخلاق والفضائل على حساب الملكية والتفوق، وهذا يعني ليس من السهل إقامة مجتمع يمتلك الصفات المثالية، والجدير بالذكر أن الغاية من الدولة تهيئة أحسن الظروف من أجل تحقيق الفضيلة، إلا أن أفلاطون عندما يتحدث عن الغاية من انشاء الدولة هو حاجة الفرد للجماعة، أو أنه لا يستطيع أن يكون إلا في اطار الكل، أي إن الدولة تنشأ حينما يشعر الناس بأن الواحد منهم لا يستطيع أن يكفي نفسه في إشباع حاجاته، فيجتمع الناس بعضهم مع بعض، لكي يستطيع الواحد أن يكمل الآخر، ويحقق له المنافع ما لا يستطيع هو وحده أن يحققه[٣٠].

وأن هذه التفسيرات حول غاية أو نشأة الدولة، لا تنقص من قيمتها الأساس الملقاة على عاتقها وهو العلم الذي لا يتحقق إلا عن طريق التعليم، والتعليم لا يتم إلا بالتربية، والتربية لا يمكن أن تترك للفرد وحده، ومن ثم تهيئة الظروف للعلم من أهم أهداف الدولة، ولتحقيق هذا الأمر لا بد للكيان السياسي أن يوفر اشخاصاً

يملكون هذه الصفة وهم الفلاسفة[٣١]، ويبدو أن افلاطون أراد أن يجعل من الفيلسوف هو الحاكم الشرعي للدولة، وهذه هي الأسس التي ترتكز عليها فلسفته السياسية.

وعلى ما يبدو أن فلسفة أفلاطون السياسية والأخلاقية متلازمة فيما بينها، لا أحد يستطيع أن ينفك عن الآخر، فالسياسة هي امتداد للأخلاق، إذ لا يمكن بناء مجتمع قوي دون أخلاق العدل والفضيلة، ولن يتحقق هذا الهدف إلا بتنشئة الفرد وفق تربية متكاملة، قائمة على تهذيب النفس وتنشئتها على حب الخير والمجاهدة في بلوغ الحقيقة لن تكون إلا بأعمال العقل، وهو الوصول بالنفس إلى الحقائق الثابتة الموجودة في عالم المثل أو الصور الحقيقية، وبالمقابل نذكر جوانب ايجابية في هذه الأخلاق عندما جعل من القيمة الاخلاقية موضوعية ومطلقة تنشد الكمال وتعالج الفساد في المجتمع ككل من الجانب السياسي والاجتماعي والتربوي.

ثانياً: الاخلاق عند أرسطو[٣٢]

على الرغم من تعدد صور الأخلاق في الفلسفة اليونانية، إلا أنها في المحصلة النهائية لا تخرج عن كونها أخلاق سعادة، ويعد أرسطو (٣٢٢ ق.م) المعلم الأول وواحداً من أبرز فلاسفة الحضارة اليونانية وضوحاً في تبيان الغاية من الأخلاق، ولا تقتصر هذه الصفة على هذا الأمر فحسب، بل نجدها في كل ابداعاته الفلسفية الأخرى، ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل فكره ينطلق في الآفاق بعيداً ويحظى باهتمام الكثير من المفكرين والفلاسفة من بعده، ومن مختلف الحضارات، بل تأثيره أمتد الى فلاسفة الإسلام ومن بينهم ابن رشد الملقب بالشارح، إلا أن سبب اعجابه بأرسطو جعله يراه بأنه "الإنسان الأكمل والمفكر الأعظم الذي وصل إلى الحق أي لا يشوبه باطل، وحتى لو كشفت أشياء جديدة في الفلك والطبيعة، لما غير ذلك من هذا الحكم شيئاً"[٣٣].

كما أن الخير والسعادة كلها هي ألفاظ متعددة تهدف إلى غاية واحدة في الأخلاق اليونانية، لذا نجد أرسطو في هذا الصدد ذكر بقوله: "إن فعل الخير والنجاح وتحصيل السعادة كلها ألفاظ متعددة تدل على معنى واحد فحسب، إلا أنه اذا كانت الغاية قد تحددت بالسعادة"[٣٤].

ويبدو أن فكرة السعادة هي الجزء المشترك بين فلاسفة اليونان، وجعلوها الغاية القصوى للحياة، كما أنها تطلب لذاتها لا من أجل شيء آخر، وهذا يدعونا للتساؤل ما هي حقيقة السعادة عند أرسطو؟

ولمعرفة حقيقة السعادة عند أرسطو لا بد لنا معرفة مراتب النفس عنده، إذ لا يختلف مذهبه في اشكالية النفس عن أراء كل من سقراط وأفلاطون، على وجود بدناً ونفساً[٣٥]، أي مذهب ثنائي وهذه الثنائية تتضح، في قول أرسطو: "أن النفس هي كمال أول للجسم الطبيعي الآلي الحي بالقوة"[٣٦]، وهذا يعني أن هناك نفس وبدن في

آن واحد، وبالتالي أن النفس أو الصورة لا يمكن أن تكون بمعزل عن البدن، وهذا يعني أن نظرة أرسطو تختلف عن نظرة أستاذه أفلاطون التي ترى "أن النفس جوهر روحاني مفارق كان موجوداً قبل وجود البدن وسيظل موجوداً بعده، وما وجوده مع البدن إلا لفترة قصيرة من الزمن سيغادره بعدها إلى عالمه في الملأ الأعلى"(٣٧).

ولمعرفة مراتب النفس عند أرسطو لا بد لنا أن نعرف أن النفس في نظره ليست خاصية متعلقة بالإنسان فحسب، بل جعلها خاصية الكائنات الحية ككل، والتي تميّزها عن غيرها من الكائنات غير الحية وعلى ضوء ذلك قسم النفس إلى ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: النفس النباتية أو الغاذية

وهي من أبسط أنواع النفوس وقسمها إلى قسمين، مُدْرِكه، ومحرِّكة، لا سيما أنها موجودة في كل الأحياء حيوانات كانت أو نباتات، وهي توفر وظائف التغذية، وتساعد على النمو وكذلك على التوليد، أي الحفاظ على النوع، ومن ثم استمراريته وبقائه(٣٨).

المرتبة الثانية: النفس الحساسة أو الحيوانية

ومهمة هذه النفس تكمن في الاتصال بالعالم الخارجي، تبدأ دائماً بحاسة اللمس وهذا ما بينه أرسطو بقوله: "إن الإحساس فعل مشترك بين الحساسية وبين المحسوس"(٣٩)، فضلاً عن كونها ابسط الإحساسات وتشترك في جميع الإحساسات الأخرى الأكثر تعقيداً، ويلي اللمس الذوق، فالشم فالسمع فالبصر، وكل حاسة منها تنفعل بمحسوس معين(٤٠)، ولا يقتصر الأمر على الحواس الظاهرة، بل أن هناك حواساً أخرى باطنة، ألا وهي الحس المشترك ويعد الخطوة الأولى في التفكير، ومركزه القلب، الذي يوزع الحرارة مع الدم في أطراف الجسم والمخيلة مرحلة وسطى بين محض الحس ومحض الفكر، أي يترك الإحساس أثراً يبقى في قوة باطنة هي المخيلة فتستعيده وتدركه في غيبة موضوعه، وتوجد فقط عند الحيوانات الراقية، وأخيراً الذاكرة قائمة على المخيلة، فإن الذكر ممتنع من غير التخيل، إلا أنهما متشابهان إلى حد يتعذر معه التفريق بينهما، غير انهما يفترقان في أن المخيلة لا تقتصر على إدراك الصورة والذاكرة تدرك هذه الصورة التي قد سبق ادراكها، فهي تتعلق بالزمن الماضي، ويمثل عملها في بعث الصور بطرق إرادية أو لا إرادية(٤١).

المرتبة الثالثة: النفس الإنسانية أو الناطقة

يختص بها الإنسان ويؤكد قدراته العقلية تأكيداً خاصاً، ولديه إيمان غير عادي بقيمة العقل والحجة العقلية وأهميتها، والذي بواسطته يدرك ماهيات الأشياء وحقائقها الكلية(٤٢)، كما يعد أرسطو أول من تناول مفهوم العقل فلسفياً عندما قال: "إن الإنسان حيوان عاقل، ناطق، اجتماعي، سياسي"(٤٣).

ويتضح مما سبق أن أرسطو فرق بين انواع مختلفة من الوظائف لنفس واحدة، وبالتالي فإنه يختلف مع أفلاطون، لكون الأخير قسم النفس الى ثلاثة اقسام شهوانية وغضبية وعاقلة، أما الطرح الأرسطي فيقر بنفس واحدة، لكن وظائفها متعددة، منها ما هو أعلى ومنها ما هو أدنى.

وذكر أرسطو حول الغاية الكبرى بالنسبة لأي كائن بصفة عامة والإنسان بصفة خاصة هو "أن أي كائن لا يبلغ غايته ولا يحقق سعادته وخيره الأقصى إلا بأدائه لوظيفته الخاصة به على أحسن وجه، هذا هو المعنى الحقيقي للسعادة، وهو شرطها الأساسي"(٤٤).

على ما يبدو أنه أراد القول حول سعادة الأنسان ليست بمزاولة الحياة الغاذية أو النباتية، لأن هذه الحياة تعبر عن الحياة المشتركة بين الإنسان والحيوان، لكن ميزة العقل هي الصفة التي يمتاز بها الإنسان عن سائر الموجودات الأخرى، وبالتالي فالسعادة تتوقف على عمل النفس الناطقة، وعمل هذه الأخيرة بحسب فضيلتها مصدر لذة حقيقية، وعليه فإن الطرح الأرسطي يوحد بين اللذة والسعادة، لكن هل معنى اللذة في هذه الحالة نفس المعنى الذي اعتقده أفلاطون؟

ويبدو للوهلة الأولى أن اللذة في الفهم الأرسطي له بعد روحي، وبالتالي فهي قريبة من الخير الأفلاطوني كما يرى أرسطو بقوله: "إنها لذة نظرية مجرّدة لا صلة لها في الواقع باللذة الحسية التي تتبادر إلى الأذهان، فهي ما يعقب تحقيق الفعل المطابق للفضيلة من غبطه وارتياح، أي هي كمال تحقيق الفعل، أو قل هي بمثابة الصورة بعد أن تتحقق على الوجه الأكمل بالنسبة إلى شيء من الأشياء، وذلك لا يكون إلا في الحياة النظرية، حياة التأمل والفكر، لأنه تحقيق لأعلى درجة من درجات الكمال"(٤٥).

على الرغم من هذه النظرة التجريدية إلا أن نظرة أرسطو للسعادة نظرة لا تخلو من النزعة المادية التي تؤكد على النجاح المادي في الحياة لبلوغ السعادة، لذا تميزت نظرة أرسطو للأخلاق بالواقعية، ويعود هذا الفضل لتدريبه العلمي البعيد عن التبشير بمثل عليا فوق مستوى البشر ونصائح قد تكون فارغة صعبة الفهم، وعلى ضوء ذلك ذكر سانتيانا بقوله: "إن إدراك الطبيعة البشرية في أرسطو صادق تماماً. لكل مثل أعلى قاعدة طبيعية، ولكل شيء طبيعي تطور مثالي، ويبدأ أرسطو بالاعتراف بصراحة بأن هدف الحياة

ليس الخير في حد ذاته، بل السعادة، لأننا نختار السعادة لذاتها، لا لشيء آخر ونحن نختار الشرف والسرور والإدراك لأننا نعتقد أننا نصل عن طريقها إلى السعادة، ونكون سعداء بفضلها"[٤٦]، وحسب رأي أرسطو لا يمكن لأحد أن ينكر دور الجانب المادي في بلوغ هذا الهدف، أي ربما يتعذر له أن يفعل الخير ما لم تتوفر له المال والبنون والسلطة والصحة وغيرها من الجوانب المادية، وعليه فالكثير من المكارم لا يمكن الحصول عليها دون أن نستعين بالجوانب المادية، ومن ثم فهي عبارة عن شرائط حقيقية للسعادة، فإن غابت أفسدتها، وحسب رأي أرسطو أن السعادة أو الفضيلة قد تكون وليدة الصدفة او الاتفاق، لكن مع ذلك قد تكون الظروف قاسية على البعض ومع ذلك تحقق لهم أكبر قسط من السعادة، لذا فإن القوة التي يتميز بها الإنسان هي المقدرة على التفكير الذي يمكنه من السيادة على الظروف، بدليل ما ذكره أرسطو بقوله: "فحياة العقل شرط للسعادة باستثناء قضاء بعض اللوازم الجسدية"[٤٧].

إن فلسفة أرسطو بشكل عام حول السعادة لا تخرج عن إطار فلسفة سقراط وافلاطون، لا سيما أن المذهب الأرسطي يذهب إلى أن حياة التأمل والتفكير هي السعادة الحقيقية، أما حصرها في جانب حسي محدد فهذا غير صحيح، لأن الشيء الذي ينشده الفرد يجب أن يكون شيئاً ذاتياً لا يمنح ولا ينتزع، وإذا ما اردنا تطبيق هذه القاعدة على ما ذكرناه سابقاً حول مقياس السعادة كالسلطة مثلاً، فإنه كم من شخص رفعه الشعب ثم اسقطه كما هو الحال في الوقت الحاضر الذي تعيشه الأمة، والحال نفسه ينطبق على الأغنياء.

وقسم أرسطو الفضائل الى نوعين: هناك فضائل خاصة بالقوة الناطقة، وتسمى فضائل عقلية، وهناك فضائل أخرى متعلقة بالقوة الشهوانية، إلا أنها عندما تمتثل لأوامر القوة العاقلة تصبح فضائل أخلاقية.

أولاً: فضيلة العقل: وهي كالعلم أو الفن والحكمة بنوعيها النظري والعملي، تكتسب بالتعلم وتزيد بزيادته، غير أن اكتسابها هذا يتطلب وقتاً، وعليه ذكر أرسطو ذلك بقوله: "أنها استعداد ما بإزاء الانفعالات ناشئ عن نمو قوة بالمران، وبيانه أن كل فعل إنما تسبقه قوة من نوعه، والفضيلة قوة الفعل الخلقي ولكنها ليست مجرد قوة وليست انفعالاً مؤقتاً كالغضب أو الشفقة، وإنما هي استعداد أو ملكة أو حال مكتسبة بالمران وموقف دائم بإزاء الشهوات من حيث أن التكرار يولد طبيعة ثانية"[٤٨]، وبين تفاصيل أكثر حول الفضيلة العقلية بقوله: "إن لبلوغ الفضيلة يتطلب وقتاً طويلاً وخبرة عظيمة والحكمة النظرية هي أم الفضائل جميعاً لأنها الفضيلة الوحيدة التي يشارك بها الإنسان الله، فالله عقل وتأمل وتفكير، ولذلك فهو سعيد سعادة مطلقة"[٤٩]، ويعني في ذلك كلما أوغل الإنسان في التأمل والنظر استمتع بهذه السعادة واستغرق في بهجتها، إذ أن أرسطو يشيد بدوره بعظمة التأمل والتفكير مثل سقراط ويرى أنه أرقى الفضائل.

ثانياً: الفضائل الأخلاقية كالشجاعة أو الكرم والعفة والحلم والمجاملة، فهي فضائل مكتسبة بالممارسة والتعود بل بالإرادة والتعليم، ولنكون اكثر دقة ممكن القول أن كل فرد مهيأ لاكتسابها، فهي موجودة في طبعه أو استعداداته، والمقصود هي تلك القدرة الموجودة فيه بالقوة، والتي تصير فيما بعد موجودة بالفعل عن طريق العمل والتدرب عليها(٥٠).

ويرى أرسطو الطريق الذي يوصلنا إلى الفضائل الأخلاقية هو طريق الوسط الذي يعرف باسم نظرية الوسط الذهبي بقوله: "حيث تنظم الأخلاق في شكل ثلاثي يكون الطرفان الأول والأخير فيه تطرفاً ورذيلة، فالوسط فضيلة أو فضل، إذ أنه بين التهور والجبن توجد فضيلة الشجاعة، وبين الخضوع والعتو فضيلة الاعتدال، وبين الكتمان والثرثرة فضيلة الأمانة وبين الكسل والجشع فضيلة الطموح ، وبين الخصام والتملق فضيلة الصداقة ، وبين البخل والإسراف فضيلة الكرم، وبين الكآبة والمزاح فضيلة البشاشة الخ..."(٥١)، يتفق هذا مع المثل القائل "خير الأمور اوسطها"(٥٢)، لذا ينبغي الإشارة إلى أن مدلول الوسط هنا ليس مدلولاً رياضياً ثابتاً، فالوسط الذهبي ليس كالوسط الرياضي الذي يتصف بالدقة واليقين والثبات، بل هو وسط متذبذب يتغير مع الظروف وهذا ما أكد عليه أرسطو لقوله: " فليس هذا الوسط وسطاً رياضياً ثابتاً يقاس بطريقة آلية مطلقة كالوسط الذي نعنيه في الكم المتصل، وإنما هو وسط متموج رجراج كالزئبق لا يثبت على حال واحدة، لأن أفعال الناس وانفعالاتهم لا تحتمل مثل هذه الدقة، ولأن الناس يختلفون في الطباع والاستعدادات ويتباينون في ظروف حياتهم وأحوالهم المعيشية والعقلية"(٥٣).

وعليه فإن الفضيلة حسب المفهوم الأرسطي "ملكة خلقية إرادية راسخة في النفس تجعل صاحبها قادراً على تخطي الإفراط والتفريط، واختيار الوسط بينهما بناءاً على مبدأ عقلي سديد"(٥٤)، وهذا يعني ما دامت الفضيلة وسطاً بين رذيلتين، فإنه لا افراط ولا تفريط حسب رأي أرسطو، والرذيلة هي الابتعاد عن الوسط أو الميل إلى حد النقيضين.

على الرغم من أن هذه النظرية تؤكد أن جميع الأفعال والانفعالات أوساطٌ، غير أن هناك الكثير منها يفتقد إلى ذلك مثل الغيرة والحسد والسرقة والزنا، وبالتالي اختيار الوسط لا يكون عشوائياً، بل عن دراية وحكمة، وعليه فإن مبدأ الوسط أو الاعتدال هو ما يميز بشكل عام كل منهج في الفلسفة اليونانية "لقد كان هذا الوسط في ذهن أفلاطون عندما عرف الفضيلة بأنها انسجام في العمل وسقراط الذي عرف الفضيلة بالمعرفة، لقد اوجد الحكماء السبعة تقليد الاعتدال والوسط هذا عندما نقشوا على معبد أبولو في دلفي عبارة لا شيء في افراط"(٥٥).

كما أن السعادة لا تكمن فقط في تحقيق معادلة الوسط الذهبي، بل لا بد أن يتوفر لدينا جانب من متاع الدنيا وحاجاتها، وفي ذلك يرى أرسطو بقوله: "أن الفقر قد يجعل الإنسان من بخيلاً شحيحاًـ بينما المال يحرر الإنسان من الحرص"[٥٦]، وعلى ضوء ذلك يتبادر للذهن تساؤلاً حول إذا كانت السعادة غاية الإنسان فما هي الأمور التي تساعده في ذلك؟

وللإجابة على هذا التساؤل ما ذكره أرسطو بقوله: " إن أنبل الأمور التي تساعد في الوصول إلى السعادة هي الصداقة، حقاً إن الصداقة ضرورية للإنسان السعيد أكثر من الإنسان التعيس، لأن السعادة تزيد وتتضاعف بمشاركة الآخرين فيها وهي أكثر أهمية من العدالة، إذ لا حاجة للعدالة عندما يكون الناس أصدقاء، ولكن عندما يكون الناس مقسطين، تبقى الصداقة نعمة وفضلاً"[٥٧].

ثالثاً: فضيلة السياسة في فلسفة أرسطو: وتعني السياسة فن التدبير وإدارة المدينة أي تنظيم حياة الأفراد في مجتمع له أساليبه المدروسة ونظمه المحبوكة[٥٨]، وعليه اهتم فلاسفة اليونان في السياسة وجعلوها امتداد لفلسفة الأخلاق، وفلسفة أرسطو لا تخرج عن هذه القاعدة، وهذا الترابط الوثيق الذي يقيمه أرسطو بين السياسة والأخلاق يرتكز على أن الإنسان لم يكن يوماً إنساناً متفرداً، أو أنه يعيش خارج نظام المجتمع، بل هو مدني بالطبع، أي لا يمكن أن يعيش منعزلاً عن الآخرين، والمجتمع ظاهرة طبيعية يتجلى فيها نزوع الطبيعة الإنسانية إلى كمالها، والأسرة نواة هذا المجتمع، ويعد بذلك أقدم مظهر للحياة الاجتماعية، تليها القرية مؤلفة من عدة اسر تتعاون، فالمدينة مؤلفة من عدة قرى، وهي أرقى الجماعات تكفي نفسها بنفسها وتستغني عن سواها، فما دون المدينة ناقص يحتاج إلى غيرة، وما فوقها كالإمبراطوريات مركب غير متجانس[٥٩]، وعليه فالفرد بحاجة إلى الدولة لأنها توفر له الحاجات الأساسية والضرورية، ومن ثم أن وجود الفرد هو الذي يفرض على الدولة أن تفي بواجباتها اتجاه الفرد، وتتجلى اهمية الدولة حسب رأي أرسطو توفير اسباب السعادة الخلقية والعقلية لأفرادها، أي مساعدتهم على اكتساب الفضائل، ومن ثم تطبيقها في مجتمعهم، من خلال توضيحهم للهدف نفسه الذي وجدت من أجله الدولة.

كما إن علاقة الفرد بالدولة علاقة تكاملية ومتلازمة جعلت من السياسة أكثر ارتباطاً بالأخلاق، هذا ما دافع عنه كل من أفلاطون وأرسطو، إلا أن هذا الميثاق أو العقد الاجتماعي لو صح التعبير الموجود بين الفرد وجهاز الدولة سيشهد تفككاً بعد أرسطو بظهور أخلاق جديدة لا سيما مع الفلسفة الرواقية، إذ لم تكون لديهم الأخلاق متصلة بالسياسة، إذ سينطوي الفرد على نفسه فلن يعينه من أمر الجماعة شيء، وعندئذ

سيكون الفصل تاماً بين أخلاق الدولة وأخلاق الفرد، بل سينشب نزاع بينهما، وستطرح لأول مرة المشكلة الي يسمونها مشكلة الفرد والمجتمع(٦٠)، وهذا في الحقيقة يعد تطوراً تاريخياً للمسائل الأخلاقية.

وعلى ما يبدو أن سياسة أرسطو هي سياسة نابعة من الواقع تبحث فيما هو كائن من خلال وصف أنظمة الحكم وتبيان سلبياتها، ومن ثم وضع نظرية تكون نافعة على اثرها تقاد الدولة عكس فلسفة أفلاطون السياسية المتصفة بأنها معيارية، أي تبحث فيما يجب أن يكون عليه البحث في السياسة، والتي يكون من الصعب تجسيدها على أرض الواقع، على الرغم من هذا إلا إن فلسفة أرسطو السياسية عند التمعن فيها يدرك من خلالها أنها فلسفة قانونية أكثر من فلسفة أخرى لأن الأخير يهتم في بحثه بأن يبين نشأة الدساتير المختلفة، ويدرسها باعتبارها نظماً ممكنة للحكم(٦١)، وربما عدم عناية أرسطو بالفكر السياسي هو أنه لم يكن في الواقع فيلسوف دولة، كما أنه ربطه للسياسة بالأخلاق لم يكن مثل أفلاطون، فقد كانت غايته من ذلك هو أن تقوم الدولة بوظيفتها المتمثلة في أن تميز بين العدل والظلم، بين الحق والباطل، وأن يكون من شأنها أن تحافظ على القيم العليا، وأن تمنع القيم الدنيا من أن تظهر أو تتغلب(٦٢).

ومن خلال ما طرح اعلاه يظهر إن المنهج الأرسطي السياسي يعد الأسرة الركيزة الأساسية في منظومة الدولة من خلال أولاً: علاقة الزوج بالزوجة، ثم الآباء بالأبناء، والعبيد مع السادة، وبذلك تتكون مجموعة الأسر وعليه تصبح قرية، ومجموعة قرى تكون مدينة، وعليه من الخطأ إهمال هذه اللبنة في تكوين الدولة، كما غفل عن ذلك أفلاطون من خلال نظريته التي اشرنا إليها سابقاً.

وبصفه عامة يمكن أن نقيم فلسفة أرسطو بأنها إيجابية إلى حد ما، وذلك من خلال رفعها لقيمة الإنسان بجعل سعادته مطابقة لأشرف فضيلة فيه، وهي فضيلة العقل النظري، ثم اعتمادها ثانياً: على الحكمة العملية باعتبار أن السعادة تنحصر في جانب محدد من الشهوات أو اللذات الحسية، لأن البشر مهما يكن ليسوا عقلاء فقط، بل لهم جانب حسي ممثل في القوة الحساسة والتي تعد واسطة تساهم في التجريد العقلي.

كما أن نظرية الوسط الذهبي من أبرز الأفكار التي يؤاخذ عليها الفكر الأرسطي، وهذا لعدم القدرة على تطبيقها بشكل واضح وتام، فضلاً عن إن الحضارة اليونانية عرفة بمركزيتها وإقصائها للفرد غير الأثيني، الأمر الذي جعلها غير إنسانية، مادامت تجعل من العبيد جزء في نظام يقمع حرياته كالإنسان.

المبحث الثالث: القيم الاخلاقية في الفكر الفلسفي الاسلامي.

لقد وضع الإسلام قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا الأمر نابع بطبيعة الحال من رسالة الإسلام السمحاء، التي هي رحمة للعالمين بدليل قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"(٦٣).

كما أن الإسلام حدد القيم الأخلاقية السليمة والفضائل النبيلة التي يجب على أي فرد أو جماعة أو مجتمع الالتزام بها ومراعاتها، وبعد هذا الهدى المحدد من القيم الأخلاقية يصبح واجب المفكرين والمصلحين الاجتهاد في شرح وتفصيل تلك القواعد و دعوة الناس إلى الالتزام بما شرعه الله تعالى لعباده وبما جاء في سيرة النبي الاكرم محمد (ص وآله)(٦٤) ولكن يتبادر السؤال إلى الذهن ما هو مصدر القيم الأخلاقية الإسلامية؟

تتمثل مصادر القيم الأخلاقية في الفكر الإسلامي بالترتيب في القرآن الكريم أولا ثم في السنة النبوية الشريفة ثانيا وعترة أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة ثالثاً.

أولاً/ الأخلاق في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وعترة أهل البيت (عليهم السلام).

لقد حث الإسلام على مكارم الاخلاق ويدعو الناس إلى الفضيلة والخير بدليل قوله تعالى "وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"(٦٥)، بل إن الأديان السماوية كلها كانت دعوة هادفة إلى تحرير الإنسان من العقائد السابقة وإرشاده إلى الفضائل الحقة فالخُلق الكريم والاستقامة والفضيلة ركنا اساسياً من أركان السعادة، وهدف من اهداف الرسالات السماوية التي جاءت لهداية البشر وارشاده للصواب.

علاوة على ذلك اظهرت تعاليم الإسلام في صورة واضحة وبينت ما يربط الحياة الدنيا بالآخرة، وما لهذا الارتباط من شأن في تقويم الأفعال والأعمال والحكم عليها، فالحسن والجيد والمباح ما وافق الشرع واستجوب الثواب والسيء والقبيح والمحرم ما خالف الشرع وترتب عليه العقاب في الآخرة، فأعمال الدنيا مقومة حسب نتيجتها في الآخرة وقيمة الأشياء من حيث ما يحصله الإنسان من حسن الأفعال أو قيمها.

أن القرآن الكريم يدعو إلى مكارم الأخلاق ويحث على الفضيلة والخير وينهى عن الشر بدليل قول الله تعالى "إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"(٦٦) وإذا تأملنا الآيات القرآنية التي خاطبة الإنسان وأيقظت ضميره وإثارة شعوره ونظرنا فيما فيها

من الأوصاف الفاضلة والأخلاق الحسنة، فإن القرآن يرسم للإنسان طريق الخير في الحياة ويدفعه إلى السير فيه ويعمل على أبعاده عن الشر، فإن الله خلق الإنسان وهو يعلم ما يصلح للإنسان وما لا يصلح له.

والإسلام يجعل حسن الخلق في قمة الاهداف التي ينبغي ان يتنافس فيها الأفراد، ويجعل حسن الخلق لذاته درجة دينية ترفع قدر صاحبها عند الله وهذا ما دل عليه القران الكريم بقوله "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً"(٦٧).

كما إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله هو أسس الحياة الفاضلة في المجتمع الإسلامي، بدليل قوله تعالى: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"(٦٨).

لقد تمثلت القيم الأخلاقية في شخصية الرسول (ص وآله) العظيمة سمات رجل مبدئي، قائد صبور، ذو نظرة استشراقية، وسياسي محنك، عارف بما تتطلبه المواقف، وكلها مستقاة من الدين ومبادئه السمحاء، فقد كان الرسول (ص وآله) أعظم نموذج أخلاقي يحتذى به مثالاً واقعياً يدركه الناس قبل البعثة وبعدها، فقد كان قبل بعثته يلقب بالصادق الأمين فالصادق لا يكذب، والأمين لا يخون وما أدراك ما الصدق والأمانة وما أدراك ما الكذب والخيانة؟ أما الصدق والأمانة، فيمكن أن يحيي أمه وليس فرداً، وكذلك الكذب والخيانة يمكن أن يدمرا أمماً وليس أمة(٦٩)، بل نجد اصحابه تمسكوا بكل فعل فعله ودعا إليه فكانوا خير جيل على الأرض الجيل الذي قال فيه رسول الله (ص وآله) "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ...الجديث"(٧٠).

كما أن الله عز وجل وصفه نبيه الكريم بقوله تعالى: "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(٧١)، وعندما سئلت عائشة (رضي الله تعالى عنها) عن خلق رسول الله (ص وآله)، قالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"(٧٢). ويبدو أن عائشة أرادت بذلك ما كان في رسول الله (ص وآله) من مثل وقيم شرعها الله عز وجل لعباده المؤمنين في كتابه الكريم ليشمل كل مجالات الحياة، كالتعاون على البر والتقوى، وترك التعاون على الإثم والعدوان ومعصية الله ورسوله، والنهي عن التجسس والتنابز بالألقاب وأكل مال اليتيم، إلى غير ذلك مما أمر القرآن الكريم به، وما نهى عنه، فكان ذلك كله قد تحقق في سلوك النبي (ص وآله) وطبقه على أرض الواقع فكان الأسوة الحسنة والقدوة المثلى في الأمة، فكان الرسول واهل بيته (عليهم السلام) قرآناً بين الناس.

كما كان للإمام علي بن ابي طالب دوراً بارزاً في نشر القيم الأخلاقية من خلال اقواله وأفعاله منها التقوى والورع من خلال قوله (عليه السلام) "التقى رئيس الاخلاق"(٧٣) وكما أكد ذلك بقوله ايضاً (عليه السلام) "اوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم"(٧٤)، وكذلك حول الحلم والعقل والتعقل قوله: (عليه السلام) "الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك"(٧٥) والصبر والثبات وضبط النفس

أي تقوية القدرة على تحمل المشاكل والبلاءات، وذكر ذلك بقوله: "وعليكم بالصبر، فإن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فكما لا خير في جسد لا رأس له، لا خير في إيمان لا صبر معه"(٧٦)، والتواضع سمة الأولياء وهي من القيم الأخلاقية المهمة التي يتمكن الإنسان من خلالها التغلغل إلى القلوب، حتى قلوب الأعداء، وذلك مما يكشف عن طيب السريرة وطراوة النفس وحسن العشرة وإدامة الشكر لله تعالى على نعمه. وبهذا يقول (عليه السلام) " وبالتواضع تتم النعمة"(٧٧) وقوله أيضاً (عليه السلام) "واعلم أن الاعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب"(٧٨)، فالذي يقدر نفسه تقديراً مبالغاً فيه، إذ لا يرى إلا نفسه، فهو العالم وغيره الجاهل، وهو صاحب الرأي الحصيف وغيره لا رأي له، مثل هذا الشخص ستنفر عنه الناس وسيرى نفسه أنه يعيش لوحده في هذا العالم او أنه الوحيد الذي يستحق العيش. ويقول في ذلك أيضاً (عليه السلام) "ولا وحدة أوحش من العجب"(٧٩)، ويشير بذلك إلى خطر التكبر " فالله الله ...وسوء عاقبة الكبر"(٨٠) وغيرها من القيم التي لا حصر لها وردت عن لسان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام).

وعلى ما ذكر اعلاه يمكننا القول أن مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على اكمل وجه، وعلى هذا الأمر نختم كلامنا بأن الدين بأصوله القرآن والسنة النبوية وعتره أهل البيت (عليهم السلام) كان سنداً قوياً وأساساً متيناً يستقى منه الفكر الإسلامي كل اصالة أخلاقية.

إذن وبعد أن تعرفنا على الأخلاق في القرآن والسنة والعترة الطاهرة من آل الرسول (ص وآله) نحاول التعرف عليها عند بعض الفلاسفة المسلمين.

ثانياً/ الأخلاق عند بعض الفلاسفة المسلمين الفارابي(٨١) وابن مسكويه(٨٢) أنموذجاً

إن تأثير الفكر اليوناني قد تجاوزه حدود الثقافة اليونانية إلى العقائد الإسلامية، إذ وجد الفلاسفة في الفكر اليوناني عامة وفي الفكر أفلاطون وأرسطو خاصة الملاذ الآمن لبناء نظرياتهم وتحديد المواقف الفلسفية في كثير من الأطروحات على رأس هؤلاء الفارابي وابن مسكويه، فكيف كانت نظرتهم إلى الأخلاق؟ بعبارة أخرى هل البحث الأخلاقي عند المسلمين كان تفكيراً فلسفياً على غرار فلاسفة اليونان أم هو مجرد بحث مرتبط بالدين؟ وهل كان البحث في الأخلاق عند المسلمين بحثاً فلسفياً نظرياً أم هو بحث ارتبط بالدين أكثر من ارتباطه بالتفكير العقلي؟ فضلاً عن ذلك ما مفهوم السياسة والأخلاق؟ وهل العلاقة بين السياسة والأخلاق متصلة عند الفارابي وابن مسكويه أم منفصلة؟

سنحاول من خلال هذا المبحث الإجابة على هذه التساؤلات بعد التطرق إلى بعض النماذج في الفكر الفلسفي الإسلامي، لا سيما ممن بنى نظرياته على أسس فلسفية متأثرة تأثيراً واضحاً في الفلسفة اليونانية، ويمثل هذا الاتجاه أبو نصر الفارابي، وابن مسكويه، وعلى ما يبدو أنهما من أكثر الفلاسفة المسلمين اهتماماً في مسألة الأخلاق، وخير دليل نؤكد به ذلك ما كتباه في هذا المجال، لا سيما الفارابي وتقسيماته.

أولاً/ الفارابي

أ: الاخلاق:

لقد تأثر الفارابي (٣٣٩هـ/٩٥٠م) بفكر أفلاطون في الأخلاق والسياسة، كما تأثر أيضا بفكر أرسطو في المنطق والطبيعيات، ولقد سار الفارابي على نهج أفلاطون وأرسطو في اعتبار الأخلاق فرعاً للسياسة، فالأخلاق تعني دراسة قواعد السلوك المقررة في المجتمع والتي يجب على كل فرد الالتزام بها، لكونها تؤدي إلى اكتساب الفضائل وتحصيل السعادة لكل فرد على حدى[٨٣]، بينما تعني السياسة بدراسة كيفية تحصيل السعادة للجميع باسره، أي اقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وهذا التعريف يحمل المعنى الشامل الأقرب إلى حاجة البشر للصلاح وقيم الفضيلة، وعليه فإن غاية الأخلاق والسياسة إذن واحدة[٨٤].

للأخلاق في نظر الفارابي شأن كبير يشبه دور علم المنطق، فكما أن علم المنطق يضع قوانين للمعرفة، فكذلك علم الأخلاقية يضع القوانين الأساسية التي ينبغي أن يسير عليها الإنسان في سلوكه بالرغم من أن شان العمل والتجربة في الأخلاق اكبر مما هو في المنطق[٨٥]، ولكن إذا إذا كان الفارابي قد تأثر حقاً بفلاسفة اليونان في معالجته لمسألة الأخلاق، لا سيما الحكيمين أفلاطون وأرسطو، لذا يمكن القول أيهما كان يميل اكثر؟ يجيب دي بور على ذلك بقوله: "الفارابي في معالجته للأخلاق يوافق أفلاطون تارة وأرسطو تارة أخرى، وقد يتجاوز آرائهما أحياناً نازعاً منزع تصوُّف وزهد"[٨٦].

ب/ الفضائل الأخلاقية:

أن الغاية من الاخلاق عند الفارابي إنما هي تحصيل السعادة، وهذا ما يدل على ذلك مؤلفه الموثوق به "تحصيل السعادة"[٨٧] وأحد مؤلفاته في موضوع الأخلاق، عالج فيه الأشياء الإنسانية التي إذا حصلت في الأمم وفي أهل المدن حصلت لهم السعادة في الحياة الدنيا والسعادة القصوى في الحياة الآخرة، وهذا الأشياء هي الفضائل، والفضائل عنده أربعة أنواع:

اولاً/ الفضائل النظرية: وهي العلوم التي يكون الغرض منها الحصول الموجودات في الذهن معقولة ببراهين يقينية وطرق اقناعية، وهذه العلوم منها ما يحصل للإنسان منذ أول أمره من حيث لا يشعر ولا يدري كيف

ومن أين حصلت، وهي ما لا يمكن تحصيل غيرها إلا بواسطتها، ومنها ما يحصل بتأمل وعن فحص واستنباط وعن تعليم وتعلم(٨٨).

ثانياً/ الفضائل الخلقية: هي التي يتوخى بها الإنسان فعل الخير، وتوخي أفعالها متوقف على استعمال غيرها من الفضائل، فكل فضيلة خلقية لابد لها من فضيلة فكرية سابقة لها توجهها، وكلما اكتملت الفضائل الفكرية كانت الفضائل الخلقية المرتبطة بها أشد وأقوى(٨٩).

ثالثاً/ الفضائل الفكرية: وتتمثل هذه الفضيلة في القوة التي يتمكن بها الإنسان من استنباط ما هو انفع في غاية ما فاضلة لطائفة أهل المدينة أو لأهل المنزل، والقدرة على سن القواعد والقوانين التي يجب إتباعها(٩٠).

رابعاً/ الفضائل العملية والصناعات العملية: هي التي يراد بها "اكتساب الفنون العملية المعروفة، ويتم حصولها بطريقتين اثنتين، تتمثل الأولى في الأقاويل الإقناعية والأقاويل الانفعالية وسائر الأقاويل التي تمكن في النفس هذه الأفعال والملكات تمكيناً تاماً حتى يصير نهوض عزائمهم نحو أفعالها طوعاً، وتلك ممكنة بما اعطتها من استعمال الصنائع المنطقية وما يعودّون من استعمالها، والطريق الثاني هو طريق الإكراه، وتلك تستعمل مع المتمردين والمعاندين من أهل المدن والأمم الذين لا ينهضون للصواب طوعاً من تلقاء أنفسهم ولا بالأقاويل"(٩١).

وجميع هذه الفضائل حسب ما ورد اعلاه إنما سبيلها أن تحصل فيما أعد لها بالطبع وهم ذوو الفطرة الفائقة والطبائع العظيمة، وتحصيلها يكون بطريقين أولين: بالتعليم أولاً/ وهو إيجاد الفضائل النظرية في الامم والمدن، والتأديب ثانياً، وهو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية في الأمم، والفرق بين الطريقين هو أن التعليم كما يرى الفارابي يكون بالقول وحده، وأما التأديب فيجمع بين القول والعمل معاً.

وعليه فإن الفضائل عند الفارابي ما هي إلا وسائل للوصول إلى السعادة، وهي ليست خيرات بذاتها وإنما هي خيرات لأنها توصل إلى السعادة، فما هي السعادة عنده يا ترى؟

ج/ السعادة:

الفارابي مؤلف آخر في فلسفة الأخلاق اختار له "عنوان التنبيه على سبيل السعادة" يؤكد من خلاله "أن السعادة هي الخير الأقصى أو الغاية القصوى التي يشتاق لها الإنسان ويسعى للوصول إليها، فهي من بين الخيرات أعظمها خيراً... ومن بين المؤثرات اكمل كل غاية يسعى الإنسان نحوها"(٩٢) فالسعادة إذن غاية تطلب لذاتها وهذا بالفعل ما قال به الفارابي عندما عد السعادة "غاية يتشوقها كل إنسان وأن كل ما ينحو بسعيه نحوها، فإنما ينحوها على أنها كمال ما، وكل كمال غاية يتشوقها الإنسان، فإنما يتشوقها على أنها

خيراً ما"[٩٣]، وبذلك فإن رؤية الفارابي للسعادة عبارة عن الخير المطلق، والسعادة لا تتعلق بالأمور المحسوسة، بل بالأمور العقلية، لأن من شان الصور الحسية التغيير، وهي غير كاملة عكس الخير الأسمى المدرك بالعقل فقط، وبالتالي فالسعادة بهذا المعنى ليست في الثروة أو في التمتع باللذات كما يعتقد العوام، بل السعادة الحقيقية هي نهاية الكمال الإنساني، أو كما حدد مفهومها في كتابة "آراء أهل المدينة الفاضلة" تحديداً ميتافيزيقياً صوفياً بقوله: "أن تصير نفس الإنسان من الكمال الموجود إلى حيث لا يحتاج فيه قوامها إلى مادة، وذلك أن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد، وأن تبقى على تلك الحال دائماً أبداً، إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعّال وإنما تبلغ ذلك بأفعال ما أرادية، بعضها افعال فكرية، وبعضها افعال بدنية... والسعادة هي الخير المطلوب لذاته وليست تتطلب أصلاً ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر، وليس وراءها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها"[٩٤].

لكن إذا كانت السعادة هي الخير الأقصى وتطلب لذاتها بوصفها غاية لا وسيلة، فكيف تصل إليها النفس؟

يجيب الفارابي بأن الفضائل طريق السعادة، والفضائل منها ما هي كائنة بالطبع ومنها ما هي كائنة بالإرادة، ودور الإرادة حسب ما فهمنا من قوله مكمل لما أعدّ له الإنسان بالطبيعة، فالإرادة إذن هي شرط أساسي لا تصاف العمل بأنه خلقي، فالسعادة تحصل للإنسان بالأفعال التي يفعلها طوعاً وعن اختيار، فالإنسان حر فيما يفعل، لأنه يملك بالقوة خصالاً يتمكن من تنميتها فتصبح عنده مملكة، والملكة هي ما لا يزول بسرعة[٩٥].

ويؤكد الفارابي بقوله: "أن الأخلاق كلها الجميل منها والقبيح مكتسبة، والذي به يكتسب الإنسان الخلق أو ينقل نفسه عن خلق صادفها عليه هو الاعتياد. وأعني بالاعتياد تكرير فعل الشيء الواحد مراراً كثيرة، زماناً طويلاً، في أوقات متقاربة فإن الخلق الجميل إنما يحصل عن الإعتياد، وكذلك الخلق القبيح إنما يحصل عن الاعتياد..." [٩٦]، بمعنى أن الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة تكتسب بالدربة والممارسة، فإذا لم تكون للإنسان أخلاق محمودة فبوسعه أن يحصل عليها بالتعود على العمل الواحد مرات متعددة وفي أوقات متقاربة لمدة طويلة، ولكن ما هو شرط العمل المحمود؟ شرط العمل المحمود الفاضل كما حدده هو" الاعتدل والتوسط في الأمور، فكما أن الطعام متى كان متوسطاً حصلت به الصحة، والتعب متى كان متوسطاً حصلت به الصحة وكذلك الأفعال متى كانت متوسطة حصلت بها الخلق الجميل. ومتى زال ما شأنه أن يحصل الصحة عن التوسط والاعتدال لم تكن به الصحة. كذلك متى زالت الافعال عن الاعتدال واعتيدت لم يكن عنها خلق جميل، وزوالها عن التوسط هو أما الزيادة على ما ينبغي أو النقصان عما ينبغي، فإن الطعام متى

كان زائداً أو ناقصاًعلى ما ينبغي لم تحصل به الصحة"[٩٧]، وهذا يعني أن الاعتدال والتوسط في الأمور، فكما أن الطعام والشراب إذا أفرط أو فرّط فيهما الإنسان أورثاه المرض وانواع العلل، وكذلك العمل الفاضل إذا أفرط أو فرّط فيه صاحبه أخرجه عن حد الفضيلة، فحد الفضيلة هو القصد في الأمور والتوسط فيها، بلا إفراط ولا تفريط، فالأخلاق إنما صلاحها بالاعتدال وفسادها بالتطرف والبعد عن الوسط وهذا الوسط متموج يختلف باختلاف الزمان والمكان والشخص والغاية، ولذلك فإنه معرفة الوسط تكون بمراعاة ذلك كله والتزامه والتقيد به.

وعلى ما يبدو أراد الفارابي توضيح هذا الموقف من خلال عرض مجموعة من الأمثلة يشرح بها فكرة الوسط والاعتدال التي تجعل الفعل خلقياً أو جميلاً وهي: أن الشجاعة خلق جميل وتحصل بتوسط في الإقدام على الأشياء المفزعة والأحجام عنها، لأن الزيادة في الإقدام عليها تكسب التهور، والنقصان يكسب الجبن، وفي هذه الحالة كلاهما خلق قبيح، والسخاء يحدث متوسط في حفظ المال وإنفاقه، لأن الزيادة في الإنفاق والنقصان في الحفظ يكسب التبذير[٩٨]، ويبدو من خلال هذه النظرية تأثر الفارابي بفكر أرسطو، لأن هذا الأخير يرى أن الفضيلة هي خير يراد به بلوغ السعادة كما استعار الفارابي نظرية الوسط الأرسطية.

وعندما يعرض الفارابي لعواقب الفعل وما ينجم عنه في النفس من لذة وألم الناتجين عن الأفعال يفرق بين اللذائذ، فمن اللذائذ ما هي جسدية حسية ومنها ما هي فكرية الأولى أقرب إلى الحيوان، وهي سريعة الزوال، أما الثانية فهي طويلة الأمد وهي اشرف وأعمق، ولذلك ينصحنا الفارابي بالابتعاد عن الأولى والأخذ بالثانية[٩٩].

إن السعادة عند الفارابي من خلال ما ذكره بقوله: "لما كانت الفلسفة إنما تحصل بجودة التمييز، وجودة التمييز تحصل بقوة الذهن على إدراك الصواب من كل مطلوب معرفته، لزم أن تكون القوة على إدراك صواب العبارة والقدرة عليه هي صناعة النحو... والصناعة التي تستفيد بها هذه القوة تسمى صناعة المنطق"[١٠٠].

وعليه إن السعادة عند الفارابي لا تكتسب إلا بممارسة الخصال الحسنة مثل الجودة الرؤية والتمييز وقوة العزم، وجودة العزم هي التي نحصل بها على المعرفة، وإذا كنا نصل إلى الفلسفة وننال السعادة بجودة التمييز، فإننا نصل إليها بواسطة المنطق، وبالوقت نفسه تترتبط بالحكمة التي تقوم على صناعة المنطق، ولذلك فإن أول مراتب السعادة هي تحصيل صناعة المنطق، ويمكن أن نلاحظ هنا أن الفارابي متأثر بأفكار أفلاطون وأرسطو في اعتقاده بأن السعادة تأتي عن طريق التأمل العقلي.

د/ المدينة الفاضلة:

لقد نادى الفارابي بإقامة مدينة فاضلة تتمتع بمقومات مثالية سواء كانت عقلانية أم أخلاقية كأحد الحلول الرئيسية لعلاج فساد الحكم والفوضى الاجتماعية، وخالية من كل حقد وكراهية، وللانطلاق إلى عالم رحب ومجتمع مثالي يحفظ للمرء حريته وكرامته وسعادته(١٠١)، ومعنى هذا أن المدينة الفاضلة التي يدعو إلى تحقيقها تمثل في نظره نموذج المجتمع الراقي، لأنه بين في رسمه لهذا النموذج على الجانب الأخلاقي، فضلاً عن تأكيده لأحتياج الناس إلى التعاون والتكامل، إذ كل فرد يقوم بوظيفته التي تلائم كفاياته وبهذا ذكر الفارابي بقوله: "وكما أن البدن أعضاؤه في سبيل الحياة، متفاضلة الفطرة والقوى، وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب، وأعضاؤه تقرب مرتبتهم من ذلك الرئيس...، وكذلك المدينة، أجزاؤها مختلفة الفطرة، متفاضلة الهيئات، وفيها إنسان هو رئيس، وآخرون تقرب مرتبتهم من الرئيس"(١٠٢)، إذن فالناس مفطورون على التعاون فيما بينهم داخل المدينة، وهذا ما اشار إليه الفاربي أن كل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى قوم يقوم له كل واحد بهذا الحال، فلذلك لا يمكن أن يكون الإنسان ينال الكمال، الذي لأجله الفطرة الطبيعية، إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين فيما بينهم، فيجتمع مما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد، من خلال الخلق والشيم الطبيعية، والإشتراك في اللغة واللسان حتى يبلغ الكمال"(١٠٣).

وعلى ما يبدو أن الأخلاق عند الفارابي لا تنحصر وجودها في الإطار الفردي فقط، بل تتسع لتشمل الدولة كذلك، لأن للدولة في نظره دوراً هاماً في إرساء قواعد الأخلاق ولإقرار الفضائل بين الناس.

وعليه فإن الفلسفة السياسية عند الفارابي ذات مضمون أخلاقي، لذلك ارتبطت الأخلاق بالسياسة ارتباطاً وثيقاً، وهكذا ينتقل من سعادة الفرد إلى سعادة المجتمع، ومن الإنسان الفاضل إلى المدينة الفاضلة، أي من الاخلاق إلى السياسة، ومن هنا يمكن القول أن الأخلاق عند كل من الفارابي وأرسطو علم عملي، أي أنه يقوم على ممارسة الأفعال المحمودة واتباع القدوة الصالحة لاكتساب ملكة الأفعال الخلقية(١٠٤).

ويمكن القول أن فلسفة الفارابي الأخلاقية تتفق في العديد من الأفكار مع فكر أفلاطون، إذ تقصي اللذات الحسية، وتجعل من المعقولات هي اللذات السامية و المثالية، وإن كل هذا الموقف تقوّى عند الفارابي من خلال ثقافته الإسلامية التي تدعو من ناحيتها إلى هذا الطرح وتنبذ اللذات الحسية.

ثانياً/ مسكويه:

أ/ الاخلاق:

يعد مسكويه من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين كان لهم الفضل الكبير في المساهمة في تحليل الفكر الأخلاقي الإسلامي، وتعد فلسفته الأخلاقية عبارة عن مزيج من آراء أفلاطون وأرسطو فضلاً عن الشريعة الإسلامية وتجاربه الشخصية(١٠٥).

ووضح مسكويه(٤٢١هـ/١٠٣٠م) تهذيب الأخلاق من خلال الطريق إلى السلوك المستقيم، كما شرح هدفه من الاهتمام بالأخلاق، إذ يقول في ذلك "أن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا، لا كلفة فيها ولا مشقة، ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي، والطريق في ذلك أن نعرف أولاً نفوسنا ما هي وأي شيء هي ولأي شيء أوجدت فينا، أعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي، بلغنا بها هذه الرتبة العلية"(١٠٦).

ولما كانت الأخلاق أو الفضائل لا تصدر إلا عن النفس الإنسانية، فإنه يتوجب معرفة النفس وقواها المختلفة، وما يتصل بها من فضائل ورذائل، فكيف تصور مسكويه النفس؟

فضائل النفس:

تتألف الناس في نظر مسكويه من ثلاث قوى:

الاولى/ القوة العاقلة: وهي "التي بها يكون الفكر والتمييز، والنظر في حقائق الأمور، وتسمى الملكية وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ"(١٠٧).

الثانية/ القوة الغضبية: وهي "التي بها يكون الغضب والنجدة والإقدام على الأهوال، والشوق إلى التسلط، والترفع، وضروب الكمالات ومركز هذه القوة في القلب"(١٠٨).

الثالثة/ القوة الشهوانية: وهي "التي بها تكون الشهوة وطلب الغداء والشوق إلى الملاذ التي في المآكل والمشارب والمناكح، وضروب اللذات الحسية ومركز هذه القوة في الكبد"(١٠٩).

فالأولى موضعها الرأس وفضيلتها التفكير والحكمة، والثانية موضعها القلب وفضيلتها الشجاعة، والثالثة موضعها البطن او الكبد وفضيلتها العفة، ويجب أن تخضع القوتان الاخيرتان للقوة الأولى العاقلة باعتبار أن فضيلتها أسمى من غيرها، أي عندما يكون الجانب العاقل من النفس معتدلاً ويتوق إلى المعرفة الحقه التي هي غرضها الحقيقي، تنشأ فيها فضيلة العلم أو الحكمة، وعندما تسعى القوة الشهوية الى غرضها على الخاص باعتدال، وتنقاد إلى إرشاد العقل، تنشأ فضيلة العفة وتتبعها صفة السخاء، وأخيراً عندما تخضع

القوة الغضبية للقوة العاقلة، تنشـــأ فضيلة الحلم وتتبعها الشجاعة، ومن اجتماع هذه الفضائل الثلاث تنشأ فضيلة رابعة هي كمالها وتمامها من حيث اعتدالها عليها وهي فضيلة العدالة التي هي نتيجة الانسجام والاعتدال والتوسط بين القوى الثلاث، إذ لا إفراط ولا تفريط، وعليه فإن مسكويه يذكر أربعة اجناس الفضائل وهي: الحكمة، والعفة، والشجاعة، والعدالة، واما أضدادها المقابلة لها فهي أربع: الجهل، والشر، والجبن، والجور(١١٠).

غير أننا نلاحظ من خلال هذه النظرة إلى النفس وقواها وفضيلة كل واحدة منها لا تختلف عن نظرة أفلاطون وأرسطو، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ما يبدو تأثير فلاسفة اليونان، ولا سيما أفلاطون وأرسطو في الفلاسفة المسلمين كمسكويه والفارابي كما اشرنا إلى ذلك سابقاً.

ب/ شروط السعادة:

يرى مسكويه إن السعادة خير ما وهي تمام الخيرات وغايتها، والتمام الذي إذا بلغنا إليه لم نحتاج معه إلى شيء آخر، ولذلك يؤكد بقوله: "أن السعادة هي أفضل الخيرات، ولكننا نحتاج في هذا التمام الذي هو الغاية القصوى إلى سعادات أخرى، وهي التي في البدن وخارج البدن"(١١١).

ويفهم من هذا أن الإنسان ينبغي أن يكون قوياً وسليم الجسم معتدل المزاج، لأن الحالة الصحية البدنية لها تأثير على حالته العقلية، بل ولها تأثير على اتجاهه الأخلاقي نحو الخير أو نحو الشر، ومن شروط السعادة أيضاً الاجتماع مع الناس وبهذا الصدد ذكر مسكويه بقوله: "أن الإنسان لا يبلغ كماله إلا مع بني جنسه"(١١٢).

وما يمكن استخلاصه من مذهب مسكويه الأخلاقي أنه مذهب اجتماعي دعا فيه أن يعيش المرء في جماعة لا منفرداً وحده ولا بد من تعاون كثيرين على تحصيل الخيرات، فالغاية من الشعائر الدينية كالصلاة مثلاً هي غرس الفضائل في نفوس الناس(١١٣).

كما إن الأخلاق عند مسكويه ليست اخلاقاً النظرية كأخلاق اليونان فقط تكتفي بالتعريف الكلي للفضيلة، ولكنها تسعى إلى العلم التّام بكافة الموجودات وبخالق الكون، وبهذا جعله مسكويه للدين أثره الكبير في تقويم الأخلاق والوصول إلى السعادة(١١٤).

ويؤكد مسكويه بقوله: "أن السعادة ليست في المتعة واللذات الحسية، لأن من راضي لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته وأقصى سعادته فقد رضي بأخس العبودية لأخس الموالي لأنه يصير نفسه الكريمة التي يناسب بها الملائكة عبداً للنفس الدنيئة التي يناسب بها الخنازير والخنافس والديدان وخسائس

الحيوانات التي تشاركه في هذا الحال"[١١٥] وعليه فإن مسكويه ينظر إلى اللذات والمتعة الحسية نظرة سلبية تحط من شأن الإنسان، ولكن فيما إذا تكمل سعادة الإنسان إذن ما دامت لا تكمن في تحقيقه للذته الحسية؟

يجيب مسكويه بأن سعادة الإنسان في الحكمة وفي استخدامه لعقله، أي أن "سعادة الإنسان هي في صدور افعاله الإنسانية عنه بحسب تميزه ورويته"[١١٦].

إذن في الحكمة توجد السعادة والحكيم هو سعيد لأنه الأقدر على النظر في الموجودات القريبة والبعيدة الضابط لحركة النفس، ومن هنا يمكن أن نفهم أن مسكويه يوجه نقداً لاذعاً لأصحاب اللذة، وقد يكون كلامه هذا موجه لشريحة اجتماعية واسعة في عصره، وهم الذين لا هم سوى البحث عن المتعة والشهوات الحسية.

وبعد أن تعرفنا على الأخلاق عند كل من الفارابي ومسكويه، وتبين لنا أن مدى تأثرهم بآراء غيرهم من الفلاسفة اليونانيين، ولا سيما أفلاطون وأرسطو، إلا أنهم قد أضافوا إلى هذه الآراء الكثير من الأبعاد الدينية الإسلامية.

الخاتمة:

١- أن أنواع الخير حسب النظرة الأفلاطونية، فكلما ابتعدت النفس البشرية عن الجسم واتصلت بالصورة كان الإنسان محققاً لدرجة أكبر من الخير، وبالكلام عن الخير، لا ينفصل عن المفاضلة بين الأشياء والأفعال وحتى بين الفضائل نفسها.

٢- أن فلسفة أفلاطون السياسية والأخلاقية متلازمة فيما بينها، لا أحد يستطيع أن ينفك عن الآخر، فالسياسة هي امتداد للأخلاق، إذ لا يمكن بناء مجتمع قوي دون أخلاق قوية تتسم بالعدل والفضيلة، ولن يتحقق هذا الهدف إلا بتنشئة الفرد وفق تربية متكاملة، قائمة على تهذيب النفس وتنشئتها على حب الخير والمجاهدة في بلوغ الحقيقة لن تكون إلا بأعمال العقل.

٣- أن أرسطو فرق بين انواع مختلفة من الوظائف لنفس واحدة، وبالتالي فإنه يختلف مع أفلاطون، لكون الأخير قسم النفس الى ثلاثة اقسام شهوانية وغضبية وعاقلة، أما الطرح الأرسطو الأرسطي فيقر بنفس واحدة، لكن وظائفها متعددة، منها ما هو أعلى ومنها ما هو أدنى.

٤- إن المنهج الأرسطي السياسي يعد الأسرة الركيزة الأساسية في منظومة الدولة.

٥- أن مفاهيم القيم الأخلاقية تعبر عن المعايير الإسلامية المنطلقة من المصادر الإسلامية التي توارثها الإنسان عبر مراجعه الأساسية، الممتدة عبر التاريخ إلى يومنا هذا تسير عليه حياة الفرد والمجتمع،

وإذا اتبعها وعمل بها الانسان وصل إلى درجة الكمال، لأن الدين وأصوله القرآن والسنة النبوية الشريفة وعتره أهل البيت (عليهم السلام) هو السند القوي والأساس المتين الذي يستقى منه الفكر الإسلامي كل اصالة أخلاقية.

٦- أن فلسفة الفارابي الأخلاقية تتفق في العديد من الأفكار مع فكر أفلاطون، إذ تقصي اللذات الحسية، وتجعل من المعقولات هي اللذات السامية و المثالية، وإن كل هذا الموقف تقوّى عند الفارابي من خلال ثقافته الإسلامية التي تدعو من ناحيتها إلى هذا الطرح وتنبذ اللذات الحسية.

مذهب مسكويه الأخلاقي أنه مذهب اجتماعي دعا فيه أن يعيش المرء في جماعة لا منفرداً وحده ولا بد من تعاون كثيرين على تحصيل الخيرات، فالغاية من الشعائر الدينية كالصلاة مثلاً هي غرس الفضائل في نفوس الناس.

٧- كما إن الأخلاق عند مسكويه ليست اخلاقاً النظرية كأخلاق اليونان فقط تكتفي بالتعريف الكلي للفضيلة، ولكنها تسعى إلى العلم التّام بكافة الموجودات وبخالق الكون، وبهذا جعله مسكويه للدين أثره الكبير في تقويم الأخلاق والوصول إلى السعادة.

الهوامش:

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/٧٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٠/٨٦.

(٢) السحمراني، الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ص١٥.

(٣) الطويل، اسس الفلسفة، ص٣٥٦.

(٤) بدوي، الأخلاق النظرية، ص١٠-١١.

(٥) العوا، العمدة في فلسفة القيم، ص١٠-١١.

(٦) ديورَانت، قصة الحضارة، ١/٨٣-٨٤.

(٧) الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ص وآله)، ص٢١٧.

(٨) قصة الحضارة، ٣/٨٣.

(٩) آل مراد، أثر القيم التنظيمية في الأداء الوظيفي، ص٣٤.

(١٠) التلباني، القيم التنظيمية وعلاقتها بالانغماس الوظيفي، ص٥٥.

(١١) مصطفى، القيم الاسلامية والتربوية، ص٣٤.

(١٢) حميد، نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم (ص وآله)، ١/٧٩-٨٣.

(١٣) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٤.

(١٤) إمانويل كانت أو إيمانويل كانط) بالألمانية Immanuel Kant :هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (١٧٢٤ - ١٨٠٤)، عاش حياته كلها في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا، كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة، وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية، إذ كان آخر فلاسفة عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين

البريطانيين جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم، ومن مؤلفاته كتاب نقد العقل المجرد الذي نشره سنة ١٧٨١م، وفيه يستقصي محدوديات وبنية العقل البشري ذاته، ثم نشر أعمالاً رئيسية أخرى، منها كتابه نقد العقل العملي الذي بحث فيه جانب الأخلاق والضمير الإنساني، وكتابه نقد الحكم الذي استقصى فيه فلسفة الجمال والغائية. ينظر: وود، كانط فيلسوف النقد، ص١٥-٤٥.

(١٥) كانط، تأسيس ميتافيزيقا للأخلاق، ص٤٥-٤٩.

(١٦) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٤.

(١٧) أفلاطون الْحَكِيم بن ارسطن بن اسقليبيوس فيلسوف يوناني رومي من أهل مَدِينَة أثينيا برع في الطب والهندسة والشعر وَكَانَ حسن الْأَخْلَاق كريم الْأَفْعَال كثير الْإِحْسَان إِلَى كل ذِي قرَابَة مِنْهُ وَإِلَى الغرباء متئدا حَلِيمًا صبورا وله عدة مؤلفات منها كتاب احتجاج سقراط على أهل أثينية وكتاب المدينة الفاضلة وكتاب فِي النَّفس كتاب السياسة المدنية كتاب طيماوس الروحاني فِي تَرْتِيب العوالم الثَّلَاثَة الْعَقْلِيَّة الَّتِي هِيَ عَالم الربوبية وعالم الْعقل وعالم النَّفس كتاب طيماوس الطبيعي توفي في حدود سنة (٣٤٨ ق.م). ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤-٣٠٥؛ القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص٢٠-٢٦؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٨٠-٨٥.

(١٨) سقراط بن سفر نيسقوس الحكيم، الفاضل، الزاهد من أهل أثينية وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وأرسالاوس، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات، واشتغل بالزهد ورياضة النفس، وتهذيب الأخلاق، وأعرض عن ملذات الدنيا، واعتزل إلى الجبل، وأقام في غاربه، ونهى الرؤساء الذين كانوا في زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان، فثورا عليه الغاغة وألجأوا ملوكهم إلى قتله، فحبسه الملك، ثم سقاه السم وتوفي سنة (٣٩٩ ق. م). ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ١٤١/٢.

(١٩) كريسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ص٨٦.

(٢٠) بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٨٠/١.

(٢١) العمدة في فلسفة القيم، ص٦٨-٦٩.

(٢٢) بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٨٠/١.

(٢٣) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص١٤٠.

(٢٤) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص١٨١.

(٢٥) السحمراني، الخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ص٧٧.

(٢٦) بدوي، موسوعة الفلسفة، ص١٨٢.

(٢٧) كريسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ص٩٢.

(٢٨) خضر، النظرية الخلقية عند ابي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص٣٢١-٣٢٣.

(٢٩) كريسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ص٩٣-٩٤.

(٣٠) بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٨٢/١.

(٣١) بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٨٣/١.

(٣٢) أرسطاليس بن نيقوماخس بن ماخاون من ولد اسقلبيادس الذي اخترع الطب لليونانيين من مدينة لليونانيين تسمى اسطاغاريا المطلة على بحر إيجة وكان أبوه بارعاً في علم الطب وهو من تلاميذ افلاطون، محب الحكمة والملقب بالمعلم الأول، ومن مؤلفاته كتاب الأورجانون أو المنطق وكتاب الطبيعة ووظائف الأعضاء وكتاب التاريخ الطبيعي وكتاب ما وراء

الطبيعة وكتاب الرياضيات. توفي في حدود سنة (٣٢٢ ق.م). ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٥-٣٠٦؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ٢٤/٤؛ حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ٢٨٠/١-٢٨١.

(٣٣) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص٢٦٢.

(٣٤) بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٢٢/١.

(٣٥) بدوي، الأخلاق النظرية، ص١٤٩-١٥١.

(٣٦) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص١٧٨.

(٣٧) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص١٨٠.

(٣٨) بدوي، موسوعة الفلسفة، ص١١٧.

(٣٩) بدوي، موسوعة الفلسفة، ص١١٧.

(٤٠) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص١٨١

(٤١) كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٩١-١٩٣.

(٤٢) محمد، مفهوم العقلانية عند ستيفن تولمن، ص٥.

(٤٣) ديورانت، قصة الحضارة، ٤٩٦/٧.

(٤٤) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٥.

(٤٥) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٦.

(٤٦) ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ص٨٦.

(٤٧) ديورانت، قصة الفلسفة، ص٨٧.

(٤٨) كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٢٤.

(٤٩) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٧.

(٥٠) كريسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ص١٠٠-١٠١.

(٥١) ديورانت، قصة الفلسفة، ص٨٧؛ السحمراني، الأخلاق في الاسلام والفلسفة القديمة، ص٨٨-٨٩.

(٥٢) الطوسي، سير الملوك، ص٢٩٩.

(٥٣) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٨.

(٥٤) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٨.

(٥٥) ديورانت، قصة الفلسفة، ص٨٨-٨٩.

(٥٦) ديورانت، قصة الفلسفة، ص٨٩.

(٥٧) ديورانت، قصة الفلسفة، ص٨٩.

(٥٨) فرنسيس، أرسطو والسياسة، ص٨.

(٥٩) مرحبا، من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية، ص٢١٠-٢١١؛ الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثارها ورجالها، ص٧٠.

(٦٠) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٩.

(٦١) بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٢٥/١.

(٦٢) بدوي، موسوعة الفلسفة، ١٢٥/١.

(٦٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٦٤) العبار، القيم الاخلاقية بين الفكرين الاسلامي والغربي في عصر العولمة، ص١١٧.

(٦٥) سورة آل عمران، آية ١٣٣-١٣٤.

(٦٦) سورة النحل، آية،٩٠.

(٦٧) سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٦٨) سورة آل عمران، آية، ١١٠.

(٦٩) العبار، القيم الاخلاقية بين الفكرين الاسلامي والغربي في عصر العولمة، ص١٢٥.

(٧٠) ابن بطال، شرح صحيح البخاري،١٥٥/١٠؛ الجعفري، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ٨٢٧/٢.

(٧١) سورة القلم، آية ، ٤.

(٧٢) ابن حنبل، مسند الامام احمد بن حنبل، ١٨٣/٤٢.

(٧٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٧/٢٠.

(٧٤) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨٨/١٠.

(٧٥) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦٩/٢٠.

(٧٦) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٢٤/١.

(٧٧) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٨/١٩.

(٧٨) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٨٤/١٦.

(٧٩) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٧٦/١٨.

(٨٠) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦٣/١٣.

(٨١) هو أبو نصر، محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، لقب بالمعلم الثاني، إذ أنه اهتم بالرياضة، والطب، ولد في فاراب سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م)، وأحكم العربية، ومن مؤلفاته: آراء أهل المدينة الفاضلة، وإحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، ورسالة في التنبيه على اسباب السعادة، والمدخل إلى علم المنطق، وتحصيل السعادة، وتوفي في دمشق سنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م). ينظر: المسعودي، التنبيه والأشراف، ص١٠٥-١٠٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ١٩٤/٧؛ ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ص٦٠٣-٦٠٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٥٣/٥-١٥٧.

(٨٢) هو أبو علي الخازن، أحمد بن محمد بن يعقوب، الملقب بـ مسكويه، ولد في سنة (٣٢٠هـ/٩٣٢م) بالري في إيران، وقد التقى أبرز العلماء وأنبغ الكتاب والأدباء، كما كان معاصراً لابن سينا والبيروني والتوحيدي، فقد صنف في علوم الأخلاق، والفلسفة، والطب والرياضيات، والتاريخ ، ومنها آداب الدنيا والدين وفي علم وترتيب السعادات ومنازل العلوم في الأخلاق وهو شرح لمراتب السعادة الثلاث، وتحديد دقيق لمراتب العلوم ورسائل فلسفية: منها رسالة في اللذات والألم، ورسالة في الطبيعة، ورسالة في جوهر النفس والعقل، رسالة في إثبات الصور الروحانية وغيرها، وتوفي في اصفهان سنة (٤٢١هـ/١٠٣٠م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٤٩٣/٢-٤٩٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٧٢/٨-٧٤.

(٨٣) يعقوب، معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، ص٤٩.

(٨٤) احمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية رؤية إسلامية، ص١٩-٢٠.

(٨٥) العبار، القيم الاخلاقية بين الفكرين الاسلامي والغربي في عصر العولمة، ص١٤١.

(٨٦) تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص١٥٥.

(٨٧) الفارابي، تحصيل السعادة، ص٨-١٠٢.

(٨٨) الفارابي، تحصيل السعادة، ص٢٦.

(٨٩) الفارابي، تحصيل السعادة، ص٤٩-٥٣، ٦٧.

(٩٠) الفارابي، تحصيل السعادة، ص٥٦-٥٨.

(٩١) الفارابي، تحصيل السعادة، ص٧٣-٧٤.

(٩٢) الفارابي، رسالة التنبيه على سبيل السعادة، ص٦٠-٦١.

(٩٣) رسالة التنبيه على سبيل السعادة، ص٦١.

(٩٤) الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، ص١٠٥-١٠٦.

(٩٥) الفارابي، تحصيل السعادة، ص٧٣-٧٤.

(٩٦) رسالة التنبيه إلى سبيل السعادة، ص٦٢-٦٣.

(٩٧) رسالة التنبيه إلى سبيل السعادة، ص٦٣-٦٤.

(٩٨) رسالة التنبيه إلى سبيل السعادة، ص٦٥-٦٦.

(٩٩) رسالة التنبيه إلى سبيل السعادة، ص٦٧-٦٩.

(١٠٠) رسالة التنبيه إلى سبيل السعادة، ص٨٥.

(١٠١) النصافي، المدينة الفاضلة عند الفاربي دراسة فلسفية، ص٣٥-٣٦.

(١٠٢) الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص١١٨-١١٩.

(١٠٣)الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص١٥٣-١٥٦.

(١٠٤) أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٢٥٧.

(١٠٥) صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ص٣١٠.

(١٠٦) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٢.

(١٠٧) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص١٢.

(١٠٨) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص١٢.

(١٠٩) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص١٢.

(١١٠) فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٢٦٢.

(١١١) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٦٥.

(١١٢) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٦٧-٦٨.

(١١٣) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص١١-١٢.

(١١٤) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٦٧-٦٨.

(١١٥) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص٣٦-٣٧.

(١١٦) مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص١١.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة-بيروت.

- ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة اللّه بن محمّد (ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

٢- شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار احياء الكتب العربية-منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي-قم، ١٩٦٥م.

- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

٣- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي- بيروت - لبنان، ١٩٩٧م.

- أحمد، محمد وقيع الله.

٤- مدخل إلى الفلسفة السياسية رؤية إسلامية، ط١، دار الفكر-دمشق، ٢٠١٠م.

- آل مراد، نوال يونس وآخرون.

٥- أثر القيم التنظيمية في الأداء الوظيفي-دراسة تطبيقية لآراء عينة من مديري الإدارات الوسطى في عدد من المستشفيات الحكومية في نينوى، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، العدد ٢٩- المجلد ٩، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت، ٢٠١٣م.

- بدوي، عبد الرحمن.

٦- موسوعة الفلسفة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ١٩٨٤م، ١/١٨٠.

- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ/١٠٥٧م).

٧- شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ٢٠٠٣م.

- التلباني، نهاية عبد الهادي وآخرون.

٨- القيم التنظيمية وعلاقتها بالانغماس الوظيفي- دراسة ميدانية على موظفي البنوك الاسلامية قطاع غزة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات الإدارية والأقتصادية، العدد٢-المجلد ١، فلسطين، ٢٠١٤م.

- الجعفري، ابو البقاء صالح بن الحسين (ت: ٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

٩- تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، ط١، مكتبة العبيكان- الرياض، ١٩٩٨م.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م).

١٠-سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠م.
- حميد، صالح عبد الله وآخرون.
١١-نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم (ص وآله)، ط١، دار الوسيلة- جدة، ١٩٩٨م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م).
١٢-مسند الامام احمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة-بيروت، ٢٠٠١م.
- خضر، سناء.
١٣-النظرية الخلقية عند ابي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر- الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).
١٤-وفيات الأعيان، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الصادر- بيروت، ١٩٩٤م.
- دي بور، ت . ج.
١٥-تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله للعربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة-القاهرة، ١٩٤٨م.
- ديورانت، ول.
١٦-قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي حياة وآراء اعاظم رجال الفلسفة في العالم، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ط٦، مكتبة المعارف-بيروت، ١٩٨٦م.
- ديورَانت، ويليام جيمس.
١٧-قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٩٨٨م.
- أبو ريان، محمد علي.
١٨-تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام المقدمات العامة- الفرق الإسلامية وعلم الكلام-الفلسفة الإسلامية، ط٢، دار المعرفة الجامعية-الاسكندرية.
- السحمراني، أسعد.
١٩-الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة، ط١، دار النفائس-بيروت، ١٩٨٨م.
- أبو السعادات، مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم (ت: ٦٠٦هـ).
٢٠-النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م.

- الشريف، أحمد ابراهيم.
٢١- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ص وآله)، دار الفكر العربي.
- الشمالي، عبدة.
٢٢- دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثارها ورجالها، ط٥، دار الصادر- بيروت، ١٨٧٩م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م).
٢٣- الملل والنحل، الحلبي للنشر والتوزيع-دمشق.
- صبحي، احمد محمود.
٢٤- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ط٣، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت، ١٩٩٢م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
٢٥- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت.
- الطوسي أبو علي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق (ت: ٤٨٥ه/ ١٠٩٢م).
٢٦- سير الملوك، تحقيق: يوسف حسين بكار، ط٢، دار الثقافة – قطر، ١٩٨٦م.
- الطويل، توفيق.
٢٧- أسس الفلسفة، ط٣، مكتبة النهضة المصرية للنشر والتوزيع-القاهرة، ١٩٥٨م.
- العبار، موزه احمد راشد.
٢٨- القيم الاخلاقية بين الفكرين الاسلامي والغربي في عصر العولمة، ط١، الدار العالمية للنشر والتوزيع-القاهرة، ٢٠٠٨م.
- ابن عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: ٧٠٣هـ/١٣٠٣م).
٢٩- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق : احسان عباس وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي-تونس، ٢٠١٢م.
- العوا، عادل.
٣٠- العمدة في فلسفة القيم، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-دمشق، ١٩٨٦م.
- الفارابي، أبو نصر، محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان(ت: ٣٣٩هـ/٩٥٠م).
٣١- آراء اهل المدينة الفاضلة، تقديم وتعليق: البير نصري نادر، ط٢، دار المشرق-بيروت-لبنان، ١٩٨٦م.
٣٢- تحصيل السعادة، تقديم وشرح: علي بو ملحم، ط١، دار مكتبة الهلال-بيروت-لبنان، ١٩٩٥م.
٣٣- رسالة التنبيه على سبيل السعادة، دراسة وتحقيق: سحبان خليفات، ط١، منشورات الجامعة الأردنية-عمان، ١٩٨٧م.
- فخري، ماجد.

٣٤-تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: كمال اليازجي، الجامعة الامريكية الدار المتحدة للنشر-بيروت، ١٩٧٤م.

- فرنسيس، وولف.

٣٥-أرسطو والسياسة، ترجمة:أسامة الحاج، ط١، دار النشر للطباعة والتوزيع-بيروت-لبنان، ١٩٩٤م.

- القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م).

٣٦-إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ٢٠٠٥م.

- كانط، إمانويل.

٣٧-تأسيس ميتافيزيقا للأخلاق، ترجمة وتقديم: عبد الغفار مكاوي، مراجعة الترجمة:عبد الرحمن بدوي، ط١، منشورات الجمل-المانيا، ٢٠٠٣م.

- كرم، يوسف.

٣٨-تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة، ٢٠١٢م.

- كريسون، اندريه.

٣٩-المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود وآخرون، مطبعة دار الشعب- القاهرة، ١٩٧٩م.

- محمد، محمود محمد علي.

٤٠-مفهوم العقلانية عند ستيفن تولمن، مطبعة محسن بسوهاج- مصر، ٢٠٠٨م.

- مرحبا، عبد الرحمن.

٤١-من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣.

- المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م).

٤٢-التنبيه والأشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د.ن.ا

- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م).

٤٣-تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط١، مطبعة الحسينية المصرية-القاهرة، ١٩١١م.

- مصطفى، علي خليل.

٤٤-القيم الاسلامية والتربوية، ط١، دار طيبة- بيروت، ١٩٨٠م.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ).

٤٥-لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ.

- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الفهرست (ت: ٤٣٨هـ/١٠٤٦م).

٤٦-الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، دار المعرفة بيروت – لبنان، ١٩٩٧م.

- النصافي، سالم جاسر.
٤٧- المدينة الفاضلة عند الفارابي دراسة فلسفية، مجلة كلية الآداب -جامعة بنها، المجلد٣، العدد ٥٤، ٢٠٢٠م.
- وود، ألن و.
٤٨- كانط فيلسوف النقد، ترجمة: بدوي عبد الفتاح، ط١، المركز القومي للترجمة والنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠١٤م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م).
٤٩- معجم الأدباء- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: احسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٣م.
- يعقوب، محمود.
٥٠- معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، ط٢، دار الميزان للنشر والطباعة-الجزائر، ١٩٩٨م.